

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

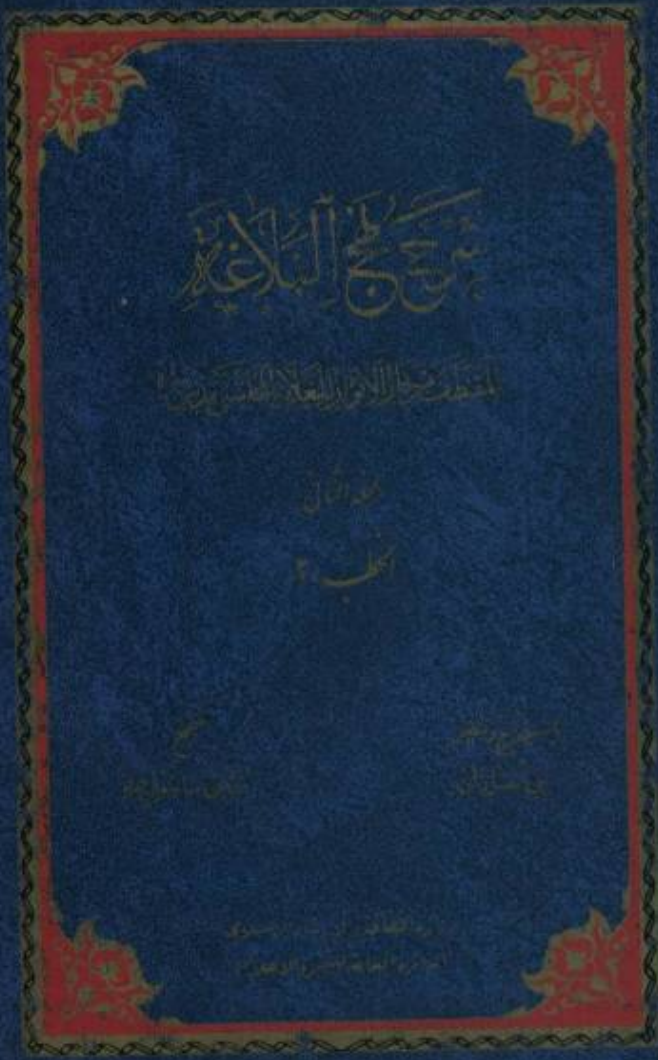
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ



شرح درة البلاغة

للمعلم العلامة الفيلسوف والخطيب
الشيخ محمد باقر المجلسي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

كتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۰۰۲۴۹۰

تاریخ ثبت:

شرح صحیح النباغة

المطبوعات مجاز الانوار للعلماء المجلسي قدس سره



المجلد الثاني

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الطبعة الأولى

تصحیح

میرزا علی حاج علی قزوینی

استخراج و تنظیم

علی انصاریان

وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي
الدائرة العامة للنشر والاعلام



مركز تحقيق وتعمير علوم إسلامي



وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي

الدائرة العامة للنشر والإعلام

شرح نهج البلاغة

المقتطف من بحار الأنوار للعلامة المجلسي قدس سره

المجلد الثاني: الخطب (٢)

استخراج وتنظيم: علي انصاريان

تصحيح: مرتضى حاجعل فرد

الطبعة الأولى: جمادى الثاني ١٤٠٨ هـ. ق.

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس العناوین

- ٤٩٠-٩ شرح خطب أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٤٢-٤٩١ فهرس الألفاظ الغربية المشروحة حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب
- ٢٤٧ رموز الكتاب
- ٢١٦-٢٤٩ الفهرس التفصیلی لمواد الكتاب على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد



مركز تحقیقات کومپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ
وَجَعَلَ مِنْهَا آيَاتٍ مَبِينَاتٍ



مرکز تحقیقات رایانه‌ای در علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١٢٩ - وَحَبْلُهُ لِيَوْمِ السَّلَاةِ

في ذكر المكايل والموازن

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا - أَثْوِيَاءُ (١٧٠٩)
 مُوجِلُونَ ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ : أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ ، فَرُبَّ
 دَائِبٍ (١٧١٠) مُضَيِّعٍ ، وَرُبَّ كَادِحٍ (١٧١١) خَاسِرٍ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ
 لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا ، وَلَا الشَّيْطَانُ
 فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا . فَهَذَا أَوْ أَنْ قَوِيَتْ عِدَّتُهُ ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ ،
 وَأَمَكَّتْ فَرِيستُهُ (١٧١٢) . أَضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ ، فَهَلْ
 تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا ، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، أَوْ بَخِيلًا
 اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفِرًّا ، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَن سَمْعِ الْمَوَاعِظِ
 وَقِرًّا ! أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصَلِحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسَمِحَاؤُكُمْ ! وَأَيْنَ
 الْمُتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ ! أَلَيْسَ قَدْ ظَنَعْنَا
 جَمِيعًا عَن هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْغَصَةِ ، وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي
 حُنَالَةٍ (١٧١٣) لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذَمِّهِمُ الشُّفْتَانِ ، أَسْتِضْغَارًا لِقَدْرِهِمْ ،
 وَذَهَابًا عَن ذِكْرِهِمْ ! « فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! » « ظَهَرَ الْفَسَادُ » ، فَلَا

مُنْكَرٌ مُغَيَّرٌ ، وَلَا زَاَجِرٌ مُزْدَجِرٌ . أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَاءِهِ عِنْدَهُ ؟ هَيْهَاتَ ! لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ !

بيان: «الأثوياء» جمع «ثوى» وهو الضيف. «مؤجلون» أي مؤخرون إلى وقت معلوم. و«المدين» المديون. و«المقتضون» جمع «مقتضى» على بناء المفعول. «أجل منقوص» أي أجلكم أجل منقوص يوماً فيوماً ولحظة فلحظة، وعملكم عمل محفوظ عند الله. و«الدائب» المجتهد ذوالجد والتعب. و«الكادح» الساعي و«أمكننت» أي أمكنته، يقال: «أمكنني الأمر» أي سهل وتيسر. و«كابده مكابدة» قاساه وتحمل المشاق فيه، وذكره في هذا المقام إماماً لأن الغرض بيان ماسبق من إدار الخير وإقبال الشر وعموم الضلال، ومقاساة الفقراء بيان للأولين، فالخير والشر يعتمدان الدنيويين والأخرويين، وإماماً لأن شيوع الفقرة لمنع الحقوق الواجبة، أو المراد بمكابدة الفقر ترك الصبر عليه وهو أيضاً من المنكرات. «بذل نعمة الله» أي الغناء وولايته — عليه السلام —، والتخصيص لشدة إنكارهم لقوتهم أو الأعم. و«الوفر» المال الكثير. وقوله — عليه السلام — «بحق الله» متعلق بالبخل، أي يعدّ بخله بحق الله توفير المال والزيادة فيه. و«الوقر» ثقل الأذن.

«أين أحراركم» أي الذين اعتقوا من رق الشهوات. و«التورع» مبالغة في الورع. و«التنزّه» التباعده من القبيح. و«ظعن» — كمنع — أي ساروا ارتحل: و«أنقص الله عليه العيش ونقصه» كثره. و«الحثالة» الردى من كل شىء. «لا تلتقى بذمتهم» أي إنهم أحقر من أن يشغل الإنسان بذمتهم لأنه لا بدّ في الدّم من إطباق إحدى الشفتين على الأخرى. و«ذهاباً» أي ترفعاً، يقال: «فلان ذهب بنفسه عن كذا» أي رفعها عنه. و«لازاجر مُزْدَجِر» أي من يزجر غيره عن القبائح وتمتنع نفسه أيضاً عنها. «في دار قدسه» أي الجنة لأن أهلها يقدسونه — تعالى — وهم منزّهون عن العيوب و«مجاورة

الله» سكون تلك الدار المنسوبة إليه — سبحانه — تشریفاً، وقربه مجاورة رحته. «هيات» أي بعد ما تريدون. «لا يخذع الله عن جنته» أي لا يمكن أخذها منه — تعالى — بالخدیمة. و«المرضاة» الرضا. وآخر الكلام يدل على اشتراط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعمل بهما، وسيأتي الكلام فيه في محله إن شاء الله، ولعل غرضه — عليه السلام — التعريض بالسابقين الغاصبين.^{٥١٨}

١٣٠ — وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

لأبي ذر رحمه الله لما أخرج إلى الربذة^(١٧١٤)

يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ ، فَأَرْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ . إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ ، وَخِيفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ ، وَأَهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِيفْتَهُمْ عَلَيْهِ ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ ! وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِحِ غَدًا ، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا . وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا ! لَا يُؤْنِسُنكَ إِلَّا الْحَقُّ ، وَلَا يُوحِشُنكَ إِلَّا الْبَاطِلُ ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبُوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ^(١٧١٥) مِنْهَا لِأَمْنُوكَ .

بيان: قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: قد روى هذا الكلام أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة عن عبد الرزاق، عن أبيه عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما أخرج أبوذر إلى الربذة أمر عثمان فنودي في الناس أن لا يكلم أحد أبأذر ولا يشيعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به^{٥١٩} فتحاماه الناس

٥١٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٨٧، ط كنياني وص ٦٣٦، ط تبريز.

٥١٩- في المصدر: وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فخرج به....

إلا عليّ بن أبي طالب — عليه السلام — وعقيلاً أخاه وحسناً وحسيناً — عليهما السلام —
وعمار بن ياسر، فإنهم خرجوا معه يشيعونه.

فجعل الحسن — عليه السلام — يكلم أباذر فقال له مروان: ايها يا حسن! ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام ذلك الرجل، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك.
فحمل عليّ — عليه السلام — على مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته،
وقال: تنح! لحاك الله إلى النار.

فرجع مروان مغضباً إلى عثمان فأخبره الخبر، فتلاطى على عليّ
— عليه السلام — . ووقف أبوذر فودعه القوم ومعه ذكوان مولى أم هانئ بنت أبي
طالب، قال ذكوان: فحفظت كلام القوم وكان حافظاً؛ فقال عليّ — عليه السلام —:

يا باذر إنك غضبت لله، إن القوم يخافوك على دنياهم وخفتهم على دينك،
فامتحنوك بالقلاب، ونفوك إلى القلاب، والله لو كانت السماوات والأرض على عبد
رتقاً ثم اتقى الله لجعل منها مخرجاً، يا باذر لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا
الباطل.

ثم قال لأصحابه: ودعوا عنكم. وقال لعقيل: ودع أخاك .

فتكلم عقيل فقال: ما عسى أن نقول يا باذر أنت تعلم أنا نحبك وأنت تحبنا
فاتق الله، فإن التقوى نجاة واصبر فإن الصبر كرم، واعلم أن استثقالك الصبر من الجزع
واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع.

ثم تكلم الحسن — عليه السلام — فقال: يا عمّاه لولا أنه لا ينبغي للمودع أن
يسكت، وللمشيع أن ينصرف لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك
ماترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراقها، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر
حتى تلقى نبيك — صلى الله عليه وآله — وهو عنك راض.

ثم تكلم الحسين — عليه السلام — فقال: يا عمّاه إن الله — تعالى — قادر أن
يغير ما قد ترى، والله كل يوم في شأن^{٥٢٠}، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك فما
أغناك عمّا منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم، فاسأل الله الصبر والنصر، استعذبه من

الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يقدم رزقاً والجزع لا يؤخر أجلاً.

ثم تكلم عمار - رحمه الله - مغضباً فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لآمنوك، ولورضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين.

فبكى أبوذر - رحمه الله - وكان شيخاً كبيراً، وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتمكم ذكرت بكم رسول الله - صلى الله عليه وآله -، مالي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إني ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصريين فأفسد الناس عليها، فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة.

ورجع القوم إلى المدينة فجاء علي - عليه السلام - إلى عثمان، فقال له: ما حملك على ردّ رسولي وتصغير أمري؟

فقال علي - عليه السلام - : أما رسولك فأراد أن يرّد وجهي فرددته وأما أمرك فلم أصغره.

قال: أما بلغك نهي عن كلام أبي ذر؟

قال: أو كل ما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه؟

قال عثمان: أقدم مروان من نفسك.

قال: ممّ ذا؟

قال: من شتمه وجذب راحلته.

قال: أما الراحلة فراحتني بها، وأما شتمه إيتاي فوالله لا يشتمني شتمة إلا

شتمتك لا أكذب عليك.

فغضب عثمان وقال: لم لا يشتمك كأنك خير منه؟

قال علي - عليه السلام - إي والله ومنك.

ثم قام فخرج. فأرسل عثمان إلى وجوه المهاجرين والأنصار وإلى بني أمية يشكو إليهم عليًا - عليه السلام -، فقال القوم: أنت الوالي عليه، وإصلاحه أجل. قال: وددت ذلك.

فأتوا عليًا - عليه السلام - وقالوا: لو اعتذرت إلى مروان وأتيت. فقال: كلاً، أما مروان فلا آتية ولا أعتذر إليه^{٥٢١}، ولكن إن أحبب عثمان أتيت.

فرجعوا إلى عثمان فأخبروه، فأرسل إليه فأتاه ومعه بنوهاشم، فتكلم علي - عليه السلام - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما ما وجدت علي في من كلام أبي ذر ووداعه فوالله ما أردت مناواتك^{٥٢٢} ولا الخلاف عليك ولكن أردت به قضاء حقه، وأما مروان فإنه اعترض، يريد ردي عن قضاء حق الله - عز وجل - فرددته رد مثلي مثله، وأما ما كان متي إليك فإنك أغضبتني فأخرج الغضب متي ما لم أرد. فتكلم عثمان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما ما كان منك إلي فقد وهبته لك، وأما ما كان منك إلى مروان فقد عفا الله عنك، وأما ما حلقت عليه فأنت البر الصادق، فادن يدك، فأخذ يده فضتها إلى صدره.

فلما نهض قالت قريش وبنو أمية لمروان: أنت رجل جبهك^{٥٢٣} علي فضرب راحلتك، وقد تفانت وائل في ضرع ناقة، ورببان وعيس في لطفة فرس^{٥٢٤}، والأوس والخزرج في نسعة، أفتحمل لعلي - عليه السلام - ما أتى إليك. فقال مروان: والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه.

٥٢١- في المصدر: ولا أعتذر منه.

٥٢٢- في المصدر: مساءتك.

٥٢٣- «جبه الرجل» ضربه على جبهته، فاجأه، رده عن حاجته. «جبهه بالمكروه» استقبله به.

٥٢٤- «وائل» كليب بن ربيعة. راجع حروب أيام العرب يوم اليبوس. و«رببان» مصحف [ذبيان] وقعت بين ذبيان وعيس حروباً عظيمة وبقيت نار الحرب مستعرة مدة مديدة بسبب فرسين اسهما داحس والغبراء، وسمي بعض أيامهم بيوم داحس ويوم الغبراء.

واعلم أن الذي عليه أكثر أرباب السير وعلماء الأخبار والنقل أن عثمان نفي أباذر أولاً إلى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لَمَّا شكى منه معاوية ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. وأصل هذه الواقعة أن عثمان لَمَّا أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختص زيد بن ثابت بشيء منها جعل أبوذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بَشِّرِ الْكَافِرِينَ بِعَذَابِ أَلِيمٍ، ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله - تعالى - «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»^{٥٢٥} فرجع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت، ثم إنّه أرسل إليه مولى من مواليه أن انته عما بلغني عنك فقال أبوذر: أينفاني عثمان عن قراءة كتاب الله - تعالى - وعيب من ترك أمر الله؟ فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إليّ وخير لي من أن أسخط الله برضى عثمان.

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك إلى أن قال عثمان يوماً للناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحمار: لا بأس بذلك.

فقال أبوذر: يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتوَلَّعت بأصحابي، الحق بالشام، فأخرجه

إليها.

فكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار، فقال أبوذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتونه عامي هذا قبلتها، وإن كانت صلة فلاحاجة لي فيها وردّها عليه. ثم بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبوذر: يا معاوية! إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف. وكان أبوذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيّه، إنني لأرى حقاً يطفأ، وباطلاً يحیی، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهري معاوية: إنَّ أباذرًا لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة.
 وروى أبو عثمان الجاحظ عن جلام بن جندل الغفاري قال: كنت عاملاً لمعاوية على قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجننت إليه يوماً أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتكم القطار بحمل النار اللهم العن الأمرين بالمعروف التاركين له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.
 فاز بأر معاوية وتغير لونه وقال: يا جلام أتعرف الصارخ؟
 فقلت: اللهم لا.

قال: من عذيري من جندب بن جنادة، يأتينا كلَّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت.
 ثم قال: أدخلوه، فجيء بأبي ذرَّ بن قوم يقودونه حتى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله تأتينا في كلَّ يوم فتصنع ما تصنع، أما إنني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك ولكتي أستاذن فيك.

قال جلام: وكنت أحب أن أرى أباذرًا لأنه رجل من قومي، فالتفت إليه فإذا رجل أسمر، ضرب من الرجال، خفيف العارضين، في ظهره حناء فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدو الله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله و لرسوله، أظهرتها الإسلام، وأبطنتها الكفر، ولقد لعنك رسول الله - صلى الله عليه وآله - ودعا عليك مرات أن لا تشبع، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول: «إذا ولَّى الأمة الأعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرها منه».
 فقال معاوية: ما أنا ذلك الرجل.

قال أبوذر: بل أنت ذلك الرجل أخبرني بذلك رسول الله - صلى الله عليه وآله - وسمعتة يقول وقد مررت به: «اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب» وسمعتة يقول: «أُسيئت^{٥٢٦} معاوية في النار».

فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: أن احمل جندياً إليّ على أغلظ مركب وأوعره. فوجه به من ساربه^{٥٢٧} الليل والنهار، وحمله على شارف ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذه من الجهد فلما قدم بعث إليه عثمان: أن الحق بأي أرض شئت.

قال بمكة.

قال: لا.

قال: ببيت المقدس.

قال: لا.

قال: بأحد المصرين.

قال: لا.

قال: ولكتي مسترك إلى الربرة فسيره إليها، فلم يزل بها حتى مات.

وفي رواية الواقدي أن أباناً لما دخل على عثمان قال له:

لا أنعم الله بقين عينا نعم ولا لقاء يوماً زيناً

تحية السخط إذا التقينا

فقال أبودر: ما عرفت اسمي قينا.

وفي رواية أخرى: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب. فقال أبودر: أنا جنديب

وسماني رسول الله - صلى الله عليه وآله - عبداً، فاخترت اسم رسول الله - صلى

الله عليه وآله - الذي سماني به على اسمي.

فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول: يدالله مغلولة، وأن الله فقير ونحن

أغنياء؟

فقال أبودر: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده ولكتي أشهد^{٥٢٨}

لسمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين

٥٢٧- في المصدر: مع من ساربه.

٥٢٨- في المصدر: أشهد أنني سمعت.

رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباده خولاً^{٥٢٩}».

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله - صلى الله عليه وآله - ؟
قالوا: لا.

قال عثمان: ويحك يا أباذر أتكذب على رسول الله - صلى الله عليه وآله - و
آله - ؟

فقال أبوذر لمن حضر: ماتدرون^{٥٣٠} أنني صدقت؟
قالوا: لا والله ما ندري.
فقال عثمان: ادعوا لي علياً.

فلما جاء، قال عثمان لأبي ذر: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص.
فأعاده فقال عثمان لعلي - عليه السلام - : أسمعك هذا من رسول الله
- صلى الله عليه وآله - ؟

قال: لا، وصدق أبوذر: «ماتدرون علوم رسول»
فقال: كيف عرفت صدقه؟

قال: لأنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول: «ما أظلت
الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر».
فقال من حضر: أما هذا فسمعناه كلنا من رسول الله - صلى الله عليه
وآله - .

فقال أبوذر: أحدثكم أنني سمعت هذا من رسول الله - صلى الله عليه وآله -
فتتهموني؟ ما كنت أظن أنني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد - صلى الله
عليه وآله -

وفي خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال: رأيت أباذر يوم دخل
به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت.

٥٢٩- في المصدر بعده: ودينه دخلاً.

٥٣٠- في المصدر: أما تدرون.

فقال أبوذر: نصحتك فاستغشيتني، ونصحت صاحبك فاستغشون.

قال عثمان: كذبت، ولكنتك تريد الفتنة وتحبها، قد انظمت الشام علينا.

فقال له أبوذر: أتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال عثمان: مالك وذلك؟ لا أم لك.

قال أبوذر: ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فغضب عثمان وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه أو

أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلم علي - عليه السلام - وكان حاضراً فقال: أشير عليك بما قال مؤمن

آل فرعون: «وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَيْدُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ،

٥٣١

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ»

فأجابه عثمان بجواب غليظ، وأجابه علي - عليه السلام - بمثله، ولم يذكر

الجوابين تدمما منها.

مركز تحقيق كتب التراث

قال الواقدي: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أباذر أو يكلموه

فكث كذلك أياما ثم أتى به فوقف بين يديه، فقال أبوذر: ويحك يا عثمان أما رأيت

رسول الله - صلى الله عليه وآله - ورأيت أبا بكر وعمر، هل هديك كهديهم؟ أما إنك

لتبطش بي ببطش جبار.

فقال عثمان: أخرج عتا من بلادنا.

فقال أبوذر: ما أبغض إلي جوارك، فإلى أين أخرج؟

قال: حيث شئت.

قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد.

قال: إنها جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟

قال: فأخرج إلى العراق؟

قال: لا. إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولي شبه وطن على الأئمة

والولاية.

قال: فأخرج إلى مصر؟

قال: لا.

قال: فإلى أين أخرج؟

قال: إلى البادية.

قال أبوذر: أصير بعد الهجرة أعرابياً؟

قال: نعم.

قال أبوذر: فأخرج إلى بادية نجد.

قال عثمان: بل إلى الشرف الأبعد فأقصى^{٥٣٢}، امض على وجهك هذا، فلا

تعدون^{٥٣٣}. فخرج إليها.

وروى الواقدي أيضاً عن مالك بن أبي الرجا^{٥٣٤} عن موسى بن ميسرة أن أبا

الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة،

فجئته فقلت له: ألا تخبرني ~~أخرجت من المدينة طائعاً أم أخرجت~~^{٥٣٥}؟

فقال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأخرجت إلى المدينة.

فقلت: دار هجري، فأخرجت من المدينة إلى ماترى.

ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد على عهد رسول الله — صلى الله عليه

وآله — إذ مرّ بي — صلى الله عليه وآله — فضربني برجله، وقال: لا أراك نائماً في

المسجد.

فقلت: بأبي أنت و أمي غلبتني عيني فنمت فيه.

قال: فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟

قلت: آخذ سيبي فأضربهم به.

٥٣٢- في المصدر: أقصى فأقصى.

٥٣٣- في المصدر: فلا تعدون ربذة.

٥٣٤- في المصدر: مالك بن أبي الرجال.

٥٣٥- في المصدر: أم أخرجت كرها.

فقال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ انسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع، فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع، الله ليلقيَن الله عثمان وهو آثم في جنبي. ٥٣٤ انتهى كلامه.

وإنما أوردته بطوله لتعلم أن قبائح أعمال عثمان وطفغيانه على أبي ذر وغيره متواتر بين الفريقين.

بيان: يقال: «لحاه الله» أي قبحه ولعنه، و«ازبأَرَ الكلب» تنفّس، و«ازبأَرَ [الرجل للشر] تهيأ». و«الضرب بالفتح» الرجل الخفيف اللحم. و«البلعوم» بالضم، مجرى الطعام في الحلق. و«أسيت» كأنه تصغير الإست. و«الشارف» من النوق» المسنة الهرمة. و«أنغله» أفسده. وفي القاموس: «الشرف» المكان العالي، وجبل قرب جبل شريف، والرَبْذَة والشرف الأعلى: جبل قرب زبيد.

أقول: قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: روى أبو عمرو ٥٣٧ ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب لما حصر أبا ذر الوفاة وهو بالربذة بكت زوجته أم ذر، قالت:

فقال لي: ما يبكيك؟

فقلت ٥٣٨: مالي لا أبكي وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندي ثوب يسعك كفنًا، ولا بد لي من القيام بجهازك.

فقال: أبشري ولا تبكي، فإنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاث فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدًا». وقدمات لنا ثلاثة من الولد، وسمعت أيضا رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول لنفر، أنا فيهم: «ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين»؛ وليس من أولئك نفر أحد إلا وقدمات في قرية وجماعة، فأنا لا أشك أني ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كذبت، فانظري الطريق.

٥٣٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٢٥٢-٢٦١، ط بيروت.

٥٣٧- الصحيح هو أبو عمرو.

٥٣٨- فقالت، خ ل.

قالت أم ذرّ: فقلت: أتى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق؟
فقال: اذهبي فتبصري.

قالت: فكنت أشتدّ إلى الكئيب فأصعد فأنظر ثم أرجع إليه فأمرّضه، فبينما أنا
وهو على هذه الحال إذا أنا برجال على ركا بهم كأنهم الرحم تحبّ ٥٣٩ بهم رواحلهم،
فأسرعوا إليّ حتّى وقفوا عليّ، وقالوا: يا أمة الله مالك؟
فقلت: امرؤ من المسلمين يموت تكفّنونه؟

قالوا: ومن هو؟ قلت: أبوذرّ.

قالوا: صاحب رسول الله - صلى الله عليه وآله -؟
قلت: نعم.

فقدوه بأبائهم، وأمهاتهم وأسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه.

فقال لهم: أبشروا فإنّي سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول لنفر

أنافهم: «ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من
أولئك النفر أحد إلّا وقد هلك في قرية وجماعة، والله ما كذبت ولا كذبت ولو كان
عندي ثوب يسعني كفناً لي أو لامرأتي لم أكفنّ إلّا في ثوب لي أو لها، وإنّي أنشدكم الله
أن يكفّنني رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً.

قالت: وليس في أولئك النفر أحد إلّا وقد قارف بعض ما قال إلّا فتى من

الأنصار.

قال له: أنا أكفّنك ياعمّ في ردائي هذا، وثوبين معي في عيبيّ من غزل أمي.

فقال أبوذرّ: أنت تكفّنني.

فأت فكفّنه الأنصاريّ، وغسّله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في

نفر كلّهم يمان.

قال أبو عمرو ٥٤٠ بن عبد البرّ قبل أن يروي هذا الحديث: كان النفر الذين

٥٣٩- «حبّ الفرس في عدوه» راوح بين يديه ورجليه، أي قام على إحداها مرّة وعلى الأخرى مرّة.

٥٤٠- الصحيح هو أبو عمر.

حضرُوا موتَ أبي ذرِّ الرَبْذَةِ مِصَادِفَةَ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ حَجْرُ بْنُ عَدِيٍّ الَّذِي قَتَلَهُ مَعَاوِيَةُ وَهُوَ مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْعَةِ وَعِظْمَائِهَا، وَأَمَّا الْأَشْتَرُ فَهُوَ أَشْهُرُ فِي الشَّيْعَةِ مِنْ أَبِي الْهَدَيْلِ فِي الْمُعْتَزَلَةِ، وَقَرِيءُ كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ عَلَى شَيْخِنَا عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سَكِينَةَ الْمُحَدِّثِ وَأَنَا حَاضِرٌ، فَلَمَّا انْتَهَى الْقَارِيءُ إِلَى هَذَا الْخَبَرِ قَالَ أَسْتَادِي عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدِّبَاسُ وَكُنْتُ أَحْضَرُ مَعَهُ سَمَاعَ الْحَدِيثِ: لَتَقُلَّ الشَّيْعَةُ بَعْدَ هَذَا مَا شَاءَتْ، فَمَا قَالَ الْمُرْتَضَى وَالْمَفِيدُ إِلَّا بَعْضَ مَا كَانَ حَجْرٌ وَالْأَشْتَرُ يَعْتَقِدَانِهِ فِي عَثْمَانَ وَمَنْ تَقَدَّمَ، فَأَشَارَ الشَّيْخُ إِلَيْهِ بِالسُّكُوتِ فَسَكَتَ. انْتَهَى كَلَامُهُ بِلَفْظِهِ.

فَانظُرْ فِيهِ بِبَصِيرَةٍ تَزِدُّ يَقِينًا.

أقول: وقال ابن عبد البر بعد نقل الرواية الطويلة: روى عنه جماعة من الصحابة وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق سئل علي عليه السلام عن أبي ذر، فقال: ذلك رجل وعى علما عجز عنه الناس، ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئا منه، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أبوذر في أمي شبيه عيسى بن مريم في زهده، وبعضهم يرويه: من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر. ٥٤١

١٣١ — وَمِنْ حِكَايَاتِ الْإِمَامِ

وفيه بين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق

أَيُّهَا النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتَّتَةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ،
وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظَارِكُمْ ^(١٧١٦) عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ
نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَغْوَعَةِ الْأَسَدِ ! هَيْهَاتَ أَنْ أَطَّلَعَ بِكُمْ سَرَارَ ^(١٧١٧)

الْعَدْلِ ، أَوْ أَقِيمَ أَعْوِجَاجَ الْحَقِّ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي
كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ ، وَلَا التَّمَّاسَ شَيْءٌ مِنْ فُضُولِ الْحُطَّامِ ،
وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِضْلَاحَ فِي بِلَادِكَ ، فَيَأْمَنَ
الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمَعْظَلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ
أَنَابَ ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ وَسَلَّمَ - بِالصَّلَاةِ .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالِدِمَاءِ
وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةَ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلِ ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ
نَهْمَتُهُ^(١٧١٨) ، وَلَا الْجَاهِلِ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعُهُمْ
بِجَفَائِهِ ، وَلَا الْحَائِفِ^(١٧١٩) لِلدُّوَلِ^(١٧٢٠) فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا
الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحَقُوقِ ، وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ^(١٧٢١) ،
وَلَا الْمَعْطَلُ لِلْسُنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ .

بيان: «الغائبة عنهم» غيبة العقول عن أربابها أبلغ في الدلالة من غيبتها عن
اعتبر الشهود بالنسبة إليه. «أظأركم» أي أعطفكم، يقال: «ظأرت الناقة إذا عطفت
على ولد غيرها. وقال الجوهري: «المعز» من الغنم خلاف الضأن وهو اسم جنس وكذلك
«المعزى» . و«الوعوعة» الصوت. قوله - عليه السلام - «هيات» قال ابن أبي
الحديد: يفسره الناس بمعنى: هيات أن أطلعكم مضيئين ومنورين سرار العدل،
و«السرار» آخر ليلة من الشهر وتكون مظلمة، ويمكن أن يفسر بوجه آخر وهو أن يكون
السرار بمعنى السرر وهو خطوط مضيئة في الجبهة، وقد نص أهل اللغة على أنه يجوز فيه

السرار. قالوا: ويجمع سرار على أسرة ويقولون: برقت أسرة وجهه؛ فالمعنى: هيات أن تلمع بكم لوامع العدل ويبرق وجهه. ويمكن أن ينصب سرار على الظرفية ويكون التقدير: هيات أن أطلع بكم الحقّ زمان استساراه واستخفائه، فيكون قد حذف المفعول وحذفه كثير. وقال الكيدري: «سرار الشهر وسرره» آخر ليلة منه، و«السرار» المسارة من السرّ، وجمع سررالكتف والجبهة، و«سرار العدل» أي في سرار فحذف حرف الجرّ ووصل الفعل، وقيل: أي هيات أن أظهر بمعونتكم ما خفي واستسرّ من أقرار العدل وأنواره. انتهى.

ولعلّ المراد بـ «الذي كان» الرغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع، ولم يكن ناقصة وكان تامّة. و«المنافشة» المغالبة في الشيء النفيس. و«الحطام» ما تكسر من اليبس، وهو كناية عن متاع الدنيا، والمراد بفضوله زخارفها وزينتها وما لا يحتاج إليه منها. و«معالم الدين» الآثار التي يهتدى بها. و«الإنبابة» الرجوع. قوله — عليه السلام — «نهمته» أي حرصه وجشعه على أموال رعيته، ومن رواه «نهمة» بالتحريك فهي إفراط الشهوة في الطعام. و«الجفاء» خلاف البرّ والصلة، و«رجل جافي الخلقة والخلق» أي منقبض غليظ. «فيقطعهم» أي عن الوصول إليه، أو عن حاجاتهم، أو بعضهم عن بعض لتفرقتهم، والأول أظهر وإن لم يذكره أحد.

قوله — عليه السلام — «ولا الخائف» بالخاء المهملّة، من «الحيف» وهو الظلم والجور. و«الدول» بضمّ الدال المهملّة، جمع «الدولة» بالضمّ وهي اسم المال المتداول، قال الله — تعالى —: «كَيْلًا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَعْيُنَاءِ مِنْكُمْ»^{٥٤٢}؛ إذا لم يقسم الإمام بالسوية ويخصّ بالمال بعضهم دون بعض فيتخذ قوماً دون قوم فيفرّق المسلمين. وروي: «الخائف» بالمعجمة، و«الدول» بكسر الدال، جمع «دولة» بالفتح، وهي الغلبة، أي من يخاف دول الأيام وتقلّب الدهور فيتخذ قوماً يتوقّع نفعهم في دنياه ويقوّمهم ويضعف آخرين.

قوله — عليه السلام — «دون المقاطع» أي يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه

بأن يحكم بالحق بل يحكم بالباطل، أو يستوف الحكم حتى يضطر الحق ويرضى بالصلح فيذهب بعض حقه، ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى «غير» أي يقف في غير مقطعة. قال ابن أبي الحديد: «فإن قلت: أفتراه عنى بهذا قوماً بأعيانهم، قلت: الامامية تزعم أنه رمز بالجفاء والعصبية لقوم دون قوم إلى عمر، ورمز بالجهل إلى من كان قبله، ورمز بتعطيل السنة إلى عثمان ومعاوية. ٥٤٣ انتهى. والأظهر أن المراد بالبخیل عثمان لما هو المعلوم من أكله أموال المسلمين ولما مر منه — عليه السلام — في الشقشقية، وبالجاهل جميعهم، وبالجانبي عمر كما مر في الشقشقية، وبالخائف للدول عمر وعثمان كما هو المعلوم من سيرتهما، وبالمعطل للسنة أيضاً جميعهم. ٥٤٤

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «النهمة» بالفتح، الحاجة وبلوغ الهمة والحاجة والشهوة في الشيء، وبالتحريك كما في بعض النسخ، إفراط الشهوة في الطعام. و«الجفاء» خلاف البر والصلة، والغلظة في الخلق، «فيقطعهم بجفائهم» أي عن حاجتهم لغلظته عليهم، أو بعضهم عن بعض لأنه يصير سبباً لتفرقتهم. و«الخائف» بالمهمل، الظالم. و«الدول» بالضم، جمع «دولة» وهي المال الذي يتداول به، فالمعنى: الذي يجور ولا يقسم بالسوية وكما فرض الله، فيتخذ قوماً مصرفاً أوحببياً فيعطيهم ما شاء ويمنع آخرين حقوقهم؛ وفي بعض النسخ بالجاء المعجمة، و«الدول» بالكسر، جمع «دولة» بالفتح، وهي الغلبة في الحرب وغيره وانقلاب الزمان، فالمراد الذي يخاف تقلبات الدهر وغلبة أعدائه فيتخذ قوماً يتوقع نصرهم ونفعهم في دنياه ويقومهم بتفضيل العطاء وغيره، ويضعف آخرين؛ وفي بعضها بالمعجمة وضم الدال، أي الذي يخاف ذهاب الأموال وعدمها عند الحاجة، فيذهب بالحقوق أي يبطلها. و«يقف بهادون المقاطع» أي يجعلها موقوفة عند مواضع قطعها فلا يحكم بها بل يحكم بالباطل، أو يستوف في الحكم حتى يضطر الحق ويرضى بالصلح؛ ويحتمل أن يكون «دون» بمعنى غير، أي يقف بها في غير مقاطعها وهو

٥٤٣- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٨، ص ٢٦٦، ط بيروت.

٥٤٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٢، ط كنياني وص ٦٤٠، ط تبريز.

الباطل، ٥٤٥

١٣٢ - ﴿وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ﴾

يعظ فيها ويزهده في الدنيا

حمد الله

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا أَخَذَ وَأَعْطَىٰ ، وَعَلَىٰ مَا أَبَىٰ وَأَبْتَلَىٰ ^(١٧٢٢) . الْبَاطِنُ
لِكُلِّ خَفِيَّةٍ ، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَمَا
تَخُونُ الْعُيُونُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ ^(١٧٢٣) ،
شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ .

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

عظة للناس

ومنها : فَإِنَّهُ وَاللَّهِ أَجْدُ لَا اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ . وَمَا هُوَ
إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ ^(١٧٢٤) ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ ^(١٧٢٥) . فَلَا يَغْرَنَّكَ سَوَادُ
النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَدِرَ
الْإِقْلَالَ ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ - طُولَ أَمَلٍ وَأَسْتَبْعَادَ أَجَلٍ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِ
الْمَوْتُ فَازْعَجَهُ عَنُ وَطْنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولًا عَلَىٰ أَعْوَادِ الْمَنَابِيَا
يَتَعَاطَىٰ بِهِ الرَّجَالُ الرَّجَالَ ، حَمَلًا عَلَىٰ الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكَ بِالْأَنَامِلِ .
أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمَلُونَ بَعِيدًا ، وَيَبْنُونَ مَشِيدًا ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا !

كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا ، وَمَا جَمَعُوا بُورًا ، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ
 لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخِرِينَ ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلَا
 مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ ! فَمَنْ أَسْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ ^(١٧٢٦) ، وَفَازَ
 عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا ^(١٧٢٧) هَبْلَهَا ، وَأَعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا : فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ
 تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مَقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزُودُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ
 إِلَى دَارِ الْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ ^(١٧٢٨) . وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ ^(١٧٢٩)
 لِلزِّيَالِ ^(١٧٣٠) .



١٣٣ — وَمِنْ عِظَمِ عِزِّهِ السَّلَامُ

يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنبي ويعظ الناس

عظمة الله دعالمو

وَأَنْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزِمَّتَيْهَا ، وَقَدَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ
 مَقَالِيدَهَا ^(١٧٣١) ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاصِرَةُ ،
 وَقَدَحَتْ ^(١٧٣٢) لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النُّيرَانَ الْمُضِيئَةَ ، وَآتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ
 الثُّمَارُ الْيَانِعَةُ .

القرآن

منها : وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَغِيَا لِسَانُهُ ، وَبَيَّتْ لَا

تُهَدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزُّهُ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ .

رسول الله

منها : أَرْسَلَهُ عَلَى حِينٍ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَتَنَازَعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ ،
فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ ،
وَالْعَادِلِينَ بِهِ .

بيان: «العاقلون به» الجاعلون له عديلاً ومثلاً. ٥٤٦



منها : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى ، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا
شَيْئاً ، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بِبَصَرِهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا . فَالْبَصِيرُ مِنْهَا
شَاخِصٌ ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ . وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَالْأَعْمَى لَهَا
مُتَزَوِّدٌ .

عظة الناس

منها : وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمْلَهُ
إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً . وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ
الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْأَعْمِيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ

الصَّمَاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمَانِ ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ . كِتَابُ اللَّهِ
 تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ،
 وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ
 عَنِ اللَّهِ . قَدْ أَضْطَلَّخْتُمْ عَلَى الْغِلِّ^(١٧٣٣) فِيمَا بَيْنَكُمْ ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى
 عَلَى دِمْنِكُمْ^(١٧٣٤) . وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمْوَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ
 الْأَمْوَالِ . لَقَدْ أَسْتَهَامَ^(١٧٣٥) بِكُمْ الْخَبِيثُ ، وَتَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ ، وَاللَّهُ
 الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ



١٣٤ - وَمِنْ كَلِمَاتِ الْعِلْمِ وَالسَّلَامَةِ

وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوَازِ^(١٧٣٦) ، وَسَتَرَ الْعَوْرَةَ .
 وَالَّذِي نَصَرَهُمْ ، وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا
 يَمْتَنِعُونَ ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ .

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ ، فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبُ ، لَا تَكُنْ
 لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةً^(١٧٣٧) دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ . لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ
 إِلَيْهِ ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَبًا ، وَأَخْفِزْ^(١٧٣٨) مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ^(١٧٣٩)

وَالنَّصِيحَةِ ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ مَا تُحِبُّ ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى ، كُنْتَ رِذَاءً لِلنَّاسِ ^(١٧٤٠) وَمَثَابَةً ^(١٧٤١) لِلْمُسْلِمِينَ .

١٣٥ - وَمِنْ أَسْرَائِلِ الْإِسْلَامِ

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأحنس لعثمان :
أنا أكفيك ، فقال علي عليه السلام للمغيرة :

يَابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ ^(١٧٤٢) ، وَالشَّجَرَةَ الَّتِي لَا أَضِلُّ لَهَا وَلَا فَرْعٌ ،
أَنْتَ تَكْفِينِي ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلَا قَامَ مِنْ أَنْتَ
مُنْهَضُهُ . أَخْرِجْنَا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكِ ^(١٧٤٣) ، ثُمَّ أَبْلُغْ جَهْدَكَ ، فَلَا أَبْقَى
اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ !

إيضاح: «المغيرة» وهو ابن أحنس الثقفي. وقال ابن أبي الحديد ^{٤٧} وغيره:
إنما قال - عليه السلام - : «يابن اللعين» لأن الأحنس كان من أكابر المنافقين،
ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم،
وأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وآله - مائة من الإبل من غنائم حنين يتألف بها
قلبه؛ وابنه أبوالحكم بن الأحنس قتله أمير المؤمنين - عليه السلام - يوم أخذ كافرأ في
الحرب. وإنما قال - عليه السلام - : «يا ابن الأبتَر» لأن من كان عقبه ضالاً خبيثاً
فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه. وكنتي - عليه السلام - بنبي أصلها

وفرعها من دناءته وحقارته، وقيل: لأنّ في نسب ثقيف طعنًا. وقتل المغيرة مع عثمان في الدار. قوله — عليه السلام — «ما أعزّ الله» يحتمل الدعاء والخبر. قوله — عليه السلام — «أبعد الله نواك» النوى الوجه الذي تذهب فيه والدار، أي أبعاد الله مقصدك أو دارك. ويروى: «أبعد الله نواك» بالهمزة أي خيرك من أنواء النجوم التي كانت العرب تنسب المطر إليها. «ثمّ ابلغ جهدك» أي غايتك وطاقتك في الأذى. وفي النهاية: «أبقيت عليه» رحمته وأشفقت عليه. ٥٢٨

١٣٦ — وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْجُو

في أمر البيعة

لَمْ تَكُنْ بَيِّعْتُمْ إِيَّايَ فَلَئِنَّ ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا .
إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ نِيَّيَ لِأَنْفُسِكُمْ .
أَيُّهَا النَّاسُ ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لِأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ
ظَالِمِهِ ، وَلَا أَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ ^(١٧٤٥) ، حَتَّى أُرِدَّهُ مِنْهَلِ الْحَقِّ وَإِنْ
كَانَ كَارِهًا .

إيضاح: «الفلتة» الأمر يقع من غير تدبر ولا روية، وفيه تعريض ببيعة أبي بكر كما روت العاقبة عن عمر أنه قال: كانتبيعة أبي بكر فلتة وقي الله المسلمين شرها، ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه.

قوله — عليه السلام — «إني أريدكم» الخطاب لغير الخواص من أصحابه — عليه السلام — والمعنى: أريد إطاعتكم إياي لله وتريدون أن تطيعوني للمنافع

الديويّة. وقال الجوهري: خزمت البعير بالحزامة، وهي حلقة من شعر تجعل في وثرة أنفه ليشدّ فيها الزمام. ٥٢٩

١٣٧ — وَمِنْ أَمْرِ الْبَيْهَةِ

في شأن طلحة والزبير وفي البيعة له

طلحة والزبير

وَاللّٰهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُذْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا^(١٧٤٦)
وَلَانَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكَوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ
فِيهِ ، فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ^(١٧٤٧)
إِلَّا قِبَلَهُمْ . وَإِنَّ أَوْلَ عَدْلِهِمْ لِلْحَكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ . إِنْ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي
مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ . وَإِنَّهَا لِلْفَيْثَةِ الْبَاغِيَةِ فِيهَا الْحَمَاءُ وَالْحِمَةُ^(١٧٤٨) ،
وَالشَّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ^(١٧٤٩) ، وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ ، وَقَدْ زَا حَ^(١٧٥٠) الْبَاطِلُ عَنْ
نِصَابِهِ ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ^(١٧٥١) . وَإَيْمُ اللَّهِ لِأَفْرَطَنَ^(١٧٥٢) لَهُمْ
حَوْضًا أَنَا مَا تَحَهُ^(١٧٥٣) ، لَا يَصُدُّوْنَ عَنْهُ بَرِيٌّ ، وَلَا يَعْبُونَ^(١٧٥٤) بَعْدَهُ
فِي حَسْبِي^(١٧٥٥) !

أمر البيعة

ومنه : فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ^(١٧٥٦) عَلَى أَوْلَادِهَا ، تَقُولُونَ :

الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ ! قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُموها ، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُموها .
 اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي ، وَنَكَثَا بَيْعَتِي ، وَالْبَا^(١٧٠٧) النَّاسَ عَلَيَّ ؛
 فَأَخْلَلُ مَا عَقَدَا ، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَلَا
 وَعَمِلَا . وَلَقَدْ اسْتَشَبْتُهُمَا^(١٧٠٨) قَبْلَ الْقِتَالِ ، وَأَسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ
 الْوِقَاعِ^(١٧٠٩) ، فَغَمَطَا النُّعْمَةَ^(١٧٦٠) ، وَرَدَا الْعَافِيَةَ .

تبيين: «النصف» بالكسر والتحريك، الإنصاف والعدل، أي إنصافاً أو حكماً إذا إنصاف ويقال: «ولى أمراً» أي قام به. و«الطلبية» بكسر اللام، ما طلبته من شيء. وقال في النهاية: «لبست الأمر» بالفتح، إذا خلطت بعضه ببعض، وربما شدد للتكثير. وقال ابن أبي الحديد: «الحماً» الطين الأسود. و«حمة العقرب» سمها، أي في هذه الفتنة الضلال والفساد. ويروى: «الحماً» بألف مقصورة وهو كناية عن الزبير لأن كل من كان نسيب الرجل فهم الأحماء وأحدهم حما، مثل قفا وأقفاء، وما كان نسيب المرأة فهم الأحماء^{٥٥١}، فأما الإصهار فيجمع الجهتين. وكان الزبير ابن عمّة رسول الله - صلى الله عليه وآله - وقد كان النبي - صلى الله عليه وآله - أعلم علياً - عليه السلام - بأن فئة تبنى عليه في أيام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه، فكثى - عليه السلام - عن الزوجة بالحمة وهي سم العقرب، و«الحماً» يضرب مثلاً لغير الطيب الغير الصافي. وقال ابن ميثم: «المغدفة» الحفّية، وأصله المرأة تغدّف وجهها، أي تسترها. ^{٥٥١} وروي: «المغدفة» بكسر الدال من «أغدف» أي أظلم، وهي إشارة إلى شبهتهم في الطلب بدم عثمان.

و«قد زاح الباطل» أي بعد وذهب. «عن نصابه» أي مركزه ومقرّه.
 و«الشغب» بالتسكين، تهيج الشرّ وقد يحرك. و«العّب» الشرب بلامض،

٥٥٠- في المصدر: الأخائن.

٥٥١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ١٦٦، ط بيروت.

و«الحسى» ماء كامن في رمل يحفر عنه فيستخرج ويكون بارداً غديباً، وهذه كناية عن الحرب والهيجاء وتهديد بها وما يتعقبها من القتل والهلاك .
 وقال الجوهري: «العوذ» حديثات النتائج من الظبأ والخيل والإبل، واحدها «عائد» مثل حائل وحول، وذلك إذا ولدت عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً، ثم هي مطفل. وفي القاموس: «المطفل» - كمحسن - ذات الطفل من الإنس والوحش، والجمع «مطافيل». وقيل: إن في الجمع بين الوصفين تجوّزاً، وعلى ما في القاموس لا يحتاج إلى ذلك. و«ألبا» بتشديد اللام، من «التأليب» وهو التحريص. قوله - عليه السلام - و«استثبتها» استفعال من «ثاب يثوب» إذا رجع أي طلبت منها أن يرجع. وروي بالتاء المشتاة من التوبة. و«استأنيت» أي انتظرت، من الإناءة. «فعمطا» بالكسر ٥٥٢ أي حقرا. ٥٥٣

١٢٨ - وَنَحْنُ نَحْمَدُكَ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ

يوميء فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَىٰ عَلَى الْهَدَىٰ ، إِذَا عَطَفُوا الْهَدَىٰ عَلَى الْهَوَىٰ ، وَيَعْطِفُ
 الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ .

ومنها : حَتَّىٰ تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ ، بَادِيًا نَوَاجِدُهَا (١٧٦١) ،
 مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا (١٧٦٢) ، حُلُومًا رَضَاعُهَا ، عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا . أَلَا وَفِي غَدٍ وَسَيَّاتِي
 غَدٍ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَالَهَا عَلَى مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا ،
 وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ (١٧٦٣) كَبِيدِهَا ، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا ،

٥٥٢- في أقرب الموارد ضبطه بالفتح.

٥٥٣- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤١٨، ط كهماني وص ٣٨٢، ط تبريز.

فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدَلُ السَّيْرَةِ ، وَيُخَيِّي مَيْتَ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ .

منها : كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ ، وَفَحَصَ^(١٧٦٤) بِرَأْيَاتِهِ فِي ضَوَاحِي
كُوفَانَ^(١٧٦٥) ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضُّرُوسِ^(١٧٦٦) ، وَفَرَشَ الْأَرْضَ
بِالرُّووسِ . قَدْ فَعَرَتْ فَاعِرَتُهُ^(١٧٦٧) ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَاتُهُ ، بَعِيدُ
الْجَوْلَةِ ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ . وَاللَّهُ لَيُشْرِدَنَّكُمْ^(١٧٦٨) فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى
لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ ،
حَتَّى تُؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَخْلَامِهَا^(١٧٦٩) ! فَالزُّمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ ،
وَالْأَنْتَارَ الْبَيِّنَةَ ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ . وَاعْلَمُوا أَنَّ
الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي^(١٧٧٠) لَكُمْ طَرَفَهُ لِتَتَّبِعُوا عَاقِبَتَهُ .

إيضاح : لعلّ أول الكلام إشارة إلى ظهور القائم — عليه السلام — وكذا قوله
«وسياتي غد» وما قبله إلى الفتن التي تظهر قبل القائم — عليه السلام — . وقيام الحرب
على ساق كناية عن شدتها، وقيل : «الساق» الشدة، و«بدو نواجذها» عن الضحك تهكماً
أو عن بلوغ الحرب غايتها كما أن غاية الضحك أن تبدو النواجذ. و«الأخلاف» للناقة
حلقات الضرع. وإنها قال — عليه السلام — : «حلوا رضاعها» لأن أهل النجدة في
أول الحرب يقبلون عليها، ومرارة عاقبتها لأنها القتل، ولأن مصير أكثرهم إلى النار
والمنصبوات الأربعة أحوال والمرفوع بعد كل منها فاعل، وإنها ارتفع عاقبتها بعد
«علقماً» مع أنه اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل، كأنه قال مريرة عاقبتها.

قوله — عليه السلام — «ألا وفي غد» قال ابن أبي الحديد : تمامه قوله
— عليه السلام — «ياخذ الوالي»، وبين الكلام جملة اعتراضية . قد كان تقدم ذكر
طائفة من الناس كانت ذات ملك وافرة فذكر — عليه السلام — أن الوالي يعني القائم

— عليه السلام — يأخذ عمال هذه الطائفة على سوء أعمالهم، و«على» هي هنا متعلقة بـ «يأخذ» وهي بمعنى يؤخذ.

و«الأقاليد» جمع «أفلاذ» وهي جمع «فلذة» وهي القطعة من الكبد، كناية عن الكنوز التي تظهر للقائم — عليه السلام — . وقد فسّر قوله — تعالى — : «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا»^{٥٥٤} بذلك في بعض التفاسير.^{٥٥٥} وقوله — عليه السلام — «سلمات» مصدر سدّ مسدّ الحال أو تمييز قوله — عليه السلام — «كأنّي به» الظاهر أنه إشارة إلى السفينائي. وقال ابن أبي الحديد: إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق وماقتل من العرب فيها أيام عبدالرحمن بن أشعث وقتله أيام مصعب بن الزبير. وقال: مفعول «فحص» محذوف أي فحص الناس براياته أي نتأهم وقلّهم ميناً وشمالاً. و«ضواحي كوفان» ما قرب منها من القرى، وقد سار القتال مصعب بعد أن قتل المصعب المختار فالتقوا بأرض مسكن من نواحي الكوفة. «قد فغرت فاغرت» أي انفتح فوه، ويقال: فغراه، يتعدى ولا يتعدى. و«ثقل وطأته» كناية عن شدة ظلمه وجوره. «بعيد الجولة» أي جولان خيولة وجيوشه في البلاد، فيكون كناية عن اتساع ملكه، أو جولان رجاله في الحرب بحيث لا يتعبه السكون. و«شرد البعير» نفر وذهب في الأرض. «عوازب أحلامها» أي ما ذهب وغاب من عقولها.

وقال ابن ميثم: فإن قلت: قوله — عليه السلام — «حتى تؤوب» يدل على انقطاع تلك الدولة بظهور العرب، وعبد الملك مات وقام بعده بنوه بالدولة؟ قلت: الغاية ليست غاية لدولة عبد الملك بل غاية لكونهم لا يزالون مشردين في البلاد مقهورين، وذلك الانقهار وإن كان أصله من عبد الملك إلا أنه استمر في زمان أولاده إلى حين انقضاء دولتهم. قال بعض الشارحين^{٥٥٦}: إنّ ملك أولاده ملكه، وهذا جواب من لم يتدبر في كلامه — عليه السلام — . والعرب هي هنا بنو العباس ومن معهم من العرب أيام ظهور دولتهم كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن، وكبني رزتنى منهم طاهر بن

٥٥٤- الزلزال: ٢.

٥٥٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٤٢ - ٤٦، ط بيروت.

٥٥٦- المراد من «بعض الشارحين» هو ابن أبي الحديد في شرحه، ج ٩، ص ٤٧، ط بيروت.

الحسين وإسحاق بن إبراهيم وغيرهم من العرب. وقيل: إن أبا مسلم عربي. قوله — عليه السلام — و«العهد القريب» قال ابن أبي الحديد: أي عهده وأيامه — عليه السلام — ٥٥٧. وكأنه دفع لما عساه يتوهمونه من أنه إذا آبت إلى العرب عواذب أحلامها فيجب عليهم اتباع الدولة الجديدة في كل ما فعله فوضاهم بأنه إذا تبدلت الدولة فالزموا الكتاب والسنة والعهد الذي فارقتكم عليه. قوله — عليه السلام — «إنها يسني» أي سهل. ٥٥٨

[بيان: «الساق» الشدة أو بالمعنى المشهور كناية عن استوائها. و«بدو النواجذ» كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أن غاية الضحك أن تبدو النواجذ ويمكن أن يكون كناية عن الضحك على التهكم.]

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: «ألا وفي غد» تمامه قوله — عليه السلام — «ياخذ الوالي» وبين الكلام جملة اعتراضية وهي قوله — عليه السلام — «وسياتي غد بما لا تعرفون» والمراد تعظيم شأن الغد الموعود ومثله كثير في القرآن ثم قال: قد كان تقدم ذكر طائفة من الناس ذات ملك وإمرة فذكر — عليه السلام — أن الوالي يعني القائم — عليه السلام — يأخذ عمال هذه الطائفة على سوء أعمالهم. و«على» ههنا متعلقه بـ «ياخذ» وهي بمعنى يؤخذ. وقال: «الأفاليذ» جمع «أفلاذ» والأفلاذ جمع «فلذة» وهي القطعة من الكبد كناية عن الكنوز التي تظهر للقائم — عليه السلام — وقد فسر قوله — تعالى —: «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» بذلك في بعض التفاسير.

أقول: وقال ابن أبي الحديد في شرح بعض خطبه — صلوات الله عليه —: قال شيخنا أبو عثمان وقال أبو عبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد — عليهما السلام — عن آبائه — عليهم السلام —:

ألا إن أبرار عترتي وأطائب أرومتي أحلم الناس صغارا وأعلم الناس كبارا. ألا

٥٥٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٤٨، ط بيروت.

٥٥٨- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٤، ط كمباني ووص ٣٦١، ط تبريز.

وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكنا ومن قول صادق سمعنا فان
تبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا. معنا راية الحق من
تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق. ألا وبنا يدرك ترة كلّ مؤمن، وبنا تخلع ربة
الذلّ عن أعناقكم، وبنا فتح لابكم، وبنا يختم لابكم.

ثم قال ابن أبي الحديد: «وبنا يختم لابكم» إشارة إلى المهدي الذي يظهر في
آخر الزمان وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة — عليها السلام — وأصحابنا المعتزلة
لا ينكرونه وقد صرحوا بذكره في كتبهم واعترف به شيوخهم إلا أنه عندنا لم يخلق بعد
وسيقبل وإلى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضاً.

روى قاضي القضاة عن كافي الكفاة إسماعيل بن عباد — رحمه الله — بأسناد
متصل بعلي — عليه السلام — أنه ذكر المهدي وقال إنه من ولد الحسين
— عليه السلام — وذكر حليته فقال: رجل أجلي الجبين أقي الأنف ضخم البطن أزيل
الفخذين أبلغ الثنايا بفخذه الخفي شامة وذكر هذا الحديث بعينه عبدالله بن قتيبة في
كتاب غريب الحديث. ٥٥٩ انتهى.

أقول: في ديوان أمير المؤمنين — صلوات الله عليه — المنسوب إليه:

ولاية مهدي يقوم فيعدل	بني إذا ماجاشت الترك فانتظر
وبويع منهم من يلد، وهزل	وذل ملوك الأرض من آل هاشم
ولا عنده جد ولا هوي عقل	صبي من الصيبان لا رأي عنده
وبالحق يأتيكم وبالحق يعمل	فثم يقوم القائم الحق منكم
فلا تخذلوه يا بني وعجلوا ^{٥٦٠}	سمي نبي الله نفسي فداؤه

٥٥٩- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧٦ - ٢٨٢.

٥٦٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥١، كتاب تاريخ الإمام الثاني عشر — عليه السلام —، ص ١٣٠ - ١٣٢.

١٣٩ - وَمَنْ يَدْعُ إِلَى الْبَغْيِ وَالْفِتْنَةِ

في وقت الشورى

لَنْ يُسْرَعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَصِلَةَ رَجِيمٍ ، وَعَائِدَةَ كَرَمٍ .
فَأَسْمَعُوا قَوْلِي ، وَعُوا مَنْطِقِي ؛ عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا
الْيَوْمِ تُنْتَضَى^(١٣٧١) فِيهِ السُّيُوفُ ، وَتُخَانَ فِيهِ الْعُهُودُ ، حَتَّى يَكُونَ
بَعْضُكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ .

بيان: قوله - عليه السلام - «إلى دعوة حق» أي لن يدعو أحد قبلي إلى حق
فما لم ادع إليه لم يكن حقاً، أو لم يسبقني أحد إلى إجابة دعوة حق فما لم أجب إليه لا يكون
حقاً. و«نضى السيف من غمده وانفضاه» أخرجه، قال ابن ميثم - رحمه الله - : إشارة
إلى ما علمه - عليه السلام - من حال البغاة والخوارج والناكثين لعهد بيعته. وما وقع
بعد هذا اليوم من قتل الحسين - عليه السلام - وظهور بني أمية وغيرهم. وأشار بأئمة
أهل الضلالة إلى طلحة والزبير، وبأهل الضلالة إلى أتباعهم، وبأهل الجهالة إلى
معاوية ورؤساء الخوارج وأمراء بني أمية، وبشيعتهم إلى أتباعهم. ٥٦١

١٤٠ - وَمَنْ يَدْعُ إِلَى الْبَغْيِ وَالْفِتْنَةِ

في النهي عن غيبة الناس

وَأِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِزْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ^(١٣٧٢) أَنْ
يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ ،

وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيْرَهُ بِبَلْوَاهُ !
 أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي
 عَابَهُ بِهِ ! وَكَيْفَ يَذُمَّ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ ! فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِيبَ
 ذَلِكَ الذَّنْبِ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ . وَإِنَّمَا
 اللَّهُ لَتَيْنٌ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ ، لَجَرَأَتُهُ عَلَى
 عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ !

يَا عَبْدَ اللَّهِ ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ ، وَلَا
 تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ . فَلْيَكْفُفْ مَنْ
 عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا
 لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا أَبْتَلَى بِهِ غَيْرُهُ .

١٤١ - وَمِنْ مَقَالِيهِ الْعَلَامِ

في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق والباطل

أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ ، فَلَا
 يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرَّجَالِ . أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي ، وَتُخْطِئُ السَّهَامُ ،
 وَيُحِيلُ الْكَلَامُ ^(١٧٧٣) ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ . أَمَا إِنَّهُ
 لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ .

فسئل ، عليه السلام ، عن معنى قوله هذا ، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه

وعينه ثم قال :

الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ !

١٤٢ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الْعَلِيَّةِ السَّالِمَةِ

المعروف في غير أهله

وَلَيْسَ لِمَوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، مِنْ أَلْحَظِّ
فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللَّثَامِ ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجُهَالِ ، مَا دَامَ
مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ : مَا أَجُودَ يَدُهُ ! وَهُوَ عَنِ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٍ !

مواضع المعروف

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ،
وَلْيَفُكْ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِي ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ ^(١٧٧٤) ، وَلْيَضْبِرْ
نَفْسَهُ ^(١٧٧٥) عَلَى الْحَقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ؛ فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ
الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا ، وَدَرَكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

١٤٣ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الْعَلِيَّةِ السَّالِمَةِ

في الاستسقاء

وفيه تنبيه العباد إلى وجوب استغاثة رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تُقِيلُكُمْ ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ^(١٧٧٦) ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ، وَمَا أَصْبَحْنَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتَيْهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ ، وَلَا زُلْفَةً^(١٧٧٧) إِلَيْكُمْ ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ أَمْرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَاطَاعَتَا ، وَأَقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا .

إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ ، وَحَبْسِ الْأَبْرَكَاتِ ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ . وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً » . فَارْحَمِ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ !

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ . اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْشَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ^(١٧٧٨) ، « وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا » ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ ، حِينَ الْجَأْتِنَا الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةَ^(١٧٧٩) ، وَأَجَاءَتْنَا^(١٧٨٠)

الْمَقَاحِطُ^(١٧٨١) الْمُجْدِبَةُ ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ ، وَتَلَاخَمَتْ^(١٧٨٢) عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضْعِبَةُ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا نَحَائِبِينَ ، وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ^(١٧٨٣) . وَلَا تُخَاطِبْنَا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تُقَاسِنَا بِأَعْمَالِنَا . اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ ؛ وَأَسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً ، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ ، وَتُخْفِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ ، نَافِعَةً الْحَيَا^(١٧٨٤) ، كَثِيرَةً الْمُجْتَنَى ، تُرْوِي بِهَا الْقِيَعَانَ^(١٧٨٥) ، وَتُسِيلُ الْبَطْنَانَ^(١٧٨٦) ، وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ^(١٧٨٧) ، وَتُرَخِّصُ الْأَسْعَارَ ؛ « إِنَّكَ عَلَىٰ مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ » .

توضيح: «تَحْمَلِكُمْ» في بعض النسخ: «تَقْلِكُمْ» على صيغة الإفعال، يقال: «أَقْلَ الشَّيْءَ وَاسْتَقْلَهُ» إذا حمله ورفع، وكذلك قَلَهُ. و«تَقْلِكُمْ» أيضاً على بناء الإفعال، أي ألقى عليكم ظله، والمراد بالسحاب السحاب أو معناه الحقيقي، لأن أصل الأمطار أو بعضها من السماء كما مر في الأخبار. و«البركة» النماء والزيادة. وجود السماء ببركتها بنزول المطر منها وإعداد الأرضيات بالشمس والقمر وغيرها لحصول المنافع منها، وجود الأرض بخروج الجيوب والثمار وغير ذلك منها. و«تَوَجَّعَتْ لَهُ» أي رثيت له وتألّمت لما أصابه. و«الزلفة» بالضم، القربة. و«إقامتها على حدود المصالح» تسخيرها للجري على وجه ينفع العباد تشبيهاً بحفظه الثغور ونحوها. و«أقلعت عن الأمر إقلاعاً» تركته. و«زجرته فازدجر» أي نهته فانتهى. و«درور الرزق» كثرته وعدم انقطاعه ويقال: دَرَّ السَّيَاءُ بِالْمَطَرِ دَرًّا وَدُرُورًا فَهِيَ مَدْرَارٌ. و«ورحة الخلق» عطف على الدرور؛ وفي بعض النسخ: و«رحمة للخلق» عطفاً على سبباً.

و«استقبال التوبة» التوجه إليها عن رغبة وشوق. و«استقالة الخطيئة» طلب

الغفوع عن المعصية التي باع العاصي نفسه وآخرته بها، واشترى العذاب الأليم، تشبيهاً باقالة البيع. و«المبادرة» المسابقة والاسراع إلى العمل قبل أن تأخذه المنية ولا يدرك العمل. ويحتمل أن يكون المراد مسابقة الناس إلى المنية والاسراع إليها شوقاً لها بأن صاروا مستعدياً لنزولها بالأعمال الصالحة، كما قال سيد الساجدين - عليه السلام - : «وهب لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطي معه المصير إليك ونحرص له على وشك اللحاق بك». والأول أظهر.

و«اليسر» بالكسر، ما يستتر به. و«الكين» بالكسر، السترو وقاء كل شيء وذكر الخروج من تحت الأستار في مقام الاستعطاف، لأن الأستار من شأنها أن لا تفارق إلا لضرورة شديدة، ففيه دلالة على الاضطرار، أو لأن الرحمة تنزل من السماء كما قال الله - تعالى - : «وَفِي السَّمَاءِ رُزُقُكُمْ وَمَا تُوَعَّدُونَ»^{٥٦٢}. ففي البروز لها استعداد للرحمة، أو لأن الاجتماع لا يتحقق غالباً إلا بالخروج، وهو مظنة الرحمة، وعلى التقادير يدل على استحباب الاستسقاء تحت السماء والخروج له إلى البراري.

و«العجيج» الصياح، ورفع البهائم والأطفال أصواتها بالأنين والبكاء مظنة العطف والرحمة، وفيه إيماء إلى ما ذكره الأصحاب من استحباب إخراج البهائم والأطفال في الاستسقاء، وقد ورد في الحديث القدسي: «ولولا شيوخ رقع، وبهائم رقع وصيبة رضع، لصيبت عليكم البلاء صباً ترضون به رضعاً».

و«المقاحط» أماكن القحط أو سنوه. و«الجدب» انقطاع المطر. و«أعيتنا» أي أعجزتنا وأتعبتنا. و«التحم القتال» أي اشتبك واختلط. و«جبل متلاحم» أي مشدود الفتل، والفتنة تكون بمعنى العذاب والمحنة. و«الصعب» العسر ونقيض الذلول، و«استصعب عليه الأمر» أي صعب. و«وجم - كوعد - وجماً ووجوماً» سكت على غيظ، و«وجم الشيء» كرهه. «ولا تخاطبنا بذنوبنا» أي لا تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا، أولاً تنادنا ولا تدعنا يا مذبذبين! أولاً تخاطبنا خطاباً يناسب ذنوبنا.

«ولا تقايسنا بأعمالنا»، «قياس الشيء بالشيء و مقايسته به» تقديره به،

والمعنى: لا تجعل فعلك بنا مناسباً ومشابهاً لأعمالنا، ولا تتجاوزنا على قدرها، بل تفضل علينا بالصفح عن الذنوب ومضاعفة الحسنات. و«أعشبت المطر الأرض» أي أنبتته. و«الناقعة المروية» المسكنة للعطش، و«الحيا» بالفتح والقصر، الخصب والمطر. و«جنى الثمرة واجتناها» أي اقتطفها، و«المجتنى» الثمرة، والمصدر. و«القيعان» جمع «قاع» وهو المستوى من الأرض. و«البطنان» بالضم، جمع «باطن» وهو مسيل الماء والغامض من الأرض. و«الرخص» ضد الغلاء، يقال: «رخص السعر» - ككرم - صار رخيصاً، وأرخصه الله. ٥٤٣

١٤٤ - وَمِنْ حُجَّتِهِ إِلَى السَّمَاءِ



بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِمَا خَصَّوهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْأَعْذَارِ إِلَيْهِمْ ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصُّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ . أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ (١٧٨٨) كَشْفَةً ؛ لِأَنَّهُ جَهْلَ مَا أَخْفَوَهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ ؛ « وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ : أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » ، فَيَكُونُ الثَّوَابُ جَزَاءً ، وَالْعِقَابُ بَوَاءً (١٧٨٩)

بيان: قال في النهاية: «الجراحات بواء» أي سواء في القصاص؛ ومنه حديث

عليّ - عليه السلام - : «والعقاب بواء». وأصل البوء اللزوم. ٥٤٤

٥٦٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٩١، كتاب الصلاة، ص ٣١٢.

٥٦٤- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥، كتاب العدل والمعاد، ص ٣١٦.

دخل أهل البيت

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا ، كَذِبًا وَبَغْيًا
 عَلَيْنَا ، أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ .
 بِنَا يُسْتَعْطَى الْهَدَى ، وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى . إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي
 هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ، لَا تَصْلُحُ عَلَي سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ
 غَيْرِهِمْ .

أهل الضلال

منها : آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخْرَوْا آجِلًا ، وَتَرَكَوا صَافِيًا ، وَشَرِبُوا آجِنًا (١٧٩٠)
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِيهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَالِفَهُ ، وَبَسِيَ بِهِ (١٧٩١)
 وَوَافِقَهُ ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ ، وَصَبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ (١٧٩٢) ، ثُمَّ
 أَقْبَلَ مُزِيدًا كَالْتِّيَارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ ، أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا
 يَخْفِلُ (١٧٩٣) مَا حَرَّقَ !

أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَضْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهَدَى ، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى
 مَنَارِ التَّقْوَى ! أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ !
 أزدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ (١٧٩٤) ، وَتَشَاحُوا عَلَى الْحَرَامِ ، وَرَفِعَ لَهُمْ عِلْمُ
 الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ ،
 وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا ، وَدَعَاهُمْ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا !

إيضاح: الكشف أريد به هنا الابتلاء الذي هو سببه. وقال في النهاية: «الجراحات بواء» أي سواء في القصاص، منه حديث عليّ - عليه السلام - : «والعقاب بواء» وأصل البوء اللزوم.

«أين الذين زعموا» أي الخلفاء الجاثرون المتقدمون. قوله - عليه السلام - «أن رفعنا الله» تعليل لدعوتهم الكاذبة، أي كانت العلة الحاملة لهم على هذا الكذب أن الله رفع قدرنا في الدنيا والآخرة وأعطانا أي الملك والنبوة وأدخلنا أي في دار قربه وعناياته الخاصة. و«أن» هي هنا للتعليل أي لأن، فحذف اللام؛ ويحتمل أن يكون المعنى: أين الذين زعموا عن أن يروا أن رفعنا الله وأورثنا الخلافة ووضعهم بأخذهم بأعمالهم السيئة. و«البطن» مادون القبيلة وفوق الفخذ. قوله - عليه السلام - «لا تصلح على سواهم» أي لا يكون لها صلاح على يد غيرهم، ولا يكون الولاية من غيرهم صالحين. و«الآجن» الماء المتغير. قوله - عليه السلام - «كأني أنظر» قال ابن أبي الحديد: هو إشارة إلى قوم يأتي من الخلف بعد السلف. ^{٥٦٥} قيل: والأظهر أن المراد بهم من تقدم ذكرهم من الخلفاء وغيرهم من ملاعين الصحابة، كما قال - عليه السلام - في الفصل السابق: «أين الذين زعموا» فيكون قوله - عليه السلام - «كأني أنظر» إشارة إلى ظهور اتصافهم بالصفات حتى كأنه يراه عياناً.

وقال في النهاية: «بسأت» بفتح السين وكسرهما، أي اعتادت واستأنست. «شابت عليه مفارقه» أي ابيض شعره وفنى عمره في صحبته المنكر. «وصبغت به خلائقه» أي صار المنكر عادته حتى تلوت خلائقه به. «والتيار» موج البحر ولجته، وكلمة «ثم» للترتيب الحقيقي أو الذكري، ولعل المراد بالفاسق عمر. وقوله - عليه السلام - «لا يحفل» أي لا يبالي. و«اللامحة» الناظرة. ^{٥٦٦}

٥٦٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٨٩، ط بيروت.

٥٦٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٨، ط كمباني و ص ١٧٢، ط تبريز.

١٤٥ — وَحَيْثُ كَانَ الْمَرْءُ فِي الْبَيْتِ

فناء الدنيا

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ^(١٧٩٥) فِيهِ
الْمَنَابِيَا ، مَعَ كُلِّ جَرَعَةٍ شَرِقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ ! لَا تَنَالُونَ مِنْهَا
نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مَعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا
بِهَظْمٍ آخَرَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنِفَادِ مَا
قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ ، وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ ، وَلَا يَجَدِّدُ لَهُ
جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلُقَ^(١٧٩٦) لَهُ جَدِيدٌ ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ
مِنْهُ مَحْضُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنِ فَرُوعُهَا ، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ
ذَهَابِ أَصْلِهِ !

دم البدعة

منها : وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا الْبِدْعَ ، وَالزَّمُوا
الْمَهْيَعَ^(١٧٩٧) . إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ^(١٧٩٨) أَفْضَلُهَا ، وَإِنَّ مُحَدِّثَاتِهَا شِرَارُهَا .

١٤٦ — وَحَيْثُ كَانَ الْمَرْءُ فِي الْبَيْتِ

وقد استشاره عمر بن الخطاب في الشخوص لقتال الهرس بنفسه

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَلَا بِقِلَّةِ . وَهُوَ

دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّىٰ بَلَغَ مَا بَلَغَ ،
 وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ ، وَنَحْنُ عَلَىٰ مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعَدَّهُ ،
 وَنَاصِرٌ جُنْدُهُ. وَمَكَانُ الْقَيْمِ (١٧٩٩) بِالْأَمْرِ مَكَانُ النُّظَامِ (١٨٠٠) مِنَ الْخَرْزِ
 يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ : فَإِنِ انْقَطَعَ النُّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرْزُ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ
 يَجْتَمِعْ بِحَدَافِيرِهِ (١٨٠١) أَبَدًا. وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ ، وَإِنِ كَانُوا قَلِيلًا ، فَهُمْ
 كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ ، عَزِيزُونَ بِالْاجْتِمَاعِ ! فَكُنْ قُطْبًا ، وَاسْتَدِرِ الرَّحَا
 بِالْعَرَبِ ، وَأَضْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنِ شَخَّصْتَ (١٨٠٢) مِنْ
 هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَصْتَ عَلَيْكَ الْعَرَبَ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّىٰ يَكُونَ
 مَا تَدْعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِن يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا : هَذَا أَضَلُّ الْعَرَبِ ،
 فَإِذَا أَقْنَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحَتُمْ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ عَلَيْكَ ، وَطَمَعِهِمْ
 فِيكَ . فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَىٰ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ
 سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَىٰ تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ .
 وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَىٰ بِالْكَثْرَةِ ،
 وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنُّصْرِ وَالْمَعُونَةِ !

بيان: قال ابن أبي الحديد: قد اختلف في الحال الذي قاله أمير المؤمنين

— عليه السلام —، فقيل: قاله في غزاة القادسية، وقيل: في غزاة نهاوند. ذهب إلى

الأخير محمد بن جرير، وإلى الأول المدائني. ٥٦٧

و«نظام العقد» الخيط الجامع له. «بمخافيره» أي بأسره أو بجوائبه أو بأعاليه. قوله — عليه السلام — «وأصلهم» أي اجعلهم صالحين لها، يقال: «صليت اللحم» إذا شويته، أو ألقهم في نار الحرب دونك، أو من «صلى فلان بالأمر» إذا قاسى حرّها وشدّتها. و«العورات» الخلل في الثغر وغيره وكلّ ممكن للستر «لكلّهم» أي لحرصهم وشدّتهم. قوله — عليه السلام — «فأما ما ذكرت» جواب لما قال عمر: إن هؤلاء الفرس قد قصدوا السير إلى المسلمين وأنا أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم. ثم اعلم أنّ هذا الكلام وما تقدّم يدك [على] أنهم كانوا محتاجين إليه — عليه السلام — في التدبير وإصلاح الأمور التي يتوقّف عليها الرياسة والخلافة؛ فهو — عليه السلام — كان أحقّ بها وأهلها، وكانوا هم الغاصبين حقّه. وأما إراءتهم مصالحهم فلا يدك على كونهم على الحقّ لأنّ ذلك كان لمصلحة الإسلام والمسلمين لمصلحة الغاصبين؛ وجميع تلك الأمور كان حقّه — عليه السلام — قولاً وفعلاً وتدبيراً، فكان يلزمه القيام بما يمكنه من تلك الأمور ولا يسقط الميسور بالمعسور. ٥٦٨

١٤٧ — ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ لِيَدْرِكْ الضَّلَالَةَ﴾

الحاية من البعد

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهَلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ

٥٦٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٩٦-٩٧، ط بيروت.

٥٦٨- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣١٧، ط كمباني وص ٣٠١، ط تبريز.

جَحَدُوهُ ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ . فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ^(١٨٠٣) فِي كِتَابِهِ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ ،
وَكَيفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ^(١٨٠٤) . وَأَخْتَصَدَ مَنْ أَخْتَصَدَ بِالنُّقِمَاتِ !

بيان: «أحكمه» أي أتقنه ومنعه من الفساد لفظاً ومعنى. «وليقروا به» أي
باللسان. «وليثبتوه» أي بالقلب. «فتجلى — سبحانه — لهم» أي ظهر وانكشف بما
نبههم عليه فيه من آيات القدرة والقصص. وقيل: المراد بالكتاب عالم الابدان لاشتماله
على آثار الصنع. و«محق الشيء» أبطله ومحاه. و«الاحتصاد» قطع الزرع وهنا كناية عن
استئصالهم. ٥٦٩



وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنْ الْحَقِّ ،
وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَيْسَ
عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَّ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُبَيَّنَّ حَقُّ نِيْلَاوَتِهِ ، وَلَا
أَنْفَقَ مِنْهُ^(١٨٠٥) إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنْ
الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ
حَفَظَتُهُ : فَالْكِتَابُ يَوْمئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَانِ ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ
فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي
النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ! لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ

الْهُدَى ، وَإِنْ اجْتَمَعَا . فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ ، وَأَفْتَرَقُوا عَلَى الْجَمَاعَةِ ،
 كَانَهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا
 أَسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّةَ وَزَبْرَهُ^(١٨٠٦) . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا^(١٨٠٧)
 بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مُثَلَّةٍ ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً^(١٨٠٨) ، وَجَعَلُوا
 فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ .

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى
 نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ^(١٨٠٩) الَّذِي تَرُدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةَ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ،
 وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةَ^(١٨١٠) وَالنِّقْمَةَ .

مرکز تحقیقات کلامی و علوم اسلامی
 عظة الناس

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا
 هُدًى « لِئَتِي هِيَ أَقْوَمُ » ، فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ ، وَعَدُوُّهُ خَائِفٌ ، وَإِنَّهُ لَا
 يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا
 عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا
 لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنْ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ ، وَالْبَارِي^(١٨١١)
 مِنْ ذِي السَّقَمِ^(١٨١٢) . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي
 تَرَكَهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيشَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ
 تَمَسُّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ . فَأَلْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ ،

فَانَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ . هُمُ الَّذِينَ يُعْجِبُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ
عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ؛ لَا يُخَالِفُونَ
الَّذِينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ؛ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ .

بيان: «أحكمه» أي أتقنه، وقيل في قوله - تعالى -: «كِتَابٌ أُخْكِمَتْ
آيَاتُهُ»^{٥٧٠} أي أحفظت من فساد المعنى وركاكته؛ ويمكن أن يكون المراد بالإقرار الإقرار
باللسان، وبالإثبات التصديق بالقلب. و«تجلى لهم» أي ظهر وانكشف، وربما يفتر
الكتاب هنا بعالم الإيجاد. و«المحق» النقص والمحو والإبطال. و«المثلاث» العقوبات.
قوله - عليه السلام - «واحتصد» في بعض النسخ بالمهملتين في الموضعين من الحصاد
وهو قطع الزرع والنبات، فهو كناية عن استئصالهم، وفي بعضها بالمعجمتين من
«اختصد البعير» أي خطمه ليدل، والأول أظهر.

و«البوار» الهلاك و«كنس السوق» وتلاوة الكتاب إتماماً بمعنى قراءته أو متابعتها
فإن من أتبع غيره يقال: تلاه، والتحريف بالثاني أنسب. ويقال: «تناساه» إذا أرى
من نفسه أنه نسيه. و«نفي الشيء» أي نحاه أو جحده. و«الطرده» الإبعاد. وأهل
الكتاب أئمة الدين وأتباعهم العاملون بالكتاب العاملون به.

قوله - عليه السلام - «لأن الضلالة» أي ضلالتهم مضادة لهدى الكتاب فلم
يجتمعا حقيقة وإن اجتمعا ظاهراً. و«الزبر» بالفتح، الكتابة، وبالكسر الكتاب. قوله
- عليه السلام - «ومن قبل» أي من قبل ذلك الزمان وإن كان بعده
- عليه السلام - «مما مثلوا» بالتخفيف والتشديد، أي نكلوا. والظرف أعني قوله «على
الله» متعلق بالفريية، ويحتمل تعلقه بالصدق. والمراد بتغيب آجالهم نسيانهم إياها وترك
استعدادهم لها ولما بعدها. و«الموعد» الموت فإنه لا تقبل فيه معذرة وعند نزوله توبة.
و«القارعة» المصيبة التي تفرغ أي تلقى بشدة وقوة.

قوله - عليه السلام - «من استنصح الله» قال في النهاية: أي اتخذ ناصحاً.

انتهى. والاعتقاد بكونه — تعالى — ناصحاً وأنه لا يريد للعبد إلا ما هو خير له يوجب التوفيق بالرغبة في العمل بكل ما أمر، والانتهاه عما نهى عنه.

قوله — عليه السلام — «التي هي أقوم» أي للحالة والطريقة التي اتبعتها وسلوكها أقوم. «فإن جار الله» أي من أجاره الله أو من كان قريباً منه. وفي بعض النسخ: «عظمته وقدرته» بالنصب، فكلمة «ما» فيها زائدة. قوله — عليه السلام — «حتى تعرفوا الذي تركه» الغرض منه ومما بعده التنفير من أئمة الضلال والتنبيه على وجوب البراءة منهم.

«فإنهم عيش العلم» أي أسباب حياته. قوله — عليه السلام — «وصمتهم عن منطقهم» فإن لصمتهم وقتاً وهيئة وحالة تكون قرائن دالة على حسن منطقهم لو نطقوا.

قوله — عليه السلام — «ولا يختلفون فيه» أي لا يخالف بعضهم بعضاً فيكون البعض مخالفاً للحق. «فهو بينهم» الضمير راجع إلى الدين. «شاهد صادق» أي يأخذون بما حكم به ودنّ عليه. و«صامت» لأنه لا ينطق في الظاهر. «ناطق» بلسان أهله والعالم به. ٥٧١

١٤٨ — وَمِنْ كَلِمَاتِهِ السَّالِمَاتِ

في ذكر أهل البصرة

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، لَا يَمْتَنَانِ^(١٨١٣) إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ^(١٨١٤) . كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٍّ^(١٨١٥) لِصَاحِبِهِ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ ! وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى

هَذَا . قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ ، فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ ^(١٨١٦) ! فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّذَمِ ^(١٨١٧) ، يَسْمَعُ النَّاعِيَّ ، وَيَخْضُرُ الْبَاكِيَّ ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ !

إيضاح: «كل واحد منها» أي طلحة والزبير «لا يمتنان» قال في النهاية: «المت» التوصل والتوصل بجرمة أو قرابة أو غير ذلك؛ وقال: «السبب» في الأصل الجبل الذي يتوصل به إلى ماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء كقوله تعالى: «وَتَقَطَّعْتُ بِهِمُ الْأَشْبَابُ» ^{٥٧٢} أي الوصل والمودات؛ وقال: «الضرب» الغضب والحقد. والظاهر أن الضمير المحرور في «قناعه» راجع إلى كل واحد منها، والباء في «به» للسببية، والضمير للضبت. «يكشف قناعه» الذي استتر به ويظهر حاله بسبب حقه وبغضه.

«فأين المحتسبون» أي العاملون لله والطالبون للأجر، ويقال أيضاً: «احتسب عليه» أي أنكروا، وتقديم الخبر هو إخبار النبي - صلى الله عليه وآله - بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. وضمير «لهم» في الموضعين للمحتسبين أو للفئة الباغية. وعلة ضلتهم هي البغي والحسد. وشبهتهم في نكث البيعة الطلب بدم عثمان كما قيل، أو المعنى: أن لكل ضلالة غالباً علة ولكل ناكث شبهة بخلاف هؤلاء فإنهم يعدلون عن الحق مع وضوحه بغير عذر وشبهة.

و«مستمع اللذم» الضبع وهو صوت الحجر يضرب به الأرض أو حيلة يفعلها الصائده عند باب جحرها فتنام ولا تتحرك حتى يجعل الجبل في عرقوبها فيخرجها؛ والمعنى: لا أغترروا ولا اغفلوا عن كيد الأعداء فاستمع الناعي بقتل طائفة من المسلمين ويحضر الباكي على قتلاهم فلا أحارهم حتى يحيطوا بي. وقيل: لا أكون كمن يسم

الضرب والبكاء ثم لا يصدق حتى يجيء لمشاهدة الحال. قال الجوهري: «الدم»
ضرب المرأة صدرها وعضديها في النياحة. ٥٧٣

١٤٩ — وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الْعَلِيَّةِ

قبل موته

أَيُّهَا النَّاسُ ، كُلُّ أَمْرِي لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ . الْأَجَلُ مَسَاقُ
النَّفْسِ (١٨١٨) . وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَا فَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدْتُ (١٨١٧) الْأَيَّامَ أَنْحَثُهَا
عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْضَاءَهُ . هَيْهَاتَ ! عِلْمٌ مَخْزُونٌ !
أَمَا وَصِيَّتِي : فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَمُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،
فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هَذِينَ الْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هَذِينَ الْمِصْبَاحَيْنِ ،
وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ (١٨٢٠) مَا لَمْ تَشْرُدُوا (١٨٢١) . حَمَلْتُ كُلَّ أَمْرِي مِنْكُمْ مَجْهُودَةً ،
وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ . رَبُّ رَحِيمٌ ، وَدِينٌ قَوِيمٌ ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ . أَنَا
بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ ! غَفَرَ
اللَّهُ لِي وَلَكُمْ !

إِنْ تَثَبَّتِ الْوَطْأَةُ (١٨٢٢) فِي هَذِهِ الْمَزَلَةِ (١٨٢٣) فَذَلِكَ ، وَإِنْ تَدَحَّضِ (١٨٢٤)
الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ (١٨٢٥) أَغْصَانٍ ، وَمَهَابٍ رِيَّاحٍ ، وَتَحْتَ ظِلِّ

غَمَامٍ ، أَضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا ^(١٨٢٦) ، وَعَفَا ^(١٨٢٧) فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا ^(١٨٢٨) .
 وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّامًا ، وَسَتَعْقِبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءَ ^(١٨٢٩) :
 سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَآكٍ ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ . لِيُعِظْكُمْ هُدُوءِي . وَخُفُوتُ ^(١٨٣٠)
 إِطْرَاقِي ، وَسُكُونُ أَطْرَاقِي ^(١٨٣١) ، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمُنْطِقِ
 الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ . وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ أَمْرِي . مُرْصِدٌ ^(١٨٣٢)
 لِلتَّلَاقِي ! غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي ، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي . وَتَعْرِفُونَنِي
 بَعْدَ خَلْوٍ مَكَانِي وَقِيَامٍ غَيْرِي ^(١٨٣٣) .



١٥٠ - وَمِنْ حَبْلِهَا عَلِيلَةُ الضَّلَالِ

يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال

وَأَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا ظَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ ، وَتَرَكُوا لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ .
 فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصِدٌ ، وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ .
 فَكُمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنْهُ لَمْ يُدْرِكْهُ . وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ
 مِنْ تَبَاشِيرٍ ^(١٨٣٣) غَدًا يَا قَوْمٍ ، هَذَا إِبَانٌ ^(١٨٣٤) وَرُودٌ كُلُّ مَوْعُودٍ ،
 وَدُنُوٌّ ^(١٨٣٥) مِنْ طَلْعَةٍ مَا لَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَإِنْ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا
 بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ ، لِيَحُلَّ فِيهَا

رِبْقًا^(١٨٣٦) ، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقًا ، وَيَصْدَعُ شَعْبًا^(١٨٣٧) ، وَيَشْعَبُ صَدْعًا^(١٨٣٨) ،
 فِي سُرَّةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ^(١٨٣٩) أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ . ثُمَّ
 لِيُشْحَذَنَّ^(١٨٤٠) فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ^(١٨٤١) . تُجَلَى بِالتَّنْزِيلِ
 أَبْصَارُهُمْ ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ
 الصُّبُوحِ^(١٨٤٢) !

بيان: «مرصد» أي مترقب ما يجيء به الغد من الفتن والوقايح. «من تباشير
 غد» أي أوائله أو من البشري به. و«الإبان» الوقت والزمان. «يسري» من «السرى»
 السير بالليل. و«الربق» الخيط. و«القائف» الذي يتتبع الآثار. «ولو تابع نظره» أي
 ولو استقصى في الطلب وتابع النظر والتأمل. و«شحذت السكين» حددته، أي
 ليحرضن في هذه الملاحم قوم على الحرب ويشحذ عزائمهم في قتل أهل الضلال كما
 يشحذ الحداد النصل كالسيف وغيره. قوله — عليه السلام — «يجلي بالتنزيل» أي
 يكشف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تفسيره ومعرفة أسراره.
 و«الغبوق» الشرب بالعشي مقابل الصبوح.^{٥٧٤}

هو الضلال

منها : وَطَالَ الْأَمْدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغَيْرَ^(١٨٤٣) ؛
 حَتَّىٰ إِذَا أَخْلَوْنَكَ الْأَجَلَ^(١٨٤٤) ، وَأَسْتَرَا حَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ ، وَأَشَأَلُوا^(١٨٤٥)
 عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ ، لَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بِذَلِ
 أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ ، حَتَّىٰ إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ أَنْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ ،

حَمَلُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَىٰ أَسْيَافِهِمْ^(١٨٤٦) ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَأَعِظِهِمْ ،
 حَتَّىٰ إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ ،
 وَغَالَتَهُمُ السُّبُلُ ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ^(١٨٤٧) ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ،
 وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَن رِصِّ أَسَاسِهِ ،
 فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي
 غَمْرَةٍ^(١٨٤٨) . قَدْ مَارُوا^(١٨٤٩) فِي الْحَيْرَةِ ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ ، عَلَى سُنَّةٍ مِنْ
 آلِ فِرْعَوْنَ : مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدُّنْيَا مُبَازِنٍ .

بيان: نصب «ظعننا» و«تركنا» على المصدر، والعامل فيها من غير لفظها، أو

مصدران قاما مقام الفاعل. قوله — عليه السلام — «مرصد» على المفعول، أي مترقب
 معد لا بد من كونه. و«تباشير كل شيء» أوائله. و«إبان الشيء» بالكسر والتشديد،
 وقته وزمانه، ولعله إشارة إلى ظهور القائم — عليه السلام —. قوله — عليه السلام — «إن
 من أدركها متاً» أي قائم آل محمد — صلى الله عليه وآله —. و«سرى — كضرب —
 وأسرى» أي سار بالليل. و«الربق» بالفتح^{٥٧٥}، شد الشاة بالربق وهو الخيط. ^{٥٧٤}
 و«الصدع» التفريق والشق. و«الشعب» الجمع.

قوله — عليه السلام — «في سترة» أشار — عليه السلام — به إلى غيبة القائم
 — عليه السلام —. و«القائف» الذي يتتبع الآثار ويعرفها. و«شحذت السكين»
 حددته، أي ليحرضن في تلك الملاحم قوم على الحرب ويشحذ عزائمهم في قتل أهل
 الضلال كما يشحذ القين — وهو الحداد — النصل كالسيف وغيره. و«تجلى بالتنزيل»
 أي يكشف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تفسيره ومعرفة أسرار

٥٧٥- في النهج: «ربقاً» بالكسر، أي حبلاً معقوداً.

٥٧٦- كذا، والصواب: الحبل.

وكشف الغطاء عن مسامع قلوبهم. و«الغبوق» الشرب بالعشي، تقول: «غبت الرجل أغبقه - بالضم - فاعتبق هو» أي تفاض عليهم المعارف صباحاً ومساءً، والقوم أصحاب القائم - عليه السلام -.

قوله - عليه السلام - «وطال الأمد بهم» هذا متصل بكلام قبله لم يذكره السيد - رضي الله عنه - . و«الأمد» الغاية. و«الغير» اسم من قولك «غيرت الشيء فتغير» أي تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. و«اخلولق الأجل» أي قرب انقضاء أمرهم، من «اخلولق السحاب» أي استوى وصار خليقاً بأن يمطر، و«اخلولق الرسم» استوى بالأرض. و«استراح قوم» أي مال قوم من شيعتنا إلى هذه الفئة الضالة وأتبعوها تقية أو لشبهة دخلت عليهم. و«أشالوا»^{٥٧٧} أي رفعوا أيديهم وسيوفهم. واستعار «اللقاح» بفتح اللام لإثارة الحرب لشبهها بالناقة.

وقوله - عليه السلام - «إذا قبض الله» نعله منقطع عما قبله إلا أن يحمل من طال الأمد بهم في الكلام المتقدم على من كان أهل الضلال قبل الإسلام، ولا يخفى بعده. وبالجملة، الكلام صريح في شكايته - عليه السلام - عن الذين غصبوا الخلافة منه. و«غالتهم السبل» أي أهلكتهم. و«وصلوا غير الرحم» أي رحم الرسول - صلى الله عليه وآله - . والسبب الذي أمروا بعودته أهل البيت - عليهم السلام - كما قال النبي - صلى الله عليه وآله - : «خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، جبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». «كل ضارب في غمرة» أي سائر في غمرة الضلالة والجهالة. «قد ماروا في الخيرة» أي ترددوا و اضطربوا فيها. والمنقطع إلى الدنيا هو المنهك في لذاتها. والمفارق للدين هو الزاهد الذي يترك الدنيا للدنيا، أو يعمل على الضلالة والردى، وسيأتي فيما سنورده من كتبه - عليه السلام - وغيرها ما هو صريح في الشكاية.

منها ما كتب - عليه السلام - في كتاب له إلى معاوية:

وكتاب الله يجمع لنا ما شذَّ عتاً، وهو قوله - سبحانه - : «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»^{٥٧٨} وقوله - تعالى - : «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ لِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ أَتَّبِعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»^{٥٧٩}، فنحن مرّة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة. ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله - صلى الله عليه وآله - فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم. وقلت: إننى كنت أقاد كما يقاد الجمل المحشوش حتى أبايع، ولعمرك لقد أردت أن تدم فدمحت وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكراً في دينه؛ ولا مرتاباً بيقينه!^{٥٨٠}

ومنها ما كتب - عليه السلام - في جواب عقيل^{٥٨١}:

فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالم في الشقاق، وجاحهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربى كما جمعهم [على] حرب رسول الله - صلى الله عليه وآله - قبلى، فجزت قريشاً عني الجوزي، فقد قطعوا رحى، وسلبوني سلطان ابن أمتي.^{٥٨٢}

١٥١ - وَمِنْ خُطْبَةِ الْمَلِكِ الْكَلْبِيِّ

يحلر من الفتن

الله ورسوله

وَأَحْمَدُ اللَّهِ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ مَدَاحِرِ^(١٨٥٠) الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ ، وَالْإِعْتِصَامِ

٥٧٨ - الأنفال: ٧٥.

٥٧٩ - آل عمران: ٦٨.

٥٨٠ - نهج البلاغة، باب الكتب، تحت رقم ٢٨.

٥٨١ - نهج البلاغة، باب الكتب، تحت رقم ٣٦.

٥٨٢ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٧٨، ط كهباني وص ١٧٢، ط تبريز.

مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ^(١٨٥١). وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ . لَا يُؤَاذِي فَضْلُهُ ، وَلَا يُجْبِرُ فَقْدُهُ .
أَضَاعَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ ، وَالْجَفْوَةَ
الْجَافِيَةَ ؛ وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ ؛ يَخْيَوْنَ
عَلَى قَتْرَةٍ^(١٨٥٢) ، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ !

بيان: «لا يوازي» أي لا يساوي فضله ولا يبلغه أحد. و«الجبر» إصلاح العظم من كسر. و«الغالبة» في بعض النسخ بالياء المثناة أي المجاوزة عن الحد. و«الجفوة» غلظ الطبع وقساوة القلب والوصف للمسالفة ك شعر شاعر. والمراد بالفترة هنا انقطاع الوحي أو ترك الاجتهاد في الطاعات. ٥٨٣

التحضير من العن
مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ . فَاتَّقُوا سَكْرَاتِ
النُّعْمَةِ ، وَأَحْذَرُوا بَوَائِقِ^(١٨٥٣) النُّعْمَةِ ، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ^(١٨٥٤) ،
وَأَعْوَجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا ، وَظُهُورِ كَمِينِهَا ، وَأَنْتِصَابِ
قُطْبِهَا ، وَمَدَارِ رَحَاهَا . تَبْدَأُ فِي مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ ، وَتَوُؤَلُّ إِلَى فِطَاعَةِ جَلِيَّةٍ .
شِبَابُهَا^(١٨٥٥) كَشِبَابِ الْغُلَامِ ، وَأَثَارُهَا كَأَثَارِ السَّلَامِ^(١٨٥٦) ، يَتَوَارَثُهَا
الظُّلْمَةُ بِالْعُهُودِ ! أَوْلُهُمْ قَائِدٌ لِأَخْرِهِمْ ، وَأَخْرَهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوْلِيهِمْ ؛
يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دُنْيَةٍ ، وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ^(١٨٥٧) . وَعَنْ

قَلِيلٌ يَتَّبِعُ التَّابِعُ مِنَ الْمُتَّبِعِ ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ ، فَيَتَزَايِلُونَ ^(١٨٥٨)
 بِالْبَغْضَاءِ ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ . ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ
 الرَّجُوفِ ^(١٨٥٩) ، وَالْقَاصِمَةِ ^(١٨٦٠) الرَّحُوفِ ، فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ ،
 وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ ، وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ
 الْأَرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا ^(١٨٦١) . مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ ،
 يَتَكَادِمُونَ ^(١٨٦٢) فِيهَا تَكَادِمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ ^(١٨٦٣) ! قَدْ أَضْطَرَبَ مَعْقُودُ
 الْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ . تَغِيضُ ^(١٨٦٤) فِيهَا الْحِكْمَةَ ، وَتَنْطِقُ فِيهَا
 الظَّلْمَةَ ، وَتَدُقُّ ^(١٨٦٥) أَهْلَ النَّدْوِ بِمِسْحَلِهَا ^(١٨٦٦) ، وَتَرْضِيهِمْ ^(١٨٦٧)
 بِكُلِّكَلِمَتِهَا ^(١٨٦٨) ! يَضْبَعُ فِي شَبَابِهَا الْوُحْدَانَ ^(١٨٦٩) . وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا
 الرُّكْبَانُ ؛ تَرْدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ ، وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدَّمَاءِ ^(١٨٧٠) ، وَتَثْلِمُ
 مَنَارَ الدِّينِ ^(١٨٧١) ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ . يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ ^(١٨٧٢) .
 وَيُدْبِرُهَا الْأَرْجَاسُ ^(١٨٧٣) . مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ ، كَاشِفَةٌ عَنِ سَاقٍ ! تُقَطِّعُ فِيهَا
 الْأَرْحَامُ ، وَيُفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ ! بَرِيهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ !

منها : بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُوقٍ ^(١٨٧٤) ، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ . يَخْتَلُونَ ^(١٨٧٥)
 بِعَقْدِ الْأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ ؛ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ^(١٨٧٦) الْفِتَنِ .
 وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ ؛ وَالزُّمُومَا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ . وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ
 أَرْكَانُ الطَّاعَةِ ؛ وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ ، وَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ ؛

وَأَتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ، وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ؛ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لَعَقِ (١٨٧٧)
الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ بَعِينٌ (١٨٧٨) مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةَ، وَسَهْلَ لَكُمْ
سُبُلَ الطَّاعَةِ.

توضيح: «مداحر الشيطان» الأمور التي يدحرو ويترد بها. و«مزاجره» الأمور التي يزجرها. و«حيائله» مكائده التي يضل بها البشر. و«مخاتله» الأمور التي يختل بها، بالكسر، أي يخدع بها. و«لايوازي» أي لايساوى، والأصل فيه الهزرة كما قيل. و«الجهالة الغالبة» بالباء الموحدة وفي بعض النسخ بالمشثاة، من «الغلاء» وهو الارتفاع، أو من «الغلو» وهو مجاوزة الحد. و«الجفوة» غلظ الطبع، والوصف للمبالغة. و«الناس» الواو للحال. و«الحرم» حرمان الله التي يجب احترامها ومحرماته.

وقال في النهاية: «الفترة» ما بين الرسولين، و«أصابني على فترة» أي في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات. و«الكفرة» المرة من الكفر. و«المعشر» الجماعة. و«الغرض» الهدف. و«سكرات النعمة» ما يحدثه النعم عند أربابها من الغفلة المشابهة للسكر. و«البوائق» الدواهي. و«التثبت» التوقف وترك اقتحام الأمر. و«القتام» بالفتح، الغبار. و«العشوة» ركوب الأمر على غير بيان ووضوح؛ ويروى: «وتبينوا» كما قرئ في الآية. ٥٨٤ وكفى — عليه السلام — عن ظهور المستور الخفي منها بقوله «عند جنينها وظهور كمينها»، و«الجنين» الولد مادام في البطن، و«الكمين» الجماعة الخفية في الحرب. والمدار مصدر، والمكان بعيد، و«انتصاب قطبها ومدار رحاها» كناية عن انتظام أمرها. و«المدرجة» المذهب والمسلك، أي إنها تكون ابتداءً يسيرة ثم تصير كثيرة. و«الشباب» بالكسر، نشاط الفرس ورفع يديه جميعاً، وفي بعض النسخ بالفتح. و«السلام» الحجارة، أي إن أربابها يرمحون في أول الأمر كما يرمح الغلام، ثم يؤول إلى أن يعقب فيهم أو في الإسلام آثار كآثار الحجارة في الأبدان، فيحتمل أن يكون كالتفسير لسابقه، أو يكون المراد: إنها في الدنيا كنشاط الغلام وما

أعقبها في الآخرة كآثار السلام.

«يتوارثها الظلمة بالعهود» الظرف متعلق بالفعل، أي توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت — عليهم السلام — وغصب حقهم، أو بالظلمة أي الذين ظلموا عهد الله وتركوه. «يتكالبون» أي يتواثبون. و«المريجة» المنتنة، من «أراحت» إذا ظهر ريحها، أو من «أراح البعير» إذا مات. قوله — عليه السلام — «وعن قليل» أي بعد قليل من الزمان. «يتبرأ التابع» قال ابن أبي الحديد: ذلك التبرء في القيامة كما ورد في الكتاب العزيز، أما تبرء التابع من المتبوع قال — تعالى —: «وَقَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا»^{٥٨٥}. وأما تبرء القائد من المقود أي المتبوع من التابع فقال — تعالى —: «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا»^{٥٨٦}. وأما الأعم كما دل عليه قوله — عليه السلام — «فيتزايلون — الخ»، فقال — تعالى —: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبَعْضٌ يَلْمُنُ بَعْضُكُم بَعْضًا»^{٥٨٧}. وقوله — عليه السلام — «يتزايلون» أي يفترون. و«طالع الفتنة» مقدماتها، وسماها وجوهاً لشدة الاضطراب فيها. قال: ولما ذكر — عليه السلام — رغبتهم في الدنيا وتكالبهم عليها أراد أن يذكر ما يؤكد التعجب من فعلهم فأتى بجملة معترضة بين الكلامين فقال: «عن قليل يتبرء التابع — الخ». ثم عاد إلى نظام الكلام فقال: «ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف».

وقال ابن ميثم: أشار — عليه السلام — إلى منافستهم في الدنيا في إثارة تلك الفتن، ثم أخبر عن انقضائها عن قليل، وكتى عن ذلك بتبرء التابع من المتبوع. قيل: ذلك التبرء عند ظهور الدولة العباسية فإن العادة جارية بتبرء الناس من الولاة المعزولين خصوصاً ممن تولى عزل أولئك أو قتلهم فيتباينون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء. قال: وقوله — عليه السلام — «ثم يأتي» إشارة إلى التتار إذ الدائرة فيهم كانت على العرب.

٥٨٥- الغافر: ٧٤. وأوضح منه في هذا المطلب الآية ١٦٧ من سورة البقرة.

٥٨٦- البقرة: ١٦٦.

٥٨٧- العنكبوت: ٢٥؛ وفي البحار: «بعضهم»، وهو تصحيف.

قال: وقال بعض الشارحين: ذلك إشارة إلى الملحمة الكائنة في آخر الزمان كفتنة الدجال، ووصفها بالرجوف كناية عن اضطراب الناس أو أمر الإسلام فيها وبقصمها عن هلاك الخلق فيها تشبيهاً لها بالرجل الشجاع الكثير الزحف إلى أقرانه، أي يمشي إليهم قدماً.

و«نجم الشيء ينجم — بالضم — نجوماً» ظهر وطلع. قوله — عليه السلام — «من أشرف لها» أي صادمها وقابلها. و«من سعى فيها» أي في تسكينها وإطفائها. و«الحطم» الكسر. و«التكادم» التعاضُّ بأدنى الفم. و«العانة» القطيع من حمر الوحش؛ ولعلّ المراد مغالبة مثيرى تلك الفتنة بعضهم لبعض، أو مغالبتهم لغيرهم. و«معقود الحبل» قواعد الدين التي كلفوا بها. وفي إسناد العمى إلى وجه الأمر تجوُّز. و«الغيفض» القلّة والنقص. و«السجل» — كمنبر — السوهان أو المنحت، أي يفعل بهم ما يفعل بالحديد أو الخشب. و«الرض» الدق. و«الكلكل» الصدر. و«الوحدان» جمع واحد، أي من كان يسير وحده فإنه يهلك فيها بالكليّة، وإذا كانوا جماعة فهم يضلّون في طريقها فيهلكون، ولفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركة أهلها، أي إذا أراد القليل من الناس دفعها هلكوا في غبارها من دون أن يدخلوا في غمارها. وأما الركبان وهم الكثير من الناس فإنهم يهلكون في طريقها وعند الخوض فيها. ويجوز أن يكون الوحدان جمع أوجد، أي يضلّ في غبار هذه الفتنة وشبهها فضلاء عصرها لغموض الشبهة واستيلاء الباطل، ويكون الركبان كناية عن الجماعة أهل القوّة، فهلاك أهل العلم بالفضلال، وهلاك أهل القوّة بالقتل.^{٥٨٨}

و«مرّ القضاء» الهلاك والاستيصال والبلايا الصعبة. و«عبيط الدماء» الطريّ الخاص منها. و«تثلّم» أي تكسر. «منار الدين» أي أعلامه. «مرعاد مبراق» أي ذات رعد و برق تشبيهاً بالسحاب، أو ذات وعيد وتهدّد، من «رعد الرجل و برق» إذا أوعد وتهدّد. ويحتمل أن يكون الرعد صوت السلاح والبرق ضوءه.

وقال في النهاية: «الساق» في اللغة، الأمر الشديد، وكشف الساق مثل في

شدة الأمر، وأصله من كشف الإنسان عن ساقه وتشميره إذا وقع في أمر شديد. قوله — عليه السلام — «بريتها» أي من يعدّ نفسه بريئاً سالماً من المعاصي أو الآفات، أو من كان سالماً بالنسبة إلى سائر الناس فهو أيضاً مبتلى بها، أو المعنى. إن من لم يكن مائلاً إلى المعاصي أو أحبّ الخلاص من شرورها لا يمكنه ذلك.

قوله — عليه السلام — «وظاعنها مقيم» أي لا يمكنه الخروج عنها أو من اعتقد أنه متخلف عنها فهو داخل فيها لكثرة الشبه وعموم الضلالة. قوله — عليه السلام — «مطلول» أي مهتد لا يطلب به. «يحتلون» أي يخدعون. «بعقد الإيمان بصيغة المصدر أو كصرد بصيغة الجمع. و«يحتلون» في بعض النسخ على بناء المجهول فيكون إخباراً عن حال المخدوعين الذين يحتلهم غيرهم بالإيمان المعقودة بينهم، أو باليهود الذي يشدونها بمسح أيمانهم؛ وفي بعض النسخ على بناء المعلوم فيكون إخباراً عن أهل ذلك الزمان جميعاً أو الخادعين الخائنين منهم. و«بغرور الإيمان» أي بالإيمان الذي يظهره الخادعون لهؤلاء الموصوفين فيغرونهم بالمواعيد الكاذبة، أو الذي يظهر هؤلاء الموصوفون فيغرون الناس به، على النسختين. قوله — عليه السلام — «أنصاب الفتن» جمع «نصب» وهو بالفتح أو التحريك، العلم أو معنى الغاية والحد، ومنه أنصاب الحرم؛ وفي بعض النسخ بالراء، ماعقد عليه حبل الجماعة أي القوانين التي ينتظم بها اجتماع الناس على الحق، وهي التي بنيت عليها أركان الطاعة.

«واقدموا على الله مظلومين» أي كونوا راضين بالظلمية، أولاً تظلموا الناس وإن استلزم ترك الظلم مظلوميتكم. و«مدارج الشيطان» مذاهبه ومسالكه. و«مهابط العدوان» المواضع التي يهبط هو وصاحبه فيها. و«اللحق» جمع «لعة» بالضم، وهي اسم لما تأخذه الملعقة، و«اللمعة» بالفتح، المرة منه؛ فنتبه — عليه السلام — باللحق على قلتها بالنسبة إلى متاع الآخرة، أو المراد لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير. قوله — عليه السلام — «بعين من حرم» أي بعلمه، كقوله — تعالى —: تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا

(القمر: ١٤). ٥٨٩

١٥٢ - وَحَمْدُ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَنَا مِنْهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

في صفات الله جل جلاله ، وصفات أئمة الدين

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالُّ عَلَىٰ وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحَدِّثِ خَلْقِهِ عَلَىٰ أَرْزَاقِهِ ،
 وَبِأَشْتِبَاهِهِمْ عَلَىٰ أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . لَا تَسْتَلِمُهُ ^(١٨٧٩) الْمَشَاعِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ
 السَّوَابِرُ ، لِإِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ
 وَالْمَرْبُوبِ ، الْأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلٍ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصْبٍ ^(١٨٨٠) ،
 وَالسَّمِيعِ لَا بِإِدَاةٍ ^(١٨٨١) ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ ^(١٨٨٢) ، وَالشَّاهِدِ لَا
 بِمُمَاسَّةٍ ، وَالْبَائِنِ ^(١٨٨٣) لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَالْبَاطِنِ
 لَا بِلَطَافَةٍ . بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا ، وَالْقُدْرَةَ عَلَيْهَا ، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ
 مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ ^(١٨٨٤) ، وَمَنْ
 حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « كَيْفَ »
 فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ : « أَيْنَ » فَقَدْ حَيَّرَهُ . عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ ،
 وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ .

النهج: قال - عليه السلام -:

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزلته. ٥٩٠

٥٩٠ - الأولية والآخرة وصفان إضافيان، فإذا قويس شيء إلى آخر وجد بعده وصف بالأولية، وإذا قويس إلى شيء وجد قبله وصف بالآخرة. وللتقدم والتأخر أقسام مذكورة في محلها؛ وقد اختلف القول في تقدم الواجب على الممكنات، فقيل: إن تقدمه زمني، وقيل: علي، وقيل: سرمدى إلى غير ذلك. لكن التقدم الزمني بمعناه المصطلح وهو وقوع المتقدم مقارناً لجزء من

ومنه ٥٩١ قال - عليه السلام - :

الحمد لله خالق العباد، وساطع المهاد، ومسيل الوهاد، ومغصب النجاد، ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل... (إلى قوله - عليه السلام -!) قبل كل غاية ومدة، وكل إحصاء وعدة... (إلى قوله - عليه السلام -!) لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية بل خلق ما خلق فأقام حدّه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته.



الزمان متقدم على الجزء الذي وقع المتأخر مقارنة له بما يستحيل في حق الحق - سبحانه وتقدس - لتعالیه عن مقارنة الزمان ومقايسته بالحدوثان. على أنه يستلزم قدم الزمان وهو كثر على ما فرغته.

وأما تفسير التقدم الزماني بأن الواجب كان في زمان لم يكن شيء، وتنسيبه بأن الزمان أمر موهوم منتزع من ذاته، مما لا يجدي شيئاً ولا يضمن ولا يفني من جوع لأن الزمان إن كان أمراً موهوماً فلا يمكن تأثيره في الواقعيات وإناطة البحث الحقيقي به؛ غاية الأمر تسميته - تعالى - بالقديم الزماني تسمية ليس وراءه حقيقة ولا تجاوز حد الاسم والوهم. وإن كان أمراً واقعياً فلا يمكن انتزاعه من ذات الباري - سبحانه - وإلا لتطرق التغيير والحدوث إليها.

وأما آخرية الواجب، فقليل بالآخرية الزمانية بمعنى أنه يلحق كل شيء إلا الواجب - تعالى - فيكون زمان ليس فيه غيره - سبحانه - ولما كان ظاهر هذا القول مخالفاً لظواهر الكتاب والسنة من أبدية نشأة الآخرة وخلود أهلها، فسربفناء الموجودات قبل قيام الساعة!

ولفائل أن يقول: هل يكون عند فناء جميع الموجودات زمان أولاً؟ فإن كان فلا يكون الواجب آخراً بالنسبة إلى نفس الزمان وإلا فلا يكون آخراً زمانياً، على أنه - تعالى - يكون على هذا آخراً بالنسبة إلى الموجودات قبل قيام الساعة لابعده، وله توالٍ فاسدة أخرى.

وحق القول أن الواجب - تعالى - محيط بجميع العوالم، مهيم على كافة الموجودات ويكون وجوده أوسع وأرفع من كل الموجودات، بل هي بأسرها ظل وجوده وشعاع نوره - تبارك وتعالى - وليس لها استقلال أصلاً فليس بين الموجودات الإمكانية وبين وجوده السرمدية الواجب المحيط الغير المنتهي بل فوق ما لا يتناهي بما لا يتناهي نسبة، فأين المنتهي من غير المنتهي؟! وما للتراب وربّ الأرباب؟!!

فكلما قويس وجود إمكانه إلى وجوده المتعالي كان من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته، ومن كل جهة من جهاته، وكل شأن من شؤونه محدوداً عماطاً بوجوده - تبارك وتعالى - فإذا لوحظ الجهة السابقة على الموجودات، كان - سبحانه - هو الأول، وإذا لوحظ الجهة اللاحقة، كان هو الآخر، وإذا لوحظ ظاهرها كان هو الباطن وإذا لوحظ باطنها كان هو الظاهر:

«لَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» - الحديد: ٣.

«أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» - فصلت: ٥٤.

٥٩١ - في بعض النسخ: وفي خطبة.

بيان: «الساطح» الباسط. و«المسيل» المجري. و«الوهاد» جمع «وهدة» وهي الأرض المنخفضة. و«أخصب الله الأرض» أي جعلها كثيرة العشب والكلاء، و«النجاد» بالكسر، جمع «نجد» بالفتح، وهو المرتفع من الأرض. «ولالأزليته انقضاء» أي في جانب الأبد، أي أزليته مقرونة بالأبدية، ويمكن أن يكون إشارة إلى أن الأزلية تستلزم الأبدية إذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه، أو في جانب الأزل إذا رجع الوهم إليه. ولا يخفى دلالة تلك الفقرات على اختصاص الأزلية به وحدوث ماسواه، إذ ذكر الصفات المشتركة بينه وبين خلقه لا يناسب مقام المدح. ثم صرح - عليه السلام - بذلك بقوله «لم يخلق الأشياء من أصول أزلية» ردّاً على ما زعمته الحكماء من الهوى القديمة ونحو ذلك. و«الأبد» بالتحريك الدهر، و«الدائم» و«القديم» الأزلي^{٥٩٢}، كما ذكره في القاموس؛ وقيل: الزمان الطويل الذي ليس بمحدود، والظاهر أنه تأكيد وتفسير للفقرة الأولى، ويحتمل أن يكون المراد الأمثلة التي يخلق الله - تعالى - الأشياء على حدوها. وفي بعض النسخ: «بديّة» والبدية - كرضي - الأول «من أوائل» سابقة على إيجادها. ٥٩٣

٥٩٢ - الأزلية والقدم مترادفان ومعناها كون الموجود بحيث لا يسبقه عدم، فإن أضيف إلى العدم الذاتي سمي قدماً ذاتياً، وإن أضيف إلى العدم الزماني سمي قدماً زمانياً؛ وحيث إن الزمان مقدار الحركة والحركة تختص بالأجسام، فإذا لم يكن جسم لم يكن زمان، وكلّ شيء غير جسماني فإنه خارج عن حيطه الزمان البتة فلو وجد شيء مجرد عن المادة كان لا محالة غير محدود بالزمان. وحيث إن الجسم لا ينفك عن الحركة - بناء على القول بالحركة الجوهرية - فكلها فرض جسم كان حادثاً زمانياً. والواجب - تعالى - قديم أزلي ذاتاً بمعنى كون الوجود عين ذاته واستحالة العدم عليه بوجه وزماناً بمعنى كونه خارجاً عن ظروف الزمان ومنزهاً عن مقارنته لا بمعنى كونه مقارناً لزمان غير متناه من جهة البدء. وأما ماسواه فعلى القول بوجود المجرّدات المحضة الموجودات النورية العالية فإنها أيضاً غير مقيدة بالزمان لكتتها لا تشارك الواجب - تعالى - في الأزلية الذاتية. وأما المادة أعني الهوى الأولى فليست من الموجودات المتحصلة، وتحصلها إنما يكون بالصور، ولا شيء من الصور الجسمانية بتدريج لما ذكرنا. نعم، على القول بقدم الصور الفلكية كما يراه بعض الفلاسفة تكون مادتها أيضاً قديمة، لكتتها على كل حال ليست موجودة قبل الأشياء ولا أصلاً أزلياً للكائنات.

٥٩٣ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب السهاء والعالم، ص ٢٧.

أمة الدين

منها: قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ ، وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَوَلَّاحٌ (١٨٨٥) لَائِسِحٌ ، وَأَعْتَدَلَ مَائِلٌ ، وَأَسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا ، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا ، وَأَنْتَظَرْنَا الْغَيْرَ (١٨٨٦) أَنْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرِ . وَإِنَّمَا الْأَيْمَةُ قَوْمٌ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرْفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ ، وَأَسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسْمُ سَلَامَةٍ ، وَجَمَاعٍ (١٨٨٧) كَرَامَةٍ . أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ مَنْ هَجَّهُ ، وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ ، وَبَاطِنِ حِكْمٍ . لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ . فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ (١٨٨٨) ، وَمَصَابِيحُ الظُّلْمِ ، لَا تَفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ . قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ (١٨٨٩) ، وَأَرْعَى مَرَعَاؤَهُ . فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي ، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي .

توضيح: قيل: هذه خطبة خطب بها — عليه السلام — بعد قتل عثمان وانتقال الخلافة إليه ٥٩٤ ، و يمكن أن يكون المراد بطلوع الطالع ظهور أمرته وخلافته — عليه السلام — ، وأن يشير بلموع اللامع إلى ظهورها من حيث هي حق له، وسطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه، وبلوح اللامع إلى الحروب والفتن الواقعة بعد انتقال الأمر إليه. وقيل: المراد بالجميع واحد، فيحتمل أن يكون المراد: طلع ما كان طالعا فإن الخلافة كانت له — عليه السلام — حقيقة أي طلع ظاهرا ما كان طالعا حقيقة كقوله

— عليه السلام — «واعتدل مائل» أي الخلافة كانت مائلة عن مركزها، أو أركان الدين القويم. ولعلّ انتظار الغير كناية عن العلم بوقوعه، أو الرضوي بما قضى الله من ذلك، و المراد بالغير ماجرى قبل ذلك من قتل عثمان و انتقال الأمر إليه — عليه السلام —، أو ماسيأتي من الحروب والوقائع، والأول أنسب.

قوله — عليه السلام — «قوام الله» أي يقومون بمصالحهم، وقيم المنزل هو المدبر له. و«العرفاء» جمع «عريف» وهو القيم بأمر القبيلة والجماعة يلي أمورهم و يتعرف الأمير منه أحوالهم، فعيل بمعنى فاعل. «إلا من عرفهم» أي بالإمامة. و«عرفوه» أي بالتشيع والولاية. ومنكرهم من لم يعرفهم ولم يقرّ بما أتوا به من ضروريات الدين فهو منكر لهم.

قوله — عليه السلام — «لأنه اسم سلامة» أي الإسلام مشتق من السلامة. وقال الجوهري: «جماع الشيء» بالكسر، جمعه، يقال: الخمر جماع الإثم. و«المرابيع» الأمطار التي يجيئ في أول الربيع فيكون سبباً لظهور الكلاء. ويقال: «أحميت المكان» أي جعلته حمى. قال ابن أبي الحديد: «أحماه» أي جعله عرضة لأن يحمى، أي عرض الله — سبحانه — حماه و محارمه لأن يجتنب. و«أرعى مرعاه» لأن يرعى، أي مكّن من الانتفاع بمواعظه لأنه مخاطبنا بلسان عربي مبين^{٥٩٥}. ويمكن أن يقال: المعنى: جعل له حرمت ونهى عن انتهاكها و ارتكاب نواهيه وتعدى حدوده، ورخصاً لأباح للناس التمتع بها. والمراد بقوله — عليه السلام — «أحمى حماه» منع المغتربين من تغيير قواعده، وبقوله «أرعى مرعاه» مكّن المطيعين من طاعته التي هي الأغذية الروحانية للصالحين كما أنّ النبات غذاء للبهائم.^{٥٩٦}

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الثاني من الخطبة:]

بيان: ظاهره أنّ الإسلام مشتق من السلامة، أي من آفات الدنيا و مهالك الآخرة إذا أدى حقه، فليس بمعنى الانقياد والدخول في السلم. و«جماع الشيء»

٥٩٥- شرح النج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٥٦، ط بيروت.

٥٩٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٩٨، ط كمباني و ص ٣٧٣، ط تبريز.

— ككتاب — جمعه، وفي الحديث: «الخير جماع الاثم» أي مظنته ومجمعه. و«المنهج والمنهاج» الطريق الواضح، وحججه الأدلة على صحته وكلمة «من» للتفسير وتفصيل الحجج. وظاهر العلم الأحكام الواضحة المبيّنة للناس من محكمات القرآن وما أتضح من الستة. و«باطن الحكم» الأحكام المخزونة عند أهلها، كتأويل المتشابهات وأسرار الشريعة، وقيل: يعني بظاهر علم، وباطن حكم القرآن؛ ألا تراه كيف أتى بعده بصفات ونعوت لا يكون إلا للقرآن، ولا ريب في اتحاد حجج الاسلام والقرآن، ولا يبعد أن يكون القرآن في جملة كلام حذف السيد — رضي الله عنه — على عادته في الالتقاط والاختصار، وفي بعض النسخ: «عزائمه» مكان «غرائب» أي آياته المحكمة وبراهينه العازمة أي القاطعة، وعدم فناء العزائم أو الغرائب إتمام ثباتها واستقرارها على طول المدة وتغير الأعصار، أو كثرتها عند البحث والتفتيش عنها. وعدم انقضاء العجائب هو أنه كلما تأمل فيه الإنسان استخرج لطائف معجبة. و«المرايع» أمطار أول الربيع تحيي بها الأرض وتثبت الكلاء، وفي بعض النسخ: «بمفاتيحه وبمصايحه» مع الياء وفي بعضها بدونها.

و«حميت المكان من الناس» — كرميت — أي منعتهم منهم، والحماية اسم منه، و«كلاء حمى» — كرضى — أي حمى، و«أحميت المكان» جعلته حمى لا يقرب منه ولا يجتره عليه. و«الرعى» بالكسر، الكلاء وبالفتح، المصدر والمرعى الرعى والمصدر والموضع.

قيل: «أحمى حماه» أي جعله الله عرضة لأن يحمى، كما تقول: «أقتلت الرجل» أي جعلته عرضة لأن يقتل، أي قد عرض الله حمى القرآن ومحارمه لأن يجتنب، وعرض مرعاه لأن يرعى، أي مكن من الانتفاع بمواعظه وزواجه لأنه خاطبنا بلسان عربي مبين ولم يقنع ببيان ما لم يعلم إلا بالشرع حتى تبه في أكثره على أدلة العقل. ٥٩٧
وقيل: استعار لفظ الحمى لحفظه وتدبره والعمل بقوانينه، ووجه الاستعارة أن ذلك يكون حفظ الشخص وحراسته، أما في الدنيا، فن أيدي كثير من الظالمين

لا احترامهم حملة القرآن ومفسريه ومن يتعلّق به، وأما في الآخرة، فلحمايته حفظته وتمدّديه والعامل به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلود به، وقيل: أراد بحماه محارمه، أي منع بنواهيه وزواجره أن يستباح محارمه.

«وأرعى مرعاه» أي هيأه لأن يرعى، واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والآداب التي يشتمل عليها القرآن ووجه المشابهة أنّ هذه مراعي النفوس وغداؤها الذي به يكون نشوها العقلي، وتامها الفعلي كما أن النبات والعشب غذاء للأبدان الحيوانية الذي يقوم بها وجودها. ٥٩٨

وأقول: يحتمل أن يكون المراد به أنه جعل له حدودا وحرمات، ونهى عن انتهاكها وارتكاب نواهيه وتعدي حدوده، ورخصاً لأباح للناس الانتفاع بها والتمتع منها، ويمكن أن يقال: «أحمى حماه» أي منع المغيرين من تغيير قواعده «وأرعى مرعاه» أي مكّن المطيعين من طاعته، وهي الغذاء الروحاني الذي به حياتهم الباقية في النشأة الآخرة. و«المشتفي» طالب الشفاء كالمستشفى كما في بعض النسخ أي فيه شفاء من الأمراض المعنوية كالجهل والضلال كما قال - تعالى - : «شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ» ٥٩٩، أو منها ومن الأمراض البدنية أيضاً بالتعوّد ونحوه كما قال - سبحانه - : «وَوَسَّوْا مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ» ٦٠٠. و«الكفاية» بالكسر، ما به يحصل الاستغناء عن غيره، وهذه الكفاية لأهله، ومن أخذ غوامضه منهم ورجع في تأويل المتشابهات ونحوه إليهم. ٦٠١

١٥٣ - وَتَعْلَمُ أَنَّهَا لَأَنْبِيَاءُ

صفة الضال

٥٩٨- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٢٣٨، ط بيروت.

٥٩٩- يونس: ٥٧.

٦٠٠- الإسراء: ٨٢.

٦٠١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٧٤.

وَهُوَ فِي مُهَلَّةٍ مِنَ اللَّهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ ، وَيَغْدُو مَعَ الْمُدْنِبِينَ ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ .

صفات الغافلين

منها : حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ ، وَأَسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا . وَأَسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ . وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ .

إِنِّي أَحْذَرُكُمْ . وَنَفْسِي . هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ . فَلْيَنْتَفِعْ أَمْرُؤُ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ ، وَأَنْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي ، وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي^(١٨٩٠) ، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقِّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نَطْقٍ . أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ .

عظة الخامس

فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَأَسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ . وَأَخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ . وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ . وَدَعَهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ ؛ وَضَعَفَ فَخْرَكَ ، وَأَحْطَطَ

كَبْرَكَ ، وَأَذْكُرُ قَبْرَكَ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ . وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ ، وَكَمَا
تَزْرَعُ تَحْصُدُ ، وَمَا قَدِمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا . فَأَمِّهْدُ^(١٨٩١) لِقَدَمِكَ .
وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ . فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ ! وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ !
« وَلَا يُنْبِثُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » .

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذُّكْرِ الْحَكِيمِ ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ .
وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ . أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ . وَأَخْلَصَ
فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا . لِأَقْبَابِ رَبِّهِ بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ
يَتَّبِعْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا أَفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ . أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ
بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يَعْرِ^(١٨٩٢) بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرَهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ^(١٨٩٣) حَاجَةً
إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ . أَوْ يَمْشِي
فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . أَعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ .

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا ، وَإِنَّ السُّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا ،
وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا ، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ
مُسْتَكِينُونَ^(١٨٩٤) . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ .

— ١٥٤ — **مِنْ خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ**

يذكر فيها فضائل أهل البيت

وَنَاطِرُ قَلْبٍ ^(١٨٩٥) اللَّيْبِ بِهِ يُبْصِرُ أَهْدَهُ ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ ^(١٨٩٦)
 وَنَجْدَهُ ^(١٨٩٧) . دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي . زَاتَّبِعُوا
 الرَّاعِي .

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ . وَأَرَزَّ ^(١٨٩٨)
 الْمُؤْمِنُونَ ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ . نَحْنُ الشُّعَارُ ^(١٨٩٩) وَالْأَصْحَابُ ،
 وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ، وَلَا تُؤْتِي الْبُيُوتَ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ
 غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا .

قال عبد الحميد بن أبي الحديد ^{٤٠٢} : أي خزنة العلم و أبوابه ، قال رسول الله
 — صلى الله عليه وآله — : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، ومن أراد الحكمة فليأت الباب .
 وقال — صلى الله عليه وآله — فيه — عليه السلام — : خازن علمي . وتارة أخرى : عيبة
 علمي . ٤٠٣ .

منها : فِيهِمْ كَرَائِمٌ ^(١٩٠٠) الْقُرْآنِ ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ . إِنْ
 نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّقُوا . فَلْيَصْدُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ ، وَلْيُخْضِرْ
 عَقْلَهُ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِيمٌ ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ .
 فَالْناظِرُ بِالْقَلْبِ ، الْعَامِلُ بِالْبَصْرِ ، يَكُونُ مُبْتَدَأَ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ : أَعْمَلُهُ

٦٠٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٦٥، ط بيروت.

٦٠٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤٠، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ٢٠٤.

عَلَيْهِ أَمْ لَهُ ! فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ . فَإِنَّ
الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ . فَلَا يَزِيدُهُ بَعْدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ
الْوَاضِحِ إِلَّا بَعْدَ مِنْ حَاجَتِهِ . وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ
الْوَاضِحِ . فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ : أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ !

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ ،
وَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ - : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ
وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ » .

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ ، وَالْمِيَاهُ
مُخْتَلِفَةٌ ، فَمَا طَابَ سَقِيُّهُ ، طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَّتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبِثَ
سَقِيُّهُ ، خَبِثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ .

بيان: لعل المراد بالظاهر و الباطن ما يظهر من الانسان من أعماله، وما هو
باطن من نيّاته و عقائده، فقلوه - عليه السلام - : «وقد قال» كالاستثناء من
المقدمتين والحاصل أنّ الغالب مطابقة الظاهر للباطن، وقد يتخلف ذلك كما يدلّ عليه
الخبر ويحتمل أن يكون المعنى أنّ ما يظهر من أفعال المرء وأفعاله في آخر عمره يدلّ على ما
كان كامناً في النفس من النيات الحسنة والعقائد الحقّة والطينات الطيبة أو النيات
الفاصلة والعقائد الرديّة والطينات الخبيثة، فيكون الخبر دليلاً على ذلك، فإنّ من يكون
في بدو حاله فاجراً ويختم له بالحسنى، إنّما يحبّه الله لما يعلم من حسن سريره الذي يدلّ
عليه خاتمة عمله، ومن كان بعكس ذلك يبغضه لما يعلم من سوء سريره، وهذان
الوجهان متى خطر بالبال وربّما يؤيد الثاني ما ذكره بعده كما لا يخفى بعد التأمل.

وقال ابن أبي الحديد: هو مشتق من قوله - تعالى - : «وَالْبَلَدُ الْقَلْبُ يَخْرُجُ تِبْأُتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ»^{٦٠٤}. والمعنى أن لكلي حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطنياً يناسبها من أحواله، والحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل، وميله إلى الهوى، فالمتبع لعقله يرزق السعادة والفوز، فهذا هو الذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة والعطب، وهذا هو الذي خبث ظاهره وخبث باطنه.^{٦٠٥}

ومنهم من حمل الظاهر على حسن الصورة والهيئة وقبحهما، وقال: هما يدلان على قبح الباطن وحسنه، وحمل حبّ العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع قبح الصورة ولا يخفى بعد الوجهين على الخبير.^{٦٠٦}

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة:]

توضيح: قال الجوهري: الناظر من المقلة السواد الأصغر الذي فيه إنسان العين، أي إن قلب اللبيب له عين يبصرها غاية التي تجرى إليها، ويعرف من أحواله المستقبلية ما كان مرتفعاً شريفاً، أو منخفضاً ساقطاً. و«النجد» المرتفع من الأرض. ولعل المراد بالداعي الرسول - صلى الله عليه وآله -، وبالراعي نفسه - عليه السلام - . قوله - عليه السلام - «قد خاضوا» كلام منقطع عما قبله ومتصل بكلام أسقطه السيد - رضي الله عنه - تقيّة للتصريح بذمّ الخلفاء الثلاثة فيه. و«أرز» بالفتح والكسر، انقبض. و«المؤمنون» هو - عليه السلام - وشيعته. والفضالون خلفاء الجور وأتباعهم.

وقال ابن أبي الحديد في قوله - عليه السلام - و«الخزنة والأبواب» أي خزنة العلم وأبوابه، أو خزنة الجنة وأبوابها، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ومن أراد الحكمة فليأت الباب»؛ وقال فيه: خازن علمي وبتارة أخرى: عيبة علمي. وقال - صلى الله عليه وآله - في الخبر المستفيض: إنه قسيم الجنة والنار، يقول للنار هذا لي فدعيه، وهذا لك فخذيه. ثم ذكر أربعة وعشرين حديثاً من

٦٠٤ - الأعراف: ٥٨.

٦٠٥ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ١٧٨ - ١٧٩، ط بيروت.

٦٠٦ - بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٧١، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣٦٧.

فضائله — صلوات الله عليه — من طرق المخالفين.

قوله — عليه السلام — «فيهم كرائم القرآن» ضمير الجمع إلى آل محمد — عليهم السلام — الذين عناهم — عليه السلام — بقوله «نحن الشعار» والمراد بكرائم القرآن مدائحهم التي ذكرها الله فيه، أو علومه المخزونة عندهم. و«هم كنوز الرحمن» أي خزائن علومه وحكمه وقربه. قوله — عليه السلام — «لم يسبقوا» أي ليس صستهم عن عبي وعجز حتى يسبقهم أحد، بل لمحض الحكمة. قوله — عليه السلام — «فليصدق رائد أهله» يحتمل أن يكون المراد بالرائد الإنسان نفسه فإنه كالرائد لنفسه في الدنيا يطلب فيه لآخرته ماء ومرعى، أي لينصح نفسه ولا يغشها بالتسويق والتعليل، أو المعنى: ليصدق كل منكم أهله وعشيرته ومن يعينه أمره، وليبلغهم ما عرف من فضلنا وعلو درجاتنا. قوله — عليه السلام — «فإنه منها قدم» لخلق روحه قبل بدنه من عالم الملكوت، أو لخروج أبيهم من الجنة، وقيل: الآخرة الحضرة الإلهية التي منها مبدأ الخلق وإليها معادهم. «فالناظر بالقلب» أي من لا يقتصر في نظره على ظواهر الأمور. «العامل بالبصر» أي من يعمل بما يبصر بعين بصيرة، أي إذا علم الحق لا يتعداه، ويروى: «العالم بالبصر» أي من كان إبطاره سبباً لعلمه.

قوله — عليه السلام — «واعلم أن لكل ظاهر باطناً» أقول: قد يتوهم التنافي بين هاتين الكلمتين وبين الخبر المروي ظاهراً، ويخطر بالبال دفعه بوجوه:

الأول: أن يكون الخبر في قوة الاستثناء لبيان أن المقدمتين ليستا كليتين بل هما لبيان الغالب وقد يتخلف كما ورد في الخبر.

الثاني: أن يكون الخبر استهاداً للمقدمتين، وبيانه أن للعمل ظاهراً وباطناً، وللشخص ظاهراً وباطناً، فظاهر الشخص مطابق لباطنه، ولذا يحب الله ظاهر الشخص لما يعلم من حسن باطنه وعاقبته، ويغض ظاهر الشخص إذا علم سوء باطنه ورداءة عاقبته.

الثالث: أن يكون المراد أنه لا يمكن أن لا يظهر سوء الباطن من الأخلاق الرديئة والاعتقادات الباطلة والطينات الفاسدة وإن كان في آخر العمر، ولا حسن الباطن من الأخلاق الحسنة والاعتقادات الحقة والطينات الطيبة، فالذي يحبه الله ويغض عمله

ينقلب حاله في آخر العمر و يظهر منه حسن العقائد والأعمال وكذا العكس، فظهر أن حسن الباطن والظاهر مطابقتان، وكذا سوءهما. ولعل ما يذكر بعده يؤيد هذا الوجه في الجملة.

الرابع: ما ذكره ابن أبي الحديد حيث قال: هو مشتق من قوله — تعالى — «وَأَبْلُدُ الْقَلْبِ بَخْرُجُ تَبَائِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ»، والمعنى أن لكلي حالتي الإنسان الظاهرة أمراً باطناً يناسبها من أحواله، والحالتان الظاهرتان ميله إلى العقل وميله إلى الهوى، فالمتبع لعقله يرزق السعادة والفوز، فهذا هو الذي طاب ظاهره وطاب باطنه، والمتبع لمقتضى هواه يرزق الشقاوة والعطب، وهذا هو الذي خبث ظاهره وخبث باطنه.

الخامس: ما قيل: المراد بطيب الظاهر حسن الصورة والهيئة، وبخبثه قبحها. وقال: هما بدلان على حسن الباطن وقبحه. وحمل خبث العبد مع قبح الفعل على ما إذا كان مع حسن الصورة، والآخر على ما إذا كان مع قبح الصورة، ولا يخفى بعده. والأول أظهر الوجوه.

«أمرت» أي صارت أمراً.

١٥٥ — وَمِنْ خُطَبِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

يذكر فيها بديع حلقة الخفاش

حمد الله ونزهه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَرَتْ^(١٦٠) الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ ، وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ !

هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ ، أَحَقُّ وَأَبِينُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ

بِتَحْدِيدِ فَيَكُونُ مُشَبَّهًا ، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونُ مُمَثَّلًا .
 خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثِيلٍ ، وَلَا مَشُورَةَ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةَ مُعِينٍ ،
 فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ لِبَطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَأَنْقَادًا
 وَلَمْ يُنَازِعْ .

ملحة المعاش

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ ، وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ
 الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِشِ الَّتِي يَفْضُضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ ،
 وَيَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَكَيْفَ عَشِيَّتِ^(١٩٠٢) أَعْيُنُهَا عَنْ
 أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورَ الْهَتْدِيِّ بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلُ
 بِعَلَانِيَةٍ بِرُهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا . وَرَدَّعَهَا بِتَلَالُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ
 فِي سُبْحَاتِ^(١٩٠٣) إِشْرَاقِهَا ، وَأَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلُجِ
 انْتِلَاقِهَا^(١٩٠٤) ، فَهِيَ مُسَدَّلَةٌ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا ، وَجَاعِلَةٌ اللَّيْلِ
 سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي التِّمَاسِ أَرْزَاقِهَا ، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافِ^(١٩٠٥)
 ظُلْمَتِهِ ، وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ^(١٩٠٦) . فَإِذَا أَلْقَتْ
 الشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ^(١٩٠٧) نَهَارِهَا ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا
 عَلَى الضُّبَابِ فِي وَجَارِهَا^(١٩٠٨) ، أَطْبَقَتْ الْأَجْفَانَ عَلَى مَا قِيَهَا^(١٩٠٩) ،
 وَتَبَلَّغَتْ^(١٩١٠) بِمَا أَكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلْمِ لَيَالِيهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ

جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً ، وَالنَّهَارَ سَكْنًا وَقَرَاراً ! وَجَعَلَ لَهَا أُجْنِحَةً
 مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيْرَانِ ، كَأَنَّهَا شَطَابَا الْأَذَانِ ^(١٩١١) ،
 غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ ^(١٩١٢) ، إِلَّا أَنْكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيْنَهُ
 أَغْلَامًا ^(١٩١٣) . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقًا فَيَنْشَقُّمَا ، وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا . تَطِيرُ
 وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لِأَجِيءِ إِلَيْهَا ، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا أَرْتَفَعَتْ ،
 لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ ، وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ ، وَيَعْرِفُ
 مَذَاهِبَ عَيْشِهِ ، وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ . فُسُبْحَانَ الْبَارِيءِ لِكُلِّ شَيْءٍ ، عَلَى
 غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ^(١٩١٤) !



تبيان: «النفاش» - كرمات - معروف؛ و«حسر حسوراً» - كقعد - كل
 لطول مدى ونحوه، و«حسرتة أنا» يتعدى ولا يتعدى، و«انحسرت» أي كذت وأعبت.
 و«كنه الشيء» حقيقته ونهايته. و«ردعت» - كمنعت - لفظاً ومعناً. و«المساغ»
 المسلك. و«المللكوت» العز والسلطان. و«الحق» المتحقق وجوده، أو الموجود حقيقة.
 و«أبين» أي أوضح، وكونه - سبحانه - أحق وأبين مما ترى العيون، لأن العلم
 بوجوده - سبحانه - عقلي يقيني لا يتطرق إليه ما يتطرق إلى المحسوسات من الغلط.
 و«الحدة» في اللغة، المنع والحاجز بين الشيئين ونهاية الشيء وطرفه، وفي عرف المنطقيين،
 التعريف بالذاتي، والمراد بالتحديد هنا إما إثبات النهاية والطرف المستلزم للمشابهة
 بالأجسام، أو التحديد المنطقي والأول أنسب بعرفهم. و«التقدير» إثبات المقدار
 وكأن المراد بالتمثيل إيجاد الخلق على حذو ما قد خلقه غيره، أو أنه لم يجعل خلقه مثلاً
 قبل الإيجاد كما يفعله البتاء تصويراً لما يريد بناءه. و«المشورة» مفعلة من «أشار إليه
 بكذا» أي أمره به، و«المشورة» بضم الشين - كما في بعض النسخ - والشورى بمعناه.
 و«المعونة» الاسم من «أعانه وعونه». «فتم خلقه» أي بلغ كل مخلوق إلى كماله الذي

أراد الله - سبحانه - منه، أو خرج جميع ما أراد من العدم إلى الوجود بمجرد أمره، و«أذعن» أي خضع وأقر وأسرع في الطاعة وانقاد، والجملتان كالتفسير للاذعان، ولعل المراد بالاذعان دخوله تحت القدرة الإلهية وعدم الاستطاعة للامتناع.

وقوله - عليه السلام - «لم يدافع» بيان للاجابة، كما أن «لم ينازع» بيان للانقياد، وإلا لكان العكس أنسب، ويحتمل أن يكون إشارة إلى تسيبهم بلسان الحال كقوله - تعالى - : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»^{١٠٨}، كما مر. و«اللطف» جمع «لطيفة»، وهي ما صغر ودق. و«العجائب» جمع «عجبية وعجيب» قيل: يجمع على «عجائب» كأفيل وأفيل، وقيل: لا يجمع عجيب ولا عجب. و«الغامض» خلاف الواضح وكل شيء خفي مأخذه. وقال بعضهم: حاصل الكلام، التعجب من مخالفتها لجميع الحيوانات في الانقباض عن الضوء والإشارة إلى خفاء العلة في ذلك، والمراد بالانقباض انقباض أعينها في الضوء، ويكون ذلك عن إفراط التحلل في الروح النوري لحرّ النهار، ثم يستدرك ذلك ببرد الليل فيعود الإبصار.

وقيل: الأظهر أنه ليس مجرد الحرّ والألزم أن لا يعرضه الانقباض في الشتاء إلا إذا ظهرت الحرارة في الهواء، وفي الصيف أيضاً في أوائل النهار، بل ذلك لضعف في قوتها الباصرة، ونوع من التضاد والتنافر بينها وبين النور كالعجز العارض لسائر القوى البصرة عن النظر إلى جرم الشمس؛ وأما أن علة التنافر ماذا؟ ففيه خفاء، وهو منشأ التعجب الذي يشير إليه الكلام، ويمكن أن يعود الضمير إليها من غير تقدير مضاف، ويكون المراد بانقباضها ما هو منشأ اختفائها نهاراً وإن كان ذلك ناشئاً من جهة الإبصار. و«العشى» بالفتح مقصوراً، سوء البصر بالنهار أو بالليل والنهار أو العمى، والمعنى كيف عجزت وعميت عن أن تستمد؟ أي تستعين وتتقوى، تقول: «أمددته بمدد» إذا أعنته وقويته. و«مذاهبها» طرق معاشها ومسالكها في سيرها وانتفاعها، و«تصل» بالنصب عطفاً على «تستمد» وفي بعض النسخ بالرفع عطفاً على «تهدي»؛ وفي بعضها: «وتتصل» و«الاتصال إلى الشيء» الوصول إليه.

و«البرهان» الدليل، و«معارفها» ما تعرفه من طرق انتفاعها. و«ردعها» أي كَفَّها وردَّها، و«تلاؤ البرق» أي لمع، و«السبحات» بضمتين جمع «سبحة» بالضم وهي النور، وقيل: «سبحات الوجه» محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان الله، وقيل: «سبحان الله» تنزيه له، أي سبحان وجهه. و«الكن» بالكسر، السترو «أكته» ستره، و«استكن» استتر، و«كمن» — كنصر ومنع — أي استخفي، و«المكن» الموضع، و«البلج» بالتحريك، مصدر «بلج» — كتعب — أي ظهر ووضع، و«صبح أبلج بين البلج» أي مشرق ومضيء، ذكره الجوهري، وقيل: «البلج» جمع «بلجة» بالضم، وهو أول ضوء الصبح، وجاء «بلجة» أيضاً بالفتح ولم أجده في كلامهم؛ و«الائتلاق» اللسان، يقال: «ائتلق وتأتق» إذا التمع. و«سدل ثوبه يسدله وأسده» أي أرسله وأرجاه، و«الجفن» بالفتح، غطاء العين من أعلاها وأسفلها، والجمع «أجفان وجفون وأجفن». و«الحدقة» محرّكة، سواد العين، وتجمع على «جداق» كما في بعض النسخ، وعلى «أحداق» كما في بعضها، وإسدال جفونها لانقباضها وتأثر حاستها عن الضياء، وقيل: لأن تحلل الروح الحامل للقوة الباصرة سبب للنوم أيضاً فيكون ذلك الاسدال ضرباً من النوم. و«الالتماس» الطلب. و«أسدف الليل» أي أظلم، وفي بعض النسخ: «أسداف» بفتح الهمزة جمع «سدف» بالتحريك كجمل وأجمال وهو الظلمة، والإضافة للمبالغة، والصمير في «فيه» راجع إلى الليل. و«الفسق» بالتحريك، ظلمة أول الليل، و«الدجّة» بضم الدال المهملة والجيم وتشديد النون كحزقة والدجن كعتل، الظلمة؛ وحاصل الكلام التعجب من كون حالها في الابصار والتماس الرزق على عكس سائر الحيوانات. و«قناع الشمس» كناية عن الظلمة أو ما يجلبها من الآفاق، و«إلقاء القناع» طلوعها. و«الوضح» بالتحريك، البياض من كل شيء وبياض الصبح والقمر؛ وفي بعض النسخ: «دخل من إشراق نورها» أي دخل الشيء من إشراق نورها.

و«الضباب» بالكسر، جمع «الضب» الدابة المعروفة، و«وجارها» بالكسر، جحرها الذي تأوي إليه، ومن عاداتها الخروج من وجارها عند طلوع الشمس لمواجهة

النور على عكس الخفافيش، و«مأقيا» بفتح الميم وسكون الهمزة وكسر القاف وسكون الياء — كما في أكثر النسخ —، لغة في «المؤق» بضم الميم وسكون الهمزة، أي طرف عينها ممّا يلي الأنف، وهو مجرى الدمع من العين، وقيل: مؤخرها، وقال الأزهري: أجمع أهل اللغة أنّ «المؤق والمأق» بالضم والفتح، طرف العين الذي يلي الأنف، وأنّ الذي يلي الصدغ يقال له: اللحاظ، و«المأقي» لغة فيه؛ وقال ابن القطاع: «مأق العين» فعلى، وقد غلط فيه جماعة من العلماء فقالوا: هو مفعول، وليس كذلك بل الياء في آخره للالحاق، قال الجوهري: وليس هو مفعول لأنّ الميم أصلية وإنما زيدت في آخره الياء للالحاق، ولما كان فعلى بكسر اللام نادراً لا أخت لها ألحق بمفعول، ولهذا جمع على «مأقي» على التوهم؛ وفي بعض النسخ: «مأقيا» على صيغة الجمع. و«تبلغ بكذا» أي اكتفى. و«المعاش» ما يعاش به وما يعاش فيه، ومصدر بمعنى الحياة والمناسب ههنا الأول، وفيما سيجيء الثاني؛ وفي بعض النسخ: «ليلها» موضع «ليالها».

و«السكن» بالتحريك، ما تسكن إليه النفس وتطمئن. و«قر الشيء» — كقرّ أي استقرّ بالمكان والاسم «القرار» بالفتح، وقيل: هو اسم مصدر^{٦٠٩}.

و«الشظية» الفلقة من الشيء، فعيلة من قولك «تشظت العصا» إذا صارت فلقاً، والجمع «شظايا». و«القصب» الذي في أسفل الريش للطيور.

و«الأعلام» جمع «علم» بالتحريك، وهو طراز الثوب ورسم الشيء ورقه و«أعلاماً» في المعنى كالتأكيد لبيّنة، وكلمة «ها» غير موجودة في بعض النسخ، فيكون قوله «جناحان» خبر مبتدأ محذوف، أي جناحاه لم يجعل رقيقين بالغين في الرقة ولا في الغلظ حذراً من الانشقاق والثقل المانع من الطيران. و«لجأ إلى الشيء» أي لاذ واعتصم به، ووقوع الطير ضد ارتفاعه. و«أركان كل شيء» جوانبه التي يستند إليها ويقوم بها. و«النهوض» التحرك بالقيام، و«نهض الطائر» إذا بسط جناحه ليطن، و«العيش» الحياة، و«مصالح الشيء» ما فيه صلاحه ضد الفساد. و«البارئ» الخالق، و«مثال الشيء» شبهه، و«خلا» أي مضى وسبق، أي لم يخلق الأشياء على

حذو خالق سبقه، بل ابتدعها على مقتضى الحكمة والمصلحة.

قال الدميري: «الحفّاش» بضم الحاء وتشديد الفاء، واحد «الحفّافيش» التي تطير في الليل وهو غريب الشكل وانوصف، و«الحفّش» صغر العين وضيق البصر، و«الأحفش» صغر العين ضعيف البصر، وقيل: هو عكس الأعشى، وقيل: هو من يبصر في الغيم دون الصحو، وقال الجوهري: هو نوعان: فـ «الأعشى» من يبصر نهاراً لاليلاً و«العمش» ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات، والعور معروف.

قال البطليوسي: الحفّاش له أربعة أسماء: حفّاش و خشّاف وخطّاف ووطواط. وتسميته حفّاشاً يحتمل أن يكون مأخوذاً من الحفّش، والأحفش في اللغة نوعان: ضعيف البصر خلقة، والثاني لعلّة حدثت، وهو الذي يبصر بالليل دون النهار وفي يوم الغيم دون الصحو.

وما ذكره من أن الحفّاش هو الخطّاف فيه نظر، والحقّ أنه صنفان. ٦١٠

وقال قوم: الحفّاش الصغير، والوطواط الكبير، وهو لا يبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار، ولما كان لا يبصر نهاراً التمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قريب غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض، فإن البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان، والحفّاش يطلب الطعام ٦١١ فيقع طالب رزق على طالب رزق، والحفّاش ليس هو من الطير في شيء لأنه ذواتين وأسنان وخصيتين ٦١٢ ويبيض ويظهر ويضحك كما يضحك الإنسان ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده ولا ريش له.

قال بعض المفسرين: لما كان الحفّاش هو الذي خلقه عيسى بن مريم — عليه السلام — باذن الله — تعالى —، كان مبايناً لصنعة الله — تعالى — ولهذا جميع الطير تقهره وتبغضه، فما كان منها يأكل اللحم أكله وما لا يأكل اللحم قتله، فلذلك لا يطير إلا ليلاً.

٦١٠- في المصدر: صنفان وهو الوطواط.

٦١١- في المصدر: والحفّاش يخرج طالباً للطعم.

٦١٢- في المصدر: وخصيتين ومنقار.

وقيل: لم يخلق عيسى - عليه السلام - غيره لأنه أكمل الطير خلقاً وهو أبلغ في القدرة لأن له ثدياً وأمتاناً وأذناً^{٦١٣}؛ وقيل: إننا طلبوا خلق الحفّاش لأنه من أعجب الطير^{٦١٤} إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش وهو شديد الطيران سريع القلب يقف بالبعوض والذباب وبعض الفواكه، وهو مع ذلك موصف بطول العمر، فيقال: إنه أطول عمراً من النسر ومن حمار الوحش، وتلدأ نثاء ما بين ثلاثة أفرّاح وسبعة، وكثيراً ما يسفدو هو طائر في الهواء، وليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره والقرود الانسان، ويعمله تحت جناحه، وربّما قبض عليه بفيه وهو من حنوّه عليه وإشفاقه عليه، وربّما أرضعت الأثني ولدها وهي طائفة، وفي طبعه أنه متى أصابه ورق الدلب حذرو لم يطر؛ ويوصف بالحمق، ومن ذلك إذا قيل له: «اطرق كرا» التصق بالأرض.^{٦١٥}

١٥٦ - وَمِنْ كَلِمَاتِ الْعِلْمِ

خاطب به أهل البصرة على جهة التصاوص الملاحم

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ،
فَلْيَفْعَلْ . فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ ،
وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ .

وَأَمَّا فَلَانَةٌ فَأَذْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلٍ^(١٩١٥)
الْقَيْنِ^(١٩١٦) ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ ، لَمْ تَفْعَلْ . وَلَهَا

٦١٣- في المصدر مع زيادة هي: ونحوض كما نحوض المرأة.

٦١٤- في المصدر: من أعجب الطير خلقة.

٦١٥- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٤، كتاب السماء والعالم، ص ٣٢٤ - ٣٢٩.

بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى ، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وصف للايمان

منه : سَبِيلٌ أْبْلَجُ الْمِنْهَاجِ ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ . فَبِالْإِيْمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيْمَانِ ، وَبِالْإِيْمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ ، وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا ، وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ ، وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ ، « وَتُبْرَزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ » . وَإِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ^(١٩١٧) لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ ، مُرْقِلِينَ^(١٩١٨) فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُضْوَى .

تبيين: «بلج الصبح» أي أضواء وأشرق، و«المنهاج» الطريق، والظاهر أن الكلام في وصف الدين، و«مناهجه» قوانينه، و«سراج الأنور» الرسول الهادي إليه وأوصياؤه—صلوات الله عليهم—.

قال بعض شراح النهج: يريد بالايان أولاً مسماه اللغوي وهو التصديق، قال الله تعالى—: «وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَتَزُكُّنَا صَادِقِينَ»^{٦٦} أي بمصدق، وثانياً بمعناه الشرعي، أي التصديق والاقرار والعمل، أي من حصل عنده التصديق بالوحدانية والرسالة، استدل بها على وجوب الأعمال الصالحة عليه، أو ندبه إليها، وبأعماله الصالحة يعلم إيمانه، وهذا فر من الدور.^{٦٧}

وقال بعضهم: الصالحات معلولات للايمان وثمرات له، فيستدل بوجوده في

٦٦٦- يوسف: ١٧.

٦٦٧- بل الصحيح أن الاستدلال ليس بمعناه المصطلح عليه عند الفلاسفة والمتكلمين، بل هو بمعناه اللغوي وهو الاستدعاء، والمراد أن الايمان يهدي إلى عمل الصالحات فيمن آمن ولم يكن يعمل الصالحات، كما أن الصالحات تهدي إلى الايمان بالله فيمن يعمل الصالحات ولم يكن ليؤمن بالله، كما سيبيح، احتمالاً فيما بعد.

قلب العبد على ملازمته للصالحات استدلالاً بالعلّة على المعلول وبصدورها عن العبد على وجوده في القلب استدلالاً بالمعلول على العلة.

وعلى هذا الوجه يكون الايمان في الموضوعين بالمعنى اللغوي، وحينئذ يمكن أن يكون المعنى: يستدلّ بالايمان على الصالحات، أو يكون الايمان دليلاً للانسان نفسه، وقائداً يؤذيه إلى فعل الصالحات، وبأعماله الصالحة يعلم غيره أنه من المؤمنين، فلا استدلال في الموضوعين ليس بمعنى واحد.

ويمكن أن يراد بالثاني أنّ مشاهدة الأعمال الصالحة يؤدي من يشاهدها إلى

الايمان.

ويحتمل أن يكون المراد أنّ الايمان يهدي إلى صالح الأعمال، والأعمال الصالحة تورث كمال الايمان، أو الايمان يقود الانسان إلى الأعمال الصالحة والأعمال الصالحة الناشئة من حسن السريرة وخلوص النية تورث توفيق الكافر للايمان.

أو يستدلّ بايمان الرجل إذا علم على حسن عمله، ويقدر أعماله على قدر إيمانه وكماله، أو يستدلّ بكلّ منها إذا علم على الآخر، وهذا قريب من الثاني والغرض بيان شدة الارتباط والتلازم بينهما.

«وبالايمان يعمر العلم» فإنّ العلم الخالي من الايمان كالحراب لا ينتفع به؛

وقيل: لأنّ حسن العمل من أجزاء الايمان، والعلم بلا عمل كالحراب لا فائدة فيه.

«وبالعلم يرهب الموت» أي يخشى عقاب الله بعد الموت كما قال الله

— تعالى —: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^{٦١٨}.

«وبالموت تحتم الدنيا» والموت لا مهرب منه، فلا بدّ من القطع بانقطاع الدنيا،

ولا ينبغي للعاقل أن تكون همته مقصورة عليها.

«وبالدنيا تحرز الآخرة» أي تحازو وتجمع سعاداتها، فإنّ الدنيا مضمرة الآخرة

ومحلّ الاستعداد واكتساب الزاد ليوم المعاد، أو المراد بالدنيا الأموال ونحوها، أي يمكن

للانسان أن يصرف ما أعطاه الله من المال ونحوه على وجه يكتسب به الآخرة. و«الزلفة

والزُّلْفَى « بالضمّ فيها، القرية. و«أبرزه الشيء إبرازاً وبرزه تبريزاً» أي أظهره وكشفه. و«الغاوي» العامل بما يوجب الخيبة أي بالقيامه أو فيها يقرب الجنة للمتقين ليدخلوها أو ليستبشروا بها، ويكشف الغطاء عن الجحيم للضالّين كما قال — سبحانه — : «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ»^{٦١٩}. قيل: وفي اختلاف الفعلين دلالة على غلبة الوعد. و«القصر» بالفتح، الغاية، كالقصرى بالضمّ، و«قصرت الشيء» حبسته و«قصرت فلاناً على كذا» رددته على شيء دون ما أراد. كذا في العين: أي لا محبس للخلق أو لا غاية لهم دون القيامة أو لا مردّ لهم عنها. و«أرقل» أي أسرع، و«المضمار» موضع تضمير الفرس ومدته، وهو أن تعلقه حتى يسمن، ثم تردّه إلى القوت، وفسر المضمار بالميدان وهو أنسب بالمقام.^{٦٢٠}

حال أهل القبور في القيامة

منه : قَدْ شَخَّصُوا^(١٩١٩) مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ^(١٩٢٠) ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ^(١٩٢١) . لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا لَا يَسْتَبَدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا .

وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ . وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ ، « فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ » ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ، وَالرِّيُّ النَّافِعُ^(١٩٢٢) ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَعْوَجُ

٦١٩- الشعراء: ٩٠ - ٩١.

٦٢٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الايمان والكفر، ص ٦٧ - ٦٩.

فِيُقَامَ ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ (١٩٢٣) ، « وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ » (١٩٢٤) ، وَوُلُوجُ
السَّمْعِ (١٩٢٥) . « مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ » .

عد: اعتقادنا في البعث بعد الموت أنه حق.

وقال النبي - صلى الله عليه وآله - يا بني عبدالمطلب إنَّ الرائد^{٦٢١} لا يكذب
أهله، والذي بعثني بالحق لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت
دار الأجنة أو نار، وخلق جميع الخلق وبعثهم على الله - عز وجل - كخلق نفس واحدة
وبعثها؛ قال الله - تعالى - « مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا نَبْعُثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ »^{٦٢٢} .

تذنيب: اعلم أن القول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع الملتين وهو من
ضروريات الدين ومنكره خارج عن عداد المسلمين، والآيات الكريمة في ذلك ناصة
لا يعقل تأويلها، والأخبار فيه متواترة لا يمكن ردها ولا الطعن فيها؛ وقد نفاه أكثر ملاحدة
الفلاسفة تمسكاً بامتناع إعادة المعدوم ولم يقيموا دليلاً عليه، بل تمسكوا تارة بادعاء
البداهة وأخرى بشبهات واهية لا يحق صحتها على من نظرها بعين البصيرة واليقين وترك
تقليد الملحد من المتفلسفين.

قال الرازي في كتاب نهاية العقول: قد عرفت أن من الناس من أثبت النفس
الناطقة فلا جرم اختلف أقوال أهل العالم في أمر المعاد على وجوه أربعة: أحدها قول
من قال: إنَّ المعاد ليس إلا للنفس، وهذا مذهب الجمهور من الفلاسفة؛ وثانيها: قول
من قال: المعاد ليس إلا لهذا البدن، وهذا قول نفاة النفس الناطقة وهم أكثر أهل
الإسلام؛ وثالثها: قول من أثبت المعاد للأمرين وهم طائفة كثيرة من المسلمين مع أكثر
النصارى؛ ورابعها: قول من نفي المعاد عن الأمرين، ولا أعرف عاقلاً ذهب إليه. بلى،
كان جالينوس من المتوقفين في أمر المعاد.

وغرضنا إثبات المعاد البدني، وللناس فيه قولان: أحدهما أن الله - تعالى -

٦٢١- «الرائد» هو الذي يرسله القوم لطلب الماء والكلاء لهم.

٦٢٢- لقمان: ٢٨.

يعدم أجزاء الخلق ثم يعيدها، وثانيها أنه - تعالى - يمتهم ويفرق أجزاءهم، ثم إنه - تعالى - يجمعها ويرد الحياة إليها؛ ثم قال: والدليل على جواز الإعادة في الجملة أنا قد دللنا فيما مضى أن الله - تعالى - قادر على كلِّ الممكنات، عالم بكلِّ المعلومات من الجزئيات والكلِّيات، والعلم بهذه الأصول لا يتوقف على العلم بصحة المعاد البدني، وإذا كان كذلك أمكن الاستدلال بالسمع على صحة المعاد، لكننا نعلم باضطراب إجماع الأنبياء - صلوات الله عليهم - من أولهم إلى آخرهم على إثبات المعاد البدني فوجب القطع بوجود هذا المعاد.

وقال العلامة - رحمه الله - في شرح الياقوت: اتفق المسلمون على إعادة الأجساد خلافاً للفلاسفة. واعلم أن الإعادة تقال بمعنيين: أحدهما جمع الأجزاء وتأليفها بعد تفرقتها وانفصالها، والثاني إيجادها بعد إعدامها، وأما الثاني فقد اختلف الناس فيه واختار المصنف جوازه أيضاً.

وقال العلامة الدواني في شرحه على العقائد العضدية: والمعاد - أي الجسماني - فإنه المتبادر عن إطلاق أهل الشرع، إذ هو الذي يجب الاعتقاد به، ويكفر من أنكره - حق - بإجماع أهل الملل الثلاثة وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة، بحيث لا يقبل التأويل كقوله - تعالى - «أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ...» إلى قوله: «بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ»^{٦٢٣}. قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بن خلف حاصم رسول الله - صلى الله عليه وآله - وأتاه بعظم قدم وبلي ففتنه بيده وقال: يا محمد! أترى الله يحيي هذه بعد مارم؟ فقال - صلى الله عليه وآله - نعم وبيعتك ويدخلك النار.

وهذا مما يقلع عرق التأويل بالكلية، ولذلك قال الإمام: الإنصاف أنه لا يمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبي - صلى الله عليه وآله - وبين إنكار الحشر الجسماني. قلت: ولا الجمع بين القول بقدم العالم على ما يقوله الفلاسفة وبين الحشر الجسماني لأن النفوس الناطقة على هذا التقدير غير متناهية فيستدعي حشرها جميعاً أبداناً غير متناهية، وأمكنة غير متناهية وقد ثبت تناهي الأبعاد بالبرهان وباعترافهم؛

يحشر الأجساد ويعاد فيها الأرواح بإعادة البدن المعدم بعينه عند المتكلمين بل أكثرهم، وبأن تجمع أجزاؤه المتفرقة كما كانت أولاً عند بعضهم، وهم الذين ينكرون جواز إعادة المعدم موافقة للفلاسفة، وإذا استحال إعادة المعدم تعين الوجه الثاني وهو أن يكون بجمع الأجزاء المتفرقة وتأليفها كما كانت أولاً.

لا يقال: لو ثبت استحالة إعادة المعدم لزم بطلان الوجه الثاني أيضاً لأن أجزاء بدن الشخص كبدن زيد مثلاً وإن لم يكن له جزء صوري لا يكون بدن زيد إلا بشرط اجتماع خاص وشكل معين، فإذا تفرقت أجزاؤه وانتفى الاجتماع والشكل المعيّن لم يبق بدن زيد، ثم إذا أعيد فإما ان يعاد ذلك الاجتماع والشكل بعينها أولاً، وعلى الأول يلزم إعادة المعدم، وعلى الثاني لا يكون المعاد بعينه هو البدن الأول بل مثله، وحينئذ يكون تناسخاً، ومن ثم قيل: ما من مذهب إلا وللتناسخ فيه قدم راسخ.

لأننا نقول: إنما يلزم التناسخ إذا لم يكن البدن المحشور مؤلفاً من الأجزاء الأصلية للبدن الأول، أما إذا كان كذلك فلا يستحيل إعادة الروح إليه؛ وليس ذلك من التناسخ، وإن سمي ذلك تناسخاً كان مجرد اصطلاح، فإن الذي دل على استحالته تعلق نفس زيد بدن آخر لا يكون مخلوقاً من أجزاء بدنه، وأما تعلقه بالبدن المؤلف من أجزائه الأصلية بعينها مع تشكلها بشكل مثل الشكل السابق، فهو الذي نعنيه بالحشر الجسماني؛ وكون الشكل والاجتماع غير السابق لا يقدح في المقصود وهو حشر الأشخاص الإنسانية بأعيانها، فإن زيدا مثلاً شخص واحد محفوظ وحدته الشخصية من أول عمره إلى آخره بحسب العرف والشرع ولذلك يؤخذ شرعاً وعرفاً بعد التبدل بما لزمه قبل؛ وكما لا يتوهم أن في ذلك تناسخاً لا ينبغي أن يتوهم في هذه الصورة أيضاً، وإن كان الشكل مخالفاً للشكل الأول كما ورد في الحديث أنه قال: يحشر المتكبرون كأمثال الذر، وإن ضرس الكافر مثل أحد، وإن أهل الجنة جرد مرد مكحولون. والحاصل أن المعاد الجسماني عبارة عن عود النفس إلى بدن هو ذلك البدن بحسب الشرع والعرف، ومثل هذه التبدلات والمغايرات التي لا تقدح في الوحدة بحسب الشرع والعرف لا تقدح

في كون المحشور هو المبدأ، فافهم.

واعلم أن المعاد الجسماني مما يجب الاعتقاد به ويكفر منكره، أمّا المعاد الروحاني أعني التذاذ النفس بعد المفارقة وتآلمها باللذات والآلام العقلية فلا يتعلق التكليف باعتقاده ولا يكفر منكره ولا منع شرعاً ولا عقلاً من إثباته.

قال الإمام في بعض تصانيفه: أمّا القائلون بالمعاد الروحاني والجسماني معاً، فقد أرادوا أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة فقالوا: دلّ العقل على أنّ سعادة الأرواح بمعرفة الله - تعالى - ومحبته، وأن سعادة الأجساد في إدراك المحسوسات، والجمع بين هاتين السعادتين في هذه الحياة غير ممكن لأنّ الإنسان مع استغراقه في تجلّي أنوار عالم القدس لا يمكنه أن يلتفت إلى شيء من اللذات الجسمانية، ومع استغراقه في استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية؛ وإنما تعذر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة في هذا العالم، فإذا فارقت بالموت واستمدت من عالم القدس والטהارة قويت قادرة على الجمع بين الأمرين، ولا شبهة في أنّ هذه الحالة هي الحالة القصوى من مراتب السعادات. قلت: سياق هذا الكلام مشعر بأنّ إثبات الروحاني إنّما هو من حيث الجمع بين الشريعة والفلسفة، وإثباتها ليس من المسائل الكلامية، وهذا كما أنّ الرئيس أبا عليّ مع إنكاره للمعاد الجسماني على ما هو بسطه في كتاب المعاد وبالغ فيه وأقام الدليل بزعمه على نفيه، قال في كتاب النجاة والشفاء: إنّ يجب أن يعلم أنّ المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طرق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث، وخيراته وشروره معلوم لا يحتاج إلى أن يعلم. وقد بسطت الشريعة الحقّة التي أتانا به سيّدنا ومولانا محمد - صلى الله عليه وآله - حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدّقه النبوة وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالقياس إلى نفس الأمر، وإن كان الأوهام ممّا تقصر عن تصوّرهما الآن. وسياق هذا الكلام مشعر بأنّ إثباته للمعاد الروحاني ليس من حيث الحكمة، بل هو من حيث الشريعة، فإنّ التمسك بالدلائل النقلية ليس من وظائف الفلسفة، فلا يتوهم أنّ إثباته من المسائل الحكيمية وهو أراد أن

يجمع بين الفلسفة والشريعة.

فذلكة: اعلم أن خلاصة القول في ذلك هو أن للناس في تفرق الجسم واتصاله مذاهب: فالقائلون بالهويولي يقولون بانعدام الصورة الجسمية والنوعية وبقاء الهويولي عند تفرق الجسم. والنافون للهويولي والجزء الذي لا يتجزى كالمحقق الطوسي — رحمه الله — يقولون بعدم انعدام جزء من الجسم عند التفرق، بل ليس الجسم إلا الصورة وهي باقية في حال الإتصال والانفصال؛ وكذا القائلون بالجزء يقولون ببقاء الأجزاء عند التفرق والاتصال.

فأما على القول الأول، فلا بد في القول بإثبات المعاد بمعنى عود الشخص بجميع أجزائه من القول بإعادة المعدوم، وأما القائلون بالأخيرين، فقد ظنوا أنهم قد تفصوا عن ذلك ويمكنهم القول بالحشر الجسماني بهذا المعنى مع عدم القول بجواز إعادة المعدوم. وفيه نظر إذ ظاهر أنه إذا أحرق جسد زيد ودرت الرياح تراه لا يبقى تشخص زيد وإن بقيت الصورة والأجزاء، بل لا بد في عود الشخص بعينه من عود تشخصه بعد انعدامه كما مرت الإشارة إليه، نعم ذكر بعض المتكلمين أن تشخص الشخص إنما يقوم بأجزائه الأصلية المخلوقة من النبي، وتلك الأجزاء باقية في مدة حياة الشخص وبعد موته وتفرق أجزائه، فلا يعدم التشخص، وقد مضى ما يومي إليه من الأخيار، وعلى هذا فلو انعدم بعض العوارض الغير المشخصة وأعيد غيرها مكانها لا يقدح في كون الشخص باقياً بعينه.

فإذا تمهد هذا فاعلم أن القول بالحشر الجسماني على تقدير عدم القول بامتناع إعادة المعدوم حيث لم يتم الدليل عليه بين لا إشكال فيه، وأما على القول به، فيمكن أن يقال: يكفي في المعاد كونه مأخوذاً من تلك المادة بعينها أو من تلك الأجزاء بعينها لاسيما إذا كان شبيهاً بذلك الشخص في الصفات والعوارض بحيث لورأيته لقلت: إنه فلان إذ مدار اللذات والآلام على الروح ولو بواسطة الآلات، وهو باق بعينه ولا تدل النصوص إلا على إعادة ذلك الشخص بمعنى أنه يحكم عليه عرفاً أنه ذلك الشخص كما أنه يحكم على الماء الواحد إذا أفرغ في إنائين أنه هو الماء الذي كان في إناء واحد عرفاً وشرعاً وإن قيل بالهويولي، ولا يبني الاطلاقات الشرعية والعرفية واللغوية على أمثال تلك الدقائق

الحكيمة والفلسفية، وقد أومأنا في تفسير بعض الآيات وشرح بعض الأخبار إلى ما يؤيد ذلك، كقوله - تعالى - : «عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ»^{٦٢٤} وقوله - تعالى - : «بَدَّلْنَا هُمْ مَجْلُودًا غَيْرَهَا»^{٦٢٥}.

قال شارح المقاصد: اتفق المحققون من الفلاسفة والمليين على حقيقة المعاد، واختلفوا في كَيْفِيَّتِهِ فذهب جمهور الفلاسفة إلى أنه روحاني فقط لأن البدن ينعدم بصوره وأعراضه فلا يعاد، والنفس جوهر مجرد باقٍ لا سبيل إليه للفناء فيعود إلى عالم المجردات بقطع التعلقات. وذهب كثير من علماء الإسلام كالغزالي والكعبي والحليمي والراغب والقاضي أبو زيد الدبوسي إلى القول بالمعاد الروحاني والجسماني جميعاً ذهاباً إلى أن النفس جوهر مجرد يعود إلى البدن، وهذا رأي كثير من الصوفية والشيعية والكرامية وبه يقول جمهور النصارى والتناسخية.

قال الإمام الرازي: **إِلَّا أَنْ الْفَرْقَ** أن المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم بل في الآخرة، والتناسخية بقدمها وردّها إليها في هذا العالم وينكرون الآخرة والجنة والنار؛ وإنما نبتنا على هذا الفرق لأنه جبلت على الطباع العامة أن هذا المذهب يجب أن يكون كفراً وضلالاً لكونه مما ذهب إليه التناسخية والنصارى ولا يعلمون أن التناسخية إنما يكفرون لإنكارهم القيامة والجنة والنار والنصارى لقولهم بالتثليث. وأما القول بالنفوس المجردة، فلا يرفع أصلاً من أصول الدين، بل ربما يؤيده وبيّن الطريق إلى إثبات المعاد بحيث لا يقدر فيه شبه المنكرين. كذا في نهاية العقول.

وقد بالغ الإمام الغزالي في تحقيق المعاد الروحاني وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الروح حتى سبق إلى كثير من الأوهام ووقع في السنة بعض العوام أنه ينكر حشر الأجساد افتراءً عليه. كيف وقد صرح به في مواضع من كتاب الإحياء وغيره وذهب إلى أن إنكاره كفر؟ وإنما لم يشرحه في كتبه كثير شرح لما قال: إنه ظاهر

لا يحتاج إلى زيادة بيان. نعم، ربما يميل كلامه وكلام كثير من القائلين بالمعادين إلى أن معنى ذلك أن يخلق الله - تعالى - من الأجزاء المتفرقة لذلك البدن بدنًا فيعيد إليه نفسه المجردة الباقية بعد خراب البدن. ولا يضرنا كونه غير البدن الأول بحسب الشخص ولا امتناع إعادة المعدوم بعينه، وما شهد به النصوص من كون أهل الجنة مجرداً مردأً وكون ضرر الكافر مثل جبل أحد، يعضد ذلك، وكذا قوله - تعالى - : «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا». ولا يبعد أن يكون قوله - تعالى - : «أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ»^{٦٢٦} إشارة إلى هذا.

فإن قيل: فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذات والآلام الجسمانية غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية، قلنا: العبرة في ذلك بالإدراك، وإنما هو للروح ولو بواسطة الآلات وهو باق بعينه، وكذا الأجزاء الأصلية من البدن، ولذا يقال للشخص من الصباء إلى الشيخوخة: إنه هو بعينه وإن تبدلت الصور والهيئات، بل كثير من الأعضاء والآلات، ولا يقال لمن جرى في الشباب فعوقب في المشيب: إنها عقوبة لغير الجاني. انتهى.

أقول: الأحوط والأولى التصديق بما تواتر في النصوص وعلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسماني وسائر ماورد فيها من خصوصياته وعدم الخوض في أمثال ذلك، إذ لم نكلف بذلك. وربما أفضى التفكر فيها إلى القول بشيء لم يطابق الواقع ولم تكن معذورين في ذلك. والله الموفق للحق والسداد في المبدء والمعاد.^{٦٢٧}

وقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله - صلى الله عليه وآله - عنها؟ فقال عليه السلام:

إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، قَوْلُهُ: «الْمَ . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا

٦٢٦- يس: ٨١.

٦٢٧- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ٤٧ - ٥٣.

أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ « عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ
 اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بَيْنَ أَظْهَرِنَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا ؟ فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ أُمَّتِي
 سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي
 يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنْ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَحِيَزَّتْ ^(١١٢٦) عَنِّي
 الشَّهَادَةُ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ ، فَقُلْتَ لِي : « أَبَشِّرْ ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ ؟ »
 فَقَالَ لِي : « إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَنْ ؟ » فَقُلْتُ : يَا
 رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى
 وَالشُّكْرِ . وَقَالَ : « يَا عَلِيُّ ، إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُنُّونَ
 بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنُّونَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ ، وَيَسْتَحِلُّونَ
 حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ ،
 وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَبِأَيِّ
 الْمَنَازِلِ أَنْزَلَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ أِبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ ، أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ :
 « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ » .

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: قوله - عليه السلام - «أن يعتقل» أي يجس نفسه على طاعة الله.

و«فلانة» كناية عن عائشة، ولعله من السيد - رضي الله عنه - تقيّة. قوله

— عليه السلام — «وضفن» أي حقد، ومن أسباب حقدتها لأمر المؤمنين — عليه السلام — سد النبي — صلى الله عليه وآله — باب أبيها من المسجد وفتح بابه — عليه السلام —، وبعثه — عليه السلام — بسورة براءة بعد أخذها من أبي بكر، وإكرام رسول الله — صلى الله عليه وآله — لفاطمة — عليها السلام — وحسدها عليها إلى غير ذلك من الأسباب المعلومة. و«الرجل» — كمنبر — القدر. و«القين» الحداد؛ أي كفلان قدر من حديد.

قوله — عليه السلام — «من غيرى» يعني به عمر كما قيل، أو الأعم وهو أظهر، أي لو كان عمراً أو أحد من أضرابه ولّى الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل عليه ونسب إليه أنه كان يمرض الناس على قتله، ودعيت إلى أن تخرج عليه في عصابة تثير فتنة وتنقض البيعة لم تفعل. وهذا بيان لحقدتها له — عليه السلام —. و«البلوج» الإضاعة.

قوله — عليه السلام —: «لا» «مقصر» أي لا مجلس^{٦٢٨} ولا غاية لهم دونه. «مركلين» أي مسرعين. «قد شخصوا» أي خرجوا. و«الأجدات» القبور. و«الخلق» بالضم وبضمتين، السجّية والطبع والمروة والدين. والرجل إذا روي من الماء فتغير لونه، يقال: نفع. قوله — عليه السلام — «لا يزيغ فيستعتب» أي لا يميل فيطلب منه الرجوع، و«العتبي» الرجوع. والمراد بكثرة الردة التردد في الألسنة. قوله — عليه السلام — «لا تنزل بنا» قال ابن أبي الحديد لقوله — تعالى —: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»^{٦٢٩}. و«حيزت عتي» أي منعت. و«الأهواء الساهية» أي الغافلة. قوله — عليه السلام — «بمنزلة فتنة» أي لا يجري عليهم في الظاهر أحكام الكفر وإن كانوا باطنياً من أخبث الكفار.

أقول: قال ابن ميثم^{٦٣٠} وابن أبي الحديد^{٦٣١}: هذا الخبر رواه كثير من المحدثين

٦٢٨- يمكن أن يقرأ: لا عبس.

٦٢٩- الأنفال: ٣٣.

٦٣٠- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٢٦٥، ط بيروت.

٦٣١- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٠٦، ط بيروت.

عن علي - عليه السلام - قال :

إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قال لي : إن الله كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين .

قال : فقلت : يا رسول الله ! ما هذه الفتنة التي كتب فيها الجهاد ؟

قال : قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وهم مخالفون للسنة .

فقلت : يا رسول الله ! فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد ؟

قال : على الإحداث في الدين ومخالفة الأمر .

فقلت : يا رسول الله ! أنت كنت وعدتني الشهادة فاسأل الله أن يعجلها لي بين يديك .

قال : فمن يقاتل التاركين والقاسطين والمارقين ؟ أما إني قد وعدتك

الشهادة وستشهد ، تضرب على هذه فتخضب هذه ، فكيف صبرك إذن ؟

فقلت : يا رسول الله ! ليس هذا موطن صبري ، هذا موطن شكري .

قال : أجل أصبت ، فأعد للخصومة ، فأنك محاصم .

فقلت : يا رسول الله ! لو بينت لي قليلاً .

فقال : إن أمتي ستفتن من بعدي فتأول القرآن ، وتعمل بالرأي ، وتستحل

الخمير بالنبيذ ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع ، وتعرف الكتاب عن

مواضعه ، وتغلب كلمة الضلال ؛ فكن جليساً^{٣٢} بيتك حتى تقلدها ،

فإذا قلدها جاشت عليك الصدور ، وقلبت لك الأمور ، فقاتل حينئذ على

تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فليست حالهم الثانية بدون حالهم

الأولى .

فقلت : يا رسول الله ! فبأي المنازل أنزل هؤلاء المفتونين ؟ أمنزلة فتنة أم

بمنزلة ردة ؟

فقال : بمنزلة فتنة ، يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل .

فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل متاً أم من غيرنا؟ قال: بل متاً، فبنا
فتح وبنائتكم، وبنا ألف بين القلوب بعد الفتنة.
فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله.

بيان: «كن جلس بيتك» بالكسر، أي ملازماً له غير مفارق بالخروج للقتال
ودفع أهل الضلال، والضمير في «تقلدها وقلدتها» على المجهول فيها، راجع إلى الخلافة
والإمارة، والتقليد مأخوذ من عقد القلادة على الاستعارة، وتقليدهم إطاعتهم وتركهم
العناد، و«جأش القدر—باهمز— وغيره» غلا. و«قلبت لك الأمور» أي دبروا أنواع
المكائد والحيل لدفعك. ٦٣٣

١٥٧ — (خطبنا على الصلوة)

بحث الناس على القوى

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ
فَضْلِهِ ، وَدَلِيلًا عَلَى آيَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرِيهِ بِالْمَاضِينَ ، لَا يَعُودُ مَا
قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ . آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ . مُتَشَابِهَةٌ
أُمُورُهُ (١٩٢٧) ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ (١٩٢٨) . فَكَانَكُمْ بِالسَّاعَةِ (١٩٢٩) تَحْدُوكُمْ
حَدَوَ الزَّاجِرِ (١٩٣٠) بِشَوْلِيهِ (١٩٣١) : فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحْيِرٌ
فِي الظُّلُمَاتِ ، وَآرْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيْطَانُهُ فِي طُغْيَانِهِ ،

وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَاتِهِ أَعْمَالِهِ . فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفْرَطِينَ .

أَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ ، وَلَا يُحْرِزُ^(١٩٣٢) مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ ، إِلَّا وَبِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةُ^(١٩٣٣) الْخَطَايَا ، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى .

عِبَادَ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقِهِ . فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ ! فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ^(١٩٣٤) لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ . قَدْ دَلَلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَأَمَرْتُمْ بِالظُّغَنِ^(١٩٣٥) ، وَحَشِنْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكَبٍ وَقُوفٍ ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ . أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ ! وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلِّبُهُ ، وَتَبَقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ^(١٩٣٦) وَحِسَابُهُ !

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ .

عِبَادَ اللَّهِ ، أَحْذَرُوا يَوْمًا تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ ، وَتَشِيْبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ .

أَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا^(١٩٣٧) مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، وَعَيْونًا مِنْ

جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَاطَ صِدْقِ يَحْفَظُونَ أَعْمَالِكُمْ ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلِ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابُ ذُو رِتَاجٍ ^(١٩٣٨) ،
وَلِإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ .

بيان: «الرصد» بالتحريك، القوم يرصدون. و«الرتاج» بالكسر، الخلق. ٤٣٤

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ ^(١٩٣٩) ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَخَشَةٍ ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ ! وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ ^(١٩٤٠) قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ ، قَدْ زَاحَتْ ^(١٩٤١) عَنْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ، وَأَضْمَحَلَّتْ عَنْكُمْ الْعِلَلُ ، وَأَسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا ، فَاتَّعِظُوا بِالْعَبْرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغَيْرِ ، وَأَنْتَفِعُوا بِالنَّذْرِ .

١٥٨ - مِنْ خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ

ينبه فيها على فضل الرسول الأعظم، وفضل القرآن، ثم حال دولة بني أمية
النبي والقرآن

أَرْسَلَهُ عَلَيَّ حِينَ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ ^(١٩٤٢) ،

وَأَنْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ ^(١٩٤٣)؛ فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ
الْمُقْتَدَى بِهِ . ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ، وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ
عَنْهُ : أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ،
وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ .

بيان: «المبرم من الحبل» المفتول، وانتقاضه كناية عن تعطيل قواعد الشرع
وتزلزل أساس الدين. ٤٣٥

دولة بني أمية

ومنها : فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ ^(١٩٤٤) إِلَّا وَأَدْخَلَهُ
الظُّلْمَةُ تَرْحَةً ^(١٩٤٥) ، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً ^(١٩٤٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي
السَّمَاءِ عَاقِرٌ ، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ ^(١٩٤٧) بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ ،
وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ ، وَسَيِّئْتَقِيمُ اللَّهِ مِنْ ظَلَمٍ ، مَا كَلَّا بِمَا كَلَّ ،
وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ ، وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ ^(١٩٤٧)
وَالْمَقْرِ ^(١٩٤٨) ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ ، وَدِثَارِ السَّيْفِ ^(١٩٤٩) . وَإِنَّمَا هُمْ
مَطَايَا الْخَطِيبَاتِ وَزَوَامِلُ الْأَثَامِ ^(١٩٥٠) . فَأُقْسِمُ ، ثُمَّ أُقْسِمُ ، لَتَنْخَعَنَّهَا
أُمِيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ ^(١٩٥١) ، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ
بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ ^(١٩٥٢) !

توضيح: قوله — عليه السلام — «ف عند ذلك» إخبار عن ملك بنى أمية بعده وزوال أمرهم عند تفاقم فسادها في الأرض. «أصفيتم» أي خصصتم بالأمر، أي الخلافة. «وأوردتموه غير وروده»^{٦٣٦} أي أنزلتموه عند غير مستحقه. و«المقر» — ككتف — المرأ أو الصبر، أو شبيهه به، أو السم. و«الزاملة» التي تحمل عليها من الإبل وغيرها.

قوله — عليه السلام — «ثم لا تذوقها» قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: إنهم قد ملكوا بعد الدولة الهاشمية بالمغرب مدة طويلة؟ قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز وما عداهما من الأقاليم النائية لا اعتداده. ^{٦٣٧}
أقول: لعل المراد به انقطاع تلك الدولة المخصوصة وعدم العود إلى أصحابها، ومع ذلك لا بد من التخصيص بغير السفينتين الموعود. ^{٦٣٨}

١٥٩ — وَمِنْ خُطَبِ أَبِي السَّلَامِ

يبين فيها حسن معاملته لرعيته

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارِكُمْ ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ . وَأَعْتَقْتُكُمْ
مِنْ رَبِّي ^(١٩٥٣) الذُّلُّ ، وَحَلَقِي ^(١٩٥٤) الضَّيْمِ ، شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ
وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصْرُ ، وَشَهَادَةَ الْبَدَنِ ، مِنْ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ .

بيان: الإحاطة من وراء دفع من يريدهم بشر، لأن العدو الغالب يكون من وراء المحارب. و«الحلق» بالتحريك و«كعب» جمع «حلقة». و«الضيم» الظلم. و«أطرق» أي سكت وأرخص عينيه إلى الأرض. وإطراقه — عليه السلام — عن المنكر

٦٣٦- في النهج: غير مودة.

٦٣٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٢٠، ط بيروت.

٦٣٨- بحار الأنوار الطيبة القديمة، ج ٨، ص ٣٨٣، ط كسباني وص ٣٦١، ط تبريز.

الكثير وسكوته عنه لعدم تأثير النهي، أولانجراره إلى ما هو أعظم منه. ٤٣٩

١٦٠ - وَمِنْ حُطْبَةِ إِمْرَأَةَ السَّلَامِ

عظمة الله

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ ، يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ .

حمد الله

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتُبْتَلِي ، حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ . حَمْدًا يَمَلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ ، وَلَا يُقْصَرُ دُونَكَ .

حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ « حَيُّ قَيُّومٌ ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ ^(١٦٥٥) وَلَا نَوْمٌ » . لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظْرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصْرٌ . أَذْرَكَتِ الْأَبْصَارَ ، وَأَخْصَيْتِ الْأَعْمَالَ ، وَأَخَذْتَ « بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ » . وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ ، وَنَعْجَبُ لَهُ

مِنْ قُدْرَتِكَ ، وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ،
 وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَأَنْتَهتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سُورُ الْغُيُوبِ
 بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ
 عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ^(١٩٥٦) خَلْقَكَ ، وَكَيْفَ عَلَّمْتَ فِي الْهَوَاءِ
 سَمَاوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرٍ^(١٩٥٧) الْمَاءِ أَرْضَكَ ، رَجَعَ طَرْفُهُ
 حَسِيرًا^(١٩٥٨) ، وَعَقَلَهُ مَبْهُورًا^(١٩٥٩) ، وَسَمِعَهُ وَالِيهَا^(١٩٦٠) ، وَفِكْرَهُ
 حَائِرًا .



منها : يَدْعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ ، كَذَّبَ وَالْعَظِيمِ ! مَا بَالُهُ لَا
 يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ
 رَجَاءٍ - إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى - فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ^(١٩٦١) وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ^(١٩٦٢) ،
 إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ^(١٩٦٣) . يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو
 الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ ! فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ
 ثَنَاؤُهُ يُقَصِّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ
 كَاذِبًا ؟ أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا
 مِنْ عِبِيدِهِ ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ
 نَقْدًا ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَارًا^(١٩٦٤) وَوَعْدًا . وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتْ

الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ . آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ،
فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا ، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا .

رسول الله

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَافٍ لَكَ فِي
الْأَسْوَةِ^(١٩٦٥) ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِبِهَا
وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا^(١٩٦٦) ،
وَفُطِصَ عَنْ رِضَاعِهَا ، وَزُويَ عَنْ زَخَارِفِهَا .

بيان: «المخازي» المقابح. قوله - عليه السلام - «وطئت» بالتشديد، أي
هيات وبالتخفيف، من قولهم «وطأت للشيء المجلس» أي جعلته سهلاً ليناً. قوله
- عليه السلام - «زوي» أي قبض.^{٦١٠}

موسى

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَيْثُ
يَقُولُ : «رَبُّ إِيَّيْ لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» . وَاللَّهُ ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا
خُبْرًا يَأْكُلُهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بِقَلَّةِ الْأَرْضِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةٌ
الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ^(١٩٦٧) صِفَاقِ^(١٩٦٨) بَطْنِهِ ، لِهُزَالِهِ وَتَشَدُّبِ
لَحْمِهِ^(١٩٦٩) .

بيان: «الصفاق» الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن، وشفيفه رفته. و«تشذب اللحم» تفرقه. ٦٤١

داوود

وَإِنْ شِئْتَ ثَلُثْتُ بِدَاوُودَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ ،
وَقَارِيهِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ ^(١٩٧٠) ،
وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ : أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا ! وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ
ثَمَنِهَا .



مرکز تحقیقات و پژوهش علوم اسلامی

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ
الْحَجَرَ ، وَيَلْبَسُ الْخَشِينَ ، وَيَأْكُلُ الْجَشِيبَ ، وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ،
وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ ، وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ^(١٩٧١) ،
وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ ؛ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ
تَفْتِنُهُ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزَنُهُ ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ ، دَابَّتُهُ
رِجْلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ !

بيان: «كان إدامه الجوع» لعل المعنى أنّ الإنسان إنّما يحتاج إلى الإدام لأنه يعسر على النفس أكل الخبز خالياً عنه، فأما مع الجوع الشديد فيلتذّن بالخبز ولا يطلب

غيره، فهو بمنزلة الإدام، أو أنه كان يأكل الخبز دون الشبع فكان الجوع مخلوطاً به كالإدام. و«لفته يلفته» لواه وصرفه عن رأيه. ٦٤٢

الرسول الأعظم

فَتَأْسُ^(١٩٧٢) بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنَّ فِيهِ
 أَسْوَةَ لِمَنْ تَأْسَى ، وَعَزَاءَ لِمَنْ تَعَزَى . وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأْسِي
 بِنَبِيِّهِ ، وَالْمُقْتَصِ لِأَثَرِهِ . قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْمًا^(١٩٧٣) ، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا ،
 أَهْضَمَ^(١٩٧١) أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا^(١٩٧٥) ، وَأَخْمَصَهُمْ^(١٩٧٦) مِنْ الدُّنْيَا بَطْنًا ،
 عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا
 فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيْنَا
 إِلَّا حُبْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَتَعَظَّمْنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، لَكَفَى
 بِهِ شِقَاقًا لِلَّهِ ، وَمُحَادَاةً^(١٩٧٧) عَنْ أَمْرِ اللَّهِ . وَلَقَدْ كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ^(١٩٧٨)
 بِيَدِهِ نَعْلَهُ ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَيَرْكَبُ الْجِمَارَ الْعَارِيَّ^(١٩٧٩) ،
 وَيُرْدِفُ^(١٩٨٠) خَلْفَهُ ، وَيَكُونُ السُّرُّ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ
 فَيَقُولُ : « يَا فَلَانَةُ - لِأَخْدَى أَزْوَاجِهِ - غَيْبِي عَنِّي ، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ
 ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَّارِفَهَا . فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا

مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبُّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتَهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً^(١١٨١) ، وَلَا يَغْتَقِدَهَا قَرَاراً ، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مُقَاماً ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ النَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا^(١١٨٢) عَنِ الْقَلْبِ ، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ . وَكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ .

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِيهِ الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا : إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ^(١١٨٣) ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ^(١١٨٤) زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ^(١١٨٥) فَلْيَنْظُرْ نَازِئاً بِعَقْلِهِ : أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ! فَإِنْ قَالَ : أَهَانَهُ ، فَقَدْ كَذَبَ - وَاللَّهُ الْعَظِيمِ - بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : أَكْرَمَهُ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وَزَوَّاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ . فَتَأْسَى مُتَأْسٍ بِنَبِيِّهِ ، وَأَقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَّ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عَلَمًا لِلسَّاعَةِ^(١١٨٦) ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُنذِرًا بِالْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصًا^(١١٨٧) ، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا . لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ ، حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقْبَهُ^(١١٨٨) ! وَاللَّهُ لَقَدْ رَفَعَتْ مِذْرَعَتِي^(١١٨٩) هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ : أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ ؟

فَقُلْتُ : أَغْرَبُ عَنِّي (١٩٩٠) ، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى (١٩٩١) ١

بيان: قوله — عليه السلام — «قضم الدنيا» في أكثر النسخ بالضاد المعجمة، وهو أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان، أي تناول منها قدر الكفاف وماتدعو إليه الضرورة، والتنوين في «قضمًا» للتقليل، وفي بعضها بالصاد المهملة بمعنى الكسر. قوله — عليه السلام — «ولم يعرفها طرفاً» من الإعارة، أي لم يلتفت إليها نظر إعارة، فكيف بأن يجعلها مطمح نظره؟ ويقال: «رجل أهضم» إذا كان خريصاً لقلّة الأكل. و«الكشع» الخاصرة.

قوله «جلسة العبد» قال ابن أبي الحديد: هي أن يضع قصبة ساقه على الأرض ويعتمد عليها بباطن فخذه، يقال لها بالفارسية: دوزانو. و«الرياش» إقما جمع «الريش» أو مرادفه، وهو اللباس الفاخر، ويطلق على المال والخصب والمعاش. قوله — عليه السلام — «خيصاً» أي جائعاً. ٦٤٣

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة:]

إيضاح: «السرى» كالهدي، السير عاقمة الليل، وهذا مثل يضرب لمحتمل المشقة العاجلة للراحة الآجلة.

وقال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذا الكلام ٦٤٤: جاء في أخبار علي — عليه السلام — التي ذكرها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله وهو روايتي عن قريش بن السبيع بن المهنا العلوي، عن أبي عبد الله أحمد بن علي بن المعمر، عن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيورتي، عن محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف المزني، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه أبي عبد الله أحمد قال: قيل لعلي — عليه السلام —: يا أمير المؤمنين! لم ترقع قيصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمنون. ٦٤٥

٦٤٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبينا — صلى الله عليه وآله —، ص ٢٨٤.

٦٤٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٣٥ — ٢٣٦، ط بيروت.

٦٤٥- في المصدر: ليخشع القلب ويقتدي بي المؤمنون.

وروى أحمد أن علياً — عليه السلام — كان يطوف الأسواق مؤثراً بإزار مرتدياً برداء ومعه الدرّة كأنه أعرابي بدوي، فطاف مرّة حتى بلغ سوق الكرابيس، فقال لواحد: يا شيخ! بعني قيصاً بثلاثة دراهم.^{٦٤٦}

فلما جاء أبو الغلام أخبروه، فأخذ درهماً ثم جاء إلى علي — عليه السلام — ليدفعه إليه. فقال^{٦٤٧}: ما هذا — أو قال: ماشأنه هذا^{٦٤٨}؟

فقال: يا مولاي إن القميص الذي باعك ابني كان يساوي درهين. فلم يأخذ الدرهم وقال: باعني برضاي وأخذ برضاه.

وروى أحمد عن أبي الهوار بائع الحتام بالكوفة قال: جاء علي بن أبي طالب — عليه السلام — إلى السوق ومعه غلام له، وهو خليفة، فاشتري مني قيصين وقال لغلامه: اختر أيهما شئت. فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر، [قال]: ثم لبسه ومدّ يده فوجد كتمه فاضلة، فقال: اقطع الفاضل، فقطعته ثم كفّه وذهب.

وروى أحمد عن الصمّال بن عمير قال: رأيت قيص علي — عليه السلام — الذي أصيب فيه، وهو كرابيس سنبلاني، ورأيت دمه قد سال عليه كالدردي.

وروى أحمد، قال: لما أرسل عثمان إلى علي وجدوه مدثراً بعباءة محتجزاً، وهو يذود بعيراً له.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.^{٦٤٩}

٦٤٦- في المصدر: بعني قيصاً تكون قيمته ثلاثة دراهم، فلما عرفه الشيخ لم يشتر منه شيئاً، ثم أتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئاً، فأتى غلاماً حدثاً فاشتري منه قيصاً بثلاثة دراهم.

٦٤٧- في المصدر: فقال له.

٦٤٨- في المصدر: أو قال ماشابه هذا.

٦٤٩- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين — عليه السلام —، ص ١٦٠.

١٦١ - وَمِنْ حَقَائِدِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه، وفيها يعظ بالتقوى

لِلرَّسُولِ وَأَهْلِهِ وَأَتْبَاعِ دِينِهِ

أَبْتَعَثُهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ ، وَالْبُرْهَانَ الْجَلِيَّ ، وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِي ^(١٩٩٣) ،
وَالْكِتَابَ الْهَادِي . أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ ، أَغْصَانُهَا
مُعْتَدِلَةٌ ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدَلَةٌ ^(١٩٩٣) . مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ ، وَهَاجَرَتُهُ بِطَيْبَةَ ^(١٩٩٤) .

عَلَّا بِهَا ذِكْرُهُ وَأَمْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ
شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَفِيَةٍ ^(١٩٩٥) . أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ
الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ ^(١٩٩٦) . فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِفْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمُ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمُ كِبْوَتُهُ ^(١٩٩٧) ،
وَيَكُنْ مَأْبَهُ ^(١٩٩٨) إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ .

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلَ الْإِنَابَةَ ^(١٩٩٩) إِلَيْهِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُوَدِّيَةَ
إِلَى جَنَّتِهِ ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ .

بيان: لعل المراد بالنور المضيء نور النبوة، وبالبرهان الجلي المعجزات الباهرة
وبالمنهاج البادي شريعته الواضحة. و«أسرته» أهل بيته - صلى الله عليه وآله - .
و«شجرته» أصله وقبيلته. واعتدال أغصانه كناية عن تقارب أهل بيته في الفضل
والكمال، أو عدم الاختلاف بينهم. قوله - عليه السلام - «متهدلة» أي متدلّة، كناية

عن سهولة اجتناء العلم منها وظهورها وكثرتها. وقوله — عليه السلام — «ودعوة متلافية» لتلافيها ما فسد من قلوبهم، ونظام أمورهم في الجاهلية. قوله — عليه السلام — «المفصلة» أي بيانه — صلى الله عليه وآله — أو فصلها الله — سبحانه — وأوضحها له — صلى الله عليه وآله — .^{٦٥٠}

النصح بالتقوى

أَوْصِيكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ ، فَإِنَّهَا النُّجَاةُ غَدًا ،
وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا . رَبِّبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ^(٢٠٠٠) ؛ وَوَصَفَ لَكُمْ
الدُّنْيَا وَأَنْقِطَاعَهَا ، وَزَوَالَهَا وَأَنْتِقَالَهَا . فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا
لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا . أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ
اللَّهِ ! فَغُضُّوا عَنْكُمْ — عِبَادَ اللَّهِ — غَمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا ، لِمَا قَدْ آيَقَنْتُمْ بِهِ
مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا . فَأَحْذَرُوا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ^(٢٠٠١) ،
وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ^(٢٠٠٢) . وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ
قَبْلَكُمْ : قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ^(٢٠٠٣) ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ،
وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَأَنْقَطَعَ سُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ ؛ فَبَدَّلُوا بِقُرْبِ
الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا . لَا يَتَفَاخِرُونَ ، وَلَا
يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَحَاوَرُونَ^(٢٠٠٤) . فَأَحْذَرُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، حَذَرَ
الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ ،

وَالْعَلَمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ^(٢٠٠٥) وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ^(٢٠٠٦)

١٦٢ - ﴿وَالْعَلَمَ قَائِمٌ﴾

لبعض أصحابه وقد سأله : كيف دفعكم قومكم
عن هذا المقام وأنتم أحق به ؟ فقال :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِيحِ^(٢٠٠٧) ، تُرْسِلُ^(٢٠٠٨) فِي غَيْبِ
سَدِّ^(٢٠٠٩) ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةٌ^(٢٠١٠) الصُّهْرُ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ ، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ
فَاعْلَمْ : أَمَا الْإِسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا ،
وَالْأَشْدُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - نَوْطًا^(٢٠١١) ، فَإِنَّهَا
كَانَتْ أَثْرَةً^(٢٠١٢) شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَسَخَّتْ عَنْهَا نُفُوسُ
آخَرِينَ ، وَالْحَكْمُ اللَّهُ ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ

وَدَغَ عَنْكَ نَهْبًا^(٢٠١٣) صَبِيحًا^(٢٠١٤) فِي حَجَرَاتِهِ^(٢٠١٥)

وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

وَهَلُمَّ^(٢٠١٦) الْخَطْبَ^(٢٠١٧) فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدُّعْرُ
بَعْدَ إِبْكَائِهِ ، وَلَا غَرَوْ وَاللَّهِ ، فَيَا لَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ
الْأَوْدَ^(٢٠١٨) ! حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَارِهِ^(٢٠١٩)
مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَجَدَحُوا^(٢٠٢٠) بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْبًا وَبَيْثًا^(٢٠٢١) ، فَإِنْ تَرْتَفِعُ

عَنَا وَعَنْهُمْ مِحْنُ الْبَلْوَى ، أَحْمِلُهُمْ مِنْ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ ^(٢٠٢٢) ؛ وَإِنْ
تَكُنِ الْأُخْرَى ، « فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ » .

ولنوضح روايتي الصدوق والسيد - رضي الله عنها - .

قال الفيروزآبادي: دوران ابن اسد أبو قبيله فلاينافي مافي النهج أنه كان من
بني أسد. وقال الجوهري: «ناط الشيء ينوطه نوطاً» علقه. قوله - عليه السلام -
«ذمام الصهر»، «الذمام» بالكسر، الحرمة، وأما كونه صهراً فقليل: لأن زينب بنت
جحش زوجة النبي - صلى الله عليه وآله - كانت أسدية. ونقل الراوندي - رحمه
الله - أنه كان متزوجاً في بني أسد، وأنكره ابن أبي الحديد.

وقال في النهاية: في حديث علي - عليه السلام - «إِنَّكَ لَقَلْقُ الْوَضِينِ»،
«الوضين» بطن منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير كالحزام للسر، أراد
به أنه سريع الحركة يصفه بالخفة وقلة الثبات، كالحزام إذا كان رخواً. قوله
- عليه السلام - «ترسل في غير سد»، «الإرسال» الإطلاق والإهمال والتوجيه.
و«السدد والسداد» الاستقامة والصواب، أي تطلق عنان دابتك أو تحملها وتوجهها في
غير مواضعها، أي تتكلم في غير موضع الكلام، وتساءل مثل هذا الأمر الذي لا يمكن
التصريح بمخ الحق فيه في مجمع الناس. وفي رواية الصدوق: «عن ذي مسد» و«المسد»
الحبل المسود، أي المفتول من نبات أو لحاء شجرة. وقيل: «المسد» المرود البكرة الذي
تدور عليه. ذكرهما في النهاية. فيمكن أن يقرأ على بناء المعلوم، أي ترسل الكلام كما
يرسل البكرة على المرود عند الاستقاء، أو المعنى: تطلق حيواناً له مسد ربط به، كناية
عن التكلم بما له مانع عن التكلم به، أو على المجهول، أي تنطق بالكلام من غير تأمل
تصير معلقاً بالحبل بين السماء والأرض لا تدري الحيلة فيه، أو بتشديد الدال، أي ترسل
الماء عن مجرى له محل سد أو وسد. والأظهر أنه تصحيف؛ وفيما سيأتي من رواية المفيد
من: «غير ذي مسدد» وهو أظهر.

و«الاستبداد بالشيء» التفرد به. والضمير في قوله — عليه السلام — «فإنها» راجعة إلى الخلافة، أو الدنيا لظهورهما بقريئة المقام، وقيل: إلى الأثرة المفهومة من الاستبداد، وهو بعيد. وفي الأمالي: «امراة» وكأنه تصحيف «إمارة» بالكسر، أي إمارة. قوله — عليه السلام — «شحت» أي بخلت. و«النفوس الشاختة» نفوس أهل السقيفة. قوله — عليه السلام — و«المعود إليه» اسم مكان. ويروى: «يوم القيامة» بالنصب على أن يكون ظرفاً، والعامل فيه «المعود» على أن يكون مصدراً. قوله — عليه السلام — «دع عنك نبياً صيح في حجراته» البيت لامرئي القيس، وتماه: ولكن حديثاً ما حديث الرواحل.

وكان قصة هذا الشعر أن امرأ القيس لما انتقل في أحياء العرب بعد قتل أبيه نزل على رجل من جديلة طمى يقال له: طريف، فأحسن جواره، فدججه، وأقام عنده، ثم إنه خاف أن لا يكون له منعة فتحول ونزل على خالد بن سدوس النبهاني، فأعادت بنو جديلة على امرئي القيس وهو في جوار خالد، فذهبوا بإبله، فلما أتاه الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له: اعطني رواحك ألحق عليها القوم فأردّ إبلك. ففعل، فركب خالد في أثر القوم حتى أدركهم، فقال: يا بني جديلة أغرتم على إبل جاري، فقالوا: ما هولك بجار. قال: بلى والله وهذا رواحله. قالوا: كذلك قال: نعم. فرجعوا إليه وأنزلوه عنهنّ وذهبوا بهنّ وبالإبل. وقيل: بل انطوى خالد على الإبل فذهب بها، فقال امرئي القيس: دع عنك ... إلى آخر القصيدة.

والمعنى: «دع عنك نبياً» أي أتركه. و«النهب» الغنيمة. و«الحجرات» النواحي، جمع «حجرة» كجمرة وجمرات. و«الصياح» صياح الغارة. و«الرواحل» جمع «راحلة» وهي الناقة التي تصلح لأن يشدّ الزحل على ظهرها. وانتصب «حديثاً» بإضمار فعل، أي حدثني، أو هات، أو اسمع. ويروى بالرفع، أي غرضي حديث، فحذف المبتدأ. و«ما» ههنا تحتمل أن تكون إبهامية وهي التي إذا اقترنت بنكرة زادت إبهاماً، أو صلة مؤكدة كما في قوله — تعالى —: «فَبِمَا نَقُضِيهِمْ لِيُنْزِلَ سُلْطَانًا مِّنَ السَّمَاءِ»^{٦٥١}. وأما

«حديث» الثاني فقد ينصب على البدل من الأول، وقد يرفع على أن يكون ما موصولة وصلتها الجملة، أي الذي هو حديث الرواحل، ثم حذف صدرها كما حذف في تماما على الذي أحسن، أو على أن تكون استفهامية بمعنى أي.

وقوله — عليه السلام — «وهلمّ الخطب» يؤيد أنه — عليه السلام — لم يستشهد إلا بصدر البيت، فإنه قائم مقام قول امرئ القيس «ولكن حديثاً ما». و«هلمّ» يستعمل لازماً ومتعدياً، فاللازم بمعنى «تعال» ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: هلمّا وهلموا. والمتعدي بمعنى «هات»، قال — تعالى —: «هلمّ شهداءكم»^{٥٢}. وهنا يحتمل الوجهين وإن كان الثاني أظهر، أي لا تسأل عن اللصوص الثلاثة الماضية فإنهم نهبوا الخلافة وصاحوا في حجراته، ومضوا، ولكن هات مانحن فيه الآن من خطاب ابن أبي سفيان لتتكلم فيه ونشتغل بدفعه، فإنه أعجب وأغرب، والتعرض له أهم. و«الخطب» الحادث الجليل، والأمر العظيم. قوله — عليه السلام — «بعده إيبكائه» قيل: «الإبكاء» إشارة إلى ما كان عليه من الكآبة لتقدم الخلفاء. والضحك للتعجب من أن الدهر لم يقنع بذلك حتى جعل معاوية منازعاً له في الخلافة. والأظهر أن كليهما في أمر معاوية أو في أمره وأمر من تقدمه فإنها محل للحزن والتعجب معاً.

و«الفرو» بالغين المعجمة المفتوحة والراء المهملة الساكنة، العجب، أي لاعجب. ثم فسره بما بعده فقال: «يستفرغ العجب» أي لم يبق منه ما يطلق عليه لفظ التعجب، وهذا من المبالغة في المبالغة، أي هذا أمر يجلب عن التعجب، كقول ابن هاني:

قدسرت في الميدان يوم طرادهم
فعجبت حتى كدت لا أتعجب

و«الأود» العوج؛ ويحتمل أن يكون «لاغرو» معناه أن ماورد عليّ ليس بعجب من تقلبات الدنيا وأحوالها وقوة الباطل وغلبة أهله فيها، فيكون قوله — عليه السلام — «فيا له» استينافاً لاستعظام الأمر، أو المعنى: لاغرو في أن أضحكني وأبكاني لأمر واحد.

وأما رواية الصدوق، فلعلّ المعنى: لا عجب إلا من جارقي وسؤالها عني لم لم تنتصر ممن ظلمك؟ هل كان لي أهل يعينني، فاسأل عن ذلك؟ أي مع علمك بتفردني وتخذل الناس عني ما كنت تحتاج إلى السؤال عن علة الأمر. و«فوارالينبوع» بالفتح وتشديد الواو، وثقب البر، و«الفوار» بالضم والتخفيف، ما يفور من حرّ القدر، وقرني بها والأول أظهر. و«جدحوا» أي خلطوا ومزجوا وأفسدوا. و«الويء» ذوالوباء والمرض. و«الشرب» بالكسر، الحظّ من الماء. و«الشرب الويء» هو الفتنة الحاصلة من عدم انقيادهم له — عليه السلام — كالشرب المخلوط بالسّم. قوله — عليه السلام — «فإن يرتفع»^{٦٥٣} أي بأن يتبعوا أمري.^{٦٥٤}

١٦٣ — وَمِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الملك جل وعلا

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم رسيدي

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ^(٢٠٢٣)، وَمُسِيلِ الْوِهَادِ^(٢٠٢٤)،
وَمُخْصِبِ النَّجَادِ^(٢٠٢٥). لَيْسَ لِأَوْلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ أَنْقِضَاءٌ.
هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ الْعِبَاهُ، وَوَحَدْتُهُ
الشِّفَاهُ. حَدَّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ^(٢٠٢٦) مِنْ شَبْهَيْهَا. لَا تُقَدَّرُهُ
الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدْوَاتِ. لَا يُقَالُ لَهُ:
«مَتَى؟» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ «بِحَتَّى». الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ: «مِمَّ؟»
وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ: «فِيمَ؟» لَا شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُخَوَى.

٦٥٣- في النهج: فإن ترتفع.

٦٥٤- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ١٥٧، ط كنياني ووص ١٥٢، ط تبريز.

لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالتِّصَاقِ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصٌ لِحُظَّةٍ ^(٢٠٢٧) ، وَلَا كُرُورٌ لَفِظَةٍ ، وَلَا أَرْدِلَافٌ رَبْوَةٍ ^(٢٠٢٨) ، وَلَا أَنْبِساطٌ خُطْوَةٍ ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ ^(٢٠٢٩) ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ^(٢٠٣٠) ، يَتَفَيَّأُ ^(٢٠٣١) عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ ، وَتَعْقِبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأَفْوَالِ وَالْكُرُورِ ^(٢٠٣٢) ، وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَاللَّهُورِ ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِذْبَارِ نَهَارٍ مُذْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُّهُ ^(٢٠٣٣) الْمُحَدِّثُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ^(٢٠٣٤) ، وَنِهَائَاتِ الْأَقْطَارِ ^(٢٠٣٥) ، وَتَأْتِلِ الْمَسَاكِينِ ، وَتَمَكِّنُ الْأَمَاكِينَ . فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْشُوبٌ ^(٢٠٣٦)

ابتداع المملوقين

لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولٍ أَرْيِيَّةٍ ، وَلَا مِنْ أَوَائِلِ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ^(٢٠٣٧) ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ . لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ أَمْتِنَاعٌ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ أَنْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى .

إيضاح: «ساطح المهاد» أي باسط الأرض التي هي بمنزلة الفراش للخلق. و«الوهد» المكان المنخفض. و«النجد» ما ارتفع من الأرض أي مجري السيول في

الوهاد، ومنبت العشب والنبات والأشجار في النجاد. قوله «انقضاء» أي في طرف الأبد، ويحتمل أن يكون المراد بالأولية العلية أي ليست له علة، وليس لوجوده في الأزل انقضاء، والأول أوفق بالفقرتين الآتيتين لِقاً ونشراً. و«شخص اللحظة» مدّ البصر بلا حركة جفن. و«كروور اللفظة» رجوعها. وقيل: «ازدلاف الربوة» صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض، وهي الموضع المرتفع؛ وقيل: «ازدلاف الربوة» تقدّمها في النظر، فإنّ الربوة أولى ما يقع في العين من الأرض عند مدّ البصر، من «الزلف» بمعنى القرب.

قوله — عليه السلام — «داج» أي مظلم. و«الفسق» محرّكة، ظلّمة أول الليل، وقوله «ساج» أي ساكن، كما قال — تعالى —: «وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى» ٦٥٥ أي سكن أهله، أو ركذ ظلامه من «سجى البحر سجواً» إذا سكنت أمواجه. قوله — عليه السلام — «يتفياً» هذا من صفات الغسق ومن تنمة نعته، ومعنى «يتفياً عليه» يتقلّب ذاهباً وجائياً في حالتي أخذه في الضوء إلى التبدر، وأخذه في النقص إلى المحاق، والضمير في «عليه» للغسق.

وقوله «وتعقبه» أي تتعقبه فحذف إحدى التائين، والضمير فيه للقمر. وقوله «من إقبال ليل» متعلق بتقليب، والمعنى أنّ الشمس تعاقب القمر فتطلع عند أقوله، ويطلع عند أفولها. قوله — عليه السلام — «قبل كلّ غاية» أي هو — سبحانه — قبل كلّ غاية. قوله «عمّا ينحله» أي ينسبه إليه.

قوله — عليه السلام — «وتأثّل المساكن» يقال: «مجد مؤثّل» أي أصيل، و«بيت مؤثّل» أي معمور. و«أثّل» ملكه، عظّمه، و«تأثّل» عظم. و«تمكّن الأماكن» ثبوتها واستقرارها.

أقول: يحتمل أن يكون المعنى التأثّل في المساكن والتمكّن في الأماكن. قوله — عليه السلام — «ولا من أوائل أبدية» أقول: على هذه النسخة الأصول الأزلية هي الأوائل الأبدية، إذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه. قوله — عليه السلام — «فأقام حدّه» أي

أثقت حدود الأشياء على وفق الحكمة الإلهية من المقادير والأشكال والنهايات والآجال. ٤٥٤

منها: أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السُّوِّيُّ^(٢٠٣٨)، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ^(٢٠٣٩)، فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ «مِنْ سُلَالَةٍ»^(٢٠٤٠) مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ «فِي قَرَارٍ مَكِينٍ»^(٢٠٤١)، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلَ مَقْسُومٍ. تَمُورٌ^(٢٠٤٢) فِي بَطْنِ أُمَّكَ جَنِينًا لَا تُحِيرُ^(٢٠٤٣) دُعَاءَ، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءَ؛ ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقْرَكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا. فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمَّكَ، وَعَرَفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلْبِكَ وَإِرَادَتِكَ! هَيْهَاتَ، إِنْ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ دِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجِزُ، وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ!

توضيح: «السوي» العدل والوسط، و«رجل سوي» أي مستوي الحلقة غير ناقص. و«أنشأ الخلق» ابتداء خلقهم، و«الرعاية» الحفظ، و«المرعي» من شمله حفظ الراعي. و«مضاعفات الأستار» أي الأستار المضاعفة، والحجب بعضها فوق بعض. «بدئت من سلالة...» إشارة إلى قوله - تعالى -: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ»^(٢٥٧). وقد مرّ وجوه التفسير فيه، وهي جارية ههنا. و«المكين» الممكن، وهو في الأصل صفة للمستقر، وصف به المحلّ مبالغة، أو المراد

تمكّن الرحم في مكانها مربوطة برباطات كما سيأتي؛ والمعنى: في مستقرّ حصين هي الرحم. «إلى قدر معلوم» أي مقدار معيّن من الزمان قدره الله للولادة. و«قسمه» - كضربه - و«قسمه» بالتشديد، أي جزأه وفرّقه، و«قسم أمره» أي قدره، و«الأجل المقسوم» المدة المقدّرة لحياة كلّ أحد، فالظرف متعلق بمحذوف، أي منتبهاً إلى أجل مقسوم؛ أو يقال: الوضع في الرحم غايته ابتداء الأجل أي مدة حياة الدنيا، ويحتمل أن يكون تأكيداً للقدر المعلوم. و«مارالشيء» - كقال - تحرك، أو بسرعة واضطراب. و«الجنين» الولد في البطن لاستتاره من «جنّ» أي استتر، فإذا ولد فهو منفوس. و«المحاورة» الجواب ومراجعة النطق، ويقال: «كلمته فما أحرار إليّ جواباً» أي لم يجيني. و«دعوته دعاءً» ناديته وطلبت إقباله. «لم تشهدا» أي لم تحضرها قبل ذلك ولم تعلم بحالها. و«الاجترار» الجذب. «مواضع طلبك» قيل: أي حلمة الثدي، والجمع باعتبار أنّ الطفل يمتصّ من غير ثدي أمه أيضاً، أو عرفك عند الحاجة إلى كلّ شيء في الدار الدنيا مواضع طلبك. وفي بعض النسخ: «وحرك عند الحاجة» فالمراد بمواضع الطلب القوى والآلات التي يحصل بها اجترار الغذاء. «هيات» أي بعد أن يحيط علماً بصفات خالفه الذي هو أبعد الأشياء منه من حيث الحقيقة لعدم المشابهة والمجانسة وليس له حدود المخلوقين من لا يقدر على وصف نفسه مع أنّه أقرب الأشياء إليه وغيره من ذوي الهيئة والأدوات، المجانس له في الذات والصفات، المتصف بحدود المخلوقين. ٦٥٨

١٦٤ — وَمَنْ لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَشَكُوا مَا نَقَمُوهُ عَلَى عَثْمَانَ

وَسَأَلُوهُ مَخَاطَبَتَهُ لَهُمْ وَاسْتَعْتَابَهُ لَهُمْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي ^(٢٠٤٤) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ ، وَوَاللَّهِ مَا

أُذْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ! مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ . مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَخُبِّرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنبَلَّغَكَهُ . وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا . وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَمَا صَحَبْنَا . وَمَا آبَنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا آبَنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى أَبِي رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وَشَيْجَةَ^(٢٠٤٥) رَجِمَ مِنْهُمَا ، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا . فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ ! فَإِنَّكَ - وَاللَّهُ - مَا تُبْصِرُ مِنْ عَمِي ، وَلَا تُعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ . وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لِقَائِمَةٌ . فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ ، هُدًى وَهَدًى ، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ . وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيْرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ ، لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَاخُودَةٍ ، وَأَحْيَا بِدْعَةَ مَتْرُوكَةٍ . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - يَقُولُ : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ، ثُمَّ يَرْتَبِطُ^(٢٠٤٦) فِي قَعْرِهَا » . وَإِنِّي أَنشُدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الأُمَّةِ الْمُقْتُولِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا . وَيَبْتُ الْفِتْنَ فِيهَا . فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ
 الْبَاطِلِ ، يَمْوِجُونَ فِيهَا مَوْجاً . وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً^(٢٠١٧) . فَلَا تَكُونَنَّ
 لِمَرْوَانَ سَيْقَةً^(٢٠١٨) يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السَّنِّ وَتَقْضِي الْعُمُرِ .
 فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُوجِّلُونِي ، حَتَّى
 أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ » فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا
 أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُورُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .

توضيح: «الاستعتاب» طلب العتبي ، وهو الرجوع و الرضا. قوله
 — عليه السلام — «ما أعرف شيئاً نجعله» الغرض بيان وضوح قبائح أعماله بحيث يعرفه
 الصبيان، لا بيان وفور علمه. قوله — عليه السلام — «وأنت أقرب» الواو للمحال،
 ويحتمل العطف. و«الوشيجة» تمييزية، وهي كعرق الشجرة. و«الواشجة» الرحم
 المشبكة، وقد وشجت بك قرابة فلان، والاسم «الوشيج» ذكره الجوهري. قوله
 — عليه السلام — «فإنه كان يقال» أي كان النبي يقول. وأبهم — عليه السلام —
 لمصلحة. والمراد بالإمام إمام يدعو إلى النار. وقال الجوهري: «مرجت» فسدت
 و«مرج» اختلط واضطرب، ومنه المهرج والمرج. و«السيقة» بتشديد الياء المكسورة، ما
 استاقه العدو من الدواب. وفي القاموس: «جلّ يجلّ جلاله وجلالاً» أسن. ٤٥٩

١٦٥ — وَنَهَى عَنِ الْفِتَنِ

يذكر فيها عجب حلقة الطاووس
 حلقة الطيور

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانَ وَمَوَاتٍ ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ ؛

وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنَعَتِهِ ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ ، مَا
 أَنْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ ، وَمُسَلِّمَةً لَهُ ، وَنَعَقَتْ ^(٢٠٤٩) فِي أَسْمَاعِنَا
 دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَمَا ذَرَأَ ^(٢٠٥٠) مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ الَّتِي
 أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ^(٢٠٥١) الْأَرْضِ ، وَخُرُوقِ فِجَاجِهَا ^(٢٠٥٢) وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا ^(٢٠٥٣) ،
 مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ ،
 وَمُرْفَرَفَةٍ ^(٢٠٥٤) بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ ^(٢٠٥٥) الْمُنْفَسِحِ ، وَالْفَضَاءِ
 الْمُنْفَرِجِ . كَوْنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ ، وَرَكَّبَهَا
 فِي حِقَاقِ ^(٢٠٥٦) مَفَاصِلِ مُخْتَجِبَةٍ ^(٢٠٥٧) ، وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعِبَالَةٍ ^(٢٠٥٨) خَلَقَهُ
 أَنْ يَسْمُوَ ^(٢٠٥٩) فِي الْهَوَاءِ خَفُوفًا ^(٢٠٦٠) ، وَجَعَلَهُ يَدِفٌ دَفِيفًا ^(٢٠٦١)
 وَنَسَقَهَا ^(٢٠٦٢) عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِعِ ^(٢٠٦٣) بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ ، وَدَقِيقِ
 صَنَعَتِهِ . فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالِبٍ ^(٢٠٦٤) لَوْنٌ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غَمِسَ
 فِيهِ ؛ وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طُوقَ ^(٢٠٦٥) بِخِلَافٍ مَا صَبِغَ بِهِ .

الطاووس

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ . وَنَضَّدَ
 أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ ^(٢٠٦٦) ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ^(٢٠٦٧) . وَذَنَبٍ
 أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ ^(٢٠٦٨) إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طِيِّهِ ، وَسَمَّا بِهِ ^(٢٠٦٩)
 مُطِلًّا عَلَى رَأْسِهِ ^(٢٠٧٠) كَأَنَّهُ قَلْعٌ دَارِي ^(٢٠٧١) عَنَجَهُ نُوتِيهِ ^(٢٠٧٢) .

يَخْتَالُ^(٢٠٧٤) بِالْوَانِيهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيْفَانِهِ^(٢٠٧٥) . يُفْضِي^(٢٠٧٦) كَأَفْضَاءِ
الدِّيَكَةِ ، وَيُورُّ بِمَلَاقِحِهِ^(٢٠٧٧) أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ^(٢٠٧٨) لِلضَّرَابِ^(٢٠٧٩) .
أَحْيَلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَابِنَةٍ^(٢٠٨٠) ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ .
وَلَوْ كَانَ كَزَعْمٍ مَنْ يَزَعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ^(٢٠٨١) ،
فَتَقِفُ فِي ضَفْتِي^(٢٠٨٢) جُفُونِهِ ، وَأَنْ أَنْشَأَ تَطْعَمُ^(٢٠٨٣) ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبْيِضُ
لَا مِنْ لِقَاحِ^(٢٠٨٤) فَحْلِ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ^(٢٠٨٥) ، لَمَا كَانَ ذَلِكَ
بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعِمَةِ الْغُرَابِ^(٢٠٨٦) ! تَخَالُ قَصْبَهُ^(٢٠٨٧) مَدَارِي^(٢٠٨٨) مِنْ
فِضَّةٍ ، وَمَا أَنْبَتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ^(٢٠٨٩) وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ^(٢٠٩٠)
وَفَلَدَ الزَّبْرَجِدِ^(٢٠٩١) . فَإِنْ شَبِهْتَهُ بِمَا أَنْبَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ : جَنِي^(٢٠٩٢)
جُنِي مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَيْبِعٍ . وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِي
الْحَلَلِ^(٢٠٩٣) أَوْ كَمُونِي عَضْبِ الْيَمَنِ^(٢٠٩٤) . وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ
كَفُصُوصِ ذَاتِ الْوَانِ ، قَدْ نَطَّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمَكَلَّلِ^(٢٠٩٥) . يَمْشِي مَشْيَ
الْمَرْحِ الْمُخْتَالِ^(٢٠٩٦) ، وَيَتَصَفَّحُ ذَنْبَهُ وَجَنَاحِيهِ ، فَيُقَهِّقُهُ ضَاحِكًا
لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ^(٢٠٩٧) ، وَأَصَابِيغِ وَشَاحِهِ^(٢٠٩٨) ، فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى
قَوَائِمِهِ زَقَا^(٢٠٩٩) مُعَوَّلًا^(٢١٠٠) بِصَوْتِ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ ، وَيَشْهَدُ
بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمَشُ^(٢١٠١) كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْغِلَاسِيَّةِ^(٢١٠٢) .
وَقَدْ نَجَمَتْ^(٢١٠٣) مِنْ ظُنُوبِ^(٢١٠٤) سَاقِهِ صَيْبِيَّةٌ^(٢١٠٥) خَفِيَّةٌ ، وَلَهُ فِي

مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْرُوعَةٌ^(٢١٠٦) خَضْرَاءُ مُوشَاةٌ^(٢١٠٧) . وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيْقِ ،
 وَمَغْرَزُهَا^(٢١٠٨) إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ^(٢١٠٩) الْيَمَانِيَّةِ ، أَوْ
 كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةَ ذَاتِ صِقَالٍ^(٢١١٠) ، وَكَأَنَّهُ مُتَلَفَعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمٍ^(٢١١١) ،
 إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكثْرَةِ مَائِهِ ، وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاصِرَةَ مُتَزَجَّةٌ
 بِهِ . وَمَعَ فَتْحِ سَمْعِهِ خَطُّ كَمُسْتَدَقٍ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأَقْحُوَانِ^(٢١١٢) ،
 أَبْيَضٌ يَتَّقُ^(٢١١٣) ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ^(٢١١٤) . وَقَلُّ
 صِبْغٍ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ^(٢١١٥) ، وَعَلَاهُ^(٢١١٦) بِكثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ ،
 وَبَصِيبِ^(٢١١٧) دِيْبَاجِهِ وَرَوْنِقِهِ^(٢١١٨) ، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَشْهُوثَةِ^(٢١١٩) ، لَمْ
 تُرَبِّهَا^(٢١٢٠) أَمْطَارُ رَبِيعٍ ، وَلَا شَمْسٌ قَبِطٌ^(٢١٢١) . وَقَدْ يَنْحَسِرُ^(٢١٢٢)
 مِنْ رِيْشِهِ ، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى^(٢١٢٣) ، وَيَنْبْتُ تَبَاعًا ،
 فَيَنْحَتُ^(٢١٢٤) مِنْ قَصْبِهِ أَنْحِنَاتٌ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ ، ثُمَّ يَتَلَاحِقُ نَامِيًا
 حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ الْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ
 لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ ! وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أَرْتِكَ حُمْرَةً
 وَرَدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبْرَجْدِيَّةً ، وَأَحْيَانًا صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً^(٢١٢٥)
 فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ^(٢١٢٦) الْفِطَنِ ، أَوْ تَبْلُغُهُ فَرَائِحُ
 الْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ !

وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ !

فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ^(٢١٣٢) الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَّاهُ^(٢١٣٨) لِلْعُيُونِ ،
فَأَذْرَكَتُهُ مَحْدُوداً مُكُوناً ، وَمُؤَلَّفاً مُلُوناً ، وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ
صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ !

صغار المخلوقات

وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ^(٢١٢٩) الذَّرَّةِ^(٢١٣٠) وَالْهَمْجَةَ^(٢١٣١) إِلَى مَا
فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحَيْتَانِ وَالْفَيْلَةِ ! وَوَأَى^(٢١٣٢) عَسَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ
شَبْحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ ، إِلَّا وَجَعَلَ الْجِمَامَ^(٢١٣٣) مَوْعِدَهُ ، وَالْفَنَاءَ
غَايَتَهُ .

توضيح: «الطاووس» على قاعول وتصغيره طويس، و«طومت المرأة» أي
تزيّنت. و«الحيوان» بالتحريك، جنس الحي ويكُون بمعنى الحياة. و«الموات»
— كسحاب — ما لا روح فيه، وأرض لم تحي بعد، والتي لا مالك لها ولا ساكن
كالأرض والجبال وذي حركات كالماء والثار، أي المتحرك بطبعه، أو الأعم، ولا يضرب
التداخل، و«اللطف» الدقيق. و«ما» مفعول «أقام» والضمير عائد إلى ما في «به» و
«له» راجع إلى الله، ويحتمل أن يعود إلى «ما». و«نعقت» أي صاحت والغرض
الإشعار بوضوح الدلائل. والضمير في دلالة راجع إلى الله أو إلى «ما». و«مادراً» أي
خلق، وقيل: «الذرة» مختص بخلق الذرية. و«الأخاديد» جمع «أخدود» بالضم، وهو
الشق في الأرض؛ والظير الذي يسكن الأخدود كالقطا. و«الفجاج» بالكسر، جمع
«فَجَّ» بالفتح، وهو الطريق الواسع بين جبلين. والقبيح يسكن الفجاج. و«الأعلام»
الجبال. و«رواسيها» ثوابتها، والعقبان والصفور ونحوهما تسكن الجبال الراسية.
و«التصريف» التقلب والتحويل من حال إلى حال، و«مصرفة» منصوبة على الحالية
وفي بعض النسخ مجرور على أنه صفة لذوات أجنحة، وكذلك «مرففة». و«زقه»

شده، و«الزمام» — كتاب — مايزم به، و«زمام البعير» خطامه، و«زمام التسخير» القدرة الكاملة.

و«ررف الطائر بجناحيه» إذا بسطها عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و«مخارق الجوّ» أمكنتها التي تخرق الهواء فتدخلها. و«المنفسخ» الواسع، و«الفضاء» بالفتح، المكان الواسع. و«الحقاق» بالكسر، جمع «حُق» بالضمّ، وهو مجمع المفصلين من الأعضاء. و«احتجاب المفاصل» استتارها باللحم والجلد ونحوهما. و«عبل الشيء — بالضمّ — عبالة» بالفتح فيها مثل ضخم ضخامة وزناً ومعنى. «أن يسمو» أي يعلو في السماء أي في جهة العلوّ؛ وفي بعض النسخ: في الهواء. و«الخُفوق» بالضمّ، سرعة الحركة. و«دَفَّ الطائر» — كمدّ — حرك جناحيه لطيرانه ومعناه ضرب بها دَفَّيه وهما جناحاه، قيل: وذلك إذا أُسْرِعَ مشياً ورجلاه على وجه الأرض ثمّ يستقلّ طيراناً، و«دَفِيف الطائر» طيرانه فوق الأرض، يقال: «عقاب دفوف»، و«دَفَّت الحمامة» — كفرت — إذا سارت سيراً لينا، كذا في المصباح. ويظهر من كلام بعضهم أن الفعل كمدّ فيها، و«يدفّ» فيما عندنا من النسخ بكسر العين. و«نستها» أي رتبها، يقال: «نسقت الدر» — كنصرت — أي نظمتها، و«نسقت الكلام» أي عطفت بعضه على بعض. و«الاصابغ» جمع «أصباغ» بالفتح جمع «صبغ» بالكسر، وهو اللون، أي جعل كلاً منها على لون خاص على وفق الحكمة البالغة. و«غمسه في الماء» — كضربه — دخله، و«الاغتماس» الارتماس. شبه الطير بالثوب الذي دقّه الصبّاغ إذا أراد صبغه. و«القالب» بالفتح كما في النسخ، قالب الخفت وغيره كالحاتم والطابع وبالكسر، البسر الأحمر؛ وفي القاموس: «القالب» البسر الأحمر، وكالمثال يفرغ فيه الجواهر، وفتح لامه أكثر، و«شاة قالب لون» على غير لون أمّها؛ وفي حديث شعيب وموسى — عليهما السلام —: «لك من غنمي ما جاءت به قالب لون». تفسيره في الحديث أنها جاءت على غير ألوان أمّها كما أنّ لونها قد انقلب؛ ومنه حديث عليّ — عليه السلام — في صفة الطيور: «فمنها مضموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ماغمس فيه». ٦٦٠ انتهى.

والأظهر أن الغمس في قالب اللون عبارة عن إحاطة اللون الواحد بجميع أجزائه كما يحيط القالب بالأشياء المصوغة بالصَّب فيه من نحاس ونحوه. وعلى الكسر، يمكن أن يكون المراد بقالب اللون الذي يقلب اللون إلى لون آخر. و«لون صبغ» في بعض النسخ بجر «لون» مضافاً إلى «صبغ» على الإضافة البيانية، وفي بعضها بالجر منوناً و«صبغ» على صيغة الماضي المجهول، أي صبغ ذلك الغموس. و«الطوق» حليّ للعنق وكل ما استدار بشيء، وهذا النوع كالفواخت ونحوها. و«التعديل» التسوية، ومنه تعديل القسمة، والمراد إعطاء كل شيء منه في الخلق ما يستحقه وخلقه خالياً من نقص و«نضد متاعه» — كنصر — و«نضده» بالتشديد، أي جعل بعضه فوق بعض، أي رتب ألوانه. «بجناح أشرح قصبه» أي ركب بعضها في بعض كما يشرح العيبة أي يداخل بين أشراجها وهي عراها.

و«سحبه» — كمنعه — حره على وجه الأرض، و«سحبت المرأة ذيلها» إذا درج أي مشى. و«طوى الصلحفة» كرمي ضد نشرها. و«سما» — كدعا — أي ارتفع، و«سما به» أي أعلاه ورفعها. و«أطل عليه» أي أشرف. و«القلع» بالكسر، الشراع، و«الداري» منسوب إلى دارين وهو موضع في البحر كان يؤتى منه الطيب من الهند وهو الآن خراب لا عمارة به ولا سكنى وفيه آثار قديمة، والنسبة إليه لأنه كان مرسى^{٦٦١} السفن في زمانه — عليه السلام — و«عنجه» — كنصره — أي عطفه، وقيل: هو أن يجذب الراكب خظام البعير فيرده على رجله.

وفي النهاية: «النوتي» الملاح: الذي يدبر السفينة في البحر، و«قد نأت ينوت نوتا» إذا تمايل من النعاس، كأن النوتي يميل السفينة من جانب إلى جانب.^{٦٦٢} انتهى. ولطف التشبيه واضح.

و«اختال» أي تكبر وأعجب بنفسه. و«يمس» أي يتبخر، و«زاف يزيف زيفاناً» أي تبخر في مشيه. و«يفضي» أي يسفد، ويقال: «أفضى المرأة» أي جامعها

٦٦١- «المرسى» محلّ وقوف السفن.

٦٦٢- النهاية، ج ٤، ص ١٩١. وفيه: في حديث عليّ — عليه السلام —: «كأنه قطع داري عنجه نوته»، ثم ذكر التفسير.

أو خللها، و«الديكة» - كقردة - جمع «ديك» بالكسر؛ وفي بعض النسخ وفي نهاية ابن الأثير: «كإفشاء الديكة». و«يأز - كيمة - أراً» بالفتح، أي يجامع، و«ألقح الفحل الناقة» أي أحبلها، و«الملاقحة» مفاعلة منه؛ وفي بعض النسخ: «بلاقحه» على صيغة الجمع مضافاً إلى الضمير، أي بآلات تناسله وأعضائه. و«الفحل» الذكر من كل حيوان، و«غلم» - كعلم - أي اشتد شبقة، و«اغتم البعير» إذا هاج من شدة شهوة الضراب.

وقوله - عليه السلام - «أرّ الفحول المغتلمة» ليس في بعض النسخ. و«الإحالة» من الحوالة. «على ضعيف إسناده» أي إسناده الضعيف؛ وفي بعض النسخ: «على ضعف» بصيغة المصدر مبالغة. ويقال: «سفحت الدم» - كمنعت - أي أرقته، و«[سفحت] الدمع» أي أرسلته؛ وفي بعض النسخ: «تنشجها» - كتضرب -، يقال: «نشج القدر والزق» أي غلى ما فيه حتى سمع له صوت، ولعلّ الأول أوضح، فإنّ الفعل ليس متعدياً بنفسه على ما في كتب اللغة. و«ضفتا جفونه» جانبها، وكذلك ضفتا النهر والوادي. و«تطعم» على صيغة التفعّل بحذف إحدى التائين. و«بجس الماء تبجيساً» فجره فبجس وانبجس ويوجد الكلمة في النسخ بها أي الدمع المنفجر.

قال بعض الشارحين: زعم قوم أنّ اللقاح في الطاووس بالدمعة وأمير المؤمنين - عليه السلام - لم يحل ذلك، ولكنه قال: ليس بأعجب من مطاعمة الغراب. والعرب تزعم أنّ الغراب لا يسفد، ومن أمثالهم: «أنخى من سفاذ الغراب» فيزعمون أنّ اللقاح من المطاعمة وانتقال جزء من الماء الذي في قانصة الذكر إلى الأنثى من منقاره. وأما الحكماء فقلّ أن يصدقوا بذلك على أنهم قد قالوا في كتبهم ما يقرب من هذا، قال ابن سينا: والقبجة تحبلها ريح تهبّ من ناحية الحجل الذكر ومن سماع صوته؛ قال: والتوع المسمى مالاقياً^{٦٤٣} تتلاصق بأفواهاها ثم تتشابهك فذلك سفادها، ولا يخفى أنّ المثل المذكور لا يدلّ على أنّ الغراب لا يسفد، بل الظاهر منه خلافه إلا أن يكون مراد القائل

أيضاً ذلك. وأما كلامه — عليه السلام — فالظاهر منه أنّ الطاووس لقاحه بالسفاد لقوله — عليه السلام — «يؤزّ بملاقحة» ولتعبيره عن القول الآخر بالزعم، وأنّ الغراب لقاحه بالمطاعمة.

وفي القاموس: الحمام إذا أدخل فمه في فم أنثاه فقد تطاعما وطاعما. و«نخال الشيء» — كخاف — أي ظنه، و«نخاله يخيله» لغة فيه، وتقول في المضارع للمتكلم: «إنخال» بكسر الهمزة على غير قياس وهو أكثر استعمالاً وبنو أسد يفتحون على القياس. و«المدارى» بالبدال المهملة على ما في أكثر النسخ، جمع «مدرى» بكسر الميم. قال ابن الأثير: «المدرى والمدراة» شيء من حديد^{٦٦٤} أو خشب على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح به الشعر المتلبّد ويستعمله من لامشط له.^{٦٦٥}

وكان في نسخة ابن ميمم بالذال المعجمة، قال: وهي خشبة ذات أطراف كأصابع الكف ينقى به الطعام. و«الدارة» هالة القمر وما أحاط بالشيء كالدائرة. و«العقيان» بالضم، الذهب الخالص، وقيل: ما ينبت منه نباتا. و«الفلذ» — كعنب — جمع «فلذة» بالكسر، وهي القطعة من الذهب والفضة وغيرهما، و«فلذت له من الشيء» — كضربت — أي قطعت، و«الزبرجد» جوهر معروف، قيل: ويسمّيه الناس البلخش، وقيل: هو الزمرد. و«جنيت الثمرة والزهرة واجتنيتهما» بمعنى و«الجنّي» فعيل منه وفي بعض النسخ: «جنى» — كحصى — وهو ما يجنى من الشجر مادام غصفاً بمعنى فعيل، ولفظة الفعل المجهول ليست في بعض النسخ. و«زهر البنات» بالفتح، نوره، والواحدة «زهرة» كتمر وتمرّة، قالوا: ولايسمى زهراً حتى تفتح. والمضاهاة والمشاكلة والمشابهة بمعنى، واستعمال فاعل بمعنى فاعل بالتشديد كثير لاسيّما في كلامه — عليه السلام —. و«اللباس واللبس» بالكسر فيها و«الملبس» واحد.

و«الوشي» نقش الثوب من كلّ لون، و«الموشي» — كمرمي — المنقش. و«الحلل» — كصرد — جمع «حلة» بالضم، وهي إزار ورداء من برد أو غيره فلا تكون

٦٦٤- في المصدر: شيء يعمل.

٦٦٥- النهاية، ج ٢، ص ٢٣.

حَلَّةٌ إِلَّا مِنْ ثَوْبَيْنِ أَوْ ثَوْبٍ لَهُ بَطَانَةٌ. و«شيء أنيق» أي حسن معجب، و«المونق» مفعول منه قلبت الهمزة واوًا. و«العصب» بالفتح، ضرب من البرود. و«الحلي» بضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء، جمع «حلي» بالفتح والتخفيف، وهو ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة. و«الفصوص» جمع «فص» كفلس وقلوس؛ قال ابن السكيت: كسر الفاء رديًا. وقال الفيروزآبادي الفص للمخاتم، مثلثة والكسر غير لحن. و«نظقت باللجين» أي جعلت الفضة كالنطاق لها وهو ككتاب شبه إزار فيه تكّة تلبسه المرأة، وقيل: شقة تلبسها المرأة وتشدّ وسطها بجبل وترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض، والأسفل ينجرّ على الأرض^{٦٦٦}، و«كَلَل فلانا» ألبسه الأكليل وهو بالكسر، التاج، وشبه عصابة زين بالجوهر، وقال بعض الشارحين: شبه — عليه السلام — بالفصوص المختلفة الألوان المنطقة في الفضة أي المرصعة في صفائح الفضة، و«المكَلَل» الذي جعل كالأكليل. وحاصل الكلام أنه — عليه السلام — شبه قصب ريشه بصفائح من فضة رصعت بالفصوص المختلفة الألوان، فهي كالأكليل بذلك الترصيع والأظهر أن المكَلَل وصف للجين. و«مرح» — كفرح — وزناً ومعنى فهو «مرح» ككتف؛ وقيل: «المرح» أشد من الفرح^{٦٦٧}، وقيل: هو النشاط. و«تصفحت الكتاب» أي قلبت صفحاته. و«قة» — كفر — أي ضحك، وقال في ضحكه: قه بالسكون فاذا كثر قيل: «قهقهه قهقهة» مثل دحرج دحرجة. و«الجمال» الحسن في الخلق والخلق. و«السربال» بالكسر، القميص أو كلّ ما لبس. و«الوشاح» — ككتاب — شيء ينسج من أديم ويرضع شبه قلادة تلبسه النساء. و«زقا يزقو» أي صاح. و«أعول» أي رفع صوته بالبكاء والصياح. و«استغاث» طلب العون والنصر. و«توجع» أي تفجع أو تشكولأن قوائمه حمش أي دقاق، يقال: رجل أحمش الساقين. و«الخلّاسية» بالكسر، هي التي بين الدجاجة الهندية والفارسية، والولدين أبوين أبيض وسوداء وأسود وبيضاء، ذكره في العين. و«نجم النبات وغيره — كقعد — نجومًا» أي ظهر وطلع.

٦٦٦- في المخطوطة: يجرّ على الأرض.

٦٦٧- في المخطوطة: أشد الفرّج.

و«الظنبوب» بالضم، حرف العظم اليابس من قدم الساق، ذكره الجوهري. وفي القاموس: حرف الساق من قدم أو عظمه أو حرف عظمه. و«الصيصية» في الأصل، شوكة الحائك التي بها يسوي السداة واللحمة، قال الجوهري: ومنه صيصية الديك التي في رجله. و«العرف» بالضم، شعر عنق الفرس وغيره. و«القنزعة» بضم القاف والزاي، ما ارتفع من الشعر، وقيل: الخصلة من الشعر يترك على رأس الصبي. «موشاة» أي منقشة.

و«المخرج» اسم مكان، أي محل خروج عنقه كمحل خروج عنق الأبريق، ويشعر بأن عنقه كمنق الأبريق، أو مصدر، أي خروج عنقه كخروج عنق الأبريق، فالاشعار أقوى. و«الأبريق» فارسي معرب. ٦٦٨ و«غرزته» — كضربت — أي أثبتته في الأرض، و«مغزها» مبتدأ خبره «كصبغ الوسمة» و«بطنه» مبتدأ خبر محذوف، أي مغزها إلى حيث بطنه موجوداً وممتداً ومنتهى إليه كصبغ... إلى آخره؛ و«حيث» تضاف إلى الجملة غالباً وهو في المعنى مضافة إلى المصدر الذي تضمنته الجملة، قالوا: «حيث» وإن كانت مضافة إلى الجملة في الظاهر، لكن لما كانت في المعنى مضافة إلى المصدر فاضافتها إليها كإضافة، ولذا بنيت على الضم كالفاعلات على الأعراف. فقال الرضي — رضي الله عنه — حذف خبر المبتدأ الذي بعد «حيث» غير قليل.

و«الوسمة» بكسر السين كما في بعض النسخ وهي لغة الحجاز وأفصح من السكون وأنكر الأزهري السكون وبالسكون كما في بعض النسخ وجوره بعضهم، نبت يختضب بورقه، وقيل: هو ورق النيل. و«الصقال» — ككتاب — اسم من «صقله» — كنصر — أي جلده، فهو مصقول وصقيل. و«اللفاع» — ككتاب — الملحفة أو الكساء أو كل ما تتلفع به المرأة، و«تلفع الرجل بالثوب» إذا اشتمل به وتغطى؛ وفي بعض النسخ: «متلفع» و«المقنع والمقنعة» بالكسر فيهما، ماتتلفع به المرأة، و«القناع» — ككتاب — أوسع منها. و«المعجر» — كمنبر — ثوب أصفر من الرداء تلبسه المرأة؛ وقال المطرزي: ثوب كالعصابة تلفه المرأة على استدارة رأسها. و«السحم» بالتحريك

و«السحمة» بالضم، السواد، و«الأسحم» الأسود. و«خيل له كذا» بالبناء للمفعول من الخيال بمعنى الوهم والظن أي لبس عليه؛ وفي بعض النسخ «يخيل» على صيغة المعلوم فالفاعل ضمير الطاووس. و«البريق» اللمعان.

«واستدق» أي صار دقيقاً وهو ضد الغليظ، و«المستدق» على صيغة اسم الفاعل وفي بعض النسخ على صيغة اسم المفعول، قال ابن الأثير: «استدق الدنيا» أي احتقرها و استصغرها، وهو استفعل من الشيء الدقيق الصغير، والمشيبه على الأول القلم، وعلى الثاني المرقوم؛ ويمكن أن تكون الاضافة على الأول لأدنى ملاسة فإن الرقم الدقيق له نسبة إلى القلم. و«الأفحوان» بالضم، البابونج. و«أبيض يقق» بالتحريك، أي شديد البياض. و«ائتلق وتآلق» أي التمع. و«علافلان فلاناً» أي غلبه وارتفع عليه. و«بص» — كفر — أي برق ولمع. و«الديباج» ثوب سداه ولحمته أبريسم وقيل: هو معرب ثم كثر حتى اشتقت العرب منه فقالوا: «دبح الغيث الأرض دبحاً» إذا سقاها فأثبت أزهاراً مختلفة لأنه اسم للمنقش. و«رونق الشيء» ماؤه وحسنه، أي أخذ من كل لون نصيباً وزاد على اللون بالبريق واللمعان. و«الزهرة» بالفتح وبالتحريك، النبات ونوره والجمع «أزهار» وجمع الجمع «أزاهر»^{٦٦٩}.

و«البث» النشر والتفريق. و«رب فلان الأمر» أي أصلحه وقام بتدبيره، و«رب الدهن» أي طيبه. و«القيظ» فصل الصيف وشدة الحر، ولعل الجمع في الأمطار باعتبار الدفعات وفي الشمس بتعدد الإشراق في الأيام أو باعتبار أن الشمس الطالع في كل يوم فرد على حدة لاختلاف التأثير في نضج الثمار وتربية النبات باختلاف الحر والبرد وغير ذلك. و«تحسر البعير» على صيغة التفعّل، أي سقط من الإعياء؛ وفي بعض النسخ: «تنحسر» على صيغة الانفعال، تقول: «حسره — كضربه ونصره — فانحسر» أي كشفه فانكشف. و«العري» بالضم، خلاف اللبس والفعل كرضي. و«تتري» فيه لغتان تنون ولا تنون مثل علقى فن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف التأنيث وهو أجود، وأصلها «وتري» من الوتر وهو الفرد، قال الله — تعالى —: «ثم

أرسلنا رُسُلَنَا تَتْرَى»^{٦٧٠} أي واحداً بعد واحد، ومن نَوْنَهَا جعل ألفها ملحقة، ذكره الجوهري. وقال بعض شارحي النهج: «تتري» أي شيئاً بعد شيء وبينها فترة، وهذا مما يغلط فيه قوم فيعتقدون أنّ «تتري» للمواصلة والاتصاق. و«ينبت تباعاً» أي لافترات بينها، وكذلك حال الريش الساقط. و«التباع» بالكسر، الولاء. و«انحمت ورق الشجر» أي سقطت.

وقوله — عليه السلام — «سالف ألوانه» في بعض النسخ: «سائر ألوانه» قال الجوهري: «سائر الناس» أي جميعهم، وفي المصباح: قال الأزهري: اتفق أهل اللغة أنّ سائر الشيء باقية قليلاً كان أو كثيراً، ولعلّ المراد عدم مخالفة لون الريش النابت للباقي من السوالف، أو المراد عدم التخالف بين الأرياش النابتة، وما في الأصل أوضح. و«الورد — بالفتح — من كَلَّ شجرة» نورها، وغلب على الورد الأحمر. و«التارة» الحين والزمان. و«العسجد» — كجعفر — الذهب. و«العمق» بالضم وبالفتح، قعر البئر ونحوها. و«الفطن» — كعنب — جمع «فطنة» بالكسر، وهي الخدق والعلم بوجوه الأمور، و«عمائق الفطن» الأذهان الثاقبة. و«القريحة» أول ما يستنبط من البئر ومنه قولهم: «لفلان قريحة جيدة» يراد استنباط العلم بجودة الطبع، و«اقترحت الشيء» أي ابتدعته من غير سبق مثال. والواو في قوله — عليه السلام — «وأقلّ» للحال، ولا ريب أنّ الشعرة أقلّ الأجزاء التي بها قوام الحيوان والمراد بعجز الأوهام العجز عن وصف علل هذه الألوان واختلافها واختصاص كلّ بموضعه وسائر ما أشار — عليه السلام — إليه، أو العجز عن إدراك جزئيات الأوصاف المذكورة وتشريح الهيئات الظاهرة والخصوصيات الخفية في خلق ذلك الحيوان كما هو المناسب لما بعده. و«بهره» — كمنعه — أي غلبه. و«جلاه» بالتشديد والتخفيف على اختلاف النسخ، أي كشفه. و«التكوين» الاحداث والايجاد. و«قعدبها» أي أقعدها وأعجزها، والغرض الدلالة على عجز العقول عن إدراك ذاته — سبحانه — فإنها إذا عجزت عن إدراك مخلوق ظاهر للعيون على الصفات المذكورة فهي بالعجز عن إدراكه — سبحانه —

ووصفه أخرى، وكذلك الألسن في تلخيص صفته وتأدية نعتة.

و«دمج الشيء - كنصر - دمجاً» دخل في الشيء واستحكم فيه وأدجمه غيره. و«الذرة» واحدة الذر وهي صغار النمل. و«الهمجة» واحدة الهمج كذلك وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحرر وأعينها. و«الحيتان» جمع «حوت». و«الأفيلة» جمع «فيل» والمعروف بين أهل اللغة «فيلة» - كعنبه - كما في بعض النسخ، وأفيال وفيول. وقال ابن السكيت: ولا تقبل: «أفيلة» و«أوى» أي وعد. و«اضطرب» أي تحرك. و«الشبح» الشخص. و«أولج» أي أدخل. و«الحمام» - ككتاب - قضاء الموت وقدره. ٤٧١

منها في صفات الجنة

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوَصَّفُ لَكَ مِنْهَا لَعَرَفْتَ نَفْسُكَ (٢١٣٤)
 عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَائِهَا ، وَزَخَارِفِ
 مَنَاطِرِهَا ، وَلَذَهَلَتْ بِالْفِكْرِ فِي أَصْطِفَاقِ أَشْجَارِ (٢١٣٥) غُيَّبَتْ عُرُوقُهَا
 فِي كُتُبَانِ (٢١٣٦) الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّلُؤِ
 الرُّطْبِ فِي عَسَالِيحِهَا وَأَفْنَانِهَا (٢١٣٧) ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي
 غُلْفِ أَكْمَامِهَا (٢١٣٨) ، تُجْنَى (٢١٣٩) مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنِيَّةِ
 مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَالِهَا فِي أَفْنِيَّةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ (٢١٤٠) ،
 وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكِرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ
 الْقَرَارِ ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ

إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِرِ الْمُونِقَةِ^(٢١٤١) ، لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا ، وَلْتَحَمَلْتِ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا . جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب

قال السيد الشريف رضي الله عنه : قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « يَوْرٌ بِمَلَاقِحِهِ » ، الْأَرْ : كِنَايَةٌ عَنِ النِّكَاحِ ، يُقَالُ : أَرَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ يَوْرَهَا ، إِذَا تَكَحَّحَهَا . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كَأَنَّهُ قَلْعُ دَارِي عَنَجَةٍ نُوتِيَةٍ » الْقَلْعُ : شِرَاعُ السَّفِينَةِ ، وَدَارِي : مَنَسُوبٌ إِلَى دَارِي ، وَهِيَ بَلَدَةٌ عَلَى الْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطَّيِّبُ . وَعَنَجَةٌ : أَي عَطْفَةٌ . يُقَالُ : عَنَجْتُ النَّاقَةَ - كَنَصَرْتُ - أَعْنَجَهَا . عَنَجًا إِذَا عَطَفْتُهَا . وَالنُّوتِي : الْمَلَاخُ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ضَفَّتِي جُفُونِهِ » أَرَادَ جَانِبِي جُفُونِهِ . وَالضَّفَّتَانِ : الْجَانِبَانِ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَقَلْدَ الرَّبْرِجَدِ » الْفَلْدُ : جَمْعُ فَلْدَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كَبَائِسِ التَّوَلُّوِ الرَّطْبِ » الْكِبَاسَةُ : الْعِدْقُ^(٢١٤٢) وَالْعَسَالِيحُ : الْغُصُونُ ، وَاحِدُهَا عَسْلُوجٌ .

بيان: «لعزفت» أي زهدت. و«الزخرف» الذهب و كل مموه. و«الاصطفاق» الاضطراب؛ ويروى: «اصطفاف أشجار» أي انتظامها صفًا. و«الكبائس» جمع «كباسة» وهي العدق التام بشماريخه ورطبه. و«العساليح» الأغصان، وكذا الأفنان. قوله - عليه السلام - «فتأتي علي منية مجتنها» أي لا يترك له منية أصلاً. وقال الفيروزآبادي: «التصفيق» تحويل الشراب من إناء إلى إناء ممزوجاً ليصفو؛ وقال: «الرواق» الصافي من الماء وغيره والمعجب. ويقال: «زهقت نفسه» أي مات. ٦٧٢

١٦٦ - وَمِنْ حُطْبِ الْمَدِينَةِ السَّادِسَةِ

للحديث على الثالث

لِيَتَأَسَّ^(٢١٤٣) صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ ، وَلِيَرَأَفَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ ؛
وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ : لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللَّهِ
يَعْقِلُونَ ؛ كَقَبِيضِ^(٢١٤٤) بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ^(٢١٤٥) يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرًّا ،
وَيُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرًّا .



بنو أمية

مركز تحقيقات كميته علوم سياسي

وَمِنْهَا : أَفْتَرَقُوا بَعْدَ الْفَتْهِمِ ، وَتَشْتَتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ
بِبُغْضِ أَيْنَمَا مَالَ مَالٍ مَعَهُ . عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِيَبْنِيَ
أُمِّيَّةً ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ^(٢١٤٦) ! يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ
يَجْمَعُهُمْ رُكَّامًا كَرُّكَامٍ^(٢١٤٧) السَّحَابِ ؛ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابًا . يَسِيلُونَ
مِنْ مُسْتَشَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ ، حَيْثُ لَمْ تَسَلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ
عَلَيْهِ أَكْمَةٌ^(٢١٤٨) ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ رَصٌ طَوْدٌ ، وَلَا حِدَابٌ أَرْضٍ .
يُدْعِدِعُهُمْ^(٢١٤٩) اللَّهُ فِي بَطُونِ أَوْدِيَّتِهِ ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ ،
يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمْكِنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ . وَأَيْمُ
اللَّهِ ، لَيَدُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ ، كَمَا تَدُوبُ الْأَلْيَةُ

عَلَى النَّارِ .

الناس آخر الزمان

أَيُّهَا النَّاسُ . لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ
الْبَاطِلِ . لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَمْ يَقْوَمَنْ قَوِيَّ عَلَيْكُمْ .
لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي ، لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ التِّيهُ مِنْ
بَعْدِي أَضْعَافاً^(٢١٥٠) بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ الْأَذْنَى ،
وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ ، سَلَكَ بِكُمْ
مِنْهَا جَ الرَّسُولِ ، وَكُفَيْتُمْ مَوْتَةَ الْاِعْتِسَافِ ، وَنَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْفَادِحَ^(٢١٥١)
عَنْ الْأَعْنَاقِ .

إيضاح: تأسى الصغير بالكبير لأنه أكثر تجربة وأحزم. وقال الكيدري: أي
ليتأس من صغر منزلته في العلم والعمل بمن له متانة فيها، وليرحم كل من له جاه ومنزلة
في الدنيا بالمال والقوة كل من دونه. و«القيض» بالفتح، قشرة البيض العليا اليابسة،
وقيل: التي خرج مافياها من فرخ أوماء؛ وفي بعض النسخ: «كبيض هيض» أي كسر.
و«الأداحي» جمع «الأدحى» بالضم وقد يكسر، وهو الموضع الذي تبيض فيه النعام
وتفرخ، وهو أفعال من «دحوت»، لأنها تدحو برجلها، أي تبسطه، ثم تبيض فيه.
وليس للنعام عش. وقال ابن أبي الحديد: وجه الشبه أنه إن كسرها كاسرأثم لأنه يظنه
بيض القطا، وإن لم يكسر يخرج حضانها شراً إذ يخرج أفعي قاتلاً. واستعار لفظ
الأداحي للأعشاش مجازاً لأن الأداحي لا تكون إلا للنعام.

قال ابن ميثم: نهاهم — عليه السلام — أن يشبهوا جفاة الجاهلية في عدم تفقهم
في الدين فيشبهون إذن بيض الأفاعي في أعشاشها، ووجه الشبه أنه إن كسره كاسرأثم

لتأذي الحيوان به؛ فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاة الجاهلية لا يحل أذاهم لحرمة الإسلام، وإن أهملوا وتركوا على الجهل خرجوا شياطين. و«الحضان» بالكسر، مصدر «حضن الطائر بيضه» إذا ضمّه إلى نفسه تحت جناحه، وهو مرفوع بالفاعلية.

قوله — عليه السلام — «افترقوا» يذكر حال أصحابه وشيعته. وقال ابن أبي الحديد: «الآنخذ بالفصن» من تمسك بعده — عليه السلام — بذرية الرسول — صلى الله عليه وآله — وتقدير الكلام: ومنهم من لا يكون كذلك. ثم ذكر — عليه السلام — أن الفريقين، يجتمعان لشر يوم. و«القرع» جمع «قرعة» وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاماً، و«الركام» ما كثف من السحاب. و«مستشارهم» موضع ثورانهم وهيجانهم. و«الجتان» هما اللتان ذكرهما الله في القرآن في قصة أهل سبأ. و«القارة» الجبل الصغير. و«الأكمة» الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً. و«سننه» طريقه. و«طود مرصوص» أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض. و«الحداب» جمع «حدبة» وهي الروابي والشجاد. و«الذعذعة» التفريق، ولعله كناية عن إخفائهم بين الناس في البلاد ثم إظهارهم بالإعانة والتأييد. والمراد بالقوم ثانياً آل الرسول — صلى الله عليه وآله — وهو إشارة إلى ظهور بني عباس وانقراض بني أمية.

وقوله — عليه السلام — «وايم الله ليدوبن مافي أيديهم» يحتمل أن يكون إشارة إلى ذهاب ملك بني أمية أو بني العباس. و«تاه في الأرض» ذهب متحيراً، و«المتاه» مصدر. والمراد بالأدنى نفسه — عليه السلام —، وبالأبعد من تقدم عليه. والداعي هو — عليه السلام — أو القائم — عليه السلام —. و«الاعتساف» سلوك غير الطريق. و«فدحه الدين» أثقله. والمراد بالثقل الفادح الإثم والعذاب في الآخرة، أو الأعم.^{٤٧٣}

١٦٧ - وَمِنْ حَبْلِ الْإِيمَانِ الْإِسْلَامُ

في أوائل خلافته

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيْنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فَخُذُوا
نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَأَصْدِفُوا^(٢١٥٢) عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا .

الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ ! أَدُوهَا إِلَى اللَّهِ تُودِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ . إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ
حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ^(٢١٥٣) ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ
الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ بِالْإِحْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ
فِي مَعَاقِدِهَا^(٢١٥٤) ، « فَالْمُسْلِمُ مِنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِيهِ » إِلَّا
بِالْحَقِّ ، وَلَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ .

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةِ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ^(٢١٥٥) ، فَإِنَّ النَّاسَ
أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا ، فَإِنَّمَا
يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ .

اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ . فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ
وَالْبَهَائِمِ . أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ ،
وَإِذَا رَأَيْتُمْ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ .

بيان: «النهج» بالفتح، الطريق الواضح. و«صدف عنه» — كمنع — أي
 أعرض. و«السمت» الطريق. و«القصد» استقامة الطريق، يقال: «قصد فلان»
 — كضرب — إذا رشد. و«الفرائض» مكرراً نصب على الإغراء. و«الحرم» جمع
 «حرمة» وهو اسم من الاحترام. «وشد الحقوق بالإخلاص والتوحيد» ربطه بهما.
 هو الله — تعالى — أوجب على المخلصين الموحدين المحافظة عليها، وجعلها مكتملاً فُماً.
 و«معاقدها» مواضعها. و«ما يجب» أي ما يلزم ويثبت وهو كالتأكيد لقوله «إلا
 بالحق» والمراد بالمبادرة إلى الموت الرضا به والتبؤله والاستعداد لما بعده؛ والموت وإن
 كان يعم كل حيوان إلا أن له مع كل أحد خصوصية وكيفية مخالفة لحاله مع غيره.
 والتقوى في العباد، اتباع أمر الله في المعاملات والأموال الدائرة بين الناس وفي البلاد،
 القيام بحق المقام والعمل في كل مكان بما أمر به. والسؤال عن البقاع: لم أخربتم هذه؟
 ولم عمرتم هذه؟ ولم لم تعبدوا الله فيها؟ وعن البهائم لم أجعتموها؟ أو أوجعتموها، ولم
 لم تقوموا بشأنها ورعاية حقها؟^{٤٧٤}

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

بيان: «واصدفوا» أي أعرضوا عن طريقه. و«القصد» العدل. ونصب
 الفرائض على الإغراء. قوله — عليه السلام — «وشد بالإخلاص» أي ربط الحقوق بها
 فأوجب على المخلصين الموحدين المحافظة على حقوق المسلمين. قوله — عليه السلام —
 «وخاصة أحدكم» قال ابن أبي الحديد: الموت وإن كان عاقباً لكل حيوان إلا أن له
 مع كل حيوان خصوصية وكيفية مخالفة مع غيره. «فإن الناس أمامكم» أي سبقوكم
 إلى الموت. وفي بعض النسخ: «البأس» بالباء الموحدة مع الهمزة، أي الفتنة.
 «تحدوكم» أي تسوقكم، و«الهداء» سوق الإبل والغناء لها. «تحففوا» أي بالقناعة من
 الدنيا باليسير وترك الحرص عليها. وارتكاب المآثم، فإن المسافر الخفيف أحرق بلحوق
 أصحابه وبالنجاة. «إنها ينتظر» أي للبعث والنشور.^{٤٧٥}

٦٧٤- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٦٨، كتاب الإيمان والكفر، ص ٢٩٠.

٦٧٥- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٩٩، ط كنياني وص ٣٧٣، ط تبريز.

١٦٨ - وَمَنْ كَلِمَاتِهِ السَّلَامُ

بعدما بويج بالخلافة ، وقد قال له قوم من الصحابة : لو عاقبت
قوماً ممن أجلب على عثمان ؟ فقال عليه السلام :

يَا إِخْوَتَاهُ ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ
وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ^(٢١٥٦) عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ^(٢١٥٧) ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ !
وَمَا هُمْ هَوْلَاءُ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ . وَالتَّفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ ،
وَهُمْ خِلَالِكُمْ^(٢١٥٨) يَسُومُونَكُمْ^(٢١٥٩) مَا شَاءُوا ، وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةِ
عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ ! إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَاهِلِيَّةٌ ، وَإِنَّ لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ
مَادَّةً^(٢١٦٠) . إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ
تَرَى مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ ،
فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدِيَ النَّاسُ ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤَخَذَ الْحُقُوقُ
مُسَمَّحَةً^(٢١٦١) ؛ فَاهْدُوا عَنِّي ، وَأَنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي ، وَلَا تَفْعَلُوا
فَعْلَةً تُضَعِّضُ^(٢١٦٢) قُوَّةً ، وَتُسْقِطُ مِنْهُ^(٢١٦٣) ، وَتُورِثُ وَهْنًا^(٢١٦٤) وَذِلَّةً .
وَسَأْمِسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ . وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً فَاخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ^(٢١٦٥) .

إيضاح: «لوعاقبت» جزء الشرط محذوف، أي لكان حسناً ونحوه. و«أجلبوا
عليه» تجتمعوا وثألبوا. قوله - عليه السلام - : «على حدِّ شوكتهم» أي لم ينكسر
سورتهم، و«الحد» منتهى الشيء، ومن كلِّ شيء حدته، ومنك بأسك. و«الشوكة»
شدة البأس، والحد في السلاح. وروي أنه - عليه السلام - جمع الناس ووعظهم، ثم
قال: لتقم قتلة عثمان. فقام الناس بأسرهم إلا قليلاً. وكان ذلك الفعل منه

— عليه السلام — استشهداً على قوله. و«العبدان» جمع عبد. و«التفت» أي انضمت واختلطت. «وهم خيالكم» أي بينكم. «يسومونكم» أي يكلفونكم. قوله — عليه السلام — «إن هذا الأمر» أي أمر المجلبين عليه كما قال ابن ميثم: إن قتلهم لعثمان كان عن تعصب وحمية لاطاعة أمر الله وإن كان في الواقع مطابقاً له. ويمكن أن يكون المراد: إن ما تريدون من معاقبة القوم أمر جاهلية نشأ عن تعصبكم وحميتكم وأغراضكم الباطلة، وفيه إثارة للفتنة وتهيج للشعر، والأول أنسب بسياق الكلام إذ ظاهر أن إيراد تلك الوجوه للمصلحة وإسكات الخصم وعدم تقوية شبه المخالفين الطالبين لدم عثمان.

قوله — عليه السلام — «مسيحة» أي منقادة بسهولة. ويقال: «ضعضه» أي هدمه حتى الأرض. و«المتة» بالضم، القوة. قوله — عليه السلام — «فآخر الداء الكي» كذا في أكثر النسخ المصححة، ولعل المعنى: بعد الداء الكي إذا اشتد الداء، ولم يزل بأنواع المعالجات فيزول بالكي، وينتهي أمره إليه.

وقال ابن أبي الحديد: «آخر الداء الكي» مثل مشهور، ويقال: آخر الطب، ويغلط فيه العامة فتقول: «آخر الداء الكي»^{٦٧٤}. ثم قال: ليس معناه وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ما أمكن فإذا لم أجد بدأ عاقبتهم، ولكنّه كلام قاله — عليه السلام — أول مسير طلحة والزبير إلى البصرة، فإنه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر — عليه السلام — بما ذكر ثم قال: سأمسك نفسي عن محاربة هؤلاء الناكثين واقنع براسلتهم و تخويفهم فإذا لم أجد بدأ فأخر الداء الحرب.^{٦٧٧}

أقول: ويحتمل أن يكون ذلك تورية منه — عليه السلام — ليفهم المخاطبين المعنى الأول ومراده المعنى الثاني.^{٦٧٨}

٦٧٦- شرح النج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٩٢، ط بيروت.

٦٧٧- شرح النج لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٢٩٤، ط بيروت.

٦٧٨- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٣٧٧، ط كسباني وص ٣٥٥، ط تبريز.

١٦٩ - وَمِنْ حَبْلِ الْوَدْيِ إِلَى السَّلَامِ

عند مسير أصحاب الحمل إلى البصرة
الأمور الجامعة للمسلمين

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ
إِلَّا هَالِكٌ^(٢١٦٦) . وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ^(٢١٦٧) الْمُشَبَّهَاتِ^(٢١٦٨) هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا
مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ
غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ^(٢١٦٩) وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا . وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ
سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ^(٢١٧٠) الْأَمْرُ إِلَى
غَيْرِكُمْ .

مرکز تحقیقات کتب و تاریخ علوم اسلامی

التنغير من خصومه

إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَوْا^(٢١٧١) عَلَى سَخَطَةِ^(٢١٧٢) إِمَارَتِي ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ
أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ : فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَى فَيَالَةِ^(٢١٧٣) هَذَا الرَّأْيِ أَنْقَطَعَ
نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا^(٢١٧٤) اللَّهُ
عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ
تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ ،
وَالنَّعْشُ^(٢١٧٥) لِسُنَّتِهِ .

بيان: «وأمر قائم» أي باق حكمه غير منسوخ، وقيل: أي مستقيم ليس بذي

عوج. «لا يهلك عنه» أي معرضاً وعادلاً عنه «إلا هالك» أي من بلغ الغاية في الهلاك. و«المشبهات» بالفتح، أي التي أشبهت السنن وليست منها، أو بالكسر، أي تشبه الأمر على الناس. وقوله — عليه السلام — «إلا ما حفظ الله» استثناء من بعض متعلقات المهلكات، أي إنها مهلكة في جميع الأحوال إلا حال حفظ الله بالعصمة عن ارتكابها، أو كلّ أحد إلا من حفظه الله، ف «ما» بمعنى «من». قوله — عليه السلام — «لأنّ في سلطان الله» أو دين الله، أو حجّة الله، أو الإمام أي في طاعته.

قوله — عليه السلام — «غير ملومة» أي مخلصين غير ملوم صاحبها بأن ينسب إلى النفاق والرياء، وفي بعض النسخ على التفعيل للمبالغة، ويروى: «غير ملوية» أي غير معوجة، من «لويت العود» إذا عطفته. قوله — عليه السلام — «حتى يأرز» أي ينقبض وينضّم ويجتمع. «إنّ هؤلاء» أي طلحة والزبير وعائشة. «قد تماؤؤوا» أي تساعدوا واجتمعوا وتعاونوا. و«الفيالة» الضعف، أي إن بقوا على ضعف رأيهم قطعوا نظام المسلمين. و«النيء» الرجوع. قوله — عليه السلام — «فأرادوا الأور» أي أرادوا انتزاع الأمر منه — عليه السلام — كما انتزع أولاً. و«النعش» الرفع. والضميران في «حقه وسنته» راجعان إلى الرسول. ٦٧٩

١٧٠ — وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ بِالْحَقِّ

في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجّة

كلم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة حاله مع أصحاب الحمل لتزول الشبهة من نفوسهم ، فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق ، ثم قال له : بايع ، فقال : إني رسول قوم ، ولا أحدث حدثاً حتى أرجع إليهم . فقال عليه السلام :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ ،

فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَالِ وَالْمَاءِ ، فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ
وَالْمَجَادِبِ ، مَا كُنْتَ صَانِعاً ؟ قَالَ : كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالَفَهُمْ إِلَى الْكَلَالِ
وَالْمَاءِ . فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : فَأَمُدُّ إِذَا يَدُكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ :
فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْتِنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ .

وَالرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكَلْبِ الْجَرْمِيِّ .

بيان: «المجادب» مجال الجذب. ٦٨٠

١٧١ - وَمِنْ أَمَلِيهِ السَّلَامُ

لما عزم على لقاء القوم بصفين

الدعاء

اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ^(٢١٧٦) ، وَالْجَوْ الْمَكْفُوفِ^(٢١٧٧) ، الَّذِي
جَعَلْتَهُ مَغِيضاً^(٢١٧٨) لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَجْرَى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمُخْتَلِفاً
لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ ؛ وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سَبْطاً^(٢١٧٩) مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْأَمُونَ
مِنْ عِبَادَتِكَ ؛ وَرَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنْعَامِ ، وَمَدْرَجاً
لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمَا لَا يُرَى ؛ وَرَبَّ الْجِبَالِ
الرَّوَّاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتاداً ، وَلِلْخَلْقِ أَعْتِمَاداً^(٢١٨٠) ، إِنَّ

أَظْهَرْتَنَا عَلَىٰ عَدُوِّنَا ، فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدَّدْنَا لِلْحَقِّ ؛ وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا
فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ ، وَأَعِصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ .

الدعوة للقتال

أَيْنَ الْمَانِعِ لِلذَّمَارِ^(٢١٨١) ، وَالْغَائِرِ^(٢١٨٢) عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ^(٢١٨٣) مِنْ
أَهْلِ الْحِفَاطِ^(٢١٨٤) ! أَلْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ !

بيان: «السقف المرفوع» السماء. و«الجوّ» الهواء وما بين السماء والأرض، و«كفه» أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، وفسر بعضهم الجوّ المكفوف بالسماء أيضاً والظاهر أنّ المراد به هنا الهواء بين السماء والأرض فإنه مكفوف بالسماء، وقد ورد في الدعاء: «وسدّ الهواء بالسماء»، و«عاض الماء يغيض غيضاً» نصب وقلّ، وكون السماء مغيضاً لليل والنهار والشمس والقمر ظاهر لأنّها فيها تغيب، وأما الجوّ المكفوف فإنّ فسر بالسماء فظاهر أيضاً، وإنّ فسر بالهواء فلكون آثارها تظهر فيه ويرى بحسب الحسّ كذلك، وقيل: المراد به الهواء والفضاء بين السماوات فإنه مكفوف بها، ويمكن حمله على البعد الموجود أو الموهوم الذي هو مكان الفلك، وكفّها تحديدها وضبطها بالسماوات، ويمكن جعل الموصول صفة لمجموع السقف والجوّ لا تصالهما بعدّها شيئاً واحداً، فإنّ المجموع محلّ لتلك الآثار والأجرام في الجملة ومختلفاً للنجوم السّيارة. وقال ابن ميثم: المراد بالجوّ السماء، وكونه مغيضاً لليل والنهار لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيوبة الليل وعن وجهها لغيوبة النهار فكان كالمغيض لهما، وقيل: «جعلته مغيضاً» أي غيضة لهما، وهي في الأصل الأجمة كما يجتمع فيها الماء فتسمى غيضة وينبت فيها الشجر، كأنه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها. وقال الكيدريّ في شرحه: «المغيض» الموضع الذي يغيض فيه الماء أي ينضب ويقلّ، وجعل السماء والفلك مغيضاً لليل والنهار مجازاً أي ينقص الله الليل مرة والنهار أخرى وإن زاد في الآخر، وذلك بحسب جريان الشمس. وقال

«الجبّو المكفوف» كأنه أراد الهواء المحدود الذي ينتهي حدّه إلى السماء، والجبّو ما بين السماء والأرض كأنه كفّ أي منع من تجاوز حدّيه. وقال أبو عمرو: الجبّو ما اتّسع من الأودية، وكلّ مستدير فهو «كفّة» بالكسر، كأنه أراد الهواء الذي هو على هيئة المستدير، لأنّه داخل الفلك الكرويّ الشكل، أو أراد بالجبّو الفلك العريض الواسع بالمكفوف ما كان عليه كفّه من المجرّة والنيرّات فيكون من كفّة الثوب أو أراد بالمكفوف الفلك المحكم الخلق الشديد المتبرّز عن الخلل والفتور من قولهم «عيبه مكفوفة» أي مشرحة مشدودة. ٦٨١ انتهى.

و«الاختلاف» التردّد، وحمله على اختلاف الفصول بعيد. و«السبط» بالكسر، الأمة والقبيلة. «لايسأمون» أي لا يملّون. «قراراً» أي محلّ استقرار. و«درج» — كقعد — أي مشى. و«الهوام» الحشرات. وقال ابن ميثم: قال بعض العلماء: من أراد أن يعرف حقيقة قوله — عليه السلام — «مما يرى ومما لا يرى» فليوقد ناراً صغيرة في فلاة في ليلة صيفيّة وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره. وأقول: يحتمل أن يراد ما ليس من شأنه الرؤية لصغرهِ أو لطافته كالملك والجنّ. و«الاعتماد» الاتكاء و«الاتكال»، إذ الجبال مساكن لبعضهم ومنها تحصل منافعهم. ٦٨٢

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «الجبّو» ما بين السماء والأرض والهواء. و«غاض الماء غيضاً» نصب وقلّ، والمراد هنا بالسقف المرفوع السماء، وبالجبّو المكفوف السماء أيضاً، من «كفّه» أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، أو الهواء لكونه مضموماً بالسماء محفوظاً عن الانتشار كما ورد في الدعاء: «وسدّ الهواء بالسماء» لكن يأبى عنه وصفه بكونه مجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السائرة، وكونه مغيضاً لليل والنهار، لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيوبه الليل، وعن وجهها لغيوبه النهار، فكان

٦٨١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٣٢٨، ط بيروت.

٦٨٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٨، كتاب السماء والعالم، ص ٩٤ - ٩٥.

كالغيض لهما؛ وقيل: «المغيض» الغيضة وهي في الأصل الأجمة ويجتمع إليها الماء فيسمى غيضة ومغيضاً وينبت فيها الشجر، وكذلك الليل والنهار يتوكدان من جريان الفلك فكان كالغيضة لهما. و«الاختلاف» التردد.

قوله — عليه السلام — «سبياً» أي قبيلة. قوله — عليه السلام — «قراراً» أي موضع استقرارهم. و«مدرجاً» أي موضع سيرها وحركاتها. و«الهوام» الحشرات. قوله — عليه السلام — «وللخلق اعتماداً» لأنهم يجعلونها مساكن لهم ويستغنون عن بناء جدار مثلاً، ولأنها من أمهات العيون ومنابع المياه، وفيها المعادن والأشجار والثمار والأعشاب، فهي معتمد للخلق في مرافقهم ومنافعهم. و«ذمار الرجل» كل شيء يلزمه الدفع عنه، وإن ضيعه لزمه الذم أي اللوم. و«الحقائق» الأمور الشديدة. «العار وراءكم» أي يسوقكم إلى الحرب ويمنعكم من الهرب؛ وفي بعض النسخ: «النار» بهذا الوجه، أولاً لأن الهارب مصيره إليها. ٤٨٣

١٧٢ — وَحَسْبُ الْغِيَاظِ الْغِيَاظُ

حمد الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي^(٢١٨٥) عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءٌ ، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً .

يوم الشورو

منها : وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ يَا بَنَ أَبِي طَالِبٍ لَحْرِيصٌ ،
فَقُلْتُ : بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لِأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا
طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحْوُلُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي^(٢١٨٦)

دُونَهُ . فَلَمَّا قَرَعَتْهُ^(٢١٨٧) بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ^(٢١٨٨) كَأَنَّهُ
بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ !

الاستنصار على قريش

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ،
وَصَغَرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي . ثُمَّ قَالُوا :
أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ .

بيان: قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل من خطبة يذكر فيها أمر الشورى،
والذي قال له: «إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لِحَرِيصٌ» هو سعد بن أبي وقاص مع روايته فيه:
«أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ عَلَى مُوسَى»، وهذا عجيب؛ وقد رواه الناس كافة. وقالت
الإمامية: هذا الكلام كان يوم السقيفة، والقائل أبو عبيدة بن الجراح». ٦٨٤

و«قرعته بالحجة» صدمته بها. قوله — عليه السلام — «بهت» في بعض النسخ:
«هب» أي استيقظ. وقال الجوهري: «العدوى» طلبك إلى وال ليعديك على من
ظلمك، أي ينتقم منه، يقال: «استعديت على فلان الأمير فأعداني» استعنت به
فأعانني عليه. «فإنهم قطعوا رحمي» لأنهم لم يراعوا قربه — عليه السلام — من رسول الله
— صلى الله عليه وآله — أو منهم أو الأعم.

«ألا إن في الحق أن تأخذه» بالنون، «وفي الحق أن تتركه» بالتاء، أي إنهم لم
يقتصروا على أخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقاً لهم، ولكنهم أخذوه مع دعوتهم
أن الحق لهم، وإنه يجب علي أن أترك المنازعة، فليتهم أخذوا معترفين بأنه حق لي
فكانت المصيبة أهون؛ وروي بالنون فيها، فالمعنى: إننا نتصرف فيه كما نشاء بالأخذ
الترك دونك؛ وفي بعض النسخ فيها بالتاء، أي يعترفون أن الحق لي، ثم يدعون أن

الغاصب أيضاً على الحق، أو يقولون: لك الاختيار في الأخذ والترك . وكذا في الرواية الأخرى قرئ بالنون وبالتاء. وقال القطب الراوندي: إنها في خط الرضي أيضاً بالتاء أي إن وليت كانت ولايتك حقاً، وإن ولي غيرك كانت حقاً على مذهب أهل الاجتهاد. ٦٨٥

منها هو ذكر اصحاب الجمل

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَمَا تَجَرُّ
الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا ، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي
بُيُوتِهِمَا ، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ^(٢١٨٩) رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -
لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا ، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطَانِي الطَّاعَةَ ،
وَسَمِعَ لِي بِالْبَيْعَةِ ، طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ ، فَقَدِمُوا عَلَيَّ عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ^(٢١٩٠)
بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا^(٢١٩١) ،
وَطَائِفَةً غَدْرًا . فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا
مُعْتَمِدِينَ^(٢١٩٢) لِقَتَلْتِهِ ، بِإِلَّا جُرْمِ جَرِّهِ ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ
كُلِّهِ ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا ، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ . دَعَا مَا
أَنْهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ !

بيان: «الحرمة» ما يحرم انتهاكه، والمراد بها هنا الزوجة كالحبيس والضمير في «حبسا» راجع إلى طلحة والزبير. قوله - عليه السلام - «صبراً» أي بعد الأسر. «غدرًا» أي بعد الأمان. قوله - عليه السلام - «جره» أي جذبه، أو من الجريرة؛

قال في القاموس: «الجر» الجذب، و«الجريرة» الذنب جرّ على نفسه وغيره جريرة يجزّها - بالضمّ والفتح - جرّاً. قال ابن ميثم: فإن قلت: المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله - عليه السلام - لذلك الجيش بعدم إنكارهم للمنكر، فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر؟ قلت: أجاب ابن أبي الحديد عنه فقال: يجوز قتلهم لأنهم اعتقدوا ذلك القتل مباحاً كمن يعتقد إباحتها والزنا وشرب الخمر. وأجاب الراوندي - رحمه الله - بأن جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله - تعالى - : «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا - الآية» .^{٦٨٦} وهؤلاء قد حاربوا رسول الله - صلى الله عليه وآله - لقوله: «يا عليّ حربك حربي»، وسعوا في الأرض بالفساد.^{٦٨٧}

واعترض المجيب الأول عليه فقال: الإشكال إنما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر، والتعليل بعموم الآية لا ينفع. وأقول: الجواب الثاني أسد، والأول ضعيف، لأنّ القتل وإن وجب على من اعتقد إباحتها ما علم من الدين ضرورة لكن هؤلاء كان جميع ما فعلوه من القتل والخروج بالتأويل وإن كان معلوم الفساد، فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر والزنا وبين اعتقاد هؤلاء إباحتها ما فعلوه.

وأما الاعتراض على الجواب الثاني فضعيف أيضاً لأنّ له أن يقول: إن قتل المسلم إذا صدر عن بعض الجيش ولم ينكر الباقي مع تمكّنهم وحضورهم كان ذلك قرينة على الرضا من جميعهم، والراضي بالقتل شريك القاتل خصوصاً إذا كان معروفاً بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض، وكان خروج ذلك الجيش على الإمام محاربة لله ولرسوله - صلى الله عليه وآله - وسعياً في الأرض بالفساد وذلك عين مقتضى الآية. انتهى ملخص كلامه.

ويمكن أن يجاب عن اعتراضه على الجواب بأن هؤلاء كانوا مدعين لشبهة لم تكن شبهة محتملة لأنهم خرجوا على الإمام بعد البيعة طائعين غير مكرهين كما ذكره

— عليه السلام — ، مع أنّ الاحتمال كافٍ له ، فتأقّل .
ويمكن الجواب عن أصل السؤال بأنّ التعليل ليس بعدم إنكار المنكر مطلقاً بل
بعدم إنكار هؤلاء لهذا المنكر الخاصّ أي قتل واحد من المسلمين المعاونين للإمام
— عليه السلام — بالخروج عليه ، وربما يشعر بذلك قوله — عليه السلام — «الحلّ لي قتل
ذلك الجيش» ، ويمكن حمل كلام الراونديّ على ذلك . وأمّا ما ذكره أخيراً من جواز قتل
الراضي بالقتل فإن أراد الحكم كلياً فلا يخفى إشكاله ، وإن أراد في هذه المادّة الخاصّة
فصحيح . ويرد على جواب ابن أبي الحديد مثل ما أورده هو على الراونديّ — رحمه الله —
بأنّ الإشكال إنّما هو في التعليل بعدم إنكار المنكر لافي استحلال القتل ، ولو قدر في
كلامه — عليه السلام — ، كأن يقول: المراد إذ حضروه مستحلّين فلم ينكروا ، لأمكن
للراونديّ أن يقول: إذ حضروه محاربين . ولو أجاب بأنّ الحضور مع عدم الإنكار
هو الاستحلال فبطلانه ظاهر ، مع أنّ الراونديّ — رحمه الله — أن يقول: الحضور في
جيش قد قتل بعضهم أحداً من أتباع الإمام — عليه السلام — من حيث إنّهُ من شيعة
مع عدم الإنكار والدفع محاربة لله ولرسوله — صلى الله عليه وآله — ، ولا ريب أنّه
كذلك .^{٦٨٨}

١٧٣ — وَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومن هو جدير بأن يكون للخلافة
وفي هوان الدنيا

رسول الله

أَمِينٌ وَحَيِّهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرٌ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرٌ نِقْمَتِهِ .

الجدير بالخلافة

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغِبَ (٢١٩٣) شَاغِبٌ أَسْتُعِيبَ (٢١٩٤) ، فَإِنْ أَبِي قُوَيْلٍ ، وَلَعَمْرِي ، لَشِنْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ . أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا أَدْعَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ .

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرٌ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرٌ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ . وَقَدْ فَتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ (٢١٩٥) ، وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصْرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ ، فَاَمْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ؛ وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكَرُونَهُ غَيْرًا (٢١٩٦) .

هوان الدنيا

أَلَا وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنُّونَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحْتُمْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ . أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا ؛ وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَرْتَكُمْ شَرُّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ،

وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا ؛ وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دَعَيْتُمْ إِلَيْهَا ،
وَأَنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا ؛ وَلَا يَخِنَّ أَحَدُكُمْ خَيْنَ ^(٢١٩٧) الْأُمَّةِ عَلَى مَا
زُيِّ ^(٢١٩٨) عَنْهُ مِنْهَا ، وَأَسْتَسِمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ
وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا أَسْتَحْفَظْكُمْ مِنْ كِتَابِهِ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ
شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ
تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافِظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا
وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَالْهَمْنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ !

إيضاح: قوله — عليه السلام — «بهذا الأمر» أي الخلافة. «أقواهم عليه» أي
أحسنهم سياسة وأشجعهم. ويدل على عدم جواز إمامة الفضول لاسيما مع قوله
— عليه السلام — «فإن شغب — الخ» . و«الشغب» بالتسكين، تهييج الشر، والمراد
بالاستعتاب طلب الرجوع بالمراسلة والكلام ونحوهما.

قوله — عليه السلام — «لئن كانت الإمامة» قال ابن أبي الحديد: هذا تصريح
بصحة مذهب أصحابنا في أن الاختيار طريق إلى الإمامة، ويظل قول الإمامية من
دعوى النص، وأنه لا طريق إلى الإمامة سوى النص. ^{٥٨٩} انتهى.

وفيه نظر، أما أولاً، فلأنه إنما احتج عليهم بالإجماع إلزاماً لهم لا تفاقهم على
العمل به في خلافة أبي بكر وأخويه، وعدم تمسكه — عليه السلام — بالنص لعلمه
— عليه السلام — بعدم التفاتهم إليه، كيف وقد عرضوا عنه في أول الأمر مع قرب
العهد بالرسول — صلى الله عليه وآله — وسماعهم منه.

وأما ثانياً، فلأنه — عليه السلام — لم يتعرض للنص نفيًا وإثباتاً، فكيف يكون
مبطلاً لما ادعاه الإمامية من النص؟ والعجب أنه جعل هذا تصريحاً بكون الاختيار

طريقاً إلى الإمامة؛ ونفي الدلالة في قوله -عليه السلام- «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ» على نفي إمامة المفضول مع قوله -عليه السلام- «فَإِنْ أَبِي قَتَل» مع أنه لم يصريح بأن الإمامة تنعقد بالاختيار بل قال: إنها لا تتوقف على حضور عامة الناس، ولا ريب في ذلك. نعم، يدل بالمفهوم عليه وهذا تقيّة منه -عليه السلام-، ولا يخفى على من تتبع سيره -عليه السلام- أنه لم يكن يمكنه إنكار خلافتهم والقده فيها صريحاً في الجماع، فلذا عبر بكلام موهم لذلك. وقوله -عليه السلام- «وَأَهْلُهَا يَحْكُمُونَ» وإن كان موهماً له أيضاً لكن يمكن أن يكون المراد بالأهل الأحقاء بالإمامة. ولا يخفى على المتأمل أن مآهده -عليه السلام- أولاً بقوله «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَقْوَاهُمْ» يشعر بأن عدم صحّة رجوع الشاهد واختيار الغائب إنما هو في صورة الاتفاق على الأحقّ دون غيره، فتأمل.

قوله -عليه السلام- «رَجُلًا أَدْعَى» كمن ادعى الخلافة، و «آخِرَ مَنْعٍ» كمن لا يطيع الإمام، أو يمنع حقوق الله و«خَيْرَ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ» عاقبة كل شيء آخره، والتقوى خير ما ختم به العمل في الدنيا، أو عاقبتها خير العواقب.

قوله -عليه السلام- «هَذَا الْعِلْمُ» بكسر العين أو بالتحريك كما في بعض النسخ، فعلى الأول المعنى: أنه لا يعلم وجوب قتال أهل القبلة وموقعه وشرائطه؛ وعلى الثاني إشارة إلى حرب أهل القبلة والقيام به، ويحتمل على بُعد أن يراد به الإمامة المشار إليها بقوله «إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ» فيكون إشارة إلى بطلان خلافة غير أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق.

قال ابن أبي الحديد: وذلك لأنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه، ومن أقدم منهم عليه أقدم مع خوف وحذر. قال الشافعي: لو لا عليّ -عليه السلام- لما علم شيء من أحكام أهل البغي.

قوله -عليه السلام- «فَإِنَّ لَنَا» قال ابن ميثم: أي إن لنا مع كل أمر تنكرونا تغييراً، أي قوّة على التغيير، إن لم يكن في ذلك الأمر مصلحة في نفس الأمر، فلا تتسرّعوا إلى إنكار أمر نفعه حتى تسألوا عن فائدته فإنه يمكن أن يكون إنكاركم لعدم علمكم

بوجهه. وقال ابن أبي الحديد: أي لست كعثمان أصبر على ارتكاب ما أنهى عنه بل
أغبرّ كلّما ينكره المسلمون، ويقتضى الحال والشرع تغييره. انتهى.
ويمكن أن يكون المعنى: إن لنا مع كلّ أمر تنكرونا تغييراً، أي ما يغير إنكاركم
ويمنعكم عنه من البراهين الساطعة والأعمّ منها، ومن السيوف القاطعة إن لم ينفعكم
البراهين. وفي ذكر أغصاب الدنيا توبيخ لأهلها بالرغبة في شيء لا يراعى حقهم كما
قال - عليه السلام - : «رغبتك في زاهد فيك ذلّ نفس»، وغرور الدنيا بتزيين
الزخارف لأهلها وإغفالهم عن الفناء وتحذيرها بما أراهم من الفناء وفراق الأحبة ونحو
ذلك. والدار التي دعوا إليها هي الجنة. قوله - عليه السلام - «ولا يخبثن أحدكم»،
«الخبثين» بالخاء المعجمة، ضرب من البكاء دون الانتخاب، وأصله خروج الصوت من
الأنف كالخبثين من الفم. ويروى بالمهملة أيضاً. وضافته إلى الأمة لأنّ الإمام كثيراً
ما يبكين ويسمع الخبثين منهم، والخرقة تأنف من البكاء والخبثين. و«زواه عنه» صرفه
وقبضه؛ وفي بعض النسخ: «ما زوى عنه» أي عن أحدكم، ولعله أظهر. و«الصبر على
الطاعة» حبس النفس عليها. كقوله - تعالى - : «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ»^{٦٩٠}، أو عدم الجزع من شدتها، أو من البلايا إطاعةً لله، وعلى أي حال هو الشكر
الموجب للمزيد فيه بطلب تمام النعمة. و«من» في قوله «من كتابه» بيان لـ «ما». و«
القائمة» واحدة «قوائم» الدواب، و«قائمة السيف» مبقضه. ولعل المراد بقائمة الدين
أصوله وما يقرب منها، ويحتمل أن تكون الإضافة بيانية فإنّ الدين بمنزلة القائمة لأمر
الدنيا والآخرة.^{٦٩١}

٦٩٠- الكهف: ٢٨.

٦٩١- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧٢١، ط كلباني وص ٦٦٨، ط تبريز.

١٧٤ — وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الْعَالِيَةِ

في معنى طلحة بن عبيد الله

وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ ، وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ
 وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ . وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا^(٢١٩٩) لِيُطَلَّبَ بِدَمِ
 عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ ، لِأَنَّهُ مَظْنُتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ
 أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الْأَمْرُ^(٢٢٠٠)
 وَيَقَعَ الشُّكُّ . وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَيْسَ كَانَ
 ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا — كَمَا كَانَ يَزْعُمُ — لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ^(٢٢٠١)
 قَاتِلِيهِ ، وَأَنْ يُنَابِذَ^(٢٢٠٢) نَاصِرِيهِ . وَلَيْسَ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ
 أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنْهَنِّهِينَ^(٢٢٠٣) عَنْهُ ، وَالْمُعَدِّرِينَ فِيهِ^(٢٢٠٤) . وَلَيْسَ كَانَ فِي
 شَكٍّ مِنَ الْخِصْلَتَيْنِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ^(٢٢٠٥)
 جَانِبًا ، وَيَدْعَ النَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْ الثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرِ
 لَمْ يُعْرِفْ بَابَهُ ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ .

بيان: قوله «قد كنت» قال ابن أبي الحديد: «كان» ههنا تامة والواو للحال، أي خلقت ووجدت بهذه الصفة ويجوز أن يكون الواو زائدة و«كان» ناقصة وخبرها «ما أهدد» و«تجرد في الأرض» أي وجد فيه، ذكره الجوهري. وقال في النهاية في

حديث علي - عليه السلام - : أراد أن يغالط بما أجلب فيه، يقال: «أجلبوا عليه» إذا تجتمعوا وتآلبوا، و«أجلبه» أي أعانه و«أجلب عليه» إذا صاحه واستحّته. وقال الجوهري: «لبست عليه الأمر البس» خلطت. وقال: «أعذر» أي صار ذاعذراً. وفي النهاية: «لما نهى شيء دون العرش» أي مامنعها وكفها عن الوصول إليه. و«الركود» السكوت والثبات. ٤٩٢

١٧٥ - مِنْ خُطْبَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ في الموعدة وبيان قرباه من رسول الله

أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرِ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُودَ مِنْهُمْ . مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ (٢٢٠٦) أَرَاخَ بِهَا (٢٢٠٧) سَائِمٌ (٢٢٠٨) إِلَى مَرْعَى وَبِي (٢٢٠٩) ، وَمَشْرَبِ دَوِي (٢٢١٠) ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى (٢٢١١) لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا ! إِذَا أَحْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا (٢٢١٢) ، وَشَبَعَهَا أَمْرَهَا . وَاللَّهُ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ (٢٢١٣) وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي بَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ (٢٢١٤) إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ، وَأَصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقًا ، وَقَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو ، وَمَالَ هَذَا

الأمير . وما أبقى شيئاً يمرُّ على رأسي إلا أفرغته في أذني وأفضى به إلي .
أيها الناس ، إني ، والله ، ما أحضركم على طاعة إلا وأسبقتكم إليها ،
ولا أنهاركم عن معصية إلا وأتتاهي قبلكم عنها .

بيان: «أيها الغافلون» الظاهر أن الخطاب لعامة المكلفين، أي الذين غفلوا عما يراد بهم ومنهم. «غيرالمفعول عنهم» فإن أعمالهم محفوظة مكتوبة. و«التاركون» أي لما أمروا به. «المأخوذ منهم» بانتقاص أعمارهم وقواهم واستلاب أحبابهم وأموالهم. و«الذهاب عن الله» التوجه إلى غيره والإعراض عن جنابه. و«النعيم» بالتحريك، جمع لا واحد له من لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل. «أراح بهاسائم» شبههم بالنعيم التي تتبع نعماً أخرى سائمة أي راعية. وإنما قال ذلك لأنها إذا أتت أمثالها كان أبلغ في ضرب المثل بجهلها من الإبل التي يسميها راعياً. وما يظهر من كلام ابن ميثم من أن السائم بمعنى الراعي ففيه ما لا يخفى.

و«المرعى الوبي» ذوالوباء والمرض، وأصله الهمز. و«الدوي» ذوالداء، والأصل في الدوي «دوى» بالتخفيف ولكنه شدد للازدواج. قال الجوهري: «رجل دو» بكسر الواو، أي فاسد الجوف من داء. و«المدى» بالضم، جمع «مدية» وهي السكين. قوله — عليه السلام — «تحسب يومها» أي تظن أن ذلك العلف كما هو حاصل لها في هذا اليوم حاصل لها أبداً، أو نظرها مقصور على يومها تحسب أنه دهرها. و«شبعها أمرها» أي تظن انحصار شأنها وأمرها في الشبع. قوله — عليه السلام — «والله لو شئت أن أخبر» قال ابن أبي الحديد: هذا كقول المسيح — عليه السلام —: «وأتبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم»^{٦٩٣}. قال — عليه السلام —: «إلا أني أخاف عليكم الغلو في أمري وأن تفضلوني على رسول الله — صلى الله عليه وآله — بل أخاف عليكم أن تدعوا في الإلهية كما ادعت النصراني ذلك في المسيح — عليه السلام — لما أخبرهم بالأمور الغائبة. ومع كتمانها — عليه السلام — فقد كفر كثير منهم وادعوا

فيه النبوة وأنه شريك الرسول في الرسالة وأنه هو الرسول، ولكنّ الملك غلط وأنه هو الذي بعث محمداً - صلى الله عليه وآله -، واذعوا فيه الحلول والاتحاد. ٦٩٤ ويحتمل أن يكون كفرهم فيه بإسناد التقصير إليه - عليه السلام - في إظهار شأنه وجلالته. و«المهلك» بفتح اللام وكسرهما، يحتمل المصدر واسم الزمان والمكان؛ والمراد بالهلاك إمّا الموت والقتل، أو الضلال والشقاء، وكذلك النجاة. والمراد بالأمر الخلافة أو الدين وملك الإسلام وماله انتهاءه بظهور القائم - عليه السلام - وما يكون في آخر الزمان. و«أفرغه» صبه، كفرغه. ٦٩٥

[هذا بيان آخر في شرح الخطبة:]

قال ابن أبي الحديد ٦٩٦ في قوله «إني أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله - صلى الله عليه وآله -» أي أخاف عليكم الغلو في أمري وأن تفضّلوني على رسول الله - صلى الله عليه وآله - . ثم قال: وقد ذكرنا فيما تقدّم من إخباره - عليه السلام - عن الغيوب طرفاً صالحاً؛ ومن عجيب ما وقعت عليه من ذلك قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم وهو يشير إلى القرامطة «ينتحلون لنا الحب والهوى، ويضمرون لنا البغض والقتل، آية ذلك قتلهم ورائنا وهجرهم أحداثنا»؛ وصح ما أخبره - عليه السلام - لأنّ القرامطة قتلت من آل أبي طالب - عليه السلام - خلقاً كثيرة، وأسماءهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصفهاني، ومرّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في جيشه بالغرّي وبالخائر فلم يعرج على واحد منها ولا دخل ولا وقف، وفي هذه الخطبة قال وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة «كأنّي بالحجر الأسود منصوباً ههنا، ويجهم إن فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه وأسه، يمكث ههنا برهة ثم ههنا برهة - وأشار إلى البحرين - ثم يعود إلى مأواه وأمّ مثواه»؛ ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبره - عليه السلام - .

٦٩٤- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٢ - ١٣، ط بيروت.

٦٩٥- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٤، ط كمياني ووص ٦٦١، ط تبريز.

٦٩٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٣ - ١٥، ط بيروت.

وقد وقفت له على خطب مختلفة فيها ذكر الملاحم، فوجدتها تشتعل على ما يجوز أن ينسب إليه وما لا يجوز أن ينسب إليه، ووجدت في كثير منها اختلالاً ظاهراً، وهذه المواضع التي أنقلها ليست من تلك الخطب المضطربة، بل من كلام له وجدته متفرقاً في كتب مختلفة.

ومن ذلك أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه وهو يخضب على المنبر ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه»، فقال له: فكم في رأسي طاقة شعر؟

فقال له: أما والله إنني لأعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرتك به؟ ولقد أخبرت بقيامك ومقالك وقيل لي: إن علي كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطاناً يستنصرك^{٦٩٧} وآية ذلك أن في بيتك سجلاً يقتل ابن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أو يحض علي قتله.

فكان الأمر بموجب ما أخبر به - عليه السلام -؛ كان ابنه حصين - بالصاد المهملة - يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثم عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرجه عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين - عليه السلام -، ويتوعدده على لسانه إن أرجى ذلك، فقتل [حسين - عليه السلام -] صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته.

ومن ذلك قوله - عليه السلام - للبراء بن عازب يوماً: يا براء! أيقتل الحسين - عليه السلام - وأنت حيّ فلا تنصره؟

فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين، فلما قتل الحسين - عليه السلام - كان البراء يذكر ذلك ويقول: أعظم بها حسرة إذ لم أشهده وأقتل دونه.

وستذكر من هذا النمط فيما بعد إذا مررنا بما يقتضي ذكره ما يحضرنا إن شاء

الله^{٦٩٨}.

٦٩٧- في المصدر: يستفرك .

٦٩٨- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤٠، تاريخ أمير المؤمنين - عليه السلام -، ص ١٩١.

١٧٦ - وَخُطِبَ لِلْعَرَبِ وَاللُّسَامِ

وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة
عظة الناس

أَنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ ، وَأَتَعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ ، وَأَقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ ،
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ^(٢٢١٥) ، وَأَتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ ، وَبَيَّنَّ
لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنْ الْأَعْمَالِ ، وَمَكَارِهِه مِنْهَا ، لِتَتَّبِعُوا هِدْيَهُ ، وَتَجْتَنِبُوا
هَدْيَهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَانَ يَقُولُ : « إِنْ
الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِه ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ » .

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِه ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةٍ
اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا نَزَعَ^(٢٢١٦) عَنْ شَهْوَتَيْه ،
وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِه ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعًا^(٢٢١٧) ، وَإِنَّهَا لَا
تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى .

وَأَعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمَسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ
ظَنُونٌ^(٢٢١٨) عِنْدَهُه ، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا^(٢٢١٩) عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا . فَكُونُوا
كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ ، وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ . قَوْضُوا^(٢٢٢٠) مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ
الرَّاحِلِ ، وَطَوَّوْهَا طَى الْمَنَازِلِ .

مصل القرآن

وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشَى ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٌ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمَى . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ ^(٢٢٢١) ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنَى ، فَاسْتَشْفَوْهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ ، وَأَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَانِكُمْ ^(٢٢٢٢) ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ : وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ ، وَالْغِيُّ وَالضَّلَالُ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدِّقٌ ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ ^(٢٢٢٣) فِيهِ ، وَمَنْ مَحَلَّ ^(٢٢٢٤) بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةٍ عَمَلِهِ ، غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ » . فَكُونُوا مِنْ حَرْثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ ، وَأَسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَأَسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَأَتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ، وَأَسْتَعِشُّوا ^(٢٢٢٥) فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ .

الحث على العمل

الْعَمَلَ الْعَمَلَ ، ثُمَّ النَّهْيَةَ النَّهْيَةَ ، وَالِاسْتِقَامَةَ الْاسْتِقَامَةَ ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ ! « إِنَّ لَكُمْ نِهْيَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهْيَتِكُمْ » ،

وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا^(٢٢٢٦) فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ . وَأَخْرَجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ^(٢٢٢٧) ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ^(٢٢٢٨) . أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ ، وَحَجِيجٌ^(٢٢٢٩) يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ .

نصائح للناس

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ^(٢٢٣٠) ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَهُ^(٢٢٣١) اللَّهُ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أُنَّ لَا تَخَافُوا ، وَلَا تَهْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » ، وَقَدْ قُلْتُمْ : « رَبُّنَا اللَّهُ » ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِنْهَا جِ امْرِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا ، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا ، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا . فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطِعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعِ^(٢٢٣٢) الْأَخْلَاقِ وَتَضْرِيفِهَا^(٢٢٣٣) ، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا ، وَلِيُخْزِنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ^(٢٢٣٤) ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ^(٢٢٣٥) . وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزِنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ إِذَا مِنْ وَرَاءَ قَلْبِهِ^(٢٢٣٦) ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءَ لِسَانِهِ : لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ . وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا

لَهُ ، وَمَاذَا عَلَيْهِ . وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - :
 « لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى
 يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ . فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيٌّ الرَّاحَةَ
 مِنْ دِمَائِهِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ، سَلِيمٌ اللِّسَانَ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ ، فَلْيَفْعَلْ

تحريم البدع

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ ،
 وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ ؛ وَأَنْ مَا أَحَدَّثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ
 شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ .
 فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا ^(٢٢٢٢٧) ، وَوَعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَضُرِبَتْ
 الْأَمْثَالُ لَكُمْ ، وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ ؛ فَلَا يَصْمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا
 أَصَمٌ ، وَلَا يَعْصِي عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى . وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ
 لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ ^(٢٢٢٣٨) ، حَتَّى يَعْرِفَ
 مَا أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ . وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ : مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ ،
 وَمُبْتَدِعُ بِدْعَةٍ ، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ ، وَلَا ضِيَاءُ
 حُجَّةٍ .

القرآن

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ « حَبْلُ اللَّهِ

الْمَتِينُ» ، وَسَبِيهُ الْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُنْتَذِرُونَ ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَأَذْهَبُوا عَنْهُ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - كَانَ يَقُولُ : « يَا بَنَ آدَمَ ، أَعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ »^(٢٢٣٩)

انواع الظلم

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ . فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشَّرْكُ بِاللَّهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهِنَاتِ^(٢٢٤٠) . وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا . الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى^(٢٢٤١) وَلَا ضَرْبًا بِالسِّيَاطِ^(٢٢٤٢) ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْفَرُ ذَلِكَ مَعَهُ . فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ^(٢٢٤٣) فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ . وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِنْ مَضَى ، وَلَا مِنْ بَقِي .

بيان: «الهنات» جمع «هنة» وهو الشيء اليسير، ويمكن أن يكون المراد بها الصفات فإنها مكفرة مع اجتناب الكبائر أو الأعم، فيكون قوله -عليه السلام-

«مغفور لا يطلب» أي أحياناً لادائماً، وعلى الأول لا يكون المقصود الحصر. و«المدى»
بالضم، جمع «مدية» وهي السكين. ٦٩٩

لزوم الطاعة

يَا أَيُّهَا النَّاسُ «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ» ، وَطُوبَى لِمَنْ
لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوْتَهُ ، وَأَشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، «وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ»
فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ !

بيان: «لمن لزم بيته» أي لم يخرج منه لتبجج شره، وليس المراد ترك الخروج
لطلب الرزق أو للعبادة كالجهاد، وعبادة المرضى، وتشجيع الجنائز، وقضاء حوائج
المؤمنين ونحوها، أو هو مختص ببعض أزمنة الفتن. «وأكل قوته» أي اكتفى بما قدر الله له
من قوته ولم يطلب أكثر من ذلك ولم يشترك في قوت غيره. ٧٠٠

١٧٧ — وَمِنْ كَلِمَاتِ الْعِلْمِ

في معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْيِي مَلَيْكُكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ ، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ
يُجْعَعِجَا^(٢٢٤٤) عِنْدَ الْقُرْآنِ ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ
وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ ، فَتَاهَا عَنْهُ ، وَتَرَكََا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ ، وَكَانَ الْجَوْرُ
هُوَاهُمَا ، وَالْإِعْوَجَاجُ رَأْيَهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ

٦٩٩- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٧، كتاب العدل والمعاد، ص ٢٧١.

٧٠٠- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الايمان والكفر، ص ٣٥٠.

بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا . وَالثَّقَّةُ فِي أَيْدِينَا
لِأَنْفُسِنَا ، حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ
الْحُكْمِ .

إيضاح: قال في النهاية في حديث عليّ - عليه السلام - : «فأخذنا عليها أن
يجعجا عند القرآن» أي يقيا عنده. يقال: «جمع القوم» إذا أناخوا بالجمعجاء وهي
الأرض، و«الجمعجاء» أيضاً الموضع الضيق الحشن. وقال في القاموس: «التبع»
محرّكة، التابع، يكون واحداً وجمعاً، ويجمع على «أتباع». قوله - عليه السلام - «والثقة
في أيدينا» أي إنا على برهان وثقة في أمورنا. قوله - عليه السلام - «بملا يعرف» أي
لا يصدق به! ٧٠١



١٧٨ - وَخَطَبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

في الشهادة والنقوى. وقيل: إنه خطبها بعد مقتل عثمان في أول خلافته

الله ورسوله

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَخْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَصِفُهُ
لِسَانٌ ، وَلَا يَعْرُبُ ^(٢٢٤٥) عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ ، وَلَا
سَوَافِي الرِّيحِ ^(٢٢٤٦) فِي الْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا ^(٢٢٤٧) ، وَلَا
مَقِيلُ الدَّرِّ ^(٢٢٤٨) فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْزَاقِ ، وَخَفِيَّ طَرْفِ
الْأَخْدَاقِ ^(٢٢٤٩) .

بيان: «مقيل الذر» أي نومها، أو عمل نومها. ٧٠٢

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ (٢٢٥٠) ، وَلَا
 مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ (٢٢٥١) ، شَهَادَةٌ مَن
 صَدَقَتْ نِيَّتُهُ ، وَصَفَتْ دِخْلَتَهُ (٢٢٥٢) وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ .
 وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى (٢٢٥٣) مِنْ خَلَائِقِهِ ، وَالْمُعْتَمَدُ (٢٢٥٤)
 لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ ، وَالْمُخْتَصَّ بِعَقَائِلِ (٢٢٥٥) كَرَامَاتِهِ (٢٢٥٦) ، وَالْمُصْطَفَى
 لِكِرَائِمِ رِسَالَاتِهِ ، وَالْمُوضَّحُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى (٢٢٥٧) ، وَالْمَجْلُوبُ بِهِ
 غَرِيبِ (٢٢٥٨) الْعَمَى .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغْرُ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا (٢٢٥٩) ، وَلَا تَنْفَسُ (٢٢٦٠)
 بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا . وَإِيْمُ اللَّهِ ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ
 فِي غَضٍ (٢٢٦١) نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا (٢٢٦٢) ،
 لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ «بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ» . وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمُ ،
 وَتَنْزُولُ عَنْهُمْ النِّعْمُ ، فَرِغُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ ، وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ،
 لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ . وَإِنِّي لِأَخْشَى عَلَيْكُمْ
 أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ (٢٢٦٣) . وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِثْلُهَا فِيهَا مِثْلَةٌ ،
 كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ

لَسُعْدَاءَ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءَ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ !

توضيح: «في غضّ نعمة» أي في نعمة غضة طرية ناضرة. و«الوله»
بالتحريك، الحزن والخوف. و«الشارد» النافر. ٧٠٣
بيان: قدمر شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد. قوله — عليه السلام —
«غير معدول به» أي لا يعادل ويساوى به أحد، كما قال — تعالى —: «بِرَبِّهِمْ
يَغْدِلُونَ» ٧٠٤. و«الدخلة» بالضم والكسر، باطن الأمر. و«المعتام» أي المختار؛ والتاء
تاء الافتعال، ذكره في النهاية. و«العقائل» جمع «عقيلة» وهي كريمة كل شيء.
و«الأشراط» العلامات، جمع «شرط» بالتحريك. و«الغريب» بالكسر، الأسود
الشديد السواد، أي المكشوف به ظلم الضلال. ٧٠٥. و«أخذ اليه» مال. قوله
— عليه السلام — «ولا تنفس» أي لا ترغب إلى من يرغب إليها، بل ترميه بالنواصب.
قوله — عليه السلام — «من غلب عليها» أي من غلب عليها وأخذها قهراً فسوف تغلب
الدنيا عليه، أو المراد بن غلب عليها من أراد الغلبة عليها. قوله — عليه السلام — «في
غضّ نعمة» أي في نعمة غضة طرية.

قوله — عليه السلام — «ليس بظلام» أي لو فعله الله بقوم لفعله بالجميع لأن
حكمه في الجميع واحد، فيكون ظلاماً، أو المعنى أن ذلك ظلم شديد. ويقال: «فزعت
إليه فأفرعني» أي استعنت إليه فأعثنني. و«الوله» الحزن والحيرة والخوف وذهاب
العقل حزناً. و«الشارد» النافر. قوله — عليه السلام — «في فترة»، «الفترة» الانكسار
والضعف، وما بين الرسولين؛ وكفى — عليه السلام — بها هنا عن أمر الجاهلية، أي إنى
لأخشى أن يكون أحوالكم في التعصبات الباطلة والأهواء المختلفة كأحوال أهل
الجاهلية. قوله — عليه السلام — «ملتّم فيها ميلة» إشارة إلى ميلهم عنه — عليه السلام —

٧٠٣- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦، كتاب العدل والمعاد، ص ٥٧.

٧٠٤- الأنعام: ١.

٧٠٥- في بعض النسخ: ظلم الظلام.

إلى الخلفاء الثلاثة، وقول ابن أبي الحديد «إشارة إلى اختيارهم عثمان يوم الشورى يبطله قوله - عليه السلام - «أمور» وغير ذلك.

قوله - عليه السلام - «ولئن ردة عليكم» أي أحوالكم التي كانت أيام رسول الله - صلى الله عليه وآله - . قوله - عليه السلام - «ولو أشاء» أي لو أشاء أن أقول فيما ملتم عن الحق ونبذتم الآخرة وراء ظهوركم بلفظ صريح لقلت، لكنني طويت عن ذكره وأعرضت عنه لعدم المصلحة فيه ولم أصرح بكفركم وما يكون إليه مصير أمركم وما أكنتم وأخفيتم في ضمائركم لذلك . وقوله - عليه السلام - «عفا الله عما سلف» أي عفا عن تاب وأتاب ورجع، ويحتمل أن يكون من الدعاء الشائع في أواخر الخطب، كقوله - عليه السلام - «غفر الله لنا ولكم» وأمثاله؛ وهذه الأدعية مشروطة بشرائط؛ وقيل: يحتمل أن يكون المعنى: لو أشاء أن أقول قولاً يتضمن العفو عنكم لقلت، لكنني لا أقول ذلك إذ لا مجال للعفو هنا؛ ولا يخفى بعده. ٧٠٦

١٧٩ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ الْعَزِيمَاتِ

وقد سأله ذعلب اليماني فقال : هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : أفأعبد ما لا أرى ؟ فقال : وكيف تراه ؟ فقال :

لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ
الْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ ، مُتَكَلِّمٌ
لَا بِرُويَةٍ^(٢٢٦٤) ، مُرِيدٌ لَا بِهَمَّةٍ^(٢٢٦٥) ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ^(٢٢٦٦) . لَطِيفٌ
لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ^(٢٢٦٧) ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ
بِالْحَاسَةِ ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَةِ . تَعْنُو^(٢٢٦٨) الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ ،

وَتَجِبُ الْقُلُوبُ^(٢٢٦٩) مِنْ مَخَافَتِهِ .

١٨٠ - (٢٢٦٩) خطبة في يوم الجمعة

في دم العاصين من أصحابه

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ
 أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ
 أَمِهَلْتُمْ^(٢٢٧٠) خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ^(٢٢٧١) . وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى
 إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ اجْتَمَعْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ^(٢٢٧٢) نَكَصْتُمْ^(٢٢٧٣) . لَا أَبَا
 لِغَيْرِكُمْ^(٢٢٧٤) ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟ الْمَوْتَ أَوْ
 الذَّلَّ لَكُمْ؟ فَوَاللَّهِ لَشُنُ جَاءَ يَوْمِي - وَلِيَايِنِّي - لِيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالَ^(٢٢٧٥)، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ^(٢٢٧٦) . اللَّهُ أَنْتُمْ ! أَمَا
 دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ! وَلَا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ^(٢٢٧٧) ! أَوْلَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ
 يَدْعُو الْجُفَاةَ^(٢٢٧٨) الطَّغَامَ^(٢٢٧٩) فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ^(٢٢٨٠) وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا
 أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ^(٢٢٨١)، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - إِلَى الْمَعُونَةِ
 أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ، فَتَفَرِّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟ إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ
 إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضَى فَرَضُونَهُ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنْ
 أَحَبَّ مَا أَنَا لَأَقِي إِلَيْ الْمَوْتِ ! قَدْ دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ^(٢٢٨٢)، وَفَاتَحْتُكُمْ

الْحِجَا جِ (٢٢٨٣) ، وَعَرَفْتُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُمْ (٢٢٨٤) مَا مَجَبْتُمْ ، لَوْ
كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ ، أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ ! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ (٢٢٨٥) مِنْ
الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ! وَمُؤَدَّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ (٢٢٨٦) !

توضيح: «على ما قضى من أمر» قيل: الأمر أعم من أن يكون فعلاً. ولما
كان القدر هو تفصيل القضاء وإيجاد الأشياء على وفقه قال: و«قدر من فعل». و«الابتلاء» الامتحان. و«أمهله» أي رفق به وأخره؛ وفي بعض النسخ: «أهلمت» أي
تركت. «خضتم» أي في الضلالة والأهواء الباطلة. «خرتم» بالخاء، من «الخور» بمعنى
الضعف، أو من «خوار الثور» بمعنى الصياح؛ ويروى بالجيم، أي عدلتم عن الحق أو
عن الحرب فراراً. قوله — عليه السلام — «أجبتكم» قال ابن أبي الحديد^{٧١٧} بالهمزة
الساکنة بعد الجيم المكسورة، أي الجبتم، قال — تعالى —: «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ»^{٧١٨}. وفي
بعض النسخ: «أجبتكم» على بناء المعلوم بالباء، و«المشاقة» المقاطعة والمصارمة.
و«النكوص» الرجوع إلى ما وراء.

قوله — عليه السلام — «لا أباغيركم» قال ابن ميثم: أصله «لأب» والألف
مزيدة إما لاستثقال توالي أربع حركات، أو لأنهم قصدوا الإضافة وأتوا باللام
للتأكيد.^{٧١٩} وفي الدعاء بالذلة لغيرهم نوع تلتطف لهم.

قوله — عليه السلام — «الموت أو الذل» في أكثر النسخ برفعها، وفي بعضها
بالنصب. قال ابن أبي الحديد: دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، كأنه شرع داعياً
عليهم بالفناء الكلّي وهو الموت، ثم استدرك فقال: «أو الذل» لأنه نظير الموت. ولقد
أجيب دعاؤه — عليه السلام — بالدعوة الثانية، فإن شيعته ذلّوا بعده في الأيام
الأموية.^{٧١٠}

٧٠٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٦٨، ط بيروت.

٧٠٨- مریم؛ ٢٣.

٧٠٩- شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٣٧٦.

٧١٠- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٦٩، ط بيروت.

أقول: هذا على الرفع ظاهر، وأما على النصب فيحتمل الدعاء أيضاً بتقدير «أرجو» أو «أطلب». ويحتمل الاستفهام، أي أنتظرون الموت؟ وقيل في قوله — عليه السلام — «ولياتيني» حشوة لطيفة بين الكلام، لأن لفظ «إن» أكثر ما يستعمل لما لا يعلم حصوله، فأتي بعدها بما يرد ما تفتضيه من الشك في إتيان الموت وأشعر بأن الموضع موضع إذا. و«القالى» المبغض.

قوله — عليه السلام — «غير كثير» أي لستم سبب كثرة أعواني. و«لله أنتم» من قبيل لله أبوك، ولعله هنا للتعجب على سبيل الذم، ويحتمل المدح تليظاً. وارتفاع قوله «دين» بفعل مقدر يفسره الفعل المذكور بعده. و«شحذت النصل» حددته. و«الطغام» أراذل الناس، الواحد والجمع سواء. و«معونة الجند» شيء يسير من المال يعطيهم الوالي لترميم أسلحتهم وإصلاح دوابهم سوى العطاء المفروض في كل شهر، كما قيل. ومنشأ تعجبه — عليه السلام — أمور:

أحدها: أن الداعي لهم معاوية، وهؤلاء أمير المؤمنين، وكيف يساوى عاقل

بينهما؟

وثانيها: أن المدعو هناك الجفاة الطغام مع خلوتهم غالباً عن الحمية والمرورة، وههنا أصحابه الذين هم تريكة الإسلام.

وثالثها: أن أصحاب معاوية يتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأصحابه — عليه السلام — لا يجيبونه إلى المعونة والعطاء، فإن معاوية إنما كان يعطي رؤساء القبائل الأموال الجليلة ولا يعطي الجند على وجه العطاء والمعونة شيئاً وهم كانوا يطيعون الرؤساء للحمية أو العطايا من هؤلاء لهم.

و«التريكة» بيضة النعامة تركها في مجثمها، أي أنتم خلف الإسلام وبقية كالببيضة التي تركها النعام. وقوله — عليه السلام — «إلى المعونة» متعلق بـ «أدعوكم». قوله — عليه السلام — «لا يخرج إليكم» أي إنكم لا تقبلون مما أقول لكم شيئاً سواء كان مما يرضيكم أو مما يسخطكم. و«إلى» متعلق بقوله «أحب». و«درس الكتاب» — كنصر وضرب — أي قرأ، فقوله «دارستكم الكتاب» أي قرأته

عليكم للتعليم، وقرأتم عليّ للتعلم. قوله — عليه السلام — «وفاتحتكم» أي حاكمتمكم بالمحاجة والمجادلة. و«ساغ الشراب في الحلق» أي دخل بسهولة و«بمجته من في» أي رميت به، أي بينت لكم الأمور الدينية ما كنتم تنكرونه بأرائكم، وأعطيتكم من العطايا ما كنتم محرومين منها. وكلمة «لو» في قوله — عليه السلام — «لو كان» للثمتي، أو الجزاء محذوف. وقوله — عليه السلام — «وأقرب بقوم» صيغة التعجب، أي ما أقربهم إلى الجهل! وقوله — عليه السلام — «قائدهم معاوية» صفة لـ «قوم» فصل بين الصفة والموصوف بالجواز والمجرون وهو مجوز، وورد مثله في الكلام المجيد. ٧١١

١٨١ — وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ بِالْبَيِّنَاتِ

وقد أرسل رجلاً من أصحابه ، يعلم له علم أحوال قوم من جند الكوفة ، قد هموا باللحاق بالخورج ، وكانوا على خوف منه عليه السلام ، فلما عاد إليه الرجل قال له : «الْمِنُوا لِنَقِطَنُوا» (٢٢٢٨٧) ، أم جنبا قطعنوا (٢٢٢٨٨) ؟ فقال الرجل : بل ظعنوا يا أمير المؤمنين . فقال عليه السلام :

«بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثُمُودُ! أَمَا لَوْ أَسْرَعْتَ» (٢٢٢٨٩) أَلَسِنَّةٌ إِلَيْهِمْ ، وَصَبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ» (٢٢٢٩٠) ، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدْ اسْتَفْلَهُمْ» (٢٢٢٩١) ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ ، وَمُتَخَلٌّ عَنْهُمْ . فَحَسِبْتُمْ بِخُرُوجِهِمْ» (٢٢٢٩٢) مِنْ الْهُدَى ، وَأَرْتِكَاسِهِمْ» (٢٢٢٩٣) فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى ، وَصَدَّهِمْ» (٢٢٢٩٤) عَنِ الْحَقِّ ، وَجَمَّاحِهِمْ» (٢٢٢٩٥) فِي التَّيْبِ» (٢٢٢٩٦)

بيان: «قطن بالمكان» أقام. وقوله—عليه السلام—«بعداً» منصوب على المصدر، وهو ضد القرب والهلاك. قوله—عليه السلام—«قد استفلهم» في بعض النسخ بالقاف، أي حملهم، أو اتخذهم قليلاً، وسهل عليه أمرهم؛ وفي أكثر النسخ بالفاء، أي وجدهم فلأ لاخير فيهم، أو مفلولين منهزمين؛ وفي بعضها «استفزههم» أي استخفهم؛ وفي بعضها «استقبلهم» أي قبلهم. والمراد بالغد اليوم الذي تصب السيوف على هاماتهم، أو يوم القيامة. وقال الجوهري: «الرّكس» ردة الشيء مقلوباً، وارتكس فلان في أمر كان قد نجا منه. و«جمع الفرس»—كمنع—اعتزّ فارسه وغلبه. و«التيه» المغازة والضلال. ٧١٢

١٨٢ — خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

روي عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة، نصبها له جعدة بن هيرة المخرومي، وعليه مدرعة من صوف (٢٢٩٧) وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكان جبينه ثقبته (٢٢٩٨) بهر. فقال عليه السلام:

حمد الله واستعانته

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ ، وَعَوَاقِبُ الْأَمْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ ، وَنِيرِ بُرْهَانِهِ ، وَنَوَامِي (٢٢٩٩) فَضْلِهِ وَأَمْتِنَانِهِ ، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ، وَلِشُكْرِهِ آدَاءً ، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا ، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا . وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ ، وَائْتِقِ

بِدْفَعِهِ ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ (٢٣٠٠) ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مِنْ رَجَاهُ مُوقِنًا ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ، وَخَنَعَ (٢٣٠١) لَهُ مُذْعِنًا ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحَّدًا ، وَعَظَّمَهُ مُمَجَّدًا ، وَلَاذٍ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا .

الله الواحد

لَمْ يُوَلِّدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا ، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثًا هَالِكًا . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ (٢٣٠٢) ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّنْذِيرِ الْمُتَقَنِّ ، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ (٢٣٠٣) بِإِلَاحِ عَمَدٍ ، قَائِمَاتٍ بِإِلَاحِ سُنْدٍ . دَعَاؤُنَّ فَاجْبِنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرِ مُتَلَكِّثَاتٍ (٢٣٠٤) وَلَا مُبْطِثَاتٍ ، وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَّةِ ، لَمَّا جَعَلْنَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَضْعَدًا لِلِكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . جَعَلَ نُجُومَهَا أَغْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانَ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعِ ضَوْءُ نُورِهَا أَدْلِيَهُمَا (٢٣٠٥) سُجُوفِ (٢٣٠٦) اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ (٢٣٠٧) سَوَادِ الْحَنَادِسِ (٢٣٠٨) أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ (٢٣٠٩) فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَالُؤِ نُورِ الْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ دَاجٍ (٢٣١٠) ، وَلَا لَيْلِ سَاجٍ (٢٣١١) ،

فِي بِقَاعِ الْأَرْضِينَ الْمُتَطَاطِثَاتِ^(٢٣١٢) ، وَلَا فِي يَفَاعِ السُّفَعِ^(٢٣١٣)
 الْمُتَجَاوِرَاتِ ؛ وَمَا يَتَجَلَّجَلُ بِهِ الرَّعْدُ^(٢٣١٤) فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَمَا
 تَلَّشَتْ^(٢٣١٥) عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ
 مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ^(٢٣١٦) وَأَنْهِيَاكُ السَّمَاءِ^(٢٣١٧) ! وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ
 الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجْرَهَا ، وَمَا يَكْفِي الْبُعُوضَةَ مِنْ
 قُوَّتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا .

بيان: «البكالي» بفتح الباء وتخفيف الكاف، منسوب إلى «بكال»
 قبيلة؛ كذا ذكره الجوهري. وقال الراوندي: رحمه الله: منسوب إلى «بكاله» وهو
 اسم حي من همدان. وقال ابن أبي الحديد: إنها هي «بكال» بكسر الباء، اسم حي
 من حمير^{٧١٣}. و«الثفنة» بكسر الفاء من البعير، الركبة. «المصائر» جمع «المصير» وهو
 مصدر «صار إلى كذا» ومعناه المرجع، قال تعالى: «وَأَلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»^{٧١٤}.

قوله—عليه السلام—«مذعن له» من «أذعن له» أي خضع وذل. و
 «الخنوع» أيضاً الخضوع والذل. قوله—عليه السلام—«ولا زمان» تأكيد للوقت، و
 قيل: الوقت جزء الزمان، ويمكن حمل أحدهما على الموجود والآخر على الموهوم. و
 «التعاور» التناوب؛ ويقال: «أبرم الأمر» أي أحكمه.

قوله—عليه السلام—«موظلات» أي مثبتات.^{٧١٥}

قوله—عليه السلام—«ولولا إقرارهن» قيل: إقرارهن له بالربوبية راجع
 إلى شهادة حالن بالإمكان والحاجة إلى الرب والانتقياد لحكم قدرته، وظاهر أنه لولا
 إمكانها وانفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن أهلاً لسكنى

٧١٣- وفي القاموس: «بني بكال» - ككتاب - بطن من حمير منهم نوف بن فضالة التابعي .

٧١٤- آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢ و الفاطر: ١٨ .

٧١٥- في مداراتها على ثقل أجرامها .

الملائكة، وصعود الكلم الطيب والأعمال الصالحة، ولفظ الدعاء والإقرار والإذعان مستعارة. و ربّما يقال: إنها محمولة على الحقيقة نظراً إلى أنّ لها أرواحاً. و «الادلهمام» شدة ظلمة الليل. و «السجف» الستر. و «الهندس من الليل» الشديد الظلمة. و «المتطاطي» المنخفض. و «اليفاع» ما ارتفع من الأرض. و «السفع» الجبال، و سماها سفعاً لأنّ السفحة سواد مشرب حمرة، و كذلك لونها في الأكثر. و «التجلجل» صوت الرعد.

قوله—عليه السلام—«و ما تلاشت عنه» قال ابن أبي الحديد: قال ابن الأعرابي: «لشأ الرجل» إذا اتضع و خسّ بعد رفعه، و إذا صحّ أصلها صحّ استعمال الناس «تلاشي» بمعنى اضمحلّ. و قال القطب الراوندي: «تلاشي» مركّب من لاشيء، و لم يقف على أصل الكلمة أي يعلم ما يصوت به الرعد و يعلم ما يضمحلّ عنه البرق. فإن قلت: هو سبحانه—عالم بما يضيئه البرق و بما لا يضيئه فلم خصّ—عليه السلام—ما يتلاشي عنه البرق؟ قلت: لأنّ علمه بما ليس يضيء أعجب و أغرب لأنّ ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولوا الأبصار الصحيحة. ٧١٦

قوله—عليه السلام—«عواصف الأنواء»، «الأنواء» جمع «نوء» و هو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر، و طلوع رقبه من المشرق مقابلاً له من ساعته، و مدة النوء ثلاثة عشر يوماً إلاّ الجبهة فإنّ لها أربعة عشر يوماً، و إنّما سمي نوءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالشرق أي نهض و طلع؛ و قيل: أراد بالنوء الغروب و هومن الأضداد. قال أبو عبيدة: و لم يسمع في النوء أنّه السقوط إلاّ في هذا الموضع. و إنّما أضاف العواصف إليها لأنّ العرب تضيف الرياح والأمطار والحرّ والبرد إلى الساقط منها، أولاً لأنّ أكثر ما يكون عصفاً فيها. و «الانهطال» الانصباب. و «سحبه»—كمنعه—جرّه على وجه الأرض، و أكل و شرب أكلاً و شرباً شديداً. ٧١٧

٧١٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٨٧، ط بيروت.

٧١٧- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣١٥ - ٣١٦.

توضيح: المراد بشواهد الخلق آيات الابداع وعلامات التدبير المحكم، أو ما يشهد من الخلق بوجوده—سبحانه—وتدبيره وعلمه، أو ما حضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من علامات التدبير. و«وطدت—كوعدت—أطلها طدة ووطدتها توطيداً» إذا أثبتنا بالوطء أو غيره حتى تتصلب، و«توطيد السماوات» إحكام خلقها وإقامتها في مقامها على وفق الحكمة. و«العمد» بالتحريك، جمع «عماد» بالكسر، وهو ما يسند به، أوجع «عمود». و«السند» بالتحريك، ما استندت إليه واثكأت من حائط وغيره. و«الطائع» المنقاد السلس. و«أذعن» أي انقاد ولم يستعص. و«تلكأ» أي توقف واعتل. و«الطواعية»—كثمانية—الطاعة ولعل المراد بالملائكة المقربون أو الأكثر، لأن منهم من يسكن الهواء والأرض والماء، وصعود الكلم الطيب والعمل الصالح صعود الكتبة بصحائف أعمال العباد إلى السماوات، وفيه إشارة إلى قوله—سبحانه—: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»^{٧١٨}؛ وإجابته إشارة إلى قوله—تعالى—: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آئِنًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^{٧١٩}، وقدمر الكلام في تأويل الآية. و قيل: هنا إقرارهن بالربوبية له راجع إلى شهادة حال الممكن للحاجة إلى الرب والانقياد لحكم قدرته، وظاهر أنه لولا إمكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم يكن مسكناً للملائكة ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من الخلق. (انتهى). وأما تخصيصه—عليه السلام—السماوات بالطاعة مع اشتراك الأرض لها في ذلك في الآية فلعله لكونها أكثر طاعة لكون مادتها أقبل أولشرفها. و«العلم» بالتحريك، ما يهتدى به. و«المختلف» الاختلاف أي التردد، أو موضعه، أو هو من المخالفة. و«الفج» الطريق الواسع بين جبلين. و«القطر» الجانب و الناحية، فالمعنى: يستدل بها الحيارى في التردد في فجاج الأقطار أو في اختلاف الفجاج الموجودة في الأقطار، وذهب كلٌّ منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر

كاختلاف القوم في الآراء. و «السجف» بالكسر وبالفتح، الستر و «الجلباب» بالكسر، ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها كالملحفة، وقيل: هو الخنار، وقيل: القميص. و «الهندس» - كزبرج - الشديد الظلمة. و «شاع الشيء يشيع» أي ظهر وذاع وفشا. و «تلاأ القمر والبرق» أي لمع. ٧٢٠

عود الو الحمد

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ ،
 أَوْ جَانٌ أَوْ إِنْسٌ . لَا يُدْرِكُ بِوَهْمٍ ^(٢٣١٨) ، وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ
 سَائِلٌ ^(٢٣١٩) ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ ^(٢٣٢٠) ، وَلَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ ، وَلَا يُحَدِّدُ
 بَأْيُنٍ ^(٢٣٢١) ، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ^(٢٣٢٢) ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ ^(٢٣٢٣) ، وَلَا
 يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَرَاهُ
 مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا ، بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدْوَاتٍ ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ ^(٢٣٢٤) .
 بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ ^(٢٣٢٥) لِيُوصَفِ رَبِّكَ ، فَصِيفِ جِبْرِيلَ
 وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقْرَبِينَ ، فِي حُجَرَاتِ ^(٢٣٢٦) الْقُدْسِ
 مُرْجَعِينَ ^(٢٣٢٧) ، مُتَوَلِّهَةً ^(٢٣٢٨) عَقُولَهُمْ أَنْ يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرِكُ
 بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدْوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقُضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ .
 فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ .

بيان: قوله - عليه السلام - «ولا يشغله سائل» أي عن سائل آخر. و

«النائل» العطاء أي لا ينقص خزائنه عطاء. قوله — عليه السلام — « لا يوصف بالأزواج» أي بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج، وليس فيه تركب و ازدواج أمرين كما مرّ تحقيقه، أو بأن له صاحبة.

قوله — عليه السلام — «تكليماً» مصدر للتأكيد لإزالة توهم السامع التجوّر في كلامه — تعالى —، والمراد بالآيات إما الآيات التسع أو الآيات التي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات الستّ وغيره؛ و يويد الثاني قوله — عليه السلام — «بلا جوارح...» إلى قوله «ولا لهوات» إذ الظاهر تعلقه بالتكليم، و يحتمل تعلقه بالجميع على اللق والنشر غير المرتب.

قوله — عليه السلام — «مرجحين» أي مائلين إلى جهة التحت خضوعاً لجلال الباري — عزّ سلطانه — و يحتمل أن يكون كناية عن عظمة شأنهم و رزانة قدرهم أو عن نزولهم وقتاً بعد وقت بأمره — تعالى —، قال الجزري: «ارجحن الشيء» إذا مال من ثقله و تحرك. قوله — عليه السلام — «أعد حذّه» الإضافة بيانية، و حمل الحذّ على النهايات والأطراف بعيد جداً.

قوله — عليه السلام — «أضاء بنوره كلّ ظلام» الظلام إما محسوس بإضاءةه بأنوار الكواكب والنيرين، أو معقول و هو ظلام الجهل بإضاءةه بأنوار العلم والشرائع. قوله «و أظلم بظلمته كلّ نور» إذا جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة مضمحلّة في نور علمه، و ظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده.

و قال ابن أبي الحديد: تحت قوله — عليه السلام — معنى دقيق و سرّ خفيّ و هو أنّ كلّ رذيلة في الخلق البشري غير مخرجة عن حدّ الإيمان مع معرفته بالأدلة البرهانية غير مؤثّرة نحو أن يكون العارف بخيلاً أو جباناً، و كلّ فضيلة مع الجهل به — سبحانه — ليست بفضيلة في الحقيقة، لأنّ الجهل به يكشف تلك الأنوار نحو أن يكون الجاهل به جواداً أو شجاعاً. و يمكن أن يكون الظلام والنور كنايةتين عن الوجود والعدم، و يحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله «بظلمته» راجعاً إلى كلّ نور

لتقدمه رتبةً فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ إلى أن النور هو ما ينسب إليه - تعالى - فبتلك الجهة نور ، وأما الجهات الراجعة إلى الممكنات فكُلها ظلمة. ٧٢١

بيان: «التكلف» التجشم وارتكاب الشيء على مشقة. و«حجرة القوم» بالفتح، ناحية دارهم، والجمع «حجرات» كجمرة وجرات؛ وفي بعض النسخ: «حجرات» بضمّتين، جمع «حجرة» بالضمّ وهي الغرفة، وقيل: الموضع المنفرد. و«ارجحن الشيء» - كاقشعر - أي مال من ثقله وتحرك. قال في النهاية: أورد الجوهري هذا الحرف في حرف النون على أن النون أصلية، وغيره يجعلها زائدة من «رجح الشيء» - كمنع - إذا ثقل. قال ابن أبي الحديد: أي ماثلين إلى جهة التحت خضوعاً لله - سبحانه - . و قال الكيدري: «الارجحنان» الميل، و «ارجحن الشيء» اهتز. (انتهى). ولعل المراد بحجرات القدس المواضع المعدة لهم في السماوات، وهي محالّ القدس والتمرّ عن المعاصي ورضايل الأخلاق. و «الوله» الحزن والحيرة والخوف، و «متولاه عقولهم» على صيغة اسم الفاعل، أي محزونة أو حائرة أو خائفة؛ وفي بعض النسخ على صيغة اسم المفعول، والأول أظهر. «أن يحدوا أحسن الخالقين» أي يدركوه بكنهه أي يدركوا مبلغ قدرته و علمه، أو مقدار عظّمته. ٧٢٢

الوصية بالعقوو

أوصيكمُ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ (٢٣٢٩) ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ ؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا ، أَوْ لِيَدْفَعَ الْمَوْتَ سَبِيلًا ، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، مَعَ النَّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ . فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ (٢٣٣٠) ،

٧٢١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٣١٣.

٧٢٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٩، كتاب السهاء والعالم، ص ١٩٣.

وَأَسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ ، وَأَصْبَحَتْ الدِّيَارُ مِنْهُ
خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةٌ ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ . وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ
السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً !

أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ ! أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ ! أَيْنَ
أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرُّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ ، وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ ،
وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ ! أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ ، وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ ،
وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ ، وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ !

ومنها : قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جَنَّتَهَا ^(٢٣٣١) ، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدْبِهَا ، مِنْ
الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا ، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا ، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا ؛ فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ
الَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ
الْإِسْلَامُ ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ ^(٢٣٣٢) ، وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ ^(٢٣٣٣)
بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ .

بيان: قال ابن أبي الحديد: قالت الامامية: إن المراد به القائم—
عليه السلام— المنتظر والصوفية يزعمون أنه ولي الله و عندهم أن الدنيا لا يخلو عن
الأبدال وهم أربعون وعن الأوتاد وهم سبعة وعن القطب وهو واحد. والفلاسفة
يزعمون أن المراد به العارف وعند أهل السنة هو المهدي الذي سيخلق، وقد وقع
اتفاق الفرق من المسلمين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا على المهدي. ^{٧٢٣}

قوله - عليه السلام - «فهو مغترب» أي هذا الشخص يخفى نفسه إذا ظهر
الفسق و الفجور، و اغترب الاسلام باغتتاب العدل و الصلاح، و هذا يدل على ما
ذهبت إليه الامامية. و «المسيب» عظم الذنب أو منبت الشعر منه و إصااق الأرض
بجرانه كناية عن ضعفه و قلة نفعه فإن البعير أقل ما يكون نفعه حال بروكه. ٧٢٤

ثم قال عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ بَثْتُ لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا
أُمَّهَمُ ، وَأَدَيْتُ إِلَيْكُمْ مَا آدَتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَأَدَبْتُكُمْ بِسَوَاطِي
فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا ، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاهِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا (٢٣٣٤) . اللَّهُ أَنْتُمْ !
أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمْ الطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا ،
وَأَزَمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى ،
بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى . مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ
- وَهُمْ بِصِفِّينَ - أَلَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ ؟ يُسَيِّغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ
الرَّنَقَ (٢٣٣٥) ! قَدْ - وَاللَّهِ - لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ ، وَأَحْلَاهُمْ دَارَ
الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ .

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ (٢٣٣٦) ؟

وَأَيْنَ ابْنُ التَّيَّهَانِ^(٢٣٣٧) ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ^(٢٣٣٨) ؟ وَأَيْنَ نَظَرَاوَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ ، وَأَبْرَدَ بِرُؤُوسِهِمْ^(٢٣٣٩) إِلَى الْفَجْرَةِ !

قال : ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة ، فأطال البكاء ، ثم قال عليه السلام :

أَوْه^(٢٣٤٠) عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوْا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ . دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ .

ثم نادى بأعلى صوته :

الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ ! إِلَّا وَإِنِّي مُعَسِّكِرٌ فِي يَوْمِي هَذَا ، فَمَنْ أَرَادَ الرُّوْحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ !

قال نَوْفٌ : وعقد للحسين - عليه السلام - في عشرة آلاف ، ولقيس بن سعد - رحمه الله - في عشرة آلاف ، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف ، ولغيرهم على أعدادٍ آخر ، وهو يريد الرجعة إلى صفين ، فما دارت الجمعة حتى ضربته الملعون ابن ملجم لعنه الله ، فراجعت الساكر ، فكنا كأغنام فقدت راعيها ، نختطفها الذئاب من كل مكان !

[هذا بيان آخر في شرح الجزء الأخير من الخطبة:]

تبيان: قد مر شرح صدر الخطبة في كتاب التوحيد.

و قال في النهاية: «الرياش والريش» ما ظهر من اللباس. وقيل:

«الرياش» جمع «الريش» ويقع الرياش على الخصب والمعاش والمال المستفاد. و

«أسبغ» أي أكمل وأوسع. و «المعاش والمعيشة» مكسب الإنسان الذي يعيش به.

و «السلم» - كسكركم - ما يرتقى عليه، واستعمل هنا في الوسيلة. و كون النبوة والزلفة

أي القرب والمنزلة من الوسائل إلى البقاء لاستجابة الدعاء معها، فهما مظلتان

للتوصل إلى البقاء في الباطن كما أنّ السلطنة الكاملة مظنة لأن تكون وسيلة إليه في الظاهر. و «الطعمة» الرزق المقدر. و «القسي» جمع «القوس». و «النبل» السهام العربية لا واحد لها من لفظها. وقال ابن أبي الحديد: «نبال الموت» أسبابه و الإضافة البيانية للمبالغة بعيدة.

و «العمالقة» أولاد عمليق أوعملاق بن لاوذين إرم بن سام بن نوح. ٧٢٥ و «الفراعنة» ملوك مصر. وقد مضى ذكر أصحاب الرس. و «عسكروا» أي جمعوا. و «مدنوا المدائن» أي بنوها.

قوله — عليه السلام — «قد لبس للحكمة جنتها» إشارة إلى القائم — عليه السلام — كما ذكره ابن أبي الحديد^{٧٢٦} نقلاً عن الإمامية. و «الفرغ لها» أي عن العلائق والشواغل. قوله — عليه السلام — «ضالته» إشارة إلى قوله — عليه السلام — «الحكمة ضالة المؤمن». قوله — عليه السلام — «فهو مغترب» أي هذا الشخص يخفى نفسه و يخملها إذا ظهر الفسق والجور، واعترب الإسلام باغتراب العدل والصلاح، و هو إشارة إلى غيبة القائم — عليه السلام —.

وقال في النهاية في حديث علي — عليه السلام —: إنه ذكر فتنة فقال: «إذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه» أي فارق أهل الفتنة و ضرب في الأرض ذاهباً في أهل دينه، و أتباعه يتبعونه على رأيه و هم الأذئاب. و قال الزمخشري: الضرب بالذنب هيئتها مثل للإقامة والثبات، يعني يثبت هو و من يتبعه على الدين». و قال الفيروزآبادي: «العسيب» عظم الذنب، أو منبت الشعر منه، والبعر إذا أعى وتأذى ضرب بعسيب ذنبه؛ و إصاق الأرض بجوانه كناية عن ضعف الإسلام و قلة نفعه فإن البعر أقل ما يكون نفعه حال بروكه. و «جران البعير» صدره أو مقدم عنقه. و «بث الخبر» نشره. و «الخداء» سوق الإبل والفناء لها. و «استوثقوا» استجمعوا و انضمتوا. و «الزواجر» النواهي والاياعات. «يطأبكم الطريق» أي

٧٢٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٣، ط بيروت.

٧٢٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٩٦، ط بيروت.

يذهب بكم في سبيل الحق. قوله - عليه السلام - «ما كان مقبلاً» أي الهدى و
الرشاد الذي كان في أيام الرسول - صلى الله عليه وآله - أو في أيام خلافته -
عليه السلام -، فيكون إشارة إلى قرب ارتحاله - عليه السلام - من دارالفناء. و «ما
كان مدبراً» الضلال والفساد. و «أزعم الأمر» أي عزم عليه. و «الترحال» بالفتح،
مبالغة في الرحلة. و كلمة «ما» في «ضراً» نافية، و يحتمل الاستفهام على الإنكار،
والفاعل «أن لا يكونوا». و إساعة الغصص هنا كناية عن كثرة الآلام و مشاهدة
المنكرات بحيث صار تجرع الغصص عادة لهم، أو عن الرضا بقضاء الله. و «الغصة»
ما يعترض في الحلق. و «الرنق» بالفتح والتحريك، الكدر من الماء.

و «عمار» هو ابن ياسر المعروف، و قدمر فضله. و «ابن التيهان» بالياء
المنقوطة باثنتين تحتها المشددة المكسورة و قبلهاتاء منقوطة باثنتين فوقها ذكره ابن
أبي الحديد، و جور فتح الياء أيضاً، والمضبوط في أكثر النسخ بالياء الساكنة و فتح
التاء و كسرهما معاً. و في القاموس: و «تيهان» و «تيهان» مشددة الياء و يكسر و هو
أبوالهيثم و اسمه مالك. و قال ابن أبي الحديد: الصحيح أنه أدرك صفين و شهد هامع
علي - عليه السلام - و قيل: توفي في زمن الرسول - صلى الله عليه وآله - و
«ذوالشهادتين» هو خزيمة بن ثابت و قصته مشهورة، يكتبى أبا عمارة؛ شهد بدرأ و ما
بعدها من الشاهد، و شهد صفين مع علي - عليه السلام -، فلما قتل عمار قاتل
حتى قتل.

قوله - عليه السلام - «تعاهدوا» أي جعلوا الموت بينهم عقداً، أو بايعوا
على الموت؛ و روي «تعاهدوا». و «أبرد برؤوسهم» من البريد، أي أرسل للبشارة
بها. و «الفجرة» أمراء عسكر الشام. و «أوه» ساكنة الواو مسكورة الهاء، كلمة
شكوى و توجع، و ربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: «آه من كذا» و «آه على كذا» و ربما
شددوا الواو و كسروها و سكنوا الهاء فقالوا: «أوه من كذا»، و ربما حذفوا الهاء مع
التشديد و كسروا الواو فقالوا: «أو من كذا» بلامد، و قد يقولون: «أوه» بالمد و
التشديد و فتح الواو وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية، و ربما أدخلوا فيه التاء،

تارة يمدونه و تارة لا يمدونه فيقولون: «أوتاه و أوتاه» والاسم منه الآهة بالمد، ذكره الجوهري و ابن أبي الحديد. ٧٢٧ و «إحكامه» تلاوته كما ينبغي مع رعاية المحسنات، و التدبر في معانيه والعمل بمقتضاه. و أراد بالقائد نفسه - عليه السلام - و «الروح إلى الله» الذهاب إلى الفوز برضوانه، أو إلى لقائه بالشهادة.

و «قيس» هومن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - كان شجاعاً جواداً من كبار شيعة علي - عليه السلام - شهد حروبه كلها، و أبوه سعد بن عبادة كان رئيس الخزرج ولم يبايع أبابكر، و مات على عدم البيعة، و المشهور أنهم قتلوه لذلك، و أحالوا قتله على الجن، و افتروا شعراً من قبل الجن كما مر. و «أبو أيوب» هو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار، شهد العقبة و بدرأ و سائر المشاهد، و عليه نزل رسول الله - صلى الله عليه وآله - حين قدم المدينة، شهد مع أمير المؤمنين - عليه السلام - مشاهدته كلها، و كان على مقدمته يوم النهروان. و «الاختطاف» أخذك الشيء بسرعة، و المراد هنا إقبا الأخذ بالنهب و القتل و الإذلال، أو الإغواء و الإضلال. ٧٢٨

١٨٣ - وَحَسْبُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ

في قدرة الله و في فضل القرآن و في الوصية بالتقوى

الله تعالى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ (٢٣٤١) . خَلَقَ
الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ ؛

٧٢٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١١٠، ط بيروت.

٧٢٨- بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٥، ط كمباني و ص ٦٤٣، ط تبريز.

وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الْإِنْسِ رُسُلَهُ ،
 لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ
 أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبْصِرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا^(٢٣٤٢) عَلَيْهِمْ بِمُغْتَبِرٍ^(٢٣٤٣)
 مِنْ تَصَرُّفٍ^(٢٣٤٤) مَصَاحِحًا^(٢٣٤٥) وَأَسْقَامِيهَا ، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا ، وَمَا أَعَدَّ
 اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ
 إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ^(٢٣٤٦) إِلَى خَلْقِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَلِكُلِّ
 قَدْرٍ أَجَلًا ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا .



مركز القرآن

منها : فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةٌ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ .
 أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ ، وَأَرْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ^(٢٣٤٧) . أَتَمَّ نُورَهُ ، وَأَكْمَلَ
 بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَقَدْ فَرَّغَ إِلَى الْخَلْقِ
 مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ . فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ
 لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا
 وَجَعَلَ لَهُ عِلْمًا بَادِيًا ، وَآيَةً مُحْكَمَةً ، تَزْجُرُ عَنْهُ ، أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ ،
 فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخِطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ . وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ
 يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ
 بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيْنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ

بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرَّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةَ دُنْيَاكُمْ ،
وَحَثُّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَافْتِرَاضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذُّكْرَ .

للوصية بالتقوى

وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى ، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ . فَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ ^(٢٣٤٨) ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ ، وَتَقَلُّبِكُمْ فِي قَبْضَتِهِ .
إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِيمَهُ ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَنِيئَهُ ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةَ كِرَامَا ،
لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا ، وَلَا يُثَبِّتُونَ بَاطِلًا . وَأَعْلَمُوا « أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا » مِنَ الْفِتَنِ ، وَنُورًا مِنَ الظُّلُمِ ، وَيُخَلِّدْهُ فِي مَا أَشْتَهَتْ نَفْسُهُ ،
وَيُنزِلْهُ مَنْزِلَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ ، فِي دَارٍ أَصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ؛ ظِلُّهَا عَرْشُهُ ،
وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ ، وَزُورُهَا مَلَائِكَتُهُ ، وَرُفُقَاوُهَا رُسُلُهُ ؛ فَبَادِرُوا الْمَعَادَ ،
وَسَابِقُوا الْأَجَالَ ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ ، وَيَرَهَقَهُمُ
الْأَجَلُ ^(٢٣٤٩) ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ . فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ
إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ ^(٢٣٥٠) مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ

لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالْإِرْتِيحَالِ ، وَأَمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ
وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ ، فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ ،
فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا .

أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ ، وَالْعَثْرَةَ تُذَمِّيهِ ،
 وَالرَّمْضَاءَ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابِقَيْنِ مِنْ نَارٍ ، ضَجِيعَ حَجَرٍ ،
 وَقَرِينِ شَيْطَانٍ ! أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا ^(٢٣٥١) إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ
 بَعْضُهَا بَعْضًا لِيَغْضِبَهُ ، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ
 زَجْرَتِهِ !

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ ^(٢٣٥٢) ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ ^(٢٣٥٣) ، كَيْفَ أَنْتَ
 إِذَا التَّحَمْتَ أَطْوَأَقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ، وَنَشِبْتَ الْجَوَامِعَ ^(٢٣٥٤) حَتَّى
 أَكَلْتَ لُحُومَ السَّوَاعِدِ . فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصُّحَّةِ
 قَبْلَ الدُّنْيَا ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضُّيْقِ . فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا ^(٢٣٥٥) .

إيضاح: «الرمضاء» الأرض الشديدة الحرارة. و «الطابق» - كما جرو
 صاحب الأجر الكبير و «الحطم» الكسر. و «اليفن» بالتحريك، الشيخ الكبير. و
 يقال: «لهزه» أي خالطه. و «القتير» - كأمير- الشيب أو أوله.

قوله- عليه السلام- «إذا التحمت» أي التفت عليها وانصمت والتصفت بها. و
 «نشب الشيء بالشيء» أي علق. و «الجوامع» جمع «جامعة» وهي الغل لأنها
 تجمع اليدين إلى العنق. ^{٧٢٩}

أَسْهَرُوا عْيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا بَطُونَكُمْ ،

وَأَسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا
بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « إِنْ
تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » وَقَالَ تَعَالَى : « مَنْ ذَا الَّذِي
يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ » . فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ
مِنْ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ ؛ أَسْتَنْصِرْكُمْ « وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » . وَأَسْتَقْرِضْكُمْ « وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ « يَبْلُوكُمْ » (٢٨٥٦) أَيُّكُمْ
أَحْسَنُ عَمَلًا . فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ . رَافِقَ
بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ (٢٣٥٧)
نَارٍ أَبَدًا ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا (٢٣٥٨) : « ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ
حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ !

— ١٨٤ — وَمِنْ كَلِمَاتِ الْعِلْمِ

قاله للبرج بن مسهر الطائي ، وقد قال له بحيث يسمعه :
« لا حكم إلا لله » ، وكان من الحوارج

أَسْكُتَ قَبْحَكَ اللَّهُ (٢٣٥٩) يَا أَثْرَمَ (٢٣٦٠) ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ

فِيهِ ضَبِيلاً^(٢٣٦١) شَخْصُكَ ، خَفِيًّا صَوْتُكَ ؛ حَتَّى إِذَا نَعَرَ^(٢٣٦٢) الْبَاطِلُ
نَجَمَتْ^(٢٣٦٣) نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ .

بيان: «قبحك الله» بالتخفيف والتشديد، أي نتحاك عن الحين وقيل: كسرك، يقال: «قبحت الجوزة» أي كسرتها. «الثرم» سقوط الإنسان. و «الفضيل» الدقيق النحيف الخفي. و «نعر» أي صاح، كناية عن ظهور الباطل و قوة أهله. و «نجم» طلع، أي طلعت بلاشرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة. و «الماعز» واحد المعز من الغنم وهو خلاف الضأن. ٧٣٠

١٨٥ — وَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِحَمْدِ اللَّهِ فِيهَا وَبِشَى عَلَى رَسُولِهِ وَيُصِفُ خَلْقًا مِنَ الْحَيَوَانِ

بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ
النُّوَاطِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، الدَّالُّ عَلَى قِدْمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ،
وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . الَّذِي
صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَأَرْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ ، وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ،
بِعَدْلٍ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَاقِهِ ، وَبِمَا
وَسَمَّاهَا بِهِ مِنْ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا أَضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى
دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا يَعْدُدُ^(٢٣٦٤) ، وَدَائِمٌ لَا يَأْمِدُ^(٢٣٦٥) ، وَقَائِمٌ لَا يَعْمَدُ .

تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانَ لَا بِمُشَاعِرَةٍ^(٢٣٦٦) ، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي^(٢٣٦٧) لَا بِمُحَاصِرَةٍ .
 لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا ، وَبِهَا أَمْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا
 حَاكَمَهَا . لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ أَمْتَدَّتْ بِهِ النَّهَائِيَّاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا ، وَلَا
 بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيدًا ؛ بَلْ كَبَّرَ شَأْنًا ،
 وَعَظَّمَ سُلْطَانًا .

الرسول الاعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّفِيُّ ، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ ، صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَرْسَلَهُ بِوَجُوبِ الْحَجَجِ ، وَظُهُورِ الْفَلَجِ^(٢٣٦٨) ،
 وَإِيضًا حِ الْمَنْهَجِ ؛ فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا^(٢٣٦٩) بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ
 دَالًا عَلَيْهَا ، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ وَمَنَارَ الضِّيَاءِ ، وَجَعَلَ أَمْرَاسَ^(٢٣٧٠)
 الْإِسْلَامِ مَتِينَةً ، وَعُرَا الْإِيمَانَ وَثِيْقَةً .

بيان: قوله «بوجوب الحجج» أي تمامها ونفوذها ولزومها. و «الفلج»
 بالتحريك، النصر والغلبة. و «المرسة» بالتحريك، الحبل، وجمع جمعه «أمراس». و
 «المتانة» الشدة. ٧٣١

منها في صفة خلق اصناف من الحيوان

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ ، وَجَسِيمِ النُّعْمَةِ ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ ،

وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ مَذْخُولَةٌ !
 أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرٍ مَّا خَلَقَ ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَنْقَنَ تَرْكِيبَهُ ،
 وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ^(٢٣٧١) ! أَنْظُرُوا إِلَى
 النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتَيْهَا ، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلِحْظِ الْبَصْرِ ،
 وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكْرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا ،
 تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُجْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا . تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ،
 وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا^(٢٣٧٢) ؛ مَكْفُولٌ بِرِزْقِهَا ، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا^(٢٣٧٣) ، لَا
 يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ ، وَلَوْ فِي الصَّفَا^(٢٣٧٤) أَلْيَاسِ ،
 وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ ! وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا ، فِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا ، وَمَا
 فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفٍ^(٢٣٧٥) بَطْنِهَا ، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا ،
 لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا ، وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا ! فَتَعَالَى الَّذِي
 أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ! لَمْ يَشْرِكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ،
 وَلَمْ يُعِنِّهِ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ
 غَابَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ،
 لِذَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ . وَمَا الْجَلِيلُ
 وَاللَّطِيفُ ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءً .

وَكَذَلِكَ السَّمَاءَ وَالْهَوَاءَ ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءَ . فَانظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ،
 وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ
 هَذِهِ الْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ ^(٢٣٧٦) وَتَفَرُّقِ
 هَذِهِ اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسِنِ الْمُخْتَلِفَاتِ . فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدَّرَ ، وَجَحَدَ
 الْمُدَبِّرَ ! زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ
 صَانِعٌ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا ^(٢٣٧٧) إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أُوْعُوا ^(٢٣٧٨) ،
 وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جَنَابَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ !



مركز دراسة اللغة العربية

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ ، وَأَسْرَجَ
 لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ ^(٢٣٧٩) ، وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ
 السُّوِّيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ ^(٢٣٨٠)
 بِهِمَا تَقْبِضُ . يَرْتَهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا ^(٢٣٨١) ،
 وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِيهَا ^(٢٣٨٢) ، وَتَقْضِي
 مِنْهُ شَهَوَاتِيهَا . وَخَلَقَهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدَقَّةً .

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي « يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا » ،
 وَيُعَفِّرُ لَهُ خُدًّا وَوَجْهًا ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْمًا وَضَعْفًا ، وَيُعْطِي لَهُ

الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفًا ! فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ ؛ أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا
وَالنَّفْسَ ، وَأَرَسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى^(٢٣٨٣) وَالْيَبَسِ ؛ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ،
وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا . فَهَذَا غُرَابٌ وَهَذَا عُقَابٌ . وَهَذَا حَمَامٌ وَهَذَا نَعَامٌ .
دَعَا كُلُّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ «السَّحَابَ الثَّقَالَ»
فَأَهْطَلَ^(٢٣٨٤) دِيمَهَا^(٢٣٨٥) ، وَعَدَّدَ قِسْمَهَا^(٢٣٨٦) . فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ،
وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا^(٢٣٨٧)

ابيضاح: «مدخولة» أي معيبة من «الدخل» بالتحريك، و هو العيب
والغش والفساد. و «فلق» أي شق. و «البشر» ظاهر جلد الإنسان. «ولا بمستدرك
الكفر» إقما مصدر ميمي أي بإدراك الفكر، أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة
إلى الموصوف أي بإدراك الفكر الذي يدركه الإنسان بغاية سعيه، أو اسم مكان
والباء بمعنى «في» أي في محل إدراكه، والغرض المبالغة في صغرها بحيث لا يمكن إدراك
تفاصيل أعضائه لا بالنظر ولا بالفكر. «كيف دبّت» أي مشت. و «ضنّت»
بالضاد المعجمة والنون، أي بغلت؛ و في بعض النسخ: «صبّت» بالصاد المهملة
والباء الموحدة على بناء المجهول، إقما على القلب أي صب عليها الرزق، أو كناية عن
هجومها و اجتماعها على رزقها بإلهامه تعالى فكأنها صبّت على الرزق، ويمكن أن
يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة و هي حرارة الشوق. «لصدرها»، «الصدر»
بالتحريك، رجوع المسافر من مقصده والشاربة من الورد، أي تجمع في أيام التمكن
من الحركة لأيام العجز عنها، فإنها تخفى في شدة الشتاء لعجزها عن البرد. و «المتان»
هو كثير المنّ والعطاء. و «الديان» القهار والقاضي والحاكم والسائس والمجازي.
و «الصفا» مقصوراً، جمع «الصفاء» وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت. و
«الجامس» اليابس الجامد، قال الخليل في كتاب العين: «جس الماء» جمد، و
صخرة جامسة لزمت مكاناً. انتهى. والضمير في «علوها و سفلها» إقما راجع إلى

المجاري، أو إلى الغملة أي ارتفاع أجزاء بدنها وانخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة. و قال الجوهري: «الشراسيف» مقاطع الأضلاع وهي أطرافها التي تشرف على البطن، ويقال: «الشرسوف» غضروف معلق بكل ضلع، مثل غضروف الكتف. «لقضيت من خلقها عجباً» القضاء بمعنى الأداء، أي لأدبت عجباً، و يحتمل أن يكون بمعنى الموت أي لقضيت نحبك من شدة تعجبك، ويكون «عجباً» مفعولاً لأجله. «ولو ضربت» أي سرت، كما قال تعالى: «وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» ٧٣٢. «غاياته» أي غايات فكرك. «إلا سواء» أي في دقة الصنعة وغموض الحلقة، أو في الدلالة على الفاطر وكمال قدرته وعلمه. و «القلال» بالكسر، جمع «قُلَّة» بالضم، وهي أعلى الجبل. «زعموا أنهم كالنبات» أي كما زعموا في النبات، أو كنبات لزارع له حيث لا ينسب إلى الزارع. و إن نسب إلى ربه تعالى. «لما وعوا» أي جمعوا وحفظوا. «و أسرج لها حدقتين» أي جعلها مضيئين كالسراج، و يقال: «حدقة قراء» أي منيرة، كما يقال: «ليلة قراء» أي تيرة بضوء القمر. «بها تقرض» بكسر الراء، أي تقطع. و «المنجل» كمنبر، حديدة يقضب بها الزرع، شبتت بها يداها. و «الذبت» الدفع والمنع. «في نزواتها» أي وثباتها. «وخلقها كله» الوا وحاليتها. «سلمات» بالكسر وبالتحريك أي استسلاماً وانقياداً. و «أرسي» أي أثبتت، أي جعل لها رجلين يمكنها الاستقرار بها على الأراضي اليابسة والندية. و «الهطل» تتابع المطر. و «الديم» بكسر الدال وفتح الياء، جمع «الديمية» بالكسر، وهي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق. و «الجدوب» قلة النبات والزرع. ٧٣٣

تبيين: «التفكير» أعمال النظر في الشيء، يقال: فكر فيه - كضرب - و فكّر - بالتشديد - و أفكر و تفكر بمعنى. و «الجسيم» العظيم. و «الحريق» اسم من الاحتراق. و «البصائر» جمع «البصيرة» وهي والبصر بالتحريك، العلم والخبرة، و في بعض النسخ: «الأبصار» موضع البصائر. و «الدخل» بالتحريك، ما داخلك من

فساد في عقل أوجسم والعيب والريبة، يقال: هذا الأمر فيه دخل و دخل بمعنى، وقد دخل - كفرج - و دخل على البناء للمفعول. و «الاحكام» الاتقان، و «رُكبه تركيبها» أي وضع بعضه على بعض فتركب. و «فلق» - كضرب - أي شق فانفلق، و منه [قوله - تعالى -]: «فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى»^{٧٣٤}. و «استوى الشيء» اعتدل، و «سويته» عدلته.

و «الفلة» واحدة «الفل»، و «الجثة» بالضم للانسان، شخصه قاعداً أو نائماً، فان كان منتصباً فهو ظلّ بالتحريك، والشخص عام، كذا قيل. و في القاموس: «جثة الانسان» شخصه. و «لطف الشيء - ككرم - لطافة بالفتح» و قيل: هو اسم أي صغر ودق، و «المهية» حال الشيء و كفيته. و «نلته - بالكسر - أنيله» أي أصبته. و «اللمحظ» في الاصل، النظر بمؤخر العين و هو أشد التفاتا من الشزرو في بعض النسخ: «بلحظ النظر». و «استدرك الشيء و أدركه» بمعنى، ذكره الجوهري و «استدركت ما فات و تداركته» بمعنى، و «استدركت الشيء بالشيء» أي حاولت إدراكه به؛ و «الفكر» - كعنب - جمع «فكرة» بالكسر و هو أعمال النظر، و قيل: اسم من الافتكار كالعبرة من الاعتبار، و في بعض النسخ: «الفكر» بسكون العين، و مستدرك الفكر على بناء المفعول يحتمل أن يكون مصدراً أي إدراك الفكر أو يطلبها الإدراك، و لعله أنسب بقوله - عليه السلام - «بلحظ البصر» و أن يكون اسم مفعول أي بالفكر الذي يدركه الانسان و يصل إليه أو يطلب إدراكه أي منتهى طلبه لا يصل إلى إدراك ذلك، و أن يكون اسم مكان، و الباء بمعنى في. و «دب» - كفر - أي مشى رويداً. و «صبت» على بناء المفعول من الصب و هو في الأصل الاراقة، و قيل: هو على المكس، أي صببت رزقها عليها و الظاهر أنه لا حاجة إليه، أي كيف ألهمت حتى انحطت على رزقها، و استعير له الصب لهجومها عليه، و في بعض النسخ: «و ضنت» بالضاد المعجمة و النون على بناء المعلوم أي بخلت برزقها، و ذكر ديبها لأنه متوقف على القوائم و المفاصل و القوى الجزئية، و تركبها فيها

مع غاية صفرها على وجه تنتظم به حركاتها السريعة المتتابعة مظهر للقدره و لطيف الصنعة، و ذكر الصبّ أو الضئة للدلالة على علمها بحاجتها إلى الرزق و حسن نظرها في الاعداد والحفظ. و «البحرة» بالضم، الحفرة التي تحتفرها الهوامّ و السباع لأنفسها. و «أعدّه» أي هيأه، و «مستقرّها» موضع استقرارها. و «الورود» في الاصل، الاشراف على الماء للشرب، و «الصدر» بالتحريك، رجوع الشاربه من الورد، كأنّ المعنى: تجمع في أيام التمكن من الحركة لأيام العجز عنها، فإنها تظهر في المصيف و تحق في الشتاء لعجزها عن البرد. و «كفل» — كنصر و قيل: كعلم و شرف — أي ضمن، قيل: تقول: «كفله و به و عنه» إذا تحملت به. «بوفقها» أي بقدر كفايتها. ٧٣٥ و «أغفلت الشيء إغفالاً» أي تركته إهمالاً من غير نسيان، و «المثان» المنعم المعطي من المنّ بمعنى العطاء لا من المنّة، وقد يشتق منه و هو مذموم. و «حرمه» — كمنعه — ضدّ أعطاه و «الديان» الحاكم والقاضي، و قيل: القهار، و قيل: السائس و هو القائم على الشيء بما يصلحه كما تفعل الولاة و الأمراء بالرعيّة، و وجه المناسبة على الأخير واضح و لعله على الأول هو أنّ إعطاء كلّ شيء ما يستحقّه و لو على وجه التفضل من فروع الحكم بالحقّ، و على الثاني الاشارة بأنّ قهره — سبحانه — لا يمنع عن العطاء كما يكون في غيره أحياناً. و «الصفاء» مقصوراً، الحجارة، و قيل: الحجر الصلد الضخم لا ينبت شيئاً والواحدة «صفاء». و جسم و جمد بمعنى، و قيل: أكثر ما يستعمل في الماء جمد، و في السمن و غيره جسم، و «صخرة جامسة» أي ثابتة في موضعها. و «الأكل» بالضم، كما في بعض النسخ و بضمتين كما في بعضها، المأكول، و «الأكلة» بالضم، اللقمة و «علوها و سفلها» بالضمّ فيها في بعض النسخ، و بالكسر في بعضها، والضميران كالسوابق.

قال بعض شراح النهج: «علوها» رأسها و ما يليه إلى الجزء المتوسط، و يحتمل رجوعها إلى المجاري. و «الشراسيف» مقاط الأضلاع و هي أطرافها التي تشرف على البطن، و قيل: «الشرسوف» — كمصفور — غصروف معلق بكلّ ضلع

مثل غضروف الكتف؛ ولا حاجة إلى الحمل على المجاز كما يظهر من كلام بعض الشارحين. و «الأذن» بضمّتين في النسخ. و «القضاء» يكون بمعنى الأداء، قال الله تعالى: «فَلِذَا قَضَيْتُمْ مَنَائِكُمْ»^{٧٣٦} و قال: «فَلِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلَاةَ»^{٧٣٧}. و «قضاء العجب» التعجب أو التعجب الكامل، و قال بعض الشارحين: يحتمل أن يكون بمعنى الموت من قوهم: «قضى فلان» أي مات، أي لقضيت نحبك من شدة تعجبك، و يكون «عجباً» نصباً على المفعول له، و لا يخفى بعده. و «الدعامة والدعام» بالكسر فيها، عماد البيت، والخشب المنصوب للتعريش وفيه تشبيه لها بالبيت المبني على الدعائم. وفي بعض النسخ: «لم يعنه». و «الضرب في الأرض» السير فيها أو الاسراع فيه. و «الدلالة» بالفتح كما في بعض النسخ و بالكسر كما في بعضها، الاسم من قولك: «دله إلى الشيء و عليه» أي أرشده و سنده. و «الغامض» خلاف الواضح، والغرض من الكلام دفع توهم يسراخلق و سهولة الابداع في بعض الأشياء للصغر و خفاء دقائق الصنع. و «الجليل» العظيم، يقال: «جلّ - كفر - جلاله» بالفتح، أي عظم، والغرض استواء نسبة القدرة الكاملة إلى الأنواع، كذلك السماء قيل: المشبه به الأمور المتضادة السابقة، والمشبه هو السماء والهواء والرياح والماء و وجه الشبه هو حاجتها في خلقها وتركيبها وأحوالها المختلفة والمتفقة إلى صانع حكيم، و يحتمل أن يكون التشبيه في استواء نسبة القدرة.

«فانظر إلى الشمس والقمر... الخ» أي تدبر فيما أودع في هذه الأشياء من غرائب الصنعة ولطائف الحكمة، و قيل: استدلال بإمكان الاعراض على ثبوت الصانع بأن يقال: كل جسم يقبل جسميته المشتركة بينه وبين سائر الاجسام ما يقبله غيره من الأجسام فاذا اختلفت الاجسام في الاعراض فلا بد من مخصص و هو الصانع الحكيم. انتهى.

و «اختلاف الليل والنهار» تعاقبها. و «فجر الماء» أي فتح له طريقاً ففجر، و «انفجر» أي جرى وسال، والمراد بالبحار الأنهار العظيمة أو البحار المعروفة،

و «نفجرها» جريانها لو وجدت طريقاً. و «القلال» - كجبال - جمع «قلة» بالضم، وهي أعلى الجبل، وقيل: الجبل. و «تفرق اللغات» اختلافها وتباينها كما قال - عز وجل - : «وَ اٰخْتِلَافُ السِّيَاقِ وَالْوَأَنِّ كَيْفَ وَ اَلْوَيْلُ»^{٧٣٨}. و «الويل» الحزن و الهلاك والمشقة من العذاب، و علم واد في جهنم والجملة تحتل الاخبار والدعاء. قال سيبويه: «الويل» مشترك بين الدعاء والخبر

والمراد بالنبات ما ينبت في الصحاري والجبال من غير زرع، وليس المراد أن النبات ليس له مقدر ولا مدبر، بل المعنى أن النبات المذكور كما أنه ليس له مدبر من البشر يزعمون أن الانسان يحصل من غير مدبر أصلاً، وقيل: المراد أنهم قاسوا أنفسهم على النبات الذي جعلوا من الأصول المسلمة أنه لا مقدر له بل ينبت بنفسه من غير مدبر، و ذكر الاختلاف في الصور لأنه من الدلائل الواضحة على الصانع لم يلجأوا أي لم يستندوا، والغرض استنادهم في دعواهم إلى قياس باطل وظن ضعيف كما قال - عز وجل - : «وَ مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ اِنْ لَّمْ يَلْمِزُوْا اِلٰهًا يَتَّبِعُوْنَ»^{٧٣٩}. و «أوغى الشيء» و «وعاه» على المجرد كما في بعض النسخ، أي حفظه و جمعه، أي لم يرتبوا العلوم الضرورية، و لم يحصلوا المقدمات على وجهها حتى تفضي إلى نتيجة صحيحة. و «جنى فلان جنابة» بالكسر، أي جرّ جريرة على نفسه وقومه، ويقال: «جنى الثمرة أجنيتها واجتنبتها» أي اقتطفها، واسم الفاعل منها «جان» إلا أن المصدر من الثاني «جنى» لاجنابة. والغرض دعوى الضرورة في الاحتياج إلى الصانع والفاعل كالبناء والجنابة لا الاستناد إلى القياس.

«قلت في الجرادة» أي تكلمت في بديع صنعها وعجيب فطرتها. و «أسرج لها حدقتين» أي جعلها مضيئتين كالسراج، «قراوين» أي منيرتين كالليلة القمرَاء المضيئة بالقمر. و «جعل لها السمع الخفي» أي عن أعين الناظرين، وقيل: المراد بالخفي اللطيف السامع الخفي الاصوات، فوصف بالخفة مجازاً من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل وهو أنسب بقوله - عليه السلام - «و جعل لها الحس القوي»؛ و

قيل: أراد بحسها قوتها الوهية، وبقوته حذقتها فيما ألهمت إياه من وجوه معاشها و تصرفها يقال: «لفلان حسّ حاذق» إذا كان ذكياً فطنا ذراكاً. و «الناب» في الاصل، السنّ خلف الرباعية. و «قرض» - كضرب - أي قطع. و «المنجل» - كمنبر - حديدة يقضب بها الزرع وقيل: «المنجلان» رجلاهما شتبهما بالمنجل لعوجهما و خشونتهما. و «رهبه» - كعلم - أي خاف. و «ذبّ عن حريمه» - كمد - أي دفع و حمى. و «أجلبوا» أي تجتمعوا و تألبوا، و «أجلب على فرسه» أي استعنه للعدو بوكز أو صياح أو نحو ذلك؛ «بجمعهم» أي بأجمعهم، و كلمة «لو» للوصل. و «الحرث» الزرع. و «نزا» - كدعا - أي وثب. «وخلقها» الجملة حالية. و «استدق» صار دقيقاً. «الذي يسجد له...» أي حقيقة، فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين «طوعاً» حالتي الشدة والرخاء، والكفزة له «كرها» حال الشدة والضرورة أو أعمّ منها ومن السجدة المجازية وهي الخضوع والدخول تحت ذلّ الافتقار والحاجة كما مرّ مراراً. و «الغفر» بالتحريك وقد يسكن، وجه الأرض و يطلق على التراب و «غفره في التراب - كضرب - و غفره تعفيراً» أي مرغه فيه، و كان التعفير في البعض كأهل السماوات كناية عن غاية الخضوع. و «اللقاء بالطاعة» مجاز عن الانقياد، و في بعض النسخ: «بالطاعة إليه». و «السلم» بالكسر كما في بعض النسخ، الصلح و بالتحريك كما في بعضها، الاستسلام والانقياد. و «القياد» بالكسر، ما يقاد به و «إعطاء القياد» الانقياد. و «الرهبة» الخوف، و «أرسي» أي أثبت، و «الندى»^{٧٤٠} البلل والمطر، و «البيس» بالتحريك، ضدّ الرطوبة، و «طريق بيس» أي لاندأوة فيه ولا بلل. و «الحمام» بالفتح، كلّ ذي طوق من الفواخت والقمارتي والوراشين وغيرها، والحمامة تقع على الذكر والأنثى كالحية والنعامة، و اسم الجنس من النعامة «نعام» بالفتح والغرض بيان عموم علمه - سبحانه - وقدرته. «دعا كلّ طائر باسمه» قيل: «الدعاء» استعارة في أمر

٧٤٠ - «الندى» هنا مقابل البيس فيعم الماء كأنه يريد أنّ الله جعل من الطير ما تثبت أرجله في الماء ومنه مالا يمشي إلا على الأرض اليابسة.

كلّ نوع بالدخول في الوجود، وقد عرفت أنّ ذلك الأمر يعود إلى حكم القدرة الإلهية عليه بالدخول في الوجود كقوله -تعالى-: «فَقَالَتْ لَهَا وَوَلَدًا لَهَا مِنْ نَحْوِهَا» الآية» ٧٤١.

ولما استعار الدعاء رشح بذكر الاسم لأنّ الشيء إنما يدعى باسمه، و يحتمل أن يريد الاسم اللغويّ وهو العلامة، فإنّ لكلّ نوع من الطير خاصّة وسمة ليست للآخر، و يكون المعنى أنّه -تعالى- أجرى عليها حكم القدرة بما لها من السمات والخواصّ في العلم الإلهيّ واللوح المحفوظ؛ وقال بعضهم: أراد أسماء الاجناس وذلك أنّ الله -تعالى- كتب في اللوح المحفوظ كلّ لغة تواضع عليها العباد في المستقبل وذكر الأسماء التي يتواضعون عليها، و ذكر لكلّ اسم مستماه فعند إرادة خلقها نادى كلّ نوع باسمه فأجاب داعيه وأسرع في إجابته. و «كفل برزقه» أي ضمن. و «السحاب» جمع «سحابة» وهي الغيم. و «المهطل» بالفتح، تتابع المطر أو الدمع و سيلانه، و قيل: تتابع المطر المتفرق العظيم القطر؛ و «الديمة» بالكسر، مطريدوم في سكون بلا زعدويرق والجمع «ديم» -كعنب-. و «تعدد القسم» إحصاء ما قدر منها لكلّ بلد و أرض على وفق الحكمة. و «البلة» بالكسر، ضدّ الجفاف، يقال: «بله فابتل». و «الجفوف» بالضمّ، الجفاف بالفتح. و «الجدوب» بالضمّ، انقطاع المطر و يبس الارض. ٧٤٢.

[هذا بيان آخر في شرح جزء من الخطبة:]

إيضاح: «الدالّ على قدمه بحدوث خلقه» فيه وفيما بعده دلالة على أنّ علّة الفاقة إلى المؤثر الحدوث، و أنّه لا يعقل التأثير في الأزليّ القديم. ٧٤٣ و كذا قوله «مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته».

يده، ن: حدّثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانيّ - رضوان الله عليه - قال: حدّثنا أبو سعيد الحسن بن عليّ العدويّ، قال:

٧٤١- فصلت: ١١.

٧٤٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٤، كتاب السماء والعالم، ص ٤٠-٤٦.

٧٤٣- الحدوث والقدم قد يستعملان بمعنى المسبوقية بالعدم الذاتي ومقابلها، وقد يستعملان بمعنى المسبوقية بالعدم الزماني

حدثنا الهيثم بن عبدالله الرماني، قال: حدثني علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر ابن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي - عليهم السلام - ، قال : خطب أمير المؤمنين - عليه السلام - الناس في مسجد الكوفة، فقال:

الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كَوْن ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينية، ولاله شيخ مثال فيوصف بكيفية، ولم يغيب عن شيء فيعلم بحيثية؛ مبائن لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات، محرم على بوارع ناقيات الفطن تحديده، وعلى عوامق ثاقبات

مركز تحقيق الكمبيوتر علوم إسلامي

ومقابلها. فإن كان المراد بها في كلامه - عليه السلام - المعنى الأول كان المعنى أن العالم لمكان إمكانية يدل على وجود الواجب؛ وإن كان المراد بالحدوث الحدوث الزماني وبالقدم الذاتي كان المعنى أن الحدوث الزماني في الزمانيات دليل على وجود الواجب، وذلك لأن الحدوث تغير والتغير يختص بالممكن والممكن يحتاج إلى الواجب، وأيضاً الحادث مسبق بالعدم وكل ما كان كذلك أمكن عدمه فاحتاج في الوجود إلى الواجب؛ وإن كان المراد بها الحدوث والقدم الزمانيين كان المعنى أن الحدوث الزماني في الزمانيات يدل على كون الواجب قديماً غير مقيّد بالزمان وذلك لأن الحدوث نقص ومحدودية ووجود الواجب تام وفوق التمام، فلا يتصف به؛ وإن كان المراد بالحدوث، الحدوث الذاتي وبالقدم، القدم الزماني كان المعنى أن إمكان الخلق يدل على قدم الواجب وعدم تقيده بالزمان، لكثته في غاية البعد. وعلى الأولين فكلامه - عليه السلام - ناظر إلى إثبات الواجب وعلى الآخرين فناظر إلى إثبات قدمه. وعلى كل حال فلا يستفاد من كلامه - عليه السلام - أن ما يحتاج إلى العلة ينحصر في الحادث الزماني بحيث لو فرض ممكن غير حادث زماناً لم يحتاج إلى الواجب. فتأمل. وأما تحقيق القول في أن ملك الاحتياج إلى العلة هل هو الحدوث أو الإمكان، فله عمل آخر.

وأما النكتة في جعله - عليه السلام - «الدال» صفة له - سبحانه - لا لخلقه مع أن الظاهر أن الخلق يدل بحدوثه على قدم الواجب، فهي أن الذي يدل الناس إلى الحق حقيقة هو الحق - سبحانه - كما في الدعاء المأثور: «وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك» ؛ ويدل على ذلك روايات كثيرة وأدعية مأثورة ووجوه عقلية يضيق المجال عن ذكرها.

الفكر تكييفه، وعلى غوانص سايجات النظر تصويره؛ لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقائيس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتننه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمتثله. قد ينسب من استبطاء الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتناء بحار العلوم، ورجعت بالصفير عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم. واحد لا من عدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، وليس بجنس فتعادل له الأجناس، ولا بشيخ فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات. قد ضلت العقول في أمواج تيار إدراكه، وتحوّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزلّيته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته. مقتدر بالآلاء، وممتنع بالكبرياء، ومتملك على الأشياء، فلا دهر يخلقه، ولا وصف يحيط به. قد خضعت له رواتب الصعاب في عمل تخوم قرارها، وأذعنّت له رواصن الأسباب في منتهى شواهد أقطارها. مستشهد بكليّة الأجناس على ربوبيّته، وبمعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا لها مغيص عن إدراكه إياها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها؛ كفى بإتقان الصنع لها آية، وبمركب الطبع عليها دلالة، وبحدوث الفطر عليها قدمة، وبأحكام الصنعة لها عبرة، فلا إليه حدّ منسوب، ولاله مثل مضروب، ولا شيء عنه بمحجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً، وأشهد أن لا إله إلا هو إيماناً بربوبيّته، وخلافاً على من أنكره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المقرّ في خير مستقرّ، المتناسخ من أكارم الأصلاب ومطهرات الأرحام، المخرج من أكرم المعادن محدثاً، وأفضل المنابت منبتاً، من أمنع ذرورة^{٧٤٤} وأعزّ أرومة، من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه^{٧٤٥}، وانتجب منها أمناه، الطيبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع،

٧٤٤- «أمنع» من «منع جاره» أي حامى عنه وصانته من أن يضام، أو من «منع الحصن» أي تعمر الوصول إليه، يقال: «مكان منيع» ويقال: «امرأة منيعة» كناية عن العنيفة. و«الذروة» بضمّ الذال وكسرهما وسكون الراء، العلو والمكان المرتفع وأعلى الشيء. ولعلّه إشارة إلى شرف والدته - صلى الله عليه وآله - ومجدها وعلوّ نسبها وحسبها وقداستها وشدة عفتها.

٧٤٥- «صاغ الشيء» هيأه على مثال مستقيم.

الناصرة الغصون^{٧٤٦}، اليانعة الثمان الكريمة الحشا^{٧٤٧}، في كرم غرست^{٧٤٨} وفي حرم أنبت^{٧٤٩}، وفيه تشعبت وأثمرت وعزّت وامتنعت فسمت به وشمخت حتى أكرمه الله - عزّوجلّ - بالروح الأمين، والنور المتبر، والكتاب المستبين، وسخر له البراق، وصافحته الملائكة، وأرعب به الأبالس، وهدم به الأصنام والآلهة المعبودة دونه، سنّته الرشد، وسيرته العدل، وحكمه الحق، صدع بما أمره ربه، وبلغ ما حمّله، حتى أفصح بالتوحيد دعوته، وأظهر في الخلق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حتى خلصت الوجدانية وصفت الربوبية^{٧٥٠}، وأظهر الله بالتوحيد حجته، وأعلى بالاسلام درجته، واختار الله - عزّوجلّ - لنبه ما عنده من الروح والدرجة والوسيلة. صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين.



بيان: قوله - عليه السلام - «ولا من شيء كوّن ما قد كان» ردّ على من يقول بأنّ كلّ حادث مسبوق بالمادة. «المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته»، «الاستشهاد» طلب الشهادة أي طلب من العقول بما بيّن لها من حدوث الأشياء الشهادة على أزليته، أو من الأشياء أنفسها بأن جعلها حادثة فهي بلسان حدوثها تشهد

٧٤٦ - «تفرّج الشجر» أخضر وحسن وكان جميلاً.

٧٤٧ - «الحشا» ما انضمت عليه الضلوع. مافي البطن. والجمع «الأحشاء». ويقال: «فلان في حشا فلان» أي في كنفه، و«فلان خيرهم حشاً» أي رعاية.

٧٤٨ - «الكرم» بفتح الكاف والراء، صفة بمعنى الكريم والطيب؛ يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع، يقال: رجل كرم ونساء كرم وأرض كرم. وبسكون الراء يأتي بمعنى أرض منقاة من الحجارة.

٧٤٩ - «الحريم» بفتح الحاء والراء، مصدر بمعنى ما يحرمه الرجل ويدافع عنه، وبالضمّتين جمع «الحريم» كلّ موضع تحب حمايته؛ و«حريم الرجل» ما يدافع عنه ويحميه، ومنه سقيت نساء الرجل بالحريم.

٧٥٠ - أي خلصت ونقيت.

على أزليته، والمعنى على التقديرين أن العقل يحكم بأن كلّ حادث يحتاج إلى موجد، وأنه لا بدّ من أن تنتهي سلسلة الاحتياج إلى من لا يحتاج إلى موجد فيحكم بأن علة العلة لا بدّ أن يكون أزلياً، وإلا لكان محتاجاً إلى موجد آخر يحكم المقدمة الأولى.

«و بما وسمها به من العجز على قدرته»، «الوسم» السكّي، شبه - عليه السلام - ما أظهر عليها من آثار العجز والإمكان والاحتياج بالسمة التي تكون على العبيد والنعم وتدلّ على كونها مقهورة مملوكة. «و بما اضطرها إليه من الفناء على دوامه» إذ فناؤها يدلّ على إمكانها و حدوثها فيدلّ على احتياجها إلى صانع ليس كذلك.

«لم يخل منه مكان فيدرك بأينية» أي ليس ذامكان حتى يكون في مكان دون مكان كما هو من لوازم المتكّنات فيدرك بأنه ذواين ومكان، بل نسبة المجرّد إلى جميع الأمكنة على السواء، ولم يخل منه مكان من حيث الإحاطة العلميّة والعلية والحفظ والتربية؛ أو أنه لم يخل منه مكان حتى يكون إدراكه بالوصول إلى مكانه بل آثاره ظاهرة في كلّ شيء. «ولاله شبح مثال فيوصف بكيفية» إضافة الشبح بيانية، أي ليس له شبح مماثل له لا في الخارج ولا في الأذهان فيوصف بأنه ذو كيفة من الكيفيات الجسمانية أو الإمكانية ويحتمل أن يكون المراد بالكيفية الصورة العلميّة.

«و لم يغيب عن شيء فيعلم بجيشية» أي لم يغيب عن شيء من حيث العلم حتى يعلم أنه ذو حيث ومكان إذ شأن المكانيات أن يغيبوا عن شيء فلا يحيطوا به علماً فيكون كالتأكيد للفقرة السابقة، ويحتمل أن يكون «حيث» هنا للزمان، قال ابن هاشم: قال الأخفش: وقد ترد «حيث» للزمان؛ أي لم يغيب عن شيء بالعدم ليكون وجوده مخصوصاً بزمان دون زمان، ويحتمل على هذا أن يكون إشارة إلى ما قيل من أنه تعالى - لما كان خارجاً عن الزمان فجميع الأزمنة حاضرة عنده كخيوط مع ما فيه من الزمانيات وإنما يغيب شيء عما لم يأت إذا كان داخلاً في الزمان. ويحتمل أن تكون الحيثية تعليلية أي لم يجهل شيئاً فيكون علمه به معللاً بعلة، وعلى هذا يمكن أن يقرأ «يعلم» على بناء المعلوم. وفي التوحيد: لم يغيب عن علمه شيء.

«و ممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات» أي أظهر بما أبدع من الذوات المتغيره المنتقلة من حال إلى حال أنه يمتنع إدراكه إما لوجوب وجود المانع من حصول حقيقته في الأذهان لأمراً، أولاً حصوله فيها يستلزم كونه كسائر الذوات الممكنة محلاً للصفات المتغيرة فيحتاج إلى صانع، أولاً العقل يحكم بباينة الصانع للمصنوع في الصفات فلا يدرك كما تدرك تلك الذوات؛ ويحتمل أن يكون الظرف متعلقاً بالادراك، أي يمتنع عن أن يدرك بخلقه أي بمشابهتها، أو بالصورة العلمية التي هي مغلوقة له.

«من جميع تصرف الحالات» أي الصفات الحادثة المتغيرة. «محرم على بوارع ناقيات الفطن تحديده»، «البوارع» جمع «البارعة» وهي الفائقة. و «النقب» الثقب، و لعل المراد بالتحديد العقلي، و يحتمل الأعم. و «الثاقبات» النافذات أو المضيات. و «التكييف» إثبات الكيف له أو الإحاطة بكيفية ذاته و صفاته أي كنهها. و كذا «التصوير» إثبات الصورة، أو تصوره بالكنه، والأخير فيها أظهر. قوله «لعظمته» أي لكونه أعظم شأناً من أن يكون محتاجاً إلى المكان. قوله عليه السلام— «لجلاله» أي لكونه أجلّ قدراً عن أن يكون ذامقذار. قوله عليه السلام— «ولا تقطعه» من «قطعه» — كسمعه— أي أبانه، أو من «قطع الوادي و قطع المسافة»؛ و «المقائيس» أعم من المقائيس الجسمانية والعقلانية. و «الكنه» بالضم، جوهر الشيء و غايته و قدره و وقته و وجهه؛ و «اكتنه و أكنه» بلغ كنهه، ذكره الفيروزآبادي.

قوله عليه السلام— «أن تستفرقه» قال الفيروزآبادي: «استفرق» استوعب، و في التوحيد: «أن تستعرفه» أي تطلب معرفته. قوله عليه السلام— «أن تمثله» قال الفيروزآبادي: «امتثله» تصوره، و في التوحيد: «تمثله». قوله «من استنباط» أي استخراج الإحاطة به و بكنهه. «طوامح العقول» أي العقول الطامحة الرفيعة، و كل مرتفع طامح.

قوله عليه السلام— «و نضبت» يقال: «نضب الماء نضوباً» أي غار أي

يست بحار العلوم قبل أن تشير إلى كنه ذاته، أوتبين غاية صفاته. قوله «بالصغر» بالضم، أي مع الذك. و«السمو» الارتفاع والعلو، ولعل إضافة اللطائف إلى الخصوم ليست من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف، بل المراد المناظرات اللطيفة بينهم، أوفكرهم الدقيقة، أوعقولهم و نفوسهم اللطيفة.

قوله - عليه السلام - «واحد لا من عدد» أي من غير أن يكون فيه تعدد، أو من غير أن يكون معه ثان من جنسه. و«الأمد» الغاية، و«العمد» بالتحريك، جمع «العمود» أي ليس قيامه قياماً جسمائياً يكون بالعمد البدئية أو بالاعتماد على السابقين، أو أنه قائم باق من غير استناد إلى سبب يعتمد عليه و يقيمه كسائر الموجودات الممكنة. قوله - عليه السلام - «ليس بجنس» أي ذا جنس، فيكون ممكناً معادلاً لسائر الممكنات الداخلة تحت جنسه أو أجناسها. و«الشبح» بالتحريك، الشخص، وجمعه أشباح. و«المصارعة» المشابهة؛ وقال الجزري: «التيار» موج البحر ولبخته. انتهى. و«حصر الرجل» كعلم - تمب، و«حصرت صدورهم» ضاقت، و كل من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصر عنه، ذكرها الجوهري. و«الاستشعار» لبس الشعار و الثوب الذي يلي الجسد كناية عن ملازمة الوصف، و يحتمل أن يكون المراد به هنا طلب العلم والشعور و «الملكوت» الملك والعزة و السلطان.

قوله - عليه السلام - «بالآلاء» أي عليها. و«التملك» الملك قهراً، وضمن معنى التسلط والاستيلاء، وفي بعض نسخ التوحيد: مستملك. قوله «بخلق» من باب الإفعال من «الخلق» ضد الجديد. و«الراتب» الثابت، و«الصعب» نقيض الذلول، و«التخم» منتهى الشيء، والجمع «التخوم» بالضم. و«الرصين» المحكم الثابت، و«أسباب السماء» مراقبها أونواحيها وأبوابها، و«الشاهق» المرتفع من الجبال والأبنية و غيرها. فرواتب الصعاب إشارة إلى الجبال الشاهقة التي تشبه الإبل الصعاب حيث أثبتها بعروقها إلى منتهى الأرض، و يحتمل أن تكون إشارة إلى جميع الأسباب الأرضية من الأرض والجبال والماء والثور والسمكة والصخرة وغيرها حيث

أثبتت كلاً منها في مقرها بحيث لا يزول عنه ولا يتزلزل ولا يضطرب. وإنما عبر عنها بالصعاب إشارة إلى أن من شأنها أن تضطرب وتزلزل لولا أن الله أثبتها بقدرته. ورواصن الأسباب إشارة إلى الأسباب السماوية من الأفلاك والكواكب حيث رتبها على نظام لا يمتثل ولا يتبدل ولا يختلف، ولذا أورد—عليه السلام—في الأول التخوم وفي الثاني الشواهد. وما بعد ذلك من الفقرات مؤكدة لما مر. و«الإدراك والإحاطة والإحصاء» كل منها يحتمل أن يكون بالعلم أو بالقدرة والعلية والقهر والغلبة، أو بالمعنى الأعم، أو بالتوزيع.

قوله—عليه السلام—«كفى بإتقان الصنع» الباء زائدة أي كفى إحكام صنعه—تعالى—للأشياء لكونها آية لوجوده وصفاته الكمالية. و«المركب» مصدر ميمي بمعنى الركوب، أي كفى ركوب الطبايع وغلبيتها على الأشياء للدلالة على من جعل الطبايع فيها وجعلها مسخرة لها؛ ويحتمل أن يكون اسم مفعول من التركيب كما يقال: «ركبت الفص في الخاتم أو عليه»، أي كفى الطبع الذي ركب على الأشياء دلالة على مركبها. وعلى التقديرين ردة على الطبيعيتين المنكرين للصانع بإسناد الأشياء إلى الطبايع. و«الفطر» الخلق والابتداء والاختراع، ويحتمل أن يكون هنا «الفطر» بكسر الفاء وفتح الطاء على صيغة الجمع، أي كفى حدوث الخلق على الأشياء دلالة على قدمه.

قوله—عليه السلام—«فلا إليه حد» أي ليس له حد ينسب إليه. قوله «إيماناً» حال أو مفعول لأجله، وكذا قوله «خلاقاً». قوله—عليه السلام—«المقر» على صيغة المفعول، و«خير مستقر» المراد به إما عالم الأرواح أو الأصلاب الطاهرة أو أعلى عليين بعد الوفاة.

قوله «المتناسخ» أي المتزائل والمنتقل. و«المحتد» بكسر التاء، الأصل، يقال: «فلان في محتد صدق» ذكره الجوهري. و«المنبت» بكسر الباء، موضع النبات. و«الأرومة» بفتح الهمزة وضمة الراء، أصل الشجرة و«بسق النخل بسوقاً»

طال، و منه قوله تعالى: «وَالْتَحُلْ بِأَسْقَاتٍ»^{٧٥١} و «اليانع» النضيج. و «الحشا» واحد أحشاء البطن؛ والمراد هنا داخل الشجرة و يحتمل أن يكون من قولهم «أنا في حشاه» أي في كنفه و ناحيته. و «سمت و شمخت» كلاهما بمعنى ارتفعت. و الباء في قوله «به» لتعديتها. والمراد بالشجرة، الإبراهيمية، ثم القرشية، ثم الهاشمية. و «صدع بالحق» تكلم به جهاراً. و «الإفصاح» البيان بفصاحة، أي أظهر دعوته متلبساً بالتوحيد، و يمكن أن تقرأ «دعوته» بالرفع ليكون فاعل الإفصاح والضمير في قوله «حجته و درجته» راجع إلى الرسول.^{٧٥٢}

١٨٦ - وَمِنْ حَبْلِ الْوَعْدِ الْوَعْدُ

في التوحيد ، وجميع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمه خطبة

مَا وَحَدَّهُ مَنْ كَيْفُهُ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَلُهُ ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى
 مَنْ شَبَّهَهُ ، وَلَا صَمَدَهُ^(٢٣٨٨) مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ
 مَصْنُوعٌ^(٢٣٨٩) ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِأَضْطِرَابِ آلَةٍ ،
 مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ، وَلَا
 تَرْفِدُهُ^(٢٣٩٠) الْأَدَوَاتُ ؛ سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ، وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ ، وَالْإِبْتِدَاءَ
 أَزَلَهُ . بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ^(٢٣٩١) ، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ
 الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ

٧٥١-ق: ١٠.

٧٥٢- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤، كتاب التوحيد، ص ٢٢١.

لَهُ . ضَادُّ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ ، وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ،
وَالْحُرُورَ بِالصَّرْدِ (٢٣٩٢) . مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا ، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ،
مُقَرَّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا ، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا (٢٣٩٣) . لَا يُشْمَلُ بِحَدِّ ،
وَلَا يُحَسَّبُ بِعَدِّ ، وَإِنَّمَا تَحَدُّ الْأَدْوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ الْأَلَاتُ إِلَى
نظَائِرِهَا . مَنَعَتْهَا « مُنْذُ » الْقِدْمَةِ ، وَحَمَّتْهَا « قَدْ » الْأَزْلِيَّةُ ، وَجَنَّبَتْهَا « لَوْلَا »
التَّكْمِيلَةَ (٢٣٩٤) ! بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا أُمْتَنَعَ عَنِ نَظَرِ الْعُيُونِ ،
وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ ، وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ،
وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيَحْدِثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحَدَثُهُ ! إِذَا لَتَفَاوَتَتْ
ذَاتُهُ (٢٣٩٥) ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَا أُمْتَنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءَهُ
إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ ، وَلَا تَمَسَّ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ
الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَذْلُولًا عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ
بِسُلْطَانِ الْإِمْتِنَاعِ (٢٣٩٦) مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ . الَّذِي لَا
يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ (٢٣٩٧) . لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ
مَوْلُودًا (٢٣٩٨) . وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَخْدُودًا . جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ ،
وَطَهَّرَ عَنِ مَلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدَّرُهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ
فَتُصَوِّرُهُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسُّهُ ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسُّهُ . وَلَا
يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ . وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا

يُغَيِّرُهُ الضُّبْيَاءُ وَالظُّلَامُ . وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ^(٢٣٩٩) ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ
 وَالْأَعْضَاءِ ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ . وَلَا يُقَالُ : لَهُ
 حَدٌّ وَلَا نِهَآيَةٌ ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ ، وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلُّهُ^(٢٤٠٠)
 أَوْ تَهْوِيهِ^(٢٤٠١) ، أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيُحْمِلُهُ أَوْ يُعَدِّلُهُ . لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ
 بِوَالِجٍ^(٢٤٠٢) ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهْوَاتٍ^(٢٤٠٣) ،
 وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدْوَاتٍ . يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ^(٢٤٠٤) ،
 وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ . يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ
 غَيْرِ مَشَقَّةٍ . يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ : « كُنْ فَيَكُونُ » ، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ،
 وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ ، وَإِنَّمَا كَلِمَةٌ سَبَّحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمِثْلُهُ ، لَمْ يَكُنْ
 مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا ، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهَا ثَانِيًا .

لَا يُقَالُ : كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ، فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ ،
 وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَضْلٌ ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ
 وَالْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ
 خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ
 فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ ،
 وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ^(٢٤٠٥) وَالْإِعْوِجَاجِ ، وَمَنْعَهَا
 مِنَ التَّهَافُتِ^(٢٤٠٦) وَالْإِنْفِرَاجِ^(٢٤٠٧) . أَرْسَى أَوْتَادَهَا^(٢٤٠٨) ، وَضَرَبَ

أَسَدَادَهَا^(٢٤٠٩) ، وَأَسْتَفَاضَ عِيُونَهَا ، وَخَدَّ^(٢٤١٠) أَوْدِيَّتَهَا ، فَلَمْ يَهِن^(٢٤١١)
 مَا بَنَاهُ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ
 البَّاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ .
 لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيْغَلِبُهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ
 السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ . خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ
 لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ
 فَتَمْتَنِعُ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ، وَلَا كُفَّ لَهُ فِيكَافِئَتِهِ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ
 فَيُسَاوِيَهُ . هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا ، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودَهَا كَمَفْقُودِهَا .
 وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَأَخْتِرَاعِهَا .
 وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ
 مُرَاجِحِهَا^(٢٤١٢) وَسَائِمِهَا^(٢٤١٣) ، وَأَصْنَافِ أَسْنَانِهَا^(٢٤١٤) وَأَجْنَاسِهَا ،
 وَمُتَبَلِّدَةِ^(٢٤١٥) أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا^(٢٤١٦) ، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ ، مَا قَدَّرَتْ
 عَلَى إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلِ إِلَى إِجَادِهَا ، وَلَتَحَيَّرَتْ
 عَقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجِزَتْ قُورَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ
 خَاسِئَةً^(٢٤١٧) حَسِيرَةً^(٢٤١٨) ، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ ، مُقِرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ
 إِنْشَائِهَا ، مُذْعِنَةٌ بِالضُّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا !
 وَإِنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَخَدِّه لَا شَيْءَ مَعَهُ . كَمَا

كَانَ قَبْلَ أِبْتِدَائِهَا ، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا ، بِإِلَّا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ ،
 وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ ، وَزَالَتْ
 السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ
 مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ . بِإِلَّا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ أِبْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ
 أَمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا ، وَلَوْ قَدَّرَتْ عَلَى الْأَمْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا .
 لَمْ يَتَكَأَذْهُ^(٢٤١٩) صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَوُدَّهُ^(٢٤٢٠) مِنْهَا خَلْقُ
 مَا خَلَقَهُ وَبَرَّأهُ^(٢٤٢١) ، وَلَمْ يَكُونْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ
 زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِإِسْتِعَانَةٍ بِهَا عَلَى نِدِّ^(٢٤٢٢) مُكَائِرٍ^(٢٤٢٣) ، وَلَا
 لِإِخْتِرَازٍ بِهَا مِنْ ضِدِّ^(٢٤٢٤) مُثَاوِرٍ^(٢٤٢٥) ، وَلَا لِإِلَازِدِيَادٍ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا
 لِمُكَائِرَةِ شَرِيكِ فِي شَرِكِهِ ، وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ
 إِلَيْهَا .

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِإِسَامٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَضْرِيْفِهَا
 وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَا
 يُجِلُّهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا
 بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ . ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ
 مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا أَسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لِإِنْصِرَافٍ
 مِنْ حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَى حَالٍ أَسْتِثْنَسَ ، وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ

عِلْمٍ وَالتَّمَّاسِ ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ
وَضَعْفٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ .

بيان: قال بعض شراح النهج في قوله—عليه السلام—«ولتجزأ كنه» إشارة
إلى نفي الجوهر الفرد. وقال: قوله—عليه السلام—«و لكان له وراء إذ كان له أمام»
يؤكد ذلك لأن من أثبتة يقول يصحح أن تحل الحركة ولا يكون أحد وجهيه غير الآخر.

* فائدة *

اعلم أن الطبيعيتين والرياضيين اتفقوا على أن الأرض كروية بحسب الحس
و كذا الماء المحيط بها، وصارا بمنزلة كرة واحدة، فالماء ليس بتأم الاستدارة بل هو
على هيئة كرة مجوفة قطع بعض منها وملئت الأرض على وجه صارت الأرض مع الماء
بمنزلة كرة واحدة، ومع ذلك ليس شيء من سطحه صحيح الاستدارة، أما المحذب
فلما فيه من الأمواج، وأما المقعر فالتضاريس فيه من الأرض. وقد أخرج الله—
تعالى—قريباً من البربع من الأرض من الماء بمحض عنايته الكاملة،
أولبعض الأسباب المتقدمة لتكون مسكناً للحيوانات المنتنسة وغيرها من المركبات
المهوجة إلى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور والأشكال وربط الأعضاء
والأوصال. ومما يدل على كروية الأرض ما أومأنا إليه سابقاً من طلوع الكواكب و
غروبها في البقاع الشرقية قبل طلوعها وغروبها في الغربية بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك
البقاع في الجهتين على ما علم من ارضاد كسوفات بعينها لاسيما القمرية في بقاع
مختلفة، فإن ذلك ليس في ساعات متساوية البعد من نصف النهار على الوجه المذكور
و كون الاختلاف متقدراً بقدر الأبعاد دليل على الاستدارة المتشابهة السائرة بحدبتها
المواضع التي يتلو بعضها بعضاً على قياس واحد بين الخافقين، وازدياد ارتفاع القطب
والكواكب الشمالية وانحطاط الجنوبية للسائرين إلى الشمال وبالعكس للسائرين
إلى الجنوب بحسب سيرهما دليل على استدارتها بين الجنوب والشمال، وتركب
الاختلافين يعطي الاستداره في جميع الامتدادات. ويؤيده مشاهدة استدارة أطراف
المنكسف من القمر الدالة على أن الفصل المشترك بين المستضيء من الأرض وما

ينبعث منه الظلّ دائرة، و كذلك اختلاف ساعات النهر^{٧٥٣} الطوال والقصار في مساكن متفقة الطول إلى غير ذلك. ولو كانت أسطوانية قاعدتها نحو القطبين لم يكن لساكني الاستدارة كوكب أبديّ الظهور، بل إما الجميع طالعة غاربة أو كانت كواكب يكون من كلّ واحد من القطبين على بعد تستره القاعدتان أبدية الخفاء والباقية طالعة غاربة وليس كذلك، و أيضاً فالسائر إلى الشمال قد يغيب عنه دائماً كواكب كانت تظهر له، و تظهر له كواكب كانت تغيب عنه بقدر إمعانه في السين و ذلك يدلّ على استدارتها في هاتين الجهتين أيضاً. و ممّا يدلّ على استدارة سطح الماء الواقف طلوع رؤوس الجبال الشاخمة على السائرين في البحر أولاً ثمّ ما يلي رؤوسها شيئاً بعد شيء في جميع الجهات. و قالوا: التضاريس التي على وجه الأرض من جهة الجبال والاعوار لا تقدح في كرويّتها الحسّية، إذ ارتفاع أعظم الجبال وأرفعها على ما وجدوه فرسخان و ثلث فرسخ، و نسبتها إلى جرم الأرض كنسبة جرم سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع بل أقلّ من ذلك، و يظهر من كلام أكثر المتأخرين أنّ عدم قدح تلك الأمور في كرويّتها الحسّية معناه أنّها لا تتخلّ بشكل جملتها كالبيضة الزقت بها حبات شعير لم يقدح ذلك في شكل جملتها. و اعترض عليه بأنّ كون الأرض أو البيضة حينئذ على الشكل الكرويّ أو البيضيّ عند الحسّ ممنوع، و كيف يمكن دعوى ذلك مع ما يرى على كلّ منها ما يخرج به الشكل ممّا اعتبروا فيه و عرفوه به؟ و ربما يوجّه بوجه آخر و هو أنّ الجبال والوهاد الواقعة على سطح الأرض غير محسوسة عادة عند الاحساس بجملة كرة الأرض على ما هي عليه في الواقع. بيانه أنّ رؤية الأشياء تختلف بالقرب والبعد، فيرى القريب أعظم ممّا هو الواقع والبعيد أصغر منه و هو ظاهر، و قد أطبق القائلون بالانطباق و بخروج الشعاع كلّهم على أنّ هذا الاختلاف في رؤية المرثيّ بسبب القرب والبعد إنّما هو تابع لاختلاف الزاوية الحاصلة عند مركز الجليديّة في رأس المخروط الشعاعيّ بحسب التوهّم أو بحسب الواقع عند انطباق قاعدته على سطح المرثيّ، فكلّما قرب المرثيّ عظمت تلك الزاوية، و

كلها بعد صغرت. وقد تقرّر أيضاً بين محققهم أنّ رؤية الشيء على ما هو عليه إنّما هو^{٧٥٤} في حالة يكون البعد بين الراي والمرئي على قدر يقتضي أن تكون الزاوية المذكورة قائمة. فبناءً على ذلك إذا فرضت الزاوية المذكورة بالنسبة إلى مرئي قائمة يجب أن يكون البعد بين رأس المخروط وقاعدته المحيطة بالمرئي بقدر نصف قطر قاعدته على ما تقرّر في الأصول. فلما كان قطر الأرض أزيد من ألف فرسخ بلا شبهة لا تكون مرئية على ما هي عليه من دون ألف فرسخ، ومعلوم أنّ الجبال والوهاد المذكورة غير محسوسة عادة عند هذا البعد من المسافة فلا يكون لها قدر محسوس عند الأرض بالمعنى الذي مهّدنا.

ثمّ إنهم استعملوا بزعمهم مساحة الأرض وأجزاءها ودوايرها في زمان المأمون وقبلة فوجدوا مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ، وقصرها ألفين وخمسمائة وخمسة وأربعين فرسخاً ونصف فرسخ تقريباً، ومضروب القطر في المحيط مساحة سطح الأرض وهي عشرون ألف ألف وثلاثمائة وستون ألف فرسخ وربع ذلك مساحة الربع المسكون من الأرض. وأما القدر المعمور من الربع المسكون وهو ما بين خط الاستواء والموضع الذي عرضه بقدر تمام الميل الكلي فساحته ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة وخمسة وستين ألفاً وأربعمائة وعشرين فرسخاً وهو قريب من سدس سطح جميع الأرض وسدس عشره. والفرسخ ثلاثة أميال بالاتفاق، وكل ميل أربعة آلاف ذراع عند المحدثين، وثلاثة آلاف عند القدماء، وكل ذراع أربع وعشرون إصباعاً عند المحدثين، واثنا عشر وثلاثون عند القدماء. وكل إصبع بالاتفاق مقدار ست شعيرات مضمومة بطون بعضها إلى ظهور بعض من الشعيرات المعتدلة.

وذكروا أنّ للأرض ثلاث طبقات: الأولى الأرض الصرفة المحيطة بالمركز، الثانية الطبقة الطينية وهي المجاورة للماء، الثالثة الطبقة المنكشفة من الماء وهي التي تحتبس فيها الأبخرة والأدخنة وتتولد منها المعادن والنباتات والحيوانات. وزعموا أنّ

البسائط كلها شفافة لا تحجب عن إِبصار ما وراثها ماعدا الكواكب، و أن الأرض الصرفة المتجاوزة^{٧٥٥} للمركز أيضاً شفافة، والطبقتان الأخريان ليستا بسيطتين فهما كثيفتان. فالأرض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملونة كثيفة غبراء لتقبل الضياء و خلق ما فوقها من العناصر مشقة لطيفة بالطباع لينفذ فيها و يصل إلى غيرها ساطع الشعاع، فإن الكواكب و سماء الشمس والقمر أكثر تأثيراتها في العوالم السفلى بوسيلة أشعتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة بإذن الله تعالى.

وقالوا: الأرض في وسط السماء كالمركز في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم، و ذلك لتساوي ارتفاع الكواكب و انحطاطها مدة ظهورها و ظهور النصف من الفلك دائماً و تطابق أظلال الشمس في وقتي طلوعها و غروبها عند كونها على المدار الذي يتساوى فيه زمان ظهورها و خفائها على خط مستقيم، أو عند كونها في جزئين متقابلين من الدائرة التي يقطعها بسيرها الخاص بها، و انخساف القمر في مقاطراته^{٧٥٦} الحقيقية للشمس، فإن الأول يمنع ميلها إلى أحد الخافقين، والثاني إلى أحد السمتين، الرأس والقدم، و الثالث إلى أحد القطبين، والرابع إلى شيء منها أو من غيرها من الجهات كما لا يخفى. و كما أن مركز حجمها منطبق على مركز العالم فكذا مركز ثقلها، و ذلك لأن الثقال تميل بطبيعتها إلى الوسط كما دلت عليه التجربة، فهي إذن لا تتحرك عن الوسط، بل هي ساكنة فيه متدافعة بأجزائها من جميع الجوانب إلى المركز تدافعا متساوياً، فلا محالة ينطبق مركز ثقلها الحقيقي المتحد بمركز حجمها التقريبي على مركز العالم و مستقرها عند وسط العالم لتكافؤ القوى بلا تزلزل و اضطراب يحدث فيها لثباتها بالسبب المذكور و لكون الأثقال المنتقلة من جانب منها إلى الآخر في غاية الصغر بالقياس إليها لا يوجب انتقال مركز ثقلها من نقطة إلى أخرى بحركة شيء منها، و كذا الأجزاء المباشنة لها تهوي إليها و هي تقبلها من جميع نواحيها من دون اضطراب. هذا ما ذكره في هذا المقام، ولا نعرف من ذلك

٧٥٥- في (خ): المجاورة.

٧٥٦- «المقطرة» مقابلة الفطرين.

إلا كون الجميع بقدره القادر العليم و إرادة المدبّر الحكيم كما ستعرف ذلك إن شاء الله - تعالى - .

وقال الشيخ المفيد - قدس سره - في كتاب المقالات: أقول: إنّ العالم هو السماء والأرض وما بينهما وفيها من الجواهر والأعراض، ولست أعرف بين أهل التوحيد خلافاً في ذلك.

أقول: لعلّ مراده - قدس سره - بالسموات ما يشمل العرش والكرسي والحجب، و غرضه نفي الجواهر المجردة التي تقول بها الحكماء.

ثمّ قال - رحمه الله - : و أقول: إنّ الفلك هو المحيط بالأرض الدائر عليها و فيه الشمس والقمر و سائر النجوم، والأرض في وسطه بمنزلة النقطة في وسط الدائرة، وهذا مذهب أبي القاسم البلخي و جماعة كثيرة من أهل التوحيد، و مذهب أكثر القدماء والمنجمين و قد خالف فيه جماعة من بصرية المعتزلة وغيرهم من أهل النحل.

و أقول: إنّ المتحرك من الفلك إنّما يتحرك حركةً دوريةً كما يتحرك الدائر على الكرة، و إلى هذا ذهب البلخي و جماعة من أهل التوحيد، و الأرض على هيئة الكرة في وسط الفلك و هي ساكنة لا تتحرك، و علّة سكونها أنّها في المركز، و هو مذهب أبي القاسم و أكثر القدماء والمنجمين، و قد خالف فيه الجبائي و ابنه و جماعة غيرهما من أهل الآراء والمذاهب من المقلّدة والمتكلمين.

ثمّ قال: و أقول: إنّ العالم مملوءة من الجواهر و إنّها لا اختلاف فيها، ولو كان فيه خلافاً لما صحّ فرق بين المجتمع والمتفرّق من الجواهر والأجسام و هو مذهب أبي القاسم خاصة من البغداديين، و مذهب أكثر القدماء من المتكلمين و خالف فيه الجبائي و ابنه و جماعة متكلمي أهل الحشو والجبر والتشبيه.

ثمّ قال: و أقول: إنّ المكان هو ما أحاط بالشيء من جميع جهاته، ولا يصحّ تحرك الجواهر إلا في الأماكن؛ والوقت هو ما جعله الوقت وقتاً للشيء و ليس بحادث مخصوص والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجاً في وجوده إلى وقت ولا زمان، و على هذا القول سائر الموحدين.

و سئل السيد المرتضى - رحمه الله - : الفراغ له نهاية؟ والقديم - تعالى - يعلم منتهى نهايته؟ وهذا الفراغ أي شيء هو؟ وكذلك الطبقة الثامنة من الأرض والثامنة من السماء نقطع أن هناك فراغاً أم لا؟ فإن قلت: لا، طالبتك بما وراء الملاء، القديم - تعالى - يعلم أن هناك نهاية. فإن قلت: نعم، طالبتك أي شيء وراء النهاية؟

فأجاب - رحمه الله - : إن الفراغ لا يوصف بأنه منته، ولا أنه غير منته على وجه الحقيقة، وإنما يوصف بذلك مجازاً واتساعاً. وأما قوله «وهذا الفراغ أي شيء هو؟» فقد علمنا^{٧٥٧} أنه لا جوهر ولا عرض ولا قديم ولا محدث ولا هو ذات ولا هو معلوم كالمعلومات. وأما الطبقة الثامنة من الأرض فما نعرفها، والذي نطق به القرآن: «سَمِعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» فأما غير ذلك فلا سبيل للقطع به من عقل ولا شرع. انتهى.

وأقول: بسط الكلام في هذه الأمور خروج عن مقصود الكتاب، ومحل علم الكلام.^{٧٥٨}

[إيضاح:] «لا تصحبه الأوقات» يحتمل وجهين: أحدهما نفي المصاحبة على الدوام بل وجوده سابق على الأزمان كالزمانيات^{٧٥٩} كما قال: «سبق الأوقات كونه». وثانيها نفي الزمانية عنه - سبحانه - مطلقاً كما ذهب إليه الحكماء من أن الزمان نسبة المتغير إلى المتغير ولا يكون فيما لا يتغير فيه أصلاً، فالمراد بسبق كونه على الأوقات عدم لحوقها له و امتناع مقارنته - سبحانه - لها، وربما يؤيد ذلك بقوله - عليه السلام - «و كيف يجري عليه ما هو أجراه؟».

٧٥٧- في (خ): قلنا.

٧٥٨- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٠، كتاب السماء والعالم، ص ٩٥-١٠٠.

٧٥٩- يعني أن الزمانيات تصحب الزمان مادامت موجودة لكن وجود الواجب غير مقارن للزمان دائماً لأنه - تعالى - كان موجوداً ولم يكن زمان، فلما خلق الزمان صار مقارناً له؛ وأما الحكماء فيضون مقارنته - سبحانه - للزمان مطلقاً لأن الزمان أمر تدريجي لا يقارنه إلا ما شأنه الحركة والتغير وهو الجسم لا غير. ودلالة كلامه - عليه السلام - على مقاتلهم لاغبار عليها.

فإنه—عليه السلام—استدلّ على عدم جريان السكون والحركة عليه بأنه موجودهما فلا يكونان من صفاته الكمالية، لأنّ الفعل لا يكون كمالاً للفاعل واتّصافه بها لا على وجه الكمال يوجب التغير أو النقص وهذا جارٍ في الزمان أيضاً.

و كذا قوله «و يعود فيه ما هو أبداه» أي أظهره، فقيل: المعنى أنه—سبحانه—أظهر الحركة والسكون فكانا متأخرين عنه ذاتاً، فلو كانا من صفاته لزم أن يعود المتأخر و يصير متقدماً لأنّ صفاته—سبحانه—عين ذاته فلا يجوز خلوه عنها في مرتبة الإظهار والإيجاد. «و يحدث فيه ما هو أحدثه» لأنّ الشيء لا يكون فاعلاً و قابلاً لشيء واحد، أو لما مرّ من لزوم الاستكمال بغيره والنقص في ذاته.

«إذا لتفاوتت ذاته» أي حصل الاختلاف والتغير في ذاته. «و لتجزأ كنهه» أي كانت حقيقته ذات أجزاء وأبعاض، لأنّ الحركة والسكون مستلزمان للتحيز المستلزم للجسمية، أو لكان فيه ما به بالقوة وما به بالفعل. «و لا متنع من الأزل معناه» أي ذاته المقصودة من أسمائه الحسنى، والامتناع من الأزل للجسمية وحدوث ما لا ينفك عن الحركة والسكون.

«لا بصوت يقرع» أي يقرع الأسماع، و «القرع» الدق، وفي بعض النسخ على بناء الجهول أي يحصل من قرع شيء «و مثله» أي أقامه، و قيل: البارئ—تعالى—مثل القرآن لجبرئيل—عليه السلام—بالكتابة في اللوح، و يقال: «مثله بين يدي» أي أحضرته. فلما كان الله—تعالى—فعل القرآن واضحاً بيناً كأن قد مثله للمكلفين. انتهى. والظاهر أنّ المراد أنّ قوله [—تعالى—:] «كُنْ فَبُكُونٌ»^{٧٦٠} ليس المراد به الكلام الحقيقي الذي له صوت بل كناية عن تعلق الإرادة وتمثيل لحصول الأشياء بمحض إرادته بلا تأخر ولا توقّف على أمر.

«و لو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً» هذا صريح في أنّ الإمكان لا يجامع القدم و أنّ الإيجاد إنّما يكون لما هو مسبوق بالعدم^{٧٦١}، فالقول بتعدد القدماء مع القول بإمكان

٧٦٠- النحل: ٤٠.

٧٦١- كلامه- عليه السلام- صريح في أنّ القدم يلزم الألوهية ولا يجامع الإمكان، لكنه ليس بصريح في أنّ المراد به القدم الزماني، فإن كانت هناك قرينة عقلية وجب حملها على القدم الذاتي.

بعضها قول بالنقيضين. «فتجري» على [بناء] المعلوم وفي بعض النسخ على [بناء] المجهول. «عليه الصفات المحدثات» في أكثر النسخ «الصفات» معرفة باللام، فالمحدثات صفة له وفي بعضها بدون اللام على الإضافة وهو أنسب، أي لو كان محدثاً لجرت عليه صفات الأجسام المحدثه فلم يكن بينه وبينها فرق. و «الفصل» القطع، والحاجزين الشئيين. و «المبتدع» في بعض النسخ على صيغة الفاعل، وفي بعضها على صيغة المفعول، فعلى الأول «البتدع» بمعنى المبتدع على بناء المفعول، وعلى الثاني بمعنى «المبتدع» على بناء الفاعل.

«على غير مثال خلا» أي مضى و سبق. «من غير اشتغال» أي لم يشغله إمساكها عن غيره من الأمور. و «أرساها» أي أثبتها «على غير قرار» أي مقرّ يتمكّن عليه بل قامت بأمره لا على شيء. «بغير قوائم» أي لا كدابة تقوم بقوائمها. و «الدعامة» بالكسر، عماد البيت الذي يقوم عليه. و «حصنه تحصيناً» أي جعله منيعاً. و «الأود» بالتحريك، الإعياج، والعطف للتفسير و «التهافت» التساقط قطعة قطعة. «أوتادها» أي جبالها التي هي للأرض بمنزلة الأوتاد. «و ضرب أسدادها»، «السد» بالفتح و بالضم الجبل والحاجزين الشئيين، وقيل: بالضم ما كان مخلوقاً لله تعالى—و بالفتح ما كان من فعلنا. و «ضرب الأسداد» نصبها، يقال: «ضربت الخيمة» أي نصبتها، أو تعيينها كضرب الخراج. و لعلّ المغنى خلق الجبال فيها والأنهار التي هي كالحُدود لها ليمتيز بعضها عن بعض على حسب اقتضاء الحكمة الكاملة. و قال الجوهري: «السد» أيضاً واحد السدود و هي السحاب السود، عن أبي زيد. «و استفاض عيونها» أي جعلها فائضة جارية. «و خذ أوديتها» أي شقها ومنها «الأخدود» أي الحفرات المستطيلة في الأرض.

«حتى يصير موجودها كمفقودها» لعلّ المراد بالمفقود ما لم يوجد أصلاً أي حتى يصير كأن لم يكن، و يحتمل أن تكون الكاف زائدة.

و قوله—عليه السلام—«كما كان قبل ابتدائها» إلى آخر الكلام صريح في حدوث ما سوى الله تعالى—و ظاهره نفي الزمان أيضاً قبل العالم و عدم

زمانيته—سبحانه—إلى أن يحمل على الأزمنة المعينة من الليالي والأيام والشهور والسنين ويدل على فناء جميع أجزاء الدنيا بعد الوجود. وهذا أيضاً ينافي القدم لأنهم أطبقوا على أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه، وأقاموا عليه البراهين العقلية.

«لم يتكادّه» في أكثر النسخ على صيغة التفاعل و في بعضها على صيغة التفعّل، و كلاهما بمعنى نفي المشقة. و في بعض النسخ: «لم يتكاره» على صيغة التفاعل من الكره، يقال: فعل الأمر على تكرّره وتكاره أي على تسخّط و عدم الرضا به. والغرض أنه—سبحانه—لم يكن مجبوراً مكرهاً في خلق الأشياء.

و «آده الأمر يؤده» أثقله. و «برأه» أي خلقه. و «تشديد السلطان» إحكام السلطنة و حفظها عن تطرّق الخلل فيها. و «الند» بالكسر، المثل، قالوا: ولا يكون الند إلا مخالفاً. و «المكاثرة» المغالبة بالكثرة. و «الضد» بالكسر، النظير والكفو، و قيل: مثل الشيء و خلافه، و هو من الأضداد. و «الثور» بالفتح، الهيجان والوثب، و «ثاوره» أي واثبه. و «الشرك» بالكسر، الاسم من «شركته—كعلمت—في البيع والميراث شركة»؛ و في النسخ: «في شركة» بالتاء موضع الضمير. «والاستثناس» اتخاذ الأنيس ضد الاستيحاش.

و «السأم» بالتحريك، الملل. و «التصريف» التغيير و تحويل الشيء من حال إلى حال و من وجه إلى وجه. و «الثقل» بالكسر كما في بعض النسخ و كعنب كما في بعضها، ضد الخفة. و «لم يملّه» على صيغة الإفعال، أي لم يجعله سثماً، و في بعض النسخ: «ولايملّه». و ذكر السرعة لأن الإفناء لا يستدعي زماناً طويلاً إذا كان عن قدرة كاملة، أو لأنه إذا كان عن ملالة من البقاء يكون بسرعة. و «أتقنها» أحكمها. و «الالتناس» الطلب، والمراد طلب علم مجهول. و «الضعة» بالفتح كما في النسخ و بالكسر، انحطاط الدرجة ضد الرفع. و الضمير في قوله—عليه السلام—«يعيدها» راجع إلى الدنيا كالضمائر السابقة، و جوّز بعض شارحي النهج عودها إلى «الأمور» في قوله—عليه السلام—«إليه مصير جميع الأمور»؛ و على أي حال ظاهره انعدام جميع المخلوقات حتى الأرواح والملائكة ثمّ عودها فيدل على جواز إعادة

المعدوم، وقد سبق الكلام فيه في المجلد الثالث. ٧٦٢

أقول: قد مرّت الخطبة بتمامها وشرحها في كتاب التوحيد.

تتميم: اعلم أنّ ظاهر هذا الخبر فناء جميع المخلوقات عند انقضاء العالم كما هو

مذهب جماعة من المتكلمين، قال شارح المواقف: قد سبقت في مباحث الجسم إشارة إلى أنّ الأجسام باقية غير متزايلة على ما يراه النظام، وقبلة للفناء غير دائمة البقاء على ما يراه الفلاسفة قولاً بأنها أزلية أبدية، والجاحظ وجمع من الكرامية قولاً بأنها أبدية غير أزلية، وتوقف أصحاب أبي الحسين في صحة الفناء، واختلف المائلون بها في أنّ الفناء بإعدام معدم أو بحدوث ضدّه أو بانتفاء شرط. أمّا الأول فذهب القاضي وبعض المعتزلة إلى أنّ الله تعالى يعدم العالم بلا واسطة فيصير معدوماً كما أوجده كذلك فصار موجوداً، وذهب أبو هذيل إلى أنّه تعالى يقول له: افن فيفني، كما قال له: كن فكان. و أمّا الثاني فذهب جمهور المعتزلة إلى أنّ فناء الجوهر بحدوث ضدّه له هو الفناء، فذهب ابن أبي عمير إلى أنّ الفناء وإن لم يكن متحيزاً لكنّه يكون حاصلًا في جهة معيّنة، فإذا أحدثه الله تعالى فيها عدمت الجواهر بأسرها؛ وذهب ابن شبيب إلى أنّ الله تعالى يحدث في كلّ جوهر فناءً ثمّ ذنّب الفناء يقتضي عدم الجوهر في الزمان الثاني؛ وذهب أبو عليّ وأتباعه إلى أنّه يخلق بعدد كلّ جوهر فناءً لا في محلّ فتفنى الجواهر؛ وقال أبو هاشم وأشياعه: يخلق فناءً واحداً لا في محلّ فيفنى به الجواهر بأسرها. و أمّا الثالث وهو أنّ فناء الجوهر بانقطاع شرط وجوده فزعم بشر أنّ ذلك الشرط بقاء مخلقه الله تعالى لا في محلّ، فإذا لم يخلقه الله تعالى عدم الجوهر، وذهب الأكثرون من أصحابنا والكلبيّ من المعتزلة إلى أنّه بقاء قائم به يخلقه الله حالاً فحالاً، فإذا لم يخلقه الله تعالى فيه انتفى الجوهر. وقال إمام الحرمين: إنّها الأعراض التي يجب اتّصاف الجسم بها، فإذا لم يخلقها الله تعالى فيه فنى. وقال القاضي في أحد قوليّه: هو الأكوان التي يخلقها الله في الجسم حالاً فحالاً، فتى لم يخلقها الله فيه انعدم. وقال النظام: إنّهُ ليس بباقي بل يخلق الله حالاً فحالاً فتى لم يخلق

فنى.

وأكثر هذه الأقاويل من قبيل الأباطيل، سيما القول بكون الفناء أمراً محققاً في الخارج ضدّاً للبقاء قائماً بنفسه أو بالجوهر، وكون البقاء موجوداً لا في محلّ، ولعلّ وجه البطلان غنيّ عن البيان.

ثمّ القائلون بصحة الفناء وبحقّية حشر الأجساد اختلفوا في أنّ ذلك بالإيجاد بعد الفناء أو بالجمع بعد تفرّق الأجزاء؟ والحقّ التوقف، وهو اختيار إمام الحرمين حيث قال: يجوز عقلاً أن تعدم الجواهر ثمّ تعاد، وأن تبقى وتزول أعراضها المعهودة ثمّ تعاد بنيتها ولم يدك قاطع سمعيّ على تعيين أحدهما، فلا يبعد أن يغيّر أجساد العباد على صفة أجسام التراب، ثمّ يعاد تركيبها إلى ما عهد، ولا يحيل أن يعدم منها شيء ثمّ يعاد، والله أعلم.



احتجّ الأولون بوجوه:

الأول: الإجماع على ذلك قبل ظهور المخالفين كبعض المتأخّرين من المعتزلة و أهل السنة. وردّ بالمنع كيف وقد أطبقت معتزلة بغداد على خلافه؟ نعم كان الصحابة يجمعون على بقاء الحقّ وفناء الخلق بمعنى هلاك الأشياء وموت الأحياء و تفرّق الأجزاء لا بمعنى انعدام الجواهر بالكلّية لأنّ الظاهر أنّهم لم يكونوا يخوضون في هذه التدقيقات.

الثاني: هو قوله تعالى: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ»^{٧٤٣} أي في الوجود، ولا يتصوّر ذلك إلّا بانعدام ما سواه، وليس بعد القيامة وفاقاً فيكون قبلها؛ وأجيب بأنّه يجوز أن يكون المعنى: هو مبدء كلّ موجود و غاية كلّ مقصود، أو هو المتوحد في الألوهية، أو في صفات الكمال، كما إذا قيل لك: هذا أول من زارك أو آخرهم؟ فتقول: هو الأول والآخر، وتريد أنّه لازائر سواه؛ أو هو الأول والآخر بالنسبة إلى كلّ حيّ، بمعنى أنّه يبقى بعد موت جميع الأحياء، أو هو الأول خلقاً والآخر رزقاً، كما قال [تعالى]: «خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ»^{٧٤٤}. وبالجملة فليس المراد أنّه آخر كلّ شيء بحسب الزمان

للاتفاق على أبدية الجنة و من فيها.

الثالث: قوله -تعالى-: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»^{٧٦٥} فإن المراد به الانعدام، لا الخروج عن كونه منتفعاً به لأن الشيء بعد التفرق يبقى دليلاً على الصانع، وذلك من أعظم المنافع. وأجيب بأن المعنى أنه هالك في حده ذاته لكونه ممكناً لا يستحق الوجود إلا بالنظر إلى العلة، أو المراد بالهلاك الموت، أو الخروج عن الانتفاع المقصود به اللائق بحاله، كما يقال: هلك الطعام إذ لم يبق صالحاً للأكل وإن صلح لمنفعة أخرى. ومعلوم أن ليس مقصود الباري -تعالى- من كل جوهر الدلالة عليه وإن صلح لذلك كما أن من كتب كتاباً ليس مقصوده بكل كلمة الدلالة على الكاتب. أو المراد الموت كما في قوله -تعالى-: «إِنِ امْرَأَةٌ هَلَكَتْ»^{٧٦٦}، وقيل: معناه: كل عمل لم يقصد به وجه الله -تعالى- فهو هالك أي غير مثاب عليه.

الرابع: قوله -تعالى-: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ»^{٧٦٧} [وقوله -تعالى-: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ»^{٧٦٨}. والبدؤ من العدم فكذا العود، و أيضاً إعادة الخلق بعد إبدائه لا يتصور بدون تحلل العدم. وأجيب بأننا لا نسلم أن المراد بإبداء الخلق الإيجاد والإخراج عن العدم، بل الجمع والتركيب على ما يشعر به قوله -تعالى-: «وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ»^{٧٦٩}. ولهذا يوصف بكونه مرتباً مشاهداً كقوله -تعالى-: «أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ [ثُمَّ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ] -فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ»^{٧٧٠}.

و أما القول بأن الخلق حقيقة في التركيب متمسكاً بمثل قوله -تعالى-: «خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ»^{٧٧١} أي ركبكم [وقوله -تعالى-: «وَتَخْلُقُونَ أَفْكَأ»^{٧٧٢} أي تركيبونه؛ فلا يكون حقيقة في الإيجاد دفعاً للاشتراك، فضعيف جداً لإطباق أهل اللغة على أنه إحداث وإيجاد مع تقدير، سواء كان عن مادة كما في خلقكم من تراب أو بدونه كما في خلق الله العالم.

٧٧١- الفاطر: ١٣.

٧٦٩- السجدة: ٧.

٧٦٧- الروم: ٢٧.

٧٦٥- القصص: ٨٨.

٧٧٢- العنكبوت: ١٧.

٧٧٠- العنكبوت: ١٩-٢٠.

٧٦٨- الأنبياء: ١٠٤.

٧٦٦- النساء: ١٧٦.

الخامس: قوله - تعالى - : «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»^{٧٧٣} و الفناء هو العدم. و
 أوجب بالمنع بل هو خروج الشيء من الصفة التي ينتفع به عندها كما يقال: فنى زاد
 القوم و فنى الطعام و الشراب. و لذا يستعمل في الموت مثل أفناهم الحرب. و قيل:
 معنى الآية: كل من على وجه الأرض من الأحياء فهو ميت.

قال الإمام: ولو سلم كون الفناء واهلاك بمعنى العدم فلا بد في الآيتين من
 تأويل، إذ لو حملتا على ظاهرهما لزم كون الكل هالكاً فانياً في الحال و ليس كذلك،
 و ليس التأويل بكونه أثلاً إلى العدم على ما ذكرتم أولى من التأويل بكونه قابلاً له، و
 هذه منه إشارة إلى ما اتفق عليه أئمة العربية من كون اسم الفاعل و نحوه مجازاً في
 الاستقبال. و أنه لا بد من الاتصاف بالمعنى المشتق منه. و إنما الخلاف في أنه هل
 يشترط بقاء ذلك المعنى؟ و قد توهم صاحب التلخيص أنه كالمضارع يشترك
 بين الحال و الاستقبال، فاعترض بأن حمله على الاستقبال ليس تأويلاً و صرفاً
 عن الظاهر.

مركز تحقيق وتطوير علوم إسلامية

و احتج الآخرون بوجوه:

الأول: أنه لو كان كذلك لما كان الجزاء واصلأ إلى مستحقه، و اللازم
 باطل عندنا سمعاً للنصوص الواردة في أن الله لا يضيع اجر من أحسن عملاً. و عقلاً
 عند المعتزلة لما سبق من وجوب ثواب المطيع و عقاب العاصي. و بيان اللزوم أن المشأ
 لا يكون هو المبتدأ بل مثله لامتناع إعادة المعدوم بعينه. و رد بالمنع و قدم بيان ضعف
 أدلته، و لو سلم فلا يقوم على من يقول ببقاء الروح أو الأجزاء الأصلية و إعدام البواقي
 ثم إيجادها و إن لم يكن الثاني هو الأول بعينه بل مغايراً له في وصفه الابتداء و
 الإعادة أو باعتبار آخر، و لا شك أن العمدة في الاستحقاق هو الروح على ما مر، و قد
 يقرر بأنها لو عدمت لما علم إيصال الجزاء إلى مستحقه لأنه لا يعلم أن ذلك المحشور هو
 الأول أعيد بعينه أم مثل له خلق على صفته. أما على تقدير الفناء بالكلية فظاهر، و
 أما على تقدير بقاء الروح و الأجزاء الأصلية فلانعدام التركيب و الهياكل و الصفات

التي بها يتمايز المسلمون سيمًا على قول من يجعل الروح أيضاً من قبيل الأجسام، و
اللازم منتفٍ لأن الأدلة قائمة على وصول الجزاء إلى المستحق.

لا يقال: لعل الله يحفظ الروح والأجزاء الأصلية عن التفرق والانحلال، بل
الحكمة تقتضي ذلك ليعلم وصول الحق إلى المستحق لأننا نقول: المقصود إبطال رأي
من يقول بفناء الأجساد بجميع الأجزاء بل أجسام العالم بأسرها ثم الإيجاد و قد
حصل ولو سلم فقد علمت أن العمدة في الحشر هو الأجزاء الأصلية لا الفضلية وقد
سلمت أنها لا تتفرق فضلاً عن الانعدام بالكلية؛ بل الجواب أن المعلوم بالأدلة هو
أن الله تعالى—يوصل الجزاء إلى المستحق ولا دلالة على أننا نعلم ذلك عند الإيصال
البتة و كفى بالله عليمًا. ولو سلم فلعل الله تعالى—يخلق علماً ضرورياً أو طريقياً جلياً
جزئياً أو كلياً.

الثاني: وهو للمعتزلة أن فعل الحكيم لا بد أن يكون لغرض لامتناع العيب
عليه ولا يتصور له غرض في الإعدام إذ لا منفعة فيه لأحد لأنها إننا تكون مع الوجود بل
الحياة، وليس به أيضاً جزاء المستحق كالعذاب والسؤال والحساب ونحو ذلك وهذا
ظاهر. ورد بمنع انحصار الغرض في المنفعة والجزاء، فلعل الله في ذلك حكماً ومصالح
لا يعلمها غيره، على أن في الإخبار بالإعدام لطفاً للمكلفين وإظهاراً لغاية العظمة
والاستغناء والتفرد بالدوام والبقاء، ثم الإعدام تحقيق لذلك وتصديق.

الثالث: النصوص الدالة على كون النشور بالإحياء بعد الموت والجمع

بعد التفريق كقوله تعالى-: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى- الآية»^{٧٧٤}
و كقوله تعالى-: «أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا» إلى قوله-: «وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ تُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا
لَحْمًا»^{٧٧٥} و كقوله تعالى-: «كَذَلِكَ النُّشُورُ»^{٧٧٦} [وقوله تعالى-:] «وَكَذَلِكَ
تُخْرَجُونَ»^{٧٧٧} و [قوله تعالى-:] «كَمَا بَدَأْتُمْ تَعُولُونَ»^{٧٧٨} بعد ما ذكر بدء
الخلق من الطين وعلى وجه نرى ونشاهد مثل [قوله تعالى-:] «أَوَلَمْ يَرَوْا

كَيْفَ يُبْدِي اللَّهُ الْخَلْقَ إِثْمَ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا— فَلَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ
فَإَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ»^{٧٧٩}، و كقوله— تعالى—: «بِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^{٧٨٠}. إلى غير ذلك من الآيات المشعرة
بالتفريق دون الإعدام.

والجواب أنها لا تنفي الانعدام وإن لم تدل عليه، وإنما سيقنت لكيفية
الإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق لأن السؤال وقع عن ذلك، ولأنه أظهر في بادئ
النظر والشواهد عليه أكثر، ثم هي معارضة بالآيات المشعرة بالإعدام والفناء. انتهى
كلامه.

والحق أنه لا يمكن الجزم في تلك المسألة بأحد الجانبين لتعارض الظواهر فيها،
وعلى تقدير ثبوته لا يتوقف انعدامها على شيء سوى تعلق إرادة الرب— تعالى—
باعدامها، وأكثر متكلمي الإمامية على عدم الانعدام بالكلية لاسيما في الأجساد.^{٧٨١}
قال المحقق الطوسي— رحمه الله— في التجريد: والسمع دل عليه ويتأول في المكلف
بالتفريق كما في قصة إبراهيم— عليه السلام—، انتهى.

وأما الصور فيجب الإيمان به على ماورد في النصوص الصريحة، وتأويله بأنه
جمع للصورة كما مر من الطبرسي وقد سبقه الشيخ المفيد— رحمه الله— فهو خروج عن
ظواهر الآيات بل صريحها، إذ لا يتأتى ذلك في النسخة الأولى، ويأبى عنه أيضاً توحيد
الضمير في قوله— تعالى—: «وَوُفِّيخَ فِيهِ أُخْرَى»^{٧٨٢} و إطراح للنصوص الصحيحة

٧٧٩- العنكبوت: ١٩- ٢٠. ٧٨٠- القارة: ٤- ٥.

٧٨١- لما كان انعدام كل شيء إنا الله— سبحانه— يبطل التقدم والتأخر وكل معنى حقيقي ويبطل به النسبة بين الدنيا والآخرة
والمبدأ والمعاد وجميع المعارف الالهية المبينة لتلك في الكتاب والسنة القطعية لم يكن مجال لاحتماله، وما ظاهره ذلك من
النصوص مبين بما يعارضه. وأما أحاديث الصور فهي آحاد لا تبلغ حد التواتر ولا يؤيد الكتاب تفاصيل ما فيها من صفة الصور
والأمور المذكورة مع نفخة ولا دليل على حجية الآحاد في غير الأحكام الفرعية من المعارف الأصلية لامن طريق سيرة العقلاء
ولامن طريق الشرع على ما بين في الأصول. فالواجب هو الإيمان باجمال ما أريد من الصور لوروده في كتاب الله. وأما الأخبار،
فالواجب تسليمها وعدم طرحها لعدم مخالفتها الكتاب والضرورة وإرجاع علمها إلى الله ورسوله والأئمة من أهل بيته—

٧٨٢- الزمر: ٦٨.

صلوات الله عليهم أجمعين— ط.

الصريحة من غير حاجة. وقد قال سيد الساجدين—صلوات الله عليه—في الدعاء الثالث من الصحيفة الكاملة: وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر فينبه بالتنفخ صرعى رهائن القبور. ٧٨٣

١٨٧ — وَمِنْ حَبْلِ الْجَنَّةِ الْبَلَاءِ

وهي في ذكر الملاحم

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي ، هُم مِّنْ عِدَّةِ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِذْبَارِ أُمُورِكُمْ ، وَأَنْقِطَاعِ وَصَلِيكُمُ ، وَأَسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ. ذَلِكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنْ الدَّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ. ذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَكْبَرَ مِنْ الْأَجْرِ مِنَ الْمُعْطِي. ذَلِكَ حَيْثُ تَسْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ النُّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ أَضْطِرَّارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِخْرَاجٍ. (٢٤٢٥) . ذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ (٢٤٢٦) غَارِبَ الْبَعِيرِ (٢٤٢٧) . مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ !

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ (٢٤٢٨) الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ ، وَلَا تَصَدَّعُوا (٢٤٢٩) عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَدُمُوا غِبَّ فِعَالِكُمْ . وَلَا

تَقْتَحِمُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارٍ ^(٢٤٣٠) الْفِتْنَةِ ، وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا ^(٢٤٣١) ،
وَاخْلُوا قَصْدَ السَّبِيلِ ^(٢٤٣٢) لَهَا : فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا الْمُؤْمِنُ ،
وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ .

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السُّرَّاجِ فِي الظُّلْمَةِ ، يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ
وَلَجَّهَا . فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا ، وَأَخْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَضَهُمُوا .

إيضاح: قال ابن أبي الحديد: قالت الإمامية: هذه العدة هم الأئمة الأحد

عشر من ولده—عليه السلام—، وقال غيرهم؛ إنه عنى الأبدال الذين هم
أولياء الله. ٧٨٤ انتهى.

و ظاهر أن ذكر انتظار فرج الشيعة كما اعترف به بعد هذا لا ارتباط له
بمحاكاة الأبدال. وأما كون أسمائهم في الأرض مجهولة فلعل المراد به أن أكثر الناس
لا يعرفون قدرهم ومنزلتهم، فلا ينافي معرفة الخواص لهم وإن كانوا أيضاً لا يعرفونهم
حق معرفتهم، أو أراد به جهالة أسمائهم في وقت إيراد الكلام، والتخصيص في
الاحتمال الأخير أقل منه في الأول.

قوله—عليه السلام— «وانقطاع وصلكم» جمع «وصلة» أي تفرق أموركم
المنظمة. والمراد باستعمال الصغار تقديمهم على المشايخ وأرباب التجارب في
الأعمال والولايات. قوله—عليه السلام— «حيث يكون المعطي» على بناء المجهول
«أعظم أجراً من المعطي» على بناء الفاعل، لأن أكثر الأموال في ذلك الزمان يكون من
الحرام، وأيضاً لا يعطونها على الوجه المأمور به للأغراض الفاسدة. وأما المعطي فلما
كان فقيراً يأخذ المال لسد خلته لا يلزمه البحث عن المال وحله وحرمة، فكان
أعظم أجراً من المعطي. وقيل: لأن صاحب المال لقا كان يصرفه في أغلب الأحوال
في الفساد فإذا أخذه الفقير فقد قوت عليه صرفه في القبائح فقد كفه بأخذ المال من

ارتكاب القبيح؛ ولا يخلو من بعد.

و «التَّعْمَة» بالفتح، غضارة العيش؛ وفي بعض النسخ بالكسر، أي الخفض والدعة والمال. قوله—عليه السلام—«من غير إحراج» أي من غير اضطرار إلى الكذب، و روي بالواو. قوله—عليه السلام—«إذا عَضَّكُمْ البلاء» يقال: «عَضَّ اللقمة»—كسمع و منع—أي أمسكها بأسنانه، و «عَضَّ بصاحبه» أي لزمه، و «عَضَّ الزمان والحرب» شدتها. و «القتب» بالتحريك، معروف. و «الفارب» ما بين العتق والسنام.

و قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام غير متصل بما قبله كما هو عادة الرضي. و قد ذكر—عليه السلام—بين ذلك ما ينال من شيعة من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج. و قوله—عليه السلام—«ما أطول هذا العناء و أبعد هذا الرجاء» حكاية كلام شيعة—عليه السلام—^{٧٨٥} انتهى. فيكون المراد بالرجاء رجاء ظهور القائم—عليه السلام—. و قال ابن ميثم: ويحتمل أن يكون الكلام متصلاً، أو يكون قوله—عليه السلام—«ما أطول هذا العناء» كلاماً مستأنفاً في معنى التوبيخ لهم على إعراضهم عنه و إقبالهم على الدنيا و إغرابهم أنفسهم في طلبها، و تنفيرهم عنها بذكر طول العناء في طلبها و بعد الرجاء لما يرجى منها. قوله—عليه السلام—«ألقوا» أي ألقوا من أيديكم أزقة الآراء الفاسدة و الأعمال الكاسدة التي هي كالنوق و المراكب في حمل التبعات و الآثام. «ولا تصدعوا» أي لا تفرقوا. و «السلطان» الأمير و الإمام. و «غَبَّ كلَّ شيء» عاقبته. و «فور نار الفتنة» وهجها و غليانها. و «أميطوا» أي تنحوا. و «السِّن» الطريقة. قوله—عليه السلام—«و خلّوا» أي دعوها تسلك طريقها، ولا تتعرضوا لها فتكونوا حطباً لنارها. ^{٧٨٦}

٧٨٥- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٩٧، ط بيروت.

٧٨٦- بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٧١٣، ط كمباني و ص ٦٦٠، ط تبريز.

١٨٨ - وَمِنْ خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في الوصية بأمور

النقوو

أوصيكمُ ، أيها الناسُ ، بِتَقْوَى اللَّهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَانِهِ
إِلَيْكُمْ ، وَنِعْمَانِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبِلَانِهِ ^(٢٤٣٣) لَدَيْكُمْ . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ،
وَتَدَارَكُكُمْ بِرَحْمَةٍ ! أَعُورْتُمْ ^(٢٤٣٤) لَهُ فَسَرَّكُمْ ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ ^(٢٤٣٥)
فَأَمْهَلَكُمْ !



مرکز تحقیقات فقهی و حقوقی
الموت

وَأوصيكمُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ . وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا
لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ ^(٢٤٣٦) ، وَطَمَعْتُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ ! فَكَفَى وَاِعْظَاءً
بِمَوْتِي عَابَيْتُمُوهُمْ ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأُنزِلُوا فِيهَا
غَيْرَ نَازِلِينَ ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ
تَزَلْ لَهُمْ دَارًا . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ ^(٢٤٣٧) ، وَأَوْطِنُوا مَا كَانُوا
يُوحِشُونَ ^(٢٤٣٨) ، وَأَشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ أَنْتَقَلُوا . لَا
عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ أَنْتَقَالًا ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ أَرْذِيَادًا . أُنِسُوا
بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ .

سرعة النفاذ

فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَىٰ مَنَازِلِكُمْ الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا ،
 وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا . وَدُعَيْتُمْ إِلَيْهَا . وَأَسْتَتِمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ
 عَلَىٰ طَاعَتِهِ . وَالْمُجَانِبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ . فَإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ قَرِيبٌ . مَا
 أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ . وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ
 فِي السَّنَةِ . وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ !

١٨٩ - وَمَنْ كَانَتْ عَلَيْهِ السَّلَامَةُ

مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی
 في الايمان ووجوب الهجرة

اقسام الايمان

فَمِنْ الْإِيْمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ
 عَوَارِيًّا^(٢٤٣٩) بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ . « إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُومٍ » . فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ
 بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَخِفُّوهُ حَتَّىٰ يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ .

وجوب الهجرة

وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَىٰ حَدِّهَا الْأَوَّلِ^(٢٤٤٠) . مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ
 حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسْرٍ^(٢٤٤١) الْأُمَّةِ^(٢٤٤٢) وَمُعَلِّنِيهَا . لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَىٰ أَحَدٍ

بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ . فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ . وَلَا يَقَعُ
أَسْمُ الْإِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ .

صهوبة الايمان

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَمْتَحَنَ اللَّهُ
قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ ، وَأَحْلَامٌ^(٢٤٤٣) رَزِينَةٌ .



أَيُّهَا النَّاسُ ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ
مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ^(٢٤٤٤) بِرِجْلِهَا فِتْنَةً تَطَّأُ فِي خِطَامِهَا^(٢٤٤٥) ،
وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا

بيان: قال ابن عبد البر في الاستيعاب^{٧٨٧} وغيره: أجمع الناس كلهم على
أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء هذا الكلام.

وقال ابن ميثم: كنتي بشجر رجُلها عن خلوتك الفتنة من مدبر. ^{٧٨٨} قال

٧٨٧- قال ابن عبد البر: حدثنا قاسم، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شعبة عن
أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن زيد، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنا نتحدث أن أفضى أهل المدينة علي بن أبي طالب.
قال أحمد بن زهير: وأخبرنا إبراهيم بن بشار، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: ما
كان أحد من الناس يقول: «سلوني» غير علي بن أبي طالب. الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٩.

٧٨٨- وقال بعض الشراح: الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها. شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٢٠١، ط بيروت.

الجوهري: «بلدة شاغرة برجلها» إذا لم تمنع من غارة أحد. و «شجر البلد» أي خلا من الناس. و قال ابن الأثير: «شجر الكلب» رفع إحدى رجله ليبول، و قيل: «الشجر» البعد. و قيل: الاتساع. و منه حديث عليّ -عليه السلام-: قبل أن تشجر برجلها فتنة. انتهى.

و قوله -عليه السلام- «تطأ في خطامها» قال ابن ميثم^{٧٨٩}: استعارة بوصف الناقة التي أرسلت خطامها و خلعت عن القائد في طريقها فهي تحبط و تعثر و تطأ من لقيت من الناس على غير نظام من حالها. «و تذهب بأحلام قومها» قال بعض الشارحين: أي يتحير أهل زمانها فلا يهتدون إلى طريق التخلص عنها؛ و يحتمل أن يريد أنهم يأتون إليها سراعاً رغبة و رهبة من غير معرفة بكونها فتنة.^{٧٩٠}

[هذا بيان آخر في شرح الكلام:]

بيان: «العواري» جمع «العارية» بالتشديد فيها كأنها منسوبة إلى العار فإن طلبها عار و عيب. قال ابن ميثم -رحمه الله-: قوله -عليه السلام- «فن الايمان...» إلى آخره قسمة للايمان إلى قسمين: أحدهما الثابت المستقر في القلوب الذي صار ملكة، و ثانيها ما كان في معرض الغير والانتقال. و استعار -عليه السلام- لفظ «العواري» لكونه في معرض الاسترجاع والرد. و كنى -عليه السلام- بكونه بين القلوب والصدور عن كونه غير مستقر في القلوب ولا متمكن من جواهر النفوس.^{٧٩١}

و قال ابن أبي الحديد: أراد -عليه السلام- من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص و منه ما يكون على سبيل النفاق.^{٧٩٢}

و قوله -عليه السلام- «إلى أجل معلوم» ترشيح لاستعارة العواري و هذه

٧٨٩- شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٢٠١، ط بيروت.

٧٩٠- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٠، كتاب الاحتجاج، ص ١٢٨.

٧٩١- شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ١٩٣، ط بيروت.

٧٩٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٠٢، ط بيروت.

القسمة إلى القسمين هي الموجودة في نسخة الرضوي - رضي الله عنه - بخطه و في نسخ كثير من الشارحين و نسخ كثيرة معتبرة ثلاثة أقسام هكذا: «فن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، و منه ما يكون عوارتي [في القلوب، و منه ما يكون عوارتي] ٧٩٣ بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم».

و قال ابن أبي الحديد في بيانها ٧٩٤: إن الايمان إما أن يكون ثابتاً مستقراً بالبرهان و هو الايمان الحقيقي، أو ليس بثابت بالبرهان بل بالدليل الجدلي ككثير ممن لم يحقق العلوم العقلية وهو الذي عبر عليه السلام - عنه بقوله «عوارتي في القلوب» فهو وإن كان في القلب الذي هو محل الايمان الحقيقي إلا أن حكمه حكم العاربية في البيت و إما أن يستند إلى تقليد و حسن ظنّ بالأسلاف. و قد جعله - عليه السلام - عوارتي بين القلوب والصدور، لأنه دون الثاني فلم يجعله حالاً في القلب. و ردة قوله - عليه السلام - إلى أجل معلوم إلى القسمين الأخيرين لأن من لم يبلغ درجة البرهان ربما ينحط إلى درجة المقلد، فيكون إيمان كل منهما إلى أجل معلوم، لكونه في معرض الزوال.

«فاذا كانت لكم براءة...» الخ قيل: أي إذا أردتم التبري من أحد فاجعلوه موقوفاً إلى حال الموت، ولا تسارعوا إلى البراءة منه قبل الموت، لأنه يجوز أن يتوب و يرجع، فاذا مات و لم يتب جازت البراءة منه، لأنه ليس له بعد الموت حالة تنتظر. و ينبغي أن تحمل هذه البراءة على البراءة المطلقة لجواز التبري من الفاسق و هوجي و من الكافر و هوجي، لكن بشرط الاتصاف بأحد الوصفين، بخلاف ما بعد الموت.

وقيل: المعنى: انتظروا حتى يأتيه الموت فإنه ربما يكون معتقداً للمحق و يكتم إيمانه لغرض دنيوي، و قيل: هذا إشارة إلى ما كان يفعله رسول الله - صلى الله عليه وآله - في الصلاة على المنافقين، فإذا كبر أربعاً كانوا يعلمون أنه منافق، و إذا

٧٩٣ - ساقط من نسخة الكلباني.

٧٩٤ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٠٢، ط بيروت.

كَبْرَ خَمْسًا كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ؛ فَأُشَارَ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-إِلَى أَنَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ تَقَعُ الْبِرَاءَةُ وَ تَصِحُّ بِعَلَامَةِ تَكْبِيرَاتِهِ الْأَرْبَعِ. وَ كَلَا الْوَجْهَيْنِ كَمَا تَرَى.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبِرَاءَةِ قَطْعَ الْعَلَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي يَجُوزُ مَعَهَا الْإِسْتِغْفَارُ كَمَا يَوْمِي إِلَيْهِ قَوْلُهُ-سُبْحَانَهُ-: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ...»^{٧٩٥} إِلَى قَوْلِهِ-تَعَالَى-: «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ»^{٧٩٦}

«وَالْمُهْجَرَةُ قَائِمَةٌ...» الخ، وَأَصْلُ الْمُهْجَرَةِ الْأُمُورُ بِهَا الْخُرُوجُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ. وَ قَالَ فِي النِّهَايَةِ: فِيهَا لَمْ يَهْجَرِ بَعْدَ الْفَتْحِ وَ لَكِنْ جِهَادُونِيَّةً. وَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْمُهْجَرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ». «الْمُهْجَرَةُ» فِي الْأَصْلِ اسْمٌ مِنْ «الْمُهْجَرِ» ضِدُّ الْوَصْلِ؛ وَ قَدْ هَجَرَ هَجْرًا وَ هَجْرَانًا. ثُمَّ غَلَبَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ وَ تَرَكَ الْأُولَى لِلثَّانِيَةِ، يُقَالُ مِنْهُ: هَاجَرَ مَهَاجِرَةً.

وَالْمُهْجَرَةُ هَجْرَتَانِ: تَحْتِ كِتَابِ تَرْجُمَةِ الْعَرَبِ

إِحْدَاهُمَا الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْجَنَّةَ فِي قَوْلِهِ «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ تَهُمُ الْبِحَنَّةِ»^{٧٩٧}. فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ- وَ يَدْعُ أَهْلَهُ وَ مَالَهُ لِأَيُّرْجِعَ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَ يَنْقَطِعُ بِنَفْسِهِ إِلَى مَهَاجِرِهِ، وَ كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ- يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا، فَخَرَّجَهُ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «لَكِنَّ الْبَائِسَ سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ»، يَرِثِي لَهُ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ^{٧٩٨}، وَ قَالَ حِينَ قَدِمَ مَكَّةَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ مَنَايَاَنَا بِهَا». فَلَمَّا فَتَحَتْ مَكَّةَ صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ كَمَا الْمَدِينَةَ، وَ انْقَطَعَتْ الْمُهْجَرَةُ.

وَالْمُهْجَرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ هَاجَرَ مِنَ الْأَعْرَابِ وَ غَزَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَ لَمْ يَفْعَلْ كَمَا فَعَلَ

٧٩٥- التوبة: ١١٣.

٧٩٦- التوبة: ١١٤.

٧٩٧- التوبة: ١١١.

٧٩٨- أَي يَتَرَفَّقُ وَيَشْفَقُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- أَنْ مَاتَ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ بِمَكَّةَ فِي حَبَّةِ الْوَدَاعِ حِينَ قَالَ: لَكِنَّ الْبَائِسَ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ قَدِمَاتِ فِي الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا. رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ بِذِيْلِ الْأَصَابَةِ، ج ٢، ص ٤١.

أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة، و هو المراد بقوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة». فهذا وجه الجمع بين الحديثين، وإذا أُطلق في الحديث ذكر الهجرتين فإنما يراد بها هجرة الحبشة و هجرة المدينة. ٧٩٩ انتهى.

و قال ابن أبي الحديد: هذا كلام من أسرار الوصية يختص به عليّ - عليه السلام - لأنّ الناس يروون أنّ النبي - صلى الله عليه وآله - قال: «لا هجرة بعد الفتح»، فشفع عمّه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعيّ أن يستثنيه فاستثناه؛ و هذه الهجرة التي أشار إليها أمير المؤمنين - عليه السلام - ليست تلك بل هي الهجرة إلى الامام. و قال بعض الأصحاب: تجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعائر الاسلام مع المكنة و يستحب للقادر على إظهارها تحرّراً عن تكثير سواد المشركين، والمراد بها الأمور التي تختص بالاسلام كالأذان و الإقامة و صوم شهر رمضان و غير ذلك. و ألحق بعضهم بلاد الشرك ببلاد الخلاف التي لا يتمكّن فيها المؤمن إقامة شعائر الايمان مع الامكان. ولو تعذرت الهجرة لمرض أو عدم نفقة أو غير ذلك فلا حرج لقوله - تعالى -: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْلَمَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا» ٨٠٠.

والظاهر أنّ قوله - عليه السلام - «ما كان لله في أهل الأرض حاجة» كناية عن بقاء التكليف كما يدلّ عليه قول النبي - صلى الله عليه وآله -: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة». و للتجوّز مجال واسع و في الصحيفة السجادية: «ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه، ولا حاجة بك إليه». و قيل: كلمة «ما» ههنا نافية و وجهه بتوجيهات ركيكة. و «السرّ» ما يكتم و «استسرّ» أي استتروا اختفي، فالختفي حينئذ كمن لا يخفي بل يعلن نفسه لأنّه لا يخاف و لا يتقي لدينه

أوغیره؛ وقيل: أي ممن أسردينه أو أظهره وأعلنه، و «من» لبيان الجنس، وقيل: زائدة، ولو حذف لجرّ المسترّ بدلاً من أهل الأرض.

«لا يقع اسم الهجرة...» الخ، أي يشترط في صدق الهجرة معرفة الامام والاقرار به. والمراد بقوله «فن عرفها...» الخ أنه مهاجر بشرط الخروج إلى الامام والسفر إليه أو المراد بالمعرفة المعرفة المستندة إلى المشاهدة والعيان، ويحتمل أن يكون المراد أن مجرد معرفة الامام والاقرار بوجود أتباعه كافٍ في إطلاق اسم الهجرة كما هو ظاهر الجزء الأخير من الكلام ويدلّ عليه بعض أخبارنا، فمعرفة الامام والاقرار به في زمانه قائم مقام الهجرة المطلوبة في زمان الرسول— صلى الله عليه وآله—.

وقال بعض الأصحاب: الهجرة في زمان الغيبة سكنى الأمصار لأنّها تقابل البادية مسكن الأعراب، والأمصار أقرب إلى تحصيل الكمالات من القرى والبوادي فإنّ الغالب على أهلها الجماء والغلظة والبعد عن العلوم والكمالات كما روي عن النبي— صلى الله عليه وآله— أن الجفاء والقسوة في الفدادين^{٨٠١}؛ وقيل: هي الخروج إلى طلب العلوم فيعمّ الخروج عن القرى والبوادي، والخروج عن بلد لا يمكن فيه طلب العلم.

«ولا يقع اسم الاستضعاف...» الخ، «الاستضعاف» عدّ الشيء ضعيفاً أو وجدانه ضعيفاً و «استضعفه» أي طلب ضعفه. و «الحجّة» الدليل والبرهان، و يعتبر به عن الامام لأنه دليل الحق، والمراد به هنا إما دليل الحق من أصول الدين أو الأعمّ أو الامام بتقدير مضاف أي حجّة الحجّة.

قال القطب الراوندي— رحمه الله—: يمكن أن يشير بهذا الكلام إلى إحدى

آيتين:

إحداهما: «إِنَّ الدِّينَ تَرْقِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا: فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ. قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا؟!!»

٨٠١- «الفدادون» الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون والفلاحون وأصحاب الوبر والذين تملأ أصواتهم في حروثهم ومواشيهم والمكثرون من الابل.

فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»^{٨٠٢}. فيكون مراده—عليه السلام—على هذا أنه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته أحكامه ووعاها قلبه، و إن بقي في ولده و أهله لم يتجشم السفر إلى الامام، كما يصدق على هؤلاء المذكورين في الآية.

و الثانية قوله—تعالى—بعد ذلك: «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ—الآية»^{٨٠٣}. فيكون مراده على هذا أن من عرف الامام وسمع مقاله ووعاها قلبه لا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على هؤلاء، إذ كان المفروض على الموجودين في عصر الرسول المهاجرة بالأبدان دون من بعدهم، بل يقنع منهم بمعرفته و العلم بقوله بدون المهاجرة إليه بالبدن.

و قال ابن ميثم—رحمه الله—بعد حكاية كلامه: و أقول: يحتمل أن يريد بقوله ذلك أنه لا عذر لمن بلغته دعوة الحجّة فسمعتها أذنه في تأخيرها عن النهوض والمهاجرة إليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما يصدق على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذراً له، بل يكون في تأخره ملوماً مستحقاً للعقاب كالأذنين قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، و يكون مخصوصاً بالقادرين على النهوض دون العاجزين، فإن اسم الاستضعاف صادق عليهم.^{٨٠٤} انتهى.

و أقول: سيأتي شرح هذا الكلام في أخبار كثيرة و أن المراد به أن المستضعف المعذور في معرفة الامام في زمان الهدنة في الجملة، إنما هو إذا لم تبلغه الحجّة و اختلاف الناس فيه، أو بلغه ولم يكن له عقل يتميز به بين الحقّ و الباطل، كما سنذكر تفصيله إن شاء الله—تعالى—.

«إِنَّ أَمْرًا صَعْبًا مُسْتَصْعَبًا»، «الصعب» العسر و الأبّي الذي لا ينقاد بسهولة ضدّ الذلول، و «استصعب الأمر» أي صار صعباً، و «استصعبت الأمر» أي

٨٠٢- النساء: ٩٧.

٨٠٣- النساء: ٩٨.

٨٠٤- شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ١٩٨، ط بيروت.

وجدته صعباً. و «حملته و احتملته» بمعنى، و «حملته» بالتشديد، فاحتمله. و «الامتحان» الاختبار و «امتحن الله قلبه» أي شرحه و وسعه.

قال ابن أبي الحديد: قال الله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى»^{٨٥} يقال: «امتحن فلان لأمر كذا» أي جرب للنهوض به، فهو قوي على احتمال مشاقه و يجوز أن يكون بمعنى المعرفة لأن تحقيقك الشيء إنما يكون باختباره، فوضع موضعها فيتعلق اللام بمحذوف، أي كائنة له، وهي اللام التي في قولك «أنت لهذا الأمر» أي مختص به و يكون مع معمولها منصوبة على الحال، و يجوز أن يكون المعنى: ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن لأجل التقوى، أي ليثبت و يظهر تقواها و يعلم أنهم متقون، لأن التقوى لا يعلم إلا عند الصبر على المحن والشدائد أو أخلص قلوبهم للتقوى أي أذابه و صفاه. و «وعيت الحديث» أي حفظته و فهمته والغرض حفظ الحديث عن الإذاعة و ضبط الأسرار عن إفصانها إلى غير أهلها أو الإذعان الكامل به، و عدم النزول عند العجز عن المعرفة التفصيلية به، فيكون كالتفسير لما قبله. و «الحلم» بالكسر، الأناة والعقل. و «الرزانة» الوقار.

و حاصل الكلام أن شأنهم و ما هم عليه من الكمال والقدرة على خوارق العادات صعب لا يحصل لغيرهم، مستصعب الفهم على الخلق، أو فهم علومهم وإدراك أسرارهم مشكل يستصعبه أكثر الخلق، فلا يقبله حق القبول بحيث لا يخرج إلى طرف الإفراط بالغلو أو التفريط بعدم التصديق، أو القول بعدم الحق لسوء الفهم إلا قلب عبد شرحه الله و صفاه للإيمان، فيحمل كلها يأتون به على وجهه إذا وجد له محملاً و يصدق إجمالاً بكل ما عجز عن معرفته تفصيلاً و يرد علمه إليهم — عليهم السلام —.

والمراد بطرق السماء الطرق التي يصعد منها الملائكة ويرفع فيها أعمال العباد، أو منازل سكان السماوات ومراتبهم، أو الأمور المستقبلية و ما خفي على الناس مما لا يعلم إلا بتعليم رباني فان مجاري نزولها في السماء، أو أحكام الدين وقواعد الشريعة و

على ما يقابل كل واحد منها يحمل طرق الأرض.

و «شجر البلد» — كمنع — إذا خلا من حافظ يمنعه، و «بلدة شاغرة برجلها» لم تمنع عن غارة أحد، و «شجرت المرأة» رفعت رجلها للنكاح، و «شجرتها» فعلت بها ذلك، يتعدى ولا يتعدى، و «شجر الكلب» إذا رفع أحد رجله ليبول، و قيل: «الشجر» البعد والاتساع؛ و قيل كني بشجر رجلها عن خلوتك الفتنة عن مدبر يرذها و يحفظ الأمور و ينظم الدين. و يحتمل أن يكون كناية عن شموها للبلاد و العباد من الشجر بمعنى الاتساع، أو من شجر الكلب، أو من شجرة المرأة كناية عن تكشفها و عدم مبالاتها بظهور عيوبها و إبداء سوءتها. و «الوطء» الدوس بالرجل. و «الخطم» بالفتح من الدابة، مقدم أنفها، و «الخطام» — ككتاب — ما يوضع في أنف البعير ليقتاد به. والوطء في الخطام كناية عن فقد القائد و إذا خلت الناقة من القائد تعثر و تحبط، و تفسد ما تمر عليه بقوائها.

«و تذهب بأحلام قومها» أي تفسد عقول أهلها فكانت أفعالهم على خلاف ما يقتضيه العقل، فالمراد بأهلها المفسدون، أو يتحير أهل زمانها فلا يهتدون إلى طريق التخلص عنها، فأهلها من أصابته البلية، أو يأتي أهل ذلك الزمان إليها رغبة و رهبة ولا يتفحصون عن كونها فتنة لغفلتهم عن وجه الحق فيها. ٨١٦

١٩٠ — ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ لِيَأْمُرَ بِالْعِلَّةِ﴾

يحمد الله ويشني على نبيه ويعظ بالتقوى

حمد الله

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَىٰ وَظَائِفِ حُقُوقِهِ ، عَزِيزَ الْجُنْدِ ،
عَظِيمَ الْمَجْدِ .

الثنا على النبي

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا
عَنْ دِينِهِ ؛ لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَالْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ
نُورِهِ .

بيان: «لا يثنيه» أي لا يصرفه ولا يعطفه. ٨٠٧

العظة بالتقوى

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا (٢٤٤٦)
مَنْبِعًا ذُرْوَتُهُ (٢٤٤٧) . وَبَادِرُوا (٢٤٤٨) الصَّوْتِ وَغَمْرَاتِهِ (٢٤٤٩) ، وَأَمْهَدُوا (٢٤٥٠)
لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ تَرْوِيلِهِ ؛ فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةَ ، وَكَفَى
بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ ! وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا
تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ (٢٤٥١) ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ (٢٤٥٢) ، وَهَوْلِ
الْمُطْلَعِ (٢٤٥٣) ، وَرَوْعَاتِ الْفَرْعِ ، وَأَخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ (٢٤٥٤) ، وَأَسْتِكَالِ
الْأَسْمَاعِ (٢٤٥٥) ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ (٢٤٥٦) ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ ،
وَرَدْمِ الصَّفِيحِ (٢٤٥٧) .

بيان: «الأرماس» جمع «الرمس» وهو القبر. و «الإبلاس» اليأس
والانكسار والحزن. وقال الجزري: «المطلع» مكان الاطلاع من الموضع العالي، ومنه
الحديث: «لا فتديت من هول المطلع» أي الموقف يوم القيامة، أو ما يشرف عليه من

أمر الآخرة عقيب الموت، فشبهه بالمطلع الذي يشرف عليه من موضع عال. و «اختلاف الأضلاع» كناية عن ضغطة القبر، إذ يحصل بسببها تداخل الأضلاع و اختلافها. و «الضريح» الشق في وسط القبر، و اللحد في الجانب. و «الصفيح» الحجر، والمراد بردمه هنا سد القبر به. ٨٠٨

[إن ما سيأتي هنا بحوث ودراسات في أحوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله بمناسبة البحث حول القيامة]

[* تذييل *]

ثم اعلم أن عذاب البرزخ وثوابه مما اتفقت عليه الأمة سلفاً وخلفاً، وقال به أكثر أهل الملل ولم ينكره من المسلمين إلا شذمة قليلة لا عبرة بهم، وقد انعقد الإجماع على خلافهم سابقاً ولاحقاً. والأحاديث الواردة فيه من طرق العامة والخاصة متواترة المضمون، وكذا بقاء النفوس بعد خراب الأبدان مذهب أكثر العقلاء من الملتين والفلاسفة، ولم ينكرة إلا فرقة قليلة كالقائلين بأن النفس هي المزاج وأمثاله ممن لا يعابهم ولا بكلامهم، وقد عرفت ما يدل عليه من الأخبار الجليلة وقد أقيمت عليه البراهين العقلية، ولندكر بعض كلمات علماء الفريقين في المقامين.

قال نصير الملة والدين—قدس الله روحه—في التجريد: عذاب القبر واقع لإمكانه و تواتر السمع بوقوعه.

وقال العلامة الحلبي—نور الله ضريحه—في شرحه: نقل عن ضرار أنه أنكر عذاب القبر، والإجماع على خلافه.

وقال الشيخ المفيد—رحمه الله—في أجوبة المسائل السروية—حيث سئل: ما قوله—أدام الله تأييده—في عذاب القبر وكيفيته؟ ومتى يكون؟ وهل ترد الأرواح إلى الأجساد عند التعذيب أم لا؟ وهل يكون العذاب في القبر أو يكون بين النفختين؟—الجواب: الكلام في عذاب القبر طريقه السمع دون العقل.

وقد ورد عن أئمة الهدى—عليهم السلام—أنهم قالوا: ليس يعذب في القبر كل

ميتت، وإنما يعذب من جملتهم من محض الكفر محضاً، ولا ينعم كل ماضٍ لسبيله، وإنما ينعم منهم من محض الإيمان محضاً، فأما ما سوى هذين الصنفين فإنه يلهى عنهم. وكذلك روي أنه لا يسأل في قبره إلا هذان الصنفان خاصة، فعلى ما جاء به الأثر من ذلك يكون الحكم ما ذكرناه. فأما عذاب الكافر في قبره ونعيم المؤمنين فيه فإن الخبر أيضاً قد ورد بأن الله - تعالى - يجعل روح المؤمن في قالب مثل قلبه في الدنيا في جنة من جناته ينعمه فيها إلى يوم الساعة، فإذا نفخ في الصور أنشأ جسده الذي بلي في التراب وتمزق ثم أعاده إليه وحشره إلى الموقف، وأمر به إلى جنة الخلد، فلا يزال منتعماً ببقاء الله - عز وجل - غير أن جسده الذي يعاد فيه لا يكون على تركيبه في الدنيا، بل تعدل طباعه، وتحسن صورته، فلا يهرم مع تعديل الطباع، ولا يمسه نصب في الجنة ولا لغوب؛ والكافر يجعل في قالب كقالبه في الدنيا في محل عذاب يعاقب به، ونار يعذب بها حتى الساعة، ثم أنشئ جسده الذي فارقه في القبر ويعاد إليه، ثم يعذب به في الآخرة عذاب الأبد، ويركب أيضاً جسده تركيباً لا يفتنى معه، وقد قال الله - عز وجل - اسمه - : «الَّذِينَ يُغْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»^{٨٠٩} وقال في قصة الشهداء: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»^{٨١٠}. فدل على أن العذاب والثواب يكونان قبل يوم القيامة وبعدها، والخبر وارد بأنه يكون مع فراق الروح الجسد من الدنيا، والروح ههنا عبارة عن الفعّال الجوهر البسيط، وليس بعبارة عن الحياة التي يصح معها العلم والقدرة لأن هذه الحياة عرض لا يبقى ولا يصح الإعادة فيه فهذا ما عوّل عليه بالنقل وجاء به الخبر على ما بيّناه.

ثم سئل - رحمه الله - : ما قوله - أدام الله تمكينه - في معنى قول الله - تعالى - : «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»؟^{٨١١} أهم أحياء في الحقيقة على ما تقتضيه الآية أم الآية مجاز؟ وأن أجسادهم الآن في قبورهم أم في الجنة؟

فإن المعتزلة من أصحاب أبي هاشم يقولون: إن الله - تعالى - ينزع من جسد كل واحد منهم أجزاءً قدر ما يتعلق به الروح، وإنه - تعالى - يرزقهم على ما نطقته به الآية، وما سوى هذا من أجزاء أبدانهم فهي في قبورهم كأجساد سائر الموتي.

الجواب: هذا المحكي عن أصحاب أبي هاشم لأن المحفوظ عنه الإنسان المخاطب بالمأمور المنهي هو البنية التي لا تصح الحياة إلا بها وما سوى ذلك من الجسد ليس بإنسان ولا يتوجه إليه أمر ولا نهي ولا تكليف، وإن كان القوم يزعمون أن تلك البنية لا تفارق ما جاورها من الجسد فيعذب أو ينعم فهو مقال يستمر على أن البنية التي ذكروها هو المكلف بالمأمور المنهي وبأبي جسد في القبر، إلا أنهم لم يذكروا كيف يعذب من عذب ويثاب من أثيب؟ أي دار غير الدنيا أم فيها؟ وهل يحيى بعد الموت أو تفارق الجملة في الدنيا فلا يلحقه موت؟ ثم لم يحك عنهم في أي محل يعذبون ويثابون؟ وفيما قالوه من ذلك فليس به أثر ولا يدلة عليه العقل، وإنما هو يخرج منهم على الظن والحساب، ومن بنى مذهبه على الظن في مثل هذا الباب كان بمقالته مفترياً؛ ثم الذي يفسد قولهم من بعد ما دل على أن الإنسان المأمور المنهي هو الجوهر البسيط، وأن الأجزاء المؤلفة لا يصح أن تكون فعالة، ودلائل ذلك يطول بإثباتها الكتاب، وفيما أومأنا إليه منها كفاية فيما تعلق به السؤال وبالله التوفيق.

و سئل عنه - قدس الله روحه - في المسائل العكبرية عن قول الله - تعالى -: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^{١١٢} هل يكون الرزق لغير جسم؟ وما صورة هذه الحياة؟ فإنما يجمعون على أن الجواهر لا تبلى شيئاً، فما الفرق حينئذ في الحياة بين المؤمن والكافر.

فأجاب - رحمه الله - بأن الرزق لا يكون عندنا إلا للحيوان، والحيوان عندنا ليسوا بأجسام بل ذوات أخرجوا في هذه الدار إلى الأجساد، وتعذر عليهم كثير من الأفعال إلا بها، فإن أغنوا عنها بعد الوفاة جازأن يرزقوا مع عدمها رزقاً يحصل لهم به اللذات، وإن افتقروا إليها كان الرزق لهم حينئذ بحسبه في الدنيا على السواء. فأما

قوله «ما صورة هذه الحياة؟» فالحياة لا صورة لها لأنها عرض من الأعراض وهي تقوم بالذات الفعالة دون الأجساد التي تقوم بها حياة النمودون الحياة التي هي شرط في العلم والقدرة ونحوهما من الأعراض. وقوله «إننا مجتمعون على أن الجواهر لا تبلى شيئاً» فليس ذلك كما ظن، ولو كان كما توهم لم يمتنع أن توجد الحياة لبعض الجواهر وترفع عن بعض، كما توجد حياة الثموب لبعض الأجساد وترفع من بعض بالاتفاق؛ ولو قلنا: «إن الحياة بعد النقلة من هذه الدار تعم أهل الكفر والإيمان» لم يفسد ذلك علينا أصلاً في الدين، فكانت الحياة لأهل الإيمان شرطاً في وصول اللذات إليهم، والحياة لأهل الكفر شرطاً في وصول الآلام إليهم بالعقاب. انتهى.

وقال شارح المقاصد: اتفق الإسلاميون على حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر وعذاب الكفار وبعض العصاة فيه، ونسب خلافه إلى بعض المعتزلة؛ قال بعض المتأخرين منهم: حكى إنكار ذلك عن ضرار بن عمرو، وإنما نسب إلى المعتزلة—وهم برآء منه—لمخالفة ضرار إياهم، وتبعه قوم من السفهاء من المعاندين للحق ونحوه؛ قال في المواقف: وقال المحقق الدواني في شرح العقائد العنصرية: عذاب القبر للمؤمن والفاسق والكافر حق لقوله—تعالى—: «أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ لَمَلَكًا وَنُحُوتًا وَأَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا وَخُلُقًا وَوَعَدْنَا الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرِينَ النَّارَ»^{٨١٣}.

وقوله: «رَبَّنَا أَمَتْنَا الْفَرِيقَيْنِ وَالْأُخْرَىٰ كَمَا نَأْتِيْنَا النَّارَ»^{٨١٤}؛ ولقوله—صلى الله عليه وآله—: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، فيقال: هذا مقعدك حتى نبعثك يوم القيامة»، وقوله—صلى الله عليه وآله—: «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه»، وقوله—صلى الله عليه وآله—: «القبر إمارضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»، ونقل العلامة التفتازاني عن السيد أبي الشجاع أن الصبيان يسألون وكذا الأنبياء—عليهم السلام— وقيل: إن الأنبياء لا يسألون لأن السؤال على ما ورد في الحديث عن ربه وعن دينه وعن نبئه، ولا يعقل

السؤال عن النبي - صلى الله عليه وآله - من نفس النبي، وأنت خير بآته لا يدل على عدم السؤال مطلقاً بل عدم السؤال عن نبيه فقط، وذلك أيضاً في الذي لا يكون على ملة نبي آخر.

و اختلف الناس في عذاب القبر فانكره قوم بالكليّة و أثبتّه آخرون، ثم اختلف هؤلاء فمنهم من أثبت التعذيب و أنكر الإحياء و هو خلاف العقل، و بعضهم لم يثبت العذاب بالفعل بل قال: يتجمع الآلام في جسده فإذا حشر أحسّ بهادفة، و هذا إنكار لعذاب القبر حقيقة، و منهم من قال بإحيائه لكن من غير إعادة الروح، و منهم من قال بالإحياء و إعادة الروح ولا يلزم أن يرى أثر الحياة فيه حتى أنّ المأكول في بطن الحيوانات يحيى و يسأل و ينعم و يعذب ولا ينبغي أن ينكر لأنّ من أخفى النار في الشجر الأخضر قادر على إخفاء العذاب و النعيم.

قال الإمام الغزالي في الإحياء: اعلم أنّ لك ثلاث مقامات في التصديق

بأمثال هذا.

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم راسمي

أحدها - وهو الأظهر و الأصح - أن تصدّق بأنّ الحيّة مثلاً موجودة تلدغ الميت و لكنّها لا نشاهد ذلك، فإنّ ذلك العين لا يصلح لمشاهدة تلك الأمور الملكوتية، و كلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، أما ترى أنّ الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبرئيل - عليه السلام -، و ما كانوا يشاهدونه، و يؤمنون أنّه - صلى الله عليه وآله - يشاهده؟ فإن كنت لا تؤمن بهذا، فتصحیح الإيمان بالملائكة و الوحي عليك - أوجب -، و إن آمنت به و جوّرت أن يشاهد النبي - صلى الله عليه وآله - ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوّز هذا في الميت؟

المقام الثاني أن تتذكّر أمر النائم فإنّه يرى في نومه حيّة تلدغه و هو يتألّم بذلك حتى يرى في نومه يصيح و يعرق جبينه، و قد ينزعج من مكانه. كلّ ذلك يدرك من نفسه و يتأذى به كما يتأذى اليقظان، و أنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى في حوالبه حيّة، و الحيّة موجودة في حقّه، و العذاب حاصل، و لكنّه في حقك غير مشاهد، و إن كان العذاب ألم اللدغ فلا فرق بين حيّة تتخيل أو تشاهد.

المقام الثالث أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلصقها منها هو السم، ثم السم ليس هو الألم، بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل مثل ذلك من غير سم فكان ذلك العذاب قد توفّر، وقد لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة، والصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كالآلام لدغ الحيات من غير وجود الحيات.

فإن قلت: ما الصحيح من هذه المقامات الثلاثة؟ فاعلم أن من الناس من لم يثبت إلا الثالث، وإنما الحق الذي انكشف لنا من طريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان، وأن من يتكبر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته و جهله باتّساع قدرة الله وعجائب تدبيره منكراً من أفعال الله تعالى— ما لم يأنس به ولم يألفه وذلك جهل وقصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكن والتصديق بها واجب، ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع الثلاثة، هذا هو الحق فصدق به.

ثم قال: و سؤال منكر و نكير حق لقوله— صلى الله عليه وآله—: «إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: منكر و للآخر: نكير؛ يقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً فيقول: هو عبد الله و رسوله، أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله، فيقولان: قد كتنا نعلم أنك تقول هذا؛ ثم يفسح في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً، ثم ينوره فيه، ثم يقال له: نعم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. و إن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري! فيقولان: قد كتنا نعلم أنك تقول ذلك؛ فيقال للأرض: التثمي عليه، فتلتثم عليه فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيه معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

و أنكر الجبائي و ابنه و البلخي تسمية الملكين منكر و نكيراً و قالوا: إنما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير إنما هو تقرير الكافر، و هو

خلاف ظاهر الحديث. والأحاديث الصحيحة الدالة على عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين أكثر من أن تحصر بحيث يبلغ قدره المشترك حد التواتر وإن كان كل منها خبر الآحاد، واتفق عليه السلف الصالح قبل ظهور المخالف. وأنكره مطلقاً ضرار بن عمرو وأكثر متأخري المعتزلة وبعض الروافض متمسكين بأن الميت جهاد فلا يعذب، وما سبق حجة عليهم، ومن تأمل عجائب الملك و الملكوت و غرائب صنعه—تعالى—لم يستنكف عن قبول أمثال هذا؛ فإنَّ للنفس نشآت وفي كل نشأة تشاهد صوراً تقتضيها تلك النشأة، فكما أنها تشاهد في المنام أموراً لم تكن تشاهد في اليقظة فكذا تشاهد في حال الانخلاع عن البدن أموراً لم تكن تشاهد في الحياة. وإلى هذا يشير من قال: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا. انتهى كلامه.

ولا يخفى على أحد أنَّ ما نسبته هو وغيره إلى الشيعة في هذا الباب فرية بلامرية. ولا يوجد من ذلك في كتبهم عين ولا أثر، وقد سمعت بعض كلماتهم في ذلك؛ ولعله رأى ذلك في بعض كتب الملاحدة من الإسماعيلية وغيرهم الملصقين بهذه الفرقة الحققة فنسب ذلك إليهم مجملاً، وهذا تدليس قبيح ولا سيما من الفضلاء.

ثم اعلم أنه روى العامة في كتبهم عن أبي أمامة الباهلي أن النبي—صلى الله عليه وآله—قال: «إذا مات أحدكم وسويت عليه التراب فليقم أحدكم عند قبره ثم ليقل: يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل: يا فلان بن فلانة—الثانية— فيستوي قاعداً، ثم ليقل: يا فلان بن فلانة؛ فإنه يقول: أرشدنا رحك الله، فيقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً. فإنَّ منكراً و نكيراً يتأخر كل واحد منها فيقول: انطلق فما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته؟»

فقال: يا رسول الله! فإن لم يعرف أمته؟

قال: فلينبه إلى حواء.

و قال الشيخ البهائي—قدس الله روحه—: قديتوهم أنَّ القول بتعلق

الأرواح بعد مفارقة أبدانها العنصرية بأشباح أخر كما دلت عليه الأحاديث قول بالتناسخ، و هذا توهم سخيف لأن التناسخ الذي أطبق المسلمون على بطلانه هو تعلق الأرواح بعد خراب أجسادها بأجسام أخر في هذا العالم، إما عنصرية كما يزعم بعضهم ويقسمه إلى النسخ والمسح والفسخ والرسخ، أو فلكية ابتداءً أو بعد ترددها في الأبدان العنصرية على اختلاف آرائهم الواهية المفصلة في محلها.

و أما القول بتعلقها في عالم آخر بأبدان مثالية مدة البرزخ إلى أن تقوم قيامتها الكبرى فتعود إلى أبدانها الأولية بإذن مبدعها إما بجمع أجزائها المتشعبة أو بإيجادها من كتم العدم كما أنشأها أول مرة فليس من التناسخ في شيء، وإن سميته تناسخاً فلامشاحة في التسمية إذا اختلف المسمى، وليس إنكارنا على التناسخية و حكمنا بتكفيرهم بمجرد قوهم بانتقال الروح من بدن إلى آخر، فإن المعاد الجسماني كذلك عند كثير من أهل الإسلام، بل بقوهم بعدم النفوس و ترددها في أجسام هذا العالم و إنكارهم المعاد الجسماني في النشأة الأخرى.

قال الفخر الرازي في نهاية العقول: إن المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردها إلى الأبدان لا في هذا العالم، والتناسخية يقولون بقدومها و ردها إليها في هذا العالم و ينكرون الآخرة والجنة والنار، و إنما كفروا من أجل هذا الإنكار. انتهى كلامه ملخصاً. فقد ظهر البون البعيد بين القولين. انتهى كلامه، زاد الله في إكرامه.

ثم اعلم أن مقتضى قواعد العدالة و ظواهر النصوص الماضية والآتية أنه إنما يسأل في القبر المكلفون الكاملون لا الأطفال والمجانين والمستضعفون، و أما الأنبياء و الأئمة عليهم السلام—وإن كان المفهوم من فحوى عدم سؤال من لقن و أمثالهم و مامر أنه يسأل و هو مضغوط على بعض احتمالاته و غيره مما يدل على رفعة شأنهم عدم السؤال عنهم، لكن لما لم نرفيه نصاً صريحاً فالأولى عدم التعرض له نفياً وإثباتاً، و لذا لم يتعرض له علماءنا—رضوان الله عليهم—.

قال صاحب المحجة البيضاء في مذهب آل العباء: اختلف أهل السنة في أن الأنبياء عليهم السلام—هل يسألون في القبر أم لا؟ و كذا في الأطفال؟ فقيل:

الأصح أن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون. وقال الصقار: ليس في هذا نص ولا خبر ولا دليل فانتفي ذلك عنهم، وما روي عنه - صلى الله عليه وآله - من الاستعاذة عن عذاب القبر فذلك للمبالغة في إظهار الافتقار إلى الله - تعالى - وقيل: هو تحكم محض لجواز أن يقال: «أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ»^{٨١٥} فكما جاز أن يسأل المؤمن عما آمن به فيقال: من ربك وما دينك؟ فكذا الرسول يسأل عما آمن به. فعلم أن حمل الاستعاذة على المبالغة تحكم بغير دليل، ولأن النبي - صلى الله عليه وآله - صاحب عهدة عظيمة لأنه إنما بعث لبيان الشرائع وصرف القلوب إلى الله - تعالى - فلم لا يجوز أن يسأل عما كان في عهده؟ حتى قيل: وسؤالها الأنبياء بهذه العبارة: على ماذا تركتم أمتكم؟

والحق أن الأئمة كالأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين - في هذه الأمور كلها، ولم أر في كتب الإمامية هذه المسألة لانقياً ولا إثباتاً، والذي يطمئن إليه قلبي أنهم مع الأئمة - سلام الله عليهم - مستثنون من هذه الأحكام. انتهى.

وقال الصدوق - رحمه الله - في رسالة العقائد: اعتقادنا في المسألة في القبر أنها حق لا بد منها، فن أجاب بالصواب فإذا بروح وريحان في قبره و بجثة نعيم في الآخرة و من لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره و تصلية جحيم في الآخرة. و أكثر ما يكون عذاب القبر من النيمة و سوء الخلق و الاستخفاف بالبول، و أشد ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجام، و يكون ذلك كفارة لما بقي عليه من الذنوب التي تكفرها الهموم و الغموم و الأمراض و شدة النزف عند الموت.

فإن رسول الله - صلى الله عليه وآله - كفن فاطمة بنت أسد في قبصه بعدما فرغت النساء من غسلها و حمل جنازتها على عاتقه حتى أوردتها قبرها، ثم وضعها و دخل القبر واضطجع فيه ثم قام فأخذها على يديه و وضعها في قبرها، ثم انكب عليها يناجها طويلاً و يقول لها: ابنك ابنك، ثم خرج و سوى عليها التراب، ثم انكب على قبرها فسمعوه و هو يقول: اللهم إني أودعتها إليك. ثم انصرف.

فقال له المسلمون: يا رسول الله! إنا رأيناك صنعت اليوم شيئاً لم تصنعه قبل

اليوم؟!

فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب إنها كانت يكون عندها الشيء فتوثرني به على نفسها ولدها؛ وإني ذكرت القيامة وأنّ الناس يحشرون عراة فقالت واسوأها! فضمنت لها أن يعثها الله - تعالى - كاسية، وذكرت ضغطة القبر فقالت: واضعفاء! فضمنت لها أن يكفيها الله - تعالى - ذلك فكفنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك وانكبيت عليها فلقنتها ما تسأل عنه، وإنا سئلت عن ربها فقالت: الله، وسئلت عن نبيها فأجابت، وسئلت عن وليها وإمامها فأرتج عليها، فقلت لها: ابنك ابنك.

أقول: وقال الشيخ المفيد - نور الله ضريحه - في شرح هذا الكلام: جاءت الأخبار الصحيحة عن النبي - صلى الله عليه وآله - أنّ الملائكة تنزل على المقبورين فتسألهم عن أديانهم، وألفاظ الأخبار بذلك متقاربة، فمنها أن ملكين لله - تعالى - يقال لهما: ناكرو ونكرو، ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وإمامه فإن أجاب بالحق سلّموه إلى ملائكة النعيم، وإن أرتج عليه سلّموه إلى ملائكة العذاب. و قيل في بعض الأخبار: إن اسمي الملكين اللذين ينزلان على المؤمن مبشر وبشير. و قيل: إنه إنما سمي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنه ينكر الحق وينكر ما يأتيانه به ويكرهه؛ و سمي ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً لأنّها يبشّرانه من الله - تعالى - بالرضا والثواب المقيم. وإن هذين الاسمين ليسا بلقب لهما، وإنّها عبارة عن فعلهما، وهذه أمور تتقارب بعضها من بعض ولا تستحيل معانيها والله أعلم بحقيقة الأمر فيها.

وقد قلنا فيما سلف: إنّها ينزل الملكان على من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، ومن سوى هذين فيلهي عنه وبيّننا أنّ الخبر جاء بذلك فن جهته قلنا فيه ما ذكرناه.

فصل: وليس ينزل الملكان إلا على حيّ ولا يسألان إلا من يفهم المسألة و يعرف معناها، وهذا يدلّ على أنّ الله - تعالى - يجيي العبد بعدموته للمساءلة، و يديم

حياته بنعيم إن كان يستحقه، أو بعذاب إن كان يستحقه^{٨١٦}—نعوذ بالله من سخطه و نسأله التوفيق لما يرضيه برحمته—والغرض من نزول الملكين و مساءلتها العبد أن الله يوكل بالعبد بعد موته ملائكة النعيم و ملائكة العذاب، و ليس للملائكة طريق إلى ما يستحقه العبد إلا بإعلام الله—تعالى—ذلك لهم، فالملكان اللذان ينزلان على العبد أحدهما من ملائكة النعيم و الآخر من ملائكة العذاب، فإذا هبطا و كلا به استفسها حال العبد بالمساءلة فإن أجاب بما يستحق به النعيم قام بذلك ملك النعيم و عرج عنه ملك العذاب، و إن ظهرت فيه علامة استحقاقه العذاب و كل به ملك العذاب و عرج عنه ملك النعيم. و قد قيل: إن الملائكة الموكلين بالنعيم و العقاب غير الملكين الموكلين بالمساءلة، و إنما يعرف ملائكة النعيم و ملائكة العقاب ما يستحقه العبد من جهة ملكي المساءلة، فإذا ساءلا العبد و ظهر منه ما يستحق به الجزاء تولى منه ذلك ملائكة الجزاء و عرج ملكا المساءلة إلى مكانها من السماء. و هذا كله جائز و لسنا نقطع بأحدون صاحبه، إذ الأخبار فيه متكافئة و العادة لنا في معنى ما ذكرناه التوقف و التجويز.

فصل: و إنما و كل الله—تعالى—ملائكة المساءلة و ملائكة العذاب و النعيم بالخلق تعبداً لهم بذلك، كما و كل الكتبة من الملائكة—عليهم السلام—بمحافظة أعمال الخلق و كتبها و نسخها و رفعها تعبداً لهم بذلك، و كما تعبّد طائفة من الملائكة بمحفظ بني آدم و طائفة منهم بإهلاك الأمم، و طائفة يحمل العرش، و طائفة بالطواف حول البيت المعمور و طائفة بالتسبيح، و طائفة بالاستغفار للمؤمنين، و طائفة بتنعيم أهل الجنة، و طائفة بتعذيب أهل النار و التعبّد لهم بذلك ليشبههم عليها. و لم يتعبّد الله الملائكة بذلك عبثاً كما لم يتعبّد البشر و الجنّ بما تعبّدهم به لعباً بل تعبّد الكل للجزاء و ما تقتضيه الحكمة من تعريفهم نفسه—تعالى—والتزامهم شكر النعمة عليهم.

٨١٦— لعل المراد أن الانسان لا يبطل بعد الموت ولا يندم بالكلية، بل له نوع من الحياة غير الحياة الحسية التي يفقدها بالموت؟ قال— صلى الله عليه وآله—: «وإنما تنتقلون من دار إلى دار الحديث». و أما الروايات الدالة على إدخال الروح فيه إلى حقويه في القبر فهي تمثيل للمساءلة كما أن الروايات الدالة على قولها له «نم نومة العروس» و إنما منها له و غير ذلك تمثيل لمكثه في القبر في انتظار البحث. ط

وقد كان الله - تعالى - قادراً على أن يفعل العذاب بمستحقه من غير واسطة وينعم المطيع من غير واسطة، لكنه علق ذلك على الوسائط لما ذكرناه ويتأوجه الحكمة فيه ووصفناه.

و طريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا بالوفاة هو السمع، و طريق العلم برد الحياة إليهم عند المساءلة هو العقل، إذ لا تصح مساءلة الأموات و استخبار الجمادات، وإنما يحسن الكلام للحي العاقل لما يكلم به و تقريره و إلزامه بما يقدر عليه، مع أنه قد جاء في الخبر أن كل مساءل ترد إليه الحياة عند مساءلتهم ليفهم ما يقال له؛ فالخبر بذلك أكد ما في العقل، ولولم يرد بذلك خبر لكفى حجة العقل فيه على ما بيناه. انتهى كلامه - رحمه الله -.

و أقول: لما كانت هذه المسألة من أعظم الأصول الإسلامية و قد أكثر المتفلسفة و الملاحدة الشبه فيها و رام بعض من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه تأويلها و تحريفها أطببت الكلام فيها بعض الإطناب و أرجو من فضل ربي أن يوفقني لأن أعمل في ذلك رسالة مفردة عن هذا الكتاب، والله الموفق لكل خير و صواب. و قد أثبتنا الأخبار النافعة في هذا المقصد الأقصى في باب الاحتضار، و باب الجريدتين، و باب الدفن، و باب التلقين و غيرها من أبواب الجنائز، و باب أحوال أولاد آدم، و أبواب معجزات الأئمة - عليهم السلام - و غرائب أحوالهم. و سيأتي خبر طويل في تكلم سلمان مع بعض الأموات في باب أحواله - رضي الله عنه -، و سيأتي في أكثر الأبواب ما يناسب الباب لاسيما في باب فضل فاطمة بنت أسد - رضي الله عنها -، و باب فضل ليلة الجمعة و يومها، و أبواب المواعظ، و أبواب فضائل الأعمال و غيرها مما تطول الإشارة إليها فكيف ذكرها. ٨١٧

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ (٢٤٥٨) ، وَأَنْتُمْ
 وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ (٢٤٥٩) . وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَصْرَاطِهَا (٢٤٦٠) ، وَأَزِفَتْ (٢٤٦١)
 بِأَفْرَاطِهَا (٢٤٦٢) ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا . وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ
 بِزَلَالِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا (٢٤٦٣) ، وَأَنْصَرَمَتْ (٢٤٦٤) الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ،
 وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى ، أَوْ شَهْرٍ أَنْقَضَى ، وَصَارَ
 جَدِيدُهَا رَأً (٢٤٦٥) ، وَسَمِينُهَا غُثًا (٢٤٦٦) . فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ ،
 وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا (٢٤٦٧) ، عَالٍ لَجْبِهَا (٢٤٦٨) ،
 سَاطِعٍ لَهْبِهَا ، مُتَغَيِّظٍ (٢٤٦٩) زَفِيرِهَا (٢٤٧٠) ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرِهَا ، بَعِيدٍ
 خُمُودِهَا ، ذَلِكَ (٢٤٧١) وَقُودُهَا ، وَمَخُوفٌ وَعَيْدُهَا ، عَمٍ قَرَارِهَا (٢٤٧٢) ،
 مُظْلِمَةٍ أَقْطَارِهَا ، حَامِيَةٍ قُدُورِهَا ، فَظِيْعَةٍ أُمُورِهَا . « وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا » . قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ ، وَزُحِرُوا
 عَنِ النَّارِ ، وَأَطْمَأْنَنْتْ بِهِمُ الدَّارُ ، وَرَضُوا الْمَشْوَى وَالْقَرَارَ . الَّذِينَ
 كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِئَةً ، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي
 دُنْيَاهُمْ نَهَارًا ، تَخَشَعُوا وَأَسْتَغْفَرُوا ، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا ، تَوَحَّشُوا (٢٤٧٣)
 وَأَنْقَطَعُوا . فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَأْبَأً ، وَالْجَزَاءَ ثَوَابًا ، « وَكَانُوا أَحَقُّ
 بِهَا وَأَهْلُهَا » فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

بيان: «على سنن» أي على طريقة الأمم الماضية يهلككم كما أهلكتهم. و

«القرن» حبل يشد به اليعيران. «بأفراطها» أي مقدماتها. و «الكلاكل» جمع

«الكلكل» وهو الصدر، ويقال للأمر الثقيل: «قد أناخ عليهم بكلكله» أي هداهم ورضاهم كما يهد البعير البارك من تحته إذا أنيخ عليه بصدرة، والجمع باعتبار تعدد أهواها. و«الحِضْن» بالكسر، الجنب. و«الرث» البالي. و«الغث» المهزول. و«الضنك» الضيق. و«الكلب» الشدة والأذى. و«اللجب» الصوت. و«التغيظ» الهيجان والغليان. و«الذكاء» شدة وهج النار. و«حمى الثور» اشتد حرها. و«زحزحه عن كذا» باعده. ٨١٨

فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَائِيهِ يَفُوزُ فَاثِرُكُمْ ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ .
وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ مُرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ
بِمَا قَدَّمْتُمْ . وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ ، فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ ، وَلَا
عَشْرَةَ تُقَالُونَ . اسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا
وَعَنكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

الزُّمُوا الْأَرْضَ (٢١٧٤) ، وَأَصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ . وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ
وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى السِّنِّتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ .
فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً ، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا
نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ (٢١٧٥) لِسَيْفِهِ ؛
فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً .

١٩١ - ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ﴾

يحمد الله ويشني على نبيه ويوصي بالزهد والتقوى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي ^(٢٤٧٦) فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَالْمُتَعَالِي
جَدَّهُ ^(٢٤٧٧) . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ التُّوَامِ ^(٢٤٧٨) ، وَالْآلِيهِ الْعِظَامِ . الَّذِي
عَظَّمَ حِلْمَهُ فَعَفَا ، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا
مَضَى ، مُبْتَدِعَ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ ^(٢٤٧٩) ، بِلَا أَقْتِدَاءٍ وَلَا
تَعْلِيمٍ ، وَلَا أَحْتِدَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ ، وَلَا إِصَابَةَ خَطَأٍ ، وَلَا
حَضْرَةَ مَلَأَ .

مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم رسولي

الرسول الاعظم

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَبْتَعَثُهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ ^(٢٤٨٠) ،
وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَةٌ ^(٢٤٨١) الْحَيْنِ ^(٢٤٨٢) ، وَأَسْتَغْلَقَتْ
عَلَى أَفْتِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ ^(٢٤٨٣) .

بيان: «الضرب» السير السريع، و«الضارب» السابح. و«الغمزة» الماء
الكثير و«الحين» الهلاك. و«استغلقت» أي تعسر فتحها. و«الرين» الطبع
والتغطية. ٨١٩

الوصية بالزهد والتقوى

عِبَادَ اللَّهِ ! أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَالْمُوجِبَةُ
عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ :
فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرِزُ وَالْجَنَّةُ ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ .
مَسْلُكُهَا وَاصِحٌ ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا ^(٢٤٨٤) حَافِظٌ . لَمْ تَبْرَحْ
عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ وَالْغَابِرِينَ ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا
غَدًا ، إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبَدَى ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى ، وَسَأَلَ عَمَّا أَسَدَى ^(٢٤٨٥) .
فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا ، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا ! أَوْلَيْكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا ، وَهُمْ
أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : « وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ » .
فَأَهْطِعُوا ^(٢٤٨٦) بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَالظُّلُومَ ^(٢٤٨٧) بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا ، وَأَعْتَاضُوهَا
مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا . أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ،
وَأَقْطِعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ ، وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَأَرْحَضُوا ^(٢٤٨٨) بِهَا ذُنُوبَكُمْ ،
وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْجِمَامَ ، وَأَعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ،
وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا ^(٢٤٨٩) بِهَا ، وَكُونُوا
عَنِ الدُّنْيَا نَزَاهًا ^(٢٤٩٠) ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وِلَاهًا ^(٢٤٩١) . وَلَا تَضَعُوا مَنْ
رَفَعْتَهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا ^(٢٤٩٢)
بَارِقَهَا ^(٢٤٩٣) ، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا ، وَلَا تَسْتَضِيئُوا

بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا^(٢٤٩٤) ، فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ^(٢٤٩٥) ، وَتُنطِقَهَا
كَاذِبٌ ، وَأَمْوَالُهَا مَخْرُوبَةٌ^(٢٤٩٦) ، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ
الْمُتَّصِدِيَّةُ^(٢٤٩٧) الْعُنُونُ^(٢٤٩٨) ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونَ^(٢٤٩٩) ، وَالْمَائِنَةُ
الْخَوُونَ^(٢٥٠٠) ، وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ^(٢٥٠١) ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ^(٢٥٠٢) ، وَالْحَيُودُ
الْمَيُودُ^(٢٥٠٣) . حَالُهَا أَنْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زَلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجَدُّهَا
هَزَلٌ ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرْبٍ^(٢٥٠٤) وَسَلْبٌ ، وَنَهْبٌ وَعَطَبٌ . أَهْلُهَا
عَلَى سَاقٍ وَسِيَّاقٍ^(٢٥٠٥) ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ^(٢٥٠٦) . قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا^(٢٥٠٧) ،
وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا^(٢٥٠٨) ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا ، فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاوِلُ ، وَلَفَظَتْهُمْ
الْمَنَارِلُ ، وَأَغْيَبَتْهُمْ الْمَحَاوِلُ^(٢٥٠٩) . فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ^(٢٥١٠) ، وَلَحْمٍ
مَجْزُورٍ^(٢٥١١) ، وَشَلْوٍ^(٢٥١٢) مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ^(٢٥١٣) ، وَعَاضٍ
عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِيٍّ بِكَفَيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَيْهِ^(٢٥١٤) ، وَزَارٍ^(٢٥١٥) عَلَى
رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنِ عَزْمِهِ ، وَقَدْ أَدْبَرَتْ الْحِيَلُ ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيَلُ^(٢٥١٦) ،
«وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ»^(٢٥١٧) . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ ، وَذَهَبَ
مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالِ بِأَلْيَا^(٢٥١٨) ، «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ»^(٢٥١٩) .

وهي تتضمن ثم إبليس لعنه الله ، على استكباره وتركه السجود لأدم عليه السلام ،
وأنه أول من أظهر العصبية (٢٥٢١) وتبع الحمية ، وتحذير الناس من سلوك طريقته .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ الْعِزُّ وَالْكَبْرِيَاءُ ، وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ
خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا جَمِيًّا (٢٥٢٢) وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ ، وَأَصْطَفَاهُمَا (٢٥٢٣)
لِجَلَالِهِ .

راس العصيلان

وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ . ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ
مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، وَمَخْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ :
« إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا
لَهُ سَاجِدِينَ • فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّا إِبْلِيسَ • اعْتَرَضْتُهُ
الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ . فَعَدُوُّ اللَّهِ
إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصْبِيَّةِ ،
وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ ، وَأَدْرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّنْذِيلِ .
أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُوعِهِ ، فَجَعَلَهُ فِي
الدُّنْيَا مَذْهُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا ۱۹

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاوَهُ ،
 وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رَوَاوَهُ^(٢٥٢١) ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفَهُ^(٢٥٢٥) ، لَفَعَلَ .
 وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوبُ فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ .
 وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ ، تَمْيِيزاً
 بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ ، وَنَفِيّاً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَاداً لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ .

طلب العبرة

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ^(٢٥٢٦) عَمَلَهُ الطَّوِيلَ ،
 وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ ، لَا يُدْرِي
 أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ ، عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . فَمَنْ ذَا
 بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَقْصِدَتِهِ ؟ كَلَّا ، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
 لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أُخْرِجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا . إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ
 السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ . وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ^(٢٥٢٧)
 فِي إِبَاحَةِ حِمِّي حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ .

بيان: «لا يدري» على صيغة المجهول، وفي بعض النسخ على المتكلم المعلوم؛
 فعلى الأول لا يدل على عدم علمه—عليه السلام—و على الثاني أيضا المراد به غيره و
 أدخل نفسه تغليبا، والابهام لمصلحة كعدم تحاشي السامعين من طول الملة أو غيره.
 قوله—عليه السلام—«أخرج به منها ملكا» ظاهره أن إبليس كان من
 الملائكة، ويمكن الجواب بأن إطلاق الملك عليه لكونه من الملائكة بالولاء. وقال

بعض شراح النهج: «يسلم على الله» أي يرجع إليه سالما من طرده و لعنه، تقول: «سلم عليّ هذا الشيء» إذا رجع إليك سالما ولم يلحقه تلف، والباء للمصاحبة كما في قوله «بأمر» وأما الباء في «به» فيحتمل المصاحبة والسبيبة وقدمت تمام الخطبة وشرحها: ٨٢٠

التحذير من الشيطان

فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعَدِّيَكُمْ بِدَائِهِ (٢٥٢٨) ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ (٢٥٢٩) بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجَلِّبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ (٢٥٣٠) . فَلَعَمْرِي لَقَدْ فُوقَ (٢٥٣١) لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَعْرَفَ (٢٥٣٢) إِلَيْكُمْ بِالنُّزْعِ الشَّدِيدِ (٢٥٣٣) ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، فَقَالَ : «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» ، قَدْفَا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمًا بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ، وَإِخْوَانُ الْعَصِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّى إِذَا أَنْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةَ (٢٥٣٤) مِنْكُمْ ، وَأَسْتَحْكَمَتِ الظَّمَاعِيَّةَ (٢٥٣٥) مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ (٢٥٣٦) الْحَالُ مِنَ السُّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ ، أَسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ (٢٥٣٧) بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ ، فَأَقْحَمُوكُمْ (٢٥٣٨) وَلَجَاتِ (٢٥٣٩) الذُّلِّ ، وَأَحْلَوُكُمْ وَرَطَّاتِ الْقَتْلِ ، وَأَوْطَوُوكُمْ (٢٥٤٠) إِثْخَانَ (٢٥٤١) الْجِرَاحَةِ ، طَعْنَا فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزَا فِي

حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ (٢٥٤٢)
 الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ . فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجًا ، وَأَوْرَى (٢٥٤٣)
 فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا ، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ (٢٥٤٤) ، وَعَلَيْهِمْ
 مُتَسَالِبِينَ (٢٥٤٥) . فَأَجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ (٢٥٤٦) ، وَلَهُ جَدَّكُمْ (٢٥٤٧) ، فَلَعَمْرُ
 اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ،
 وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ ، يَفْتَنِيصُونَكُمْ بِكُلِّ
 مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ (٢٥٤٨) . لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلَا
 تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ (٢٥٤٩) ، وَحَلَقَةِ ضَيْقٍ ، وَعَرْضَةِ مَوْتٍ ،
 وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ . فَأَطْفِئُوا مَا كَمُنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ
 الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ
 وَنَخَوَاتِهِ (٢٥٥٠) ، وَنَزَغَاتِهِ (٢٥٥١) وَنَفْثَاتِهِ (٢٥٥٢) . وَأَعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّذَلُّلِ
 عَلَى رُؤُوسِكُمْ ، وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلَعَ التَّكْبِيرِ مِنْ
 أَعْنَاقِكُمْ ، وَأَتَّخِذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلِحَةً (٢٥٥٣) بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ لِإِبْلِيسَ
 وَجُنُودِهِ ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا ، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا ، وَلَا
 تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا
 أَلْحَقَتِ الْعِظَمَةَ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ
 نَارِ الْغَضَبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ

اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةُ ، وَالزَّمَةُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

التحدير من الكبر

أَلَا وَقَدْ أَمَعْتُمْ^(٢٥٥١) فِي الْبَغْيِ ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ ، مُصَارِحَةً^(٢٥٥٥) لِلَّهِ
بِالْمُنَاصِبَةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمَحَارَبَةِ . فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ
وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ! فَإِنَّهُ مَلَأَ^(٢٥٥٦) الشَّنَانِ^(٢٥٥٧) ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ ،
الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَّمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ . حَتَّىٰ أَعْنَقُوا^(٢٥٥٨)
فِي حَنَادِسِ^(٢٥٥٩) جَهَالَتِهِ ، وَمَهَاوِي^(٢٥٦٠) ضَلَالَتِهِ ، دُلُّلًا^(٢٥٦١) عَنْ سَبَاقِهِ ،
سُلْسًا^(٢٥٦٢) فِي قِيَادِهِ . أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونَ
عَلَيْهِ ، وَكَبِيرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ .

التحدير من طاعة الكبرياء.

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ ! الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ
حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفُّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَالْقَوَا الْهَجِينَةَ^(٢٥٦٣) عَلَىٰ رَبِّهِمْ ،
وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا صَنَعَ بِهِمْ ، مُكَابِرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ^(٢٥٦٤) .
فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصِيَّةِ ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ
عَتِزَاءِ^(٢٥٦٥) الْجَاهِلِيَّةِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنَعِيمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا ، وَلَا
لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا . وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ^(٢٥٦٦) الَّذِينَ شَرِبْتُمْ

بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ^(٢٦٦٢) ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي
 حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ أَسَاسُ^(٢٥٦٨) الْفُسُوقِ ، وَأَخْلَاسُ الْعُقُوقِ^(٢٥٦٩)
 اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ ، وَجُنُوداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ ، وَتَرَاجِمَةً
 يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، اسْتِرَاقاً لِعُقُوبِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْساً فِي
 أَسْمَاعِكُمْ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبِيلِهِ^(٢٦٧٠) ، وَمَوَاطِئَ قَدَمِهِ ، وَمَأْخِذَ يَدِهِ .

العبرة بالماضين

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ ،
 وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ^(٢٥٧١) ، وَأَنْعِظُوا بِمِثَاوِي خُدُودِهِمْ^(٢٥٧٢) ، وَمَصَارِعِ
 جُنُوبِهِمْ^(٢٥٧٣) ، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ^(٢٥٧٤) ، كَمَا
 تَسْتَعِيدُونَ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ . فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ
 لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَهُ إِلَيْهِمُ
 التَّكَابُرَ ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضِعَ ، فَالْصَّقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَرُوا
 فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا قَوْمًا
 مُسْتَضْعَفِينَ . قَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخِمْصَةِ^(٢٥٧٥) ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ^(٢٥٧٦) ،
 وَأَمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ ، وَمَخَضَهُمْ^(٢٥٧٧) بِالْمَكَارِهِ . فَلَا تَعْتَبِرُوا الرُّضَى
 وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالرُّدَّ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ ، وَالْإِخْتِبَارَ فِي مَوْضِعِ

الْغِنَى وَالْإِقْتِدَارِ ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « أَيَحْسَبُونَ أَنَّ مَا نُؤْتُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ؟ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

تواضع الانبياء.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بَنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَىٰ فِرْعَوْنَ ، وَعَلَيْهِمَا مَذَارِعُ الصُّوفِ ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ ، فَشَرَطَا لَهُ - إِنْ أَسْلَمَ - بَقَاءَ مُلْكِهِ ، وَدَوَامَ عِزِّهِ ، فَقَالَ : « أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ ، وَبَقَاءَ الْمُلْكِ ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أَلْقَيْتَ عَلَيْهِمَا آسَورَةً مِنْ ذَهَبٍ ؟ إِنْ غَضَّامًا لِلذَّهَبِ وَجَمَعِهِ ، وَآخِثِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ ! وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبِ (٢٥٧٨) ، وَمَعَادِنَ الْعِزِّ (٢٥٧٩) ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَخْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لِفَعْلٍ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ (٢٥٨٠) ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَأَضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَّا وَجِبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ . وَلَا اسْتَحَقُّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا . وَلَكِنَّ اللَّهَ

سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ
مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ وَالْعْيُونَ غِنًى . وَخَصَاصَةً (٢٥٨١)
تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أذًى .

وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تَرَامُ ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ
نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرُّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرَّحَالِ ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى
الْخَلْقِ فِي الْأَعْتِبَارِ ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْأَسْتِكْبَارِ ، وَلَا مَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ
قَاهِرَةٍ لَهُمْ ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتْ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً ، وَالْحَسَنَاتُ
مُقْتَسَمَةً . وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ ، وَالتَّضَدِيقُ
بِكُتُبِهِ ، وَالْخُشُوعُ لِيُوجِبَهُ ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ ، أُمُورًا لَهُ
خَاصَّةً ، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ . وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبَلَوَى وَالِاخْتِبَارُ
أَعْظَمَ كَانَتْ الْمُشُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ .

الكعبة المقدسة

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ ، سُبْحَانَهُ ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِ ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا
تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ «الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا» . ثُمَّ

وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا ، وَأَقْلُ نَتَائِقِ ^(٢٥٨٢) الدُّنْيَا مَدْرًا ^(٢٥٨٣) ،
 وَأَضْيَقِ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قَطْرًا . بَيْنَ جِبَالِ خَشِينَةٍ ، وَرِمَالِ دَمِيثَةٍ ^(٢٥٨٤) ،
 وَعُيُونِ وَشِلَّةٍ ^(٢٥٨٥) ، وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ ؛ لَا يَزُكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ
 وَلَا ظِلْفٌ ^(٢٥٨٦) . ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَّخِذُوا أَعْطَافَهُمْ ^(٢٥٨٧)
 نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ ^(٢٥٨٨) أَسْفَارِهِمْ ، وَغَلِيَّةً لِمُلْقَى ^(٢٥٨٩)
 رِحَالِهِمْ . تَهْوِي ^(٢٥٩٠) إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفِيدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ ^(٢٥٩١) قِفَارٍ سَحِيْقَةٍ ^(٢٥٩٢)
 وَمَهَاوِي ^(٢٥٩٣) فِجَاجٍ ^(٢٥٩٤) عَمِيْقَةٍ ، وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ ، حَتَّى
 يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ^(٢٥٩٥) ذُلًّا يُهْلِكُونَ اللَّهُ حَوْلَهُ ، وَيَرْمُلُونَ ^(٢٥٩٦) عَلَى
 أَقْدَامِهِمْ شُعْنًا ^(٢٥٩٧) غُبْرًا ^(٢٥٩٨) لَهُ . قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ ^(٢٥٩٩) وَرَاءَ
 ظُهُورِهِمْ ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ ^(٢٦٠٠) مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ، أَبْتِلَاءَ عَظِيمًا ،
 وَأَمْتِحَانًا شَدِيدًا ، وَأَخْتِبَارًا مُبِينًا ، وَتَمْتَحِيصًا بَلِيغًا ، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا
 لِرِخْمَتِهِ ، وَوُصَلَّةً إِلَى جَنَّتِهِ . وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ ،
 وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ ^(٢٦٠١) ، جَمَّ ^(٢٦٠٢) الْأَشْجَارِ
 دَانِي الثَّمَارِ ، مُلْتَفِّ الْبَنَى ^(٢٦٠٣) ، مُتَّصِلِ الْقُرَى ، بَيْنَ بَرَّةٍ ^(٢٦٠٤) سَمْرَاءَ ،
 وَرَوْضَةِ خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ ^(٢٦٠٥) مُحْدِقَةٍ ، وَعِرَاصٍ ^(٢٦٠٦) مُغْدِقَةٍ ^(٢٦٠٧) ،
 وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ
 مَضْعَفِ الْبَلَاءِ . وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ ^(٢٦٠٨) الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَالْأَخْجَارُ

الْمَرْفُوعُ بِهَا ، بَيْنَ زُمْرَةِ خَضْرَاءَ ، وَيَأْقُوتَةَ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ ،
لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشُّكِّ فِي الصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهِدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ
الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ^(٢٦٠٩) الرِّيبِ مِنَ النَّاسِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ
عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ
بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ ، إِخْرَاجاً لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي
نُفُوسِهِمْ ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فَتْحاً^(٢٦١٠) إِلَى فَضْلِهِ ، وَأَسْبَاباً ذُلَّلاً
لِعَفْوِهِ .



عقد إلى التمهيد

مركزية كويتية علوم

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوهُ عَاقِبَةِ
الْكِبَرِ ، فَإِنَّهَا مَضِيئَةٌ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى ، الَّتِي
تُسَاوِرُ^(٢٦١١) قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ ، فَمَا تُكْدِي^(٢٦١٢)
أَبْدَاءً ، وَلَا تُشْوِي^(٢٦١٣) أَحْدَاءً ، لَا عَالِمًا لِعَلْمِهِ ، وَلَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ^(٢٦١٤) .
وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزُّكُوتِ ، وَمُجَاهِدَةِ
الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ^(٢٦١٥) ، وَتَخْشِيعاً
لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذَلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيزاً لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَاباً لِلْخِيَلَاءِ
عَنْهُمْ ، وَإِلَّا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ^(٢٦١٦) بِالتَّرَابِ تَوَاضِعاً ،
وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً ، وَلُحُوقِ الْبَطُونِ

بِالْمُتُونِ^(٢٦١٧) مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً؛ مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ
الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكِنَةِ وَالْفَقْرِ .

فضائل الفرائض

انظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ^(٢٦١٨) نَوَاجِمِ^(٢٦١٩) الْفَخْرِ ،
وَقَدْعِ^(٢٦٢٠) طَوَالِعِ الْكِبْرِ ! وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنْ
الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهَلَاءِ ،
أَوْ حُجَّةً تَلِيظُ^(٢٦٢١) بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ ؛ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ مَا
يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ . أَمَا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ ، وَطَعَنَ
عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ ، فَقَالَ : أَنَا نَارِي وَأَنْتَ طِينِي .

عصبة المال

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةٍ^(٢٦٢٢) الْأُمَمِ ، فَتَعَصَّبُوا لِأَثَارِ مَوَاقِعِ
النَّعْمِ^(٢٦٢٣) ، فَقَالُوا : « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ . »
فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ
الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ ، الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجْدَاءُ وَالنُّجْدَاءُ مِنْ
بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ^(٢٦٢٤) الْقَبَائِلِ ؛ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ^(٢٦٢٥) ،
وَالْأَخْلَامِ^(٢٦٢٦) الْعَظِيْمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ ، وَالْأَثَارِ الْمَحْمُودَةِ .
فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ^(٢٦٢٧) ، وَالْوَفَاءِ بِاللِّمَامِ^(٢٦٢٨) ،

وَالطَّاعَةَ لِلْبِرِّ ، وَالْمَعْصِيَةَ لِلْكِبَرِ ، وَالْأَخْذَ بِالْفَضْلِ ، وَالْكَفَّ عَنِ
الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامَ لِلْقَتْلِ ، وَالْإِنْصَافَ لِلخَلْقِ ، وَالْكَظْمَ لِلغَيْظِ ،
وَأَجْتِنَابَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ .

بيان: «الأساورة» جمع للأسورة التي هي جمع السوار و«الذهبان» بالكسر
والضم، جمع «الذهب» و«العقيان» بالكسر، هو الذهب الخالص، وقيل: ما ينبت
منه نباتاً. و«البلاء» الامتحان. و«اضمحل الأنبياء» أي سقط الوعد والوعيد.
قال الثعلبي: قال العلماء بأخبار الماضين: لما كلم الله موسى وبعثه إلى
مصر خرج ولا علم له بالطريق، وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا
سلاح ولا حمولة^{٨٢١} ولا شيء غير عصاه ومدرعة صوف وقلنسوة من صوف ونعلين،
يظل صائماً، ويبيت قائماً، ويستعين بالصيد بقول الأرض حتى ورد مصر، ولما
قرب مصر أوحى الله سبحانه إلى أخيه هارون يبشره بقدم موسى ويخبره أنه قد
جعل له موسى وزيراً ورسولاً معه إلى فرعون، وأمره أن يمر يوم السبت لغرة ذي الحجة
متنكراً إلى شاطئ النيل ليلتقي في تلك الساعة بموسى.

قال: فخرج هارون وأقبل موسى عليه السلام فالتقيا على شط النيل قبل
طلوع الشمس، فاتفق أنه كان يوم ورود الأسد الماء، وكان لفرعون أسد تحرسه في
غيضة محيطية بالمدينة من حولها، وكانت ترد الماء غباً، وكان فرعون إذذاك في مدينة
حصينة عليها سبعون سوراً، في كل سور رساتيق وأنها^{٨٢٢} ومزارع وأرض واسعة، في
ربض كل سور^{٨٢٣} سبعون ألف مقاتل، ومن وراء تلك المدينة غيضة^{٨٢٤} تولى فرعون
غرسها بنفسه وعمل فيها وسقاها بالنيل، ثم أسكنها الأسد فنسلت^{٨٢٥} وتوالدت

٨٢١- في المصدر بعد ذلك: ولا صاحب له ولا شيء. هـ. م.

٨٢٢- في المصدر: وكان بين كل سورين بساتين وأنها. هـ. م.

٨٢٣- «الربض» ما حول المدينة من بيوت ومساكن؛ سور المدينة. وفي المصدر: وأرض واسعة في ربض، لكل سور. هـ.

٨٢٤- «الغيضة» مجتمع الشجر في مفيض الماء؛ الأجمة.

٨٢٥- في المصدر: فتناسلت. م.

حتى كثرت، ثم اتخذها جنداً من جنوده تحرسه، وجعل خلال تلك الغيضة طرقاً تفضي من يسلكها إلى أبواب من أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الأبواب طريق غيرها، فن أخطأ وقع في الغيضة فأكلته الأسود^{٨٢٦} و كانت الأسود إذا وردت النيل ظلت عليها يوماً كلها ثم تصدر مع الليل.

قال: فالتقى موسى و هارون يوم و رودها، فلما أبصرتها الأسد مدت أعناقها و رؤوسها إليهما و شخصت أبصارها نحوهما، و قذف الله تعالى في قلوبها الرعب، فانطلقت نحو الغيضة منزومة هاربة على وجوهها تطأ بعضها بعضاً حتى اندمست في الغيضة، و كان لها ساسة يسوسونها و ذادة يذودونها و يشلونها بالناس^{٨٢٧} فلما أصابها ما أصابها خاف سامتها فرعون ولم يشعروا من أين أتوا، فانطلق موسى و هارون -عليهما السلام- في تلك المسبعة^{٨٢٨} حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون، و كان منه يدخل و منه يخرج، و ذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذي الحجة بيوم؛ فأقاما عليه سبعة أيام، فكلمها واحد من الحراس و زبرها^{٨٢٩} و قال لها: هل تدريان لمن هذا الباب؟ فقال موسى -عليه السلام-: إن هذا الباب و الأرض كلها و ما فيها لرب العالمين، و أهلها عبيد له، فسمع ذلك الرجل قولاً لم يسمع مثله قط و لم يظن أن أحداً من الناس يفصح بمثله، فلما سمع ما سمع أسرع إلى كبرائه الذين فوقه فقال لهم: سمعت اليوم قولاً و عاينت عجباً من رجلين هو أعظم عندي و أفضح و أشنع مما أصابنا في الأسود، و ما كانا ليقدا على ما أقدمنا عليه إلا بسحر عظيم، و أخبرهم القصة فلا يزال ذلك يتداول بينهم حتى انتهى إلى فرعون.

و قال السدي بإسناده: سار موسى -عليه السلام- بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلاً فتصيف أمه و هي لا تعرفه، و إنما أتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل و نزل في جانب الدار فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه، فأخبرته أنه ضيف

٨٢٦- في المصدر: فتأكله الأسود. م

٨٢٧- في المصدر: و يسطونها على الناس. م

٨٢٨- في المصدر: في تلك الغيضة. م

٨٢٩- «زبره عن الأمر» منعه و نهاه عنه، «زبر السائل» انهره. و ليست هذه الكلمة في المصدر.

فدعاه فأكل معه فلما أن فعد تحدّثا فسأله هارون فقال: من أنت؟
فقال: أنا موسى.

فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه، فلما أن تعارفا قال له موسى: يا
هارون! انطلق معي إلى فرعون، فإن الله—عز وجل—قد أرسلنا إليه.
فقال هارون: سمعاً وطاعة.

فقامت أمتها فصاحت ٨٣٠ و قالت: أنشدك الله أن تذهباً ٨٣١ إلى فرعون
فيقتلكما.

فأتيا و مضيا ٨٣٢ لأمر الله—سبحانه—فانطلقا إليه ليلاً فأتيا الباب وانتمسا
الدخول عليه ليلاً فقرعا الباب ففزع فرعون و فزع البواب، و قال فرعون: من هذا
الذي يضرب بأبي هذه الساعة؟
فأشرف عليها البواب فكلمهما، فقال له موسى: أنا رسول رب العالمين.
فأتى ٨٣٣ فرعون فأخبره و قال: إن ههنا إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول
رب العالمين.

و قال محمد بن إسحاق بن يسار: خرج موسى لَمَّا بعثه الله—سبحانه—حين
قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه
و هما يقولان: إنا رسولا رب العالمين، فأذنوا بنا هذا الرجل ٨٣٤، فكثا سنتين يغدوان
إلى بابه و يروحان لا يعلم بهما و لا يجتري أحد على أن يخبره بشأنها حتى دخل عليه
بظال له يلعب عنده و يضحكه فقال له: أيتها الملك إن على بابك رجلاً ٨٣٥ يقول قولاً
عجيباً يزعم أن له إلهاً غيرك.

٨٣٠- في المصدر: فصاحت وضجت. ه. م.

٨٣١- في المصدر: أن لا تذهباً. م.

٨٣٢- في المصدر: فأتيا عليها ومضيا. م.

٨٣٣- في المصدر: ففزع البواب وأتى. ه. م.

٨٣٤- المصدر خال من هذه الجملة. م.

٨٣٥- في المصدر: رجلين، وهكذا نسي جميع الضمائر الآتية. م.

فقال: بياي؟!!!^{٨٣٦} أدخلوه.

فدخل موسى ومعه هارون - عليها السلام - على فرعون.^{٨٣٧}

قالوا: فلما أذن فرعون لموسى و هارون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء و هو: «لا إله إلا الله الحليم الكريم لا اله إلا الله العلي العظيم سبحانه الله رب السموات السبع و رب الأرضين السبع و ما فيهن و ما بينهن و رب العرش العظيم و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين. اللهم إني أدركك^{٨٣٨} في نحره و أعوذ بك من شره و أستعينك^{٨٣٩} عليه فاكفنيه بما شئت».

قال: فتحوّل ما بقلب موسى من الخوف أمناً، و كذلك من دعا بهذا الدعاء و هو خائف آمن الله خوفه، و نفس كربتته، و هون عليه سكرات الموت.

ثم قال فرعون لموسى: من أنت؟

قال: أنا رسول رب العالمين.

فتأمله فرعون فعرّفه فقال له: «ألم نرّبك فيما وليدأ و لبثت فيما من عمرك سنين * و قعلت فعملك النبي فعملت و أنت من الكافرين»^{٨٤٠} معناه: على ديننا هذا الذي تعيبه^{٨٤١}.

فقال موسى: «فعلتها إذا و أنا من الضالين»^{٨٤٢} المخطئين^{٨٤٣} و لم أرد بذلك القتل؛ «فقررت منكم لما حفتكم فوهبت لي ربي محكماً» - أي نبوة^{٨٤٤} - و

٨٣٦ - المصدر خال من هذه الكلمة. م

٨٣٧ - العرائس، ص ١١٤ - ١١٥. م

٨٣٨ - في المصدر: أدركه بك. م

٨٣٩ - في المصدر: وأستعين بك. م

٨٤٠ - الشعراء: ١٨ - ١٩.

٨٤١ - أي معنى «ولبثت فيما من عمرك سنين» أنك لبثت على ديننا الذي تعيبه.

٨٤٢ - الشعراء: ٢٠.

٨٤٣ - في المصدر: أي من المخطئين. م

٨٤٤ - المصدر خال عن قوله أي نبوة. م

جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ»^{٨٤٥}. ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكر فقال: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^{٨٤٦} أي اتخذتهم عبيداً تنزع أبناءهم من أيديهم تسترق من شئت^{٨٤٧} أي إنا صيرني إليك ذلك.

قال فرعون: «وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ»^{٨٤٨}.

قال فرعون لمن حوله: «الَأَتَسْتَمِينُونَ؟»^{٨٤٩} إنكاراً لما قال.

قال موسى: «رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ»^{٨٥٠}.

فقال فرعون: «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ»^{٨٥١} يعني ما هذا بكلام صحيح^{٨٥٢} إذ يزعم أن لكم إلهاً غيري.

قال موسى: «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ»^{٨٥٣}.

فقال فرعون لموسى: «لَيْسَ أَتُحَدِّثُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ: أَوْ كُوجِبْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ»^{٨٥٤} تعرف به صدقي و كذبتك، وحقني وباطلك.

قال فرعون: «فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ»^{٨٥٥} فاتحة فاها قد ملأت ما بين سماطي فرعون^{٨٥٦}، واضعة لحيها الأسفل في الأرض و الأعلى في سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجاً من مدينة مصر رأسها، ثم توجهت نحو فرعون ليأخذها فارتفض^{٨٥٧} عنها الناس و ذعر عنها فرعون، و وثب عن سريره و أحدث حتى قام به بطنه^{٨٥٨} في يومه ذلك أربعين مرة! و كان فيما يزعمون لا يسعل ولا يصدع^{٨٥٩} ولا يصيبه آفة مما يصيب الناس، و كان يقوم في

٨٤٥- الشعراء: ٢١.

٨٥٣- الشعراء: ٢٨.

٨٤٦- الشعراء: ٢٢.

٨٥٤- الشعراء: ٢٩-٣٠.

٨٤٧- في المصدر بعد ذلك: و تقتل من شئت. م

٨٥٥- الشعراء: ٣١-٣٢.

٨٤٨- الشعراء: ٢٣-٢٤.

٨٥٦- أي جانيه. وفي المصدر: قد ملأت ما بين جانبي القصر.

٨٤٩- الشعراء: ٢٥.

٨٥٧- في المصدر: فالنفض. م

٨٥٠- الشعراء: ٢٦.

٨٥٨- في المصدر: قام من بطنه. م

٨٥١- الشعراء: ٢٧.

٨٥٩- في المصدر: لا يسعل ولا يتسخط ولا يتصدع رأسه. م

٨٥٢- في المصدر: ما هذا بكلام رجل صحيح العقل. م

أربعين يوماً مرة، و كان أكثر ما يأكل الموز لكيلا يكون له ثقل^{٨٦٠} فيحتاج إلى القيام، و كان هذه الأشياء ممّا زين له أن قال ما قال، لأنه ليس له من الناس شبيهه.

قالوا: فلما قصدته الحية صاح: يا موسى أنشدك بالله و حرمة الرضاع إلا أخذتها و كفتها عني، وإني أؤمن بك و أرسل معك بني إسرائيل. فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت، ثم نزع يده من جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج، لها شعاع كشعاع الشمس، فقال له فرعون: هذه يدك.

فلما قالها فرعون أدخلها موسى جيبه ثم أخرجها الثانية، لها نور ساطع في السماء تكلّم منها الأبصار، و قد أضاءت ما حولها، يدخل نورها في البيوت، و يرى من الكوى من وراء الحجب، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي على لونها الأول.

قالوا: فهم فرعون بتصديقه، فقام إليه هامان و جلس بين يديه فقال له: بينا أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد؟! 

فقال فرعون لموسى: أمهلني اليوم إلى غد. و أوحى الله - تعالى - إلى موسى أن قل لفرعون: إنك إن آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددت^{٨٦١} شاباً طرياً.

فاستنظره فرعون. فلما كان من الغد دخل عليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربه.

فقال له هامان: والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً، و نفخ في منخره، ثم قال له هامان: أنا أردك شاباً، فأتاه بالوسمة فخضبه بها!^{٨٦٢} فلما دخل عليه موسى فرآه عسلي تلك الحالة هاله ذلك ،

٨٦٠- في نسخة: ثقل.

٨٦١- في المصدر: ورددتلك. م

٨٦٢- في المصدر: فأتاه بالوشم فخضبه به. م

فأوحى الله تعالى: لا يهولتك ما رأيت فإنه لم يلبث إلا قليلاً حتى يعود إلى الحالة الأولى.

وفي بعض الروايات أن موسى و هارون لما انصرفا من عند فرعون أصابها المطر في الطريق، فأتيا على عجوز من أقرباء أمهما، ووجه فرعون الطلب في أثرهما، فلما دخل عليها الليل ناما في دارها وجاءت الطلب إلى الباب والعجوز منتبهة، فلما أحست بهم خافت عليها فخرجت العصا من صير الباب والعجوز تنظر^{٨٦٣} فقاتلتهم حتى قتلت منهم سبعة أنفس، ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى و هارون أخبرتها بقصة الطلب ونكاية العصا منهم^{٨٦٤} فأمنت بها وصدقتهما.^{٨٦٥}

توضيح: «الغيضة» موضع تنبت فيه الأشجار الكثيرة. و «ربض المدينة» بالتحريك، ما حولها. و «الاندساس» الاختفاء. و «أشليت الكلب على الصيد» أغريته. و «الطفيشل» - كصيدع - نوع من المرق. و «الارفضياض» التفرق. و «الطلب» بالتحريك، جمع طالب. و «الصير» بالكسر، شق الباب.

ثم قال الثعلبي: **قالت العلماء بأخبار الأنبياء:** إن موسى و هارون - عليهما السلام - وضع فرعون أمرهما و ما أتيا به من سلطان الله - سبحانه - على السحر و قال للملأ من حوله^{٨٦٤}: «إن هذان لساحران يريدان»^{٨٦٧} إلى^{٨٦٨} قوله: «فماذا تأمرون»^{٨٦٩} أقتلها؟^{٨٧٠} فقال العبد الصالح خربيل^{٨٧١} مؤمن آل فرعون:

٨٦٣- في المصدر: من جانب الباب والعجوز تنظر إليها. م

٨٦٤- في نسخة: ونكاية العصا فيهم.

٨٦٥- العرائس: ١١٦. م

٨٦٦- في نسخة: قال للملأ من قومه. وفي المصدر: قال للملأ حوله؛ وكلها باطل لأن ما في القرآن هو: «قالوا: إن هذان لساحران يريدان» يعني: قال الملأ. فالصحيح هنا هو: وقال الملأ حوله.

٨٦٧- طه: ٦٣.

٨٦٨- الظاهر هو أن «إلى» هنا غلط لأن الآية الآتية أي «فماذا تأمرون» تكون في سورة الشعراء، وإن كانت ترتبط بالآية السابقة. فالصحيح هو أن يكون: وقوله.

٨٦٩- الشعراء: ٣٥.

٨٧٠- في المصدر: قالوا: أقتلها؟ م

٨٧١- في المصدر: خربيل. م

«أَنْقُشُوا رُجُلًا أَنْ يَلْفُونَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ»^{٨٧٢} إلى قوله:
 «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا»^{٨٧٣} قال فرعون: «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا
 أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ»^{٨٧٤}. وقال الملا من قوم فرعون: «أَرْجِدُ وَأَخَاهُ وَابْتَعَثَ فِي
 الْمَدَائِنِ خَاشِعِينَ * يَا نُوحُ كُلِّسْتَعَارِ عَلِيمٍ»^{٨٧٥} وكانت لفرعون مدائن فيها السحرة
 عدة للأمر إذا حز به^{٨٧٦}.

وقال ابن عباس: قال فرعون لما رأى من سلطان الله في اليد والعصا^{٨٧٧}: إنا
 لا نغالب موسى إلا بمن هو مثله. فأخذ غلماناً من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية
 يقال لها الغمام^{٨٧٨} يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان (الكتابة خ ل) في الكتاب،
 فعلموهم سحراً كثيراً. وواعد فرعون موسى موعداً فبعث فرعون إلى السحرة فجاء بهم
 ومعهم معلمهم، فقالوا له^{٨٧٩}: ماذا صنعت؟ فقال: قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحرة
 أهل الأرض إلا أن يكون أمر من السماء فإنه لا طاقة لهم به. ثم بعث فرعون الشرطي
 في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلا أتى به^{٨٨٠}.

واختلفوا في عدد السحرة^{٨٨١} الذين جمعهم فرعون، فقال مقاتل: كانوا اثنين
 وسبعين ساحراً، اثنان منهم من القبط وهما رأسا القوم، وسبعون من بني إسرائيل؛ و
 قال الكلبي: كانوا سبعين ساحراً غير رئيسهم، وكان الذي يعلمهم ذلك رجلين
 مجوسيين من أهل نينوى؛ وقال كعب: كانوا اثني عشر ألفاً؛ وقال السدي: كانوا
 بضعا وثلاثين ألفاً؛ وقال عكرمة: سبعين ألفاً؛ وقال محمد بن المنكدر: ثمانين ألفاً.

٨٧٢- الغافر: ٢٨.

٨٧٣ و ٨٧٤- الغافر: ٢٩.

٨٧٥- الشعراء: ٣٦-٣٧.

٨٧٦- «حزبه» أمر، أي أصابه. وفي المصدر: معنة للأمر إذا أحزته. م

٨٧٧- في المصدر بعد ذلك: ما رأى. م

٨٧٨- في المصدر: الغرقاء. م

٨٧٩- في المصدر: فجىء بهم ومعهم معلمهم فقال له. م

٨٨٠- في المصدر: فلم يتركوا في مملكته ساحراً إلا أتوا به. م

٨٨١- في المصدر: عدة السحرة. م

فاختار منهم سبعة آلاف ليس منهم إلا ساحر ماهر، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار من أولئك السبعمائة سبعين من كبرائهم وعلماهم؛ قال مقاتل: و كان رئيس السحرة أخوين بأقصى مدائن مصر. فلما جاءهما رسول فرعون قالاً لأتهما: دلينا على قبر أبينا. فدلتهما عليه، فأتياه فصاحا باسمه فأجابها، فقالا: إن الملك وجه إلينا أن نقدم عليه لأنه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ولهما عز و منعة وقد ضاق الملك ذرعاً^{٨٨٢} من عزهما، ومعهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لها شيء، تبلى الحديد والحشب والحجر، فأجابها أبوهما: انظرا إذاهما ناما فإن قدرتها أن تسلا العصا فسلاها، فإن الساحر لا يعمل سحره و هو نائم، وإن عملت العصا و هما نائمان فذلك أمر رب العالمين، ولا طاقة لكما بهما ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا، فأتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتها العصا.

قالوا: ثم واعدوه يوم الزيتة و كان يوم سوق لهم، عن سعيد بن جبيرة؛ و قال ابن عباس: كان يوم عاشوراء، و وافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة و هو يوم النيروز و كان يوم عيد لهم يجتمع إليه الناس من الآفاق؛ قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: و كان اجتماعهم للميقات بالإسكندرية، و يقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة^{٨٨٣} يومئذ.

قالوا: ثم قال السحرة لفرعون: «أين لنا لأجر إن كنا نحن الغالين»^{٨٨٤}.

قال فرعون: «وإنكم إذا آتيتن المقرين»^{٨٨٥} عندي في المنزلة.

فلما اجتمع الناس جاء موسى و هو متكئ على عصاه و معه أخوه هارون حتى أتى^{٨٨٦} الجمع و فرعون في مجلسه مع أشراف قومه، فقال موسى — عليه السلام — للسحرة حين جاءهم: «وإنكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بعذاب و قد

٨٨٢- أي ضاق صدره وضمفت طاقته.

٨٨٣- في المصدر: بلغ ذنب الحية الجزيرة من وراء البحيرة. م

٨٨٤- الشعراء: ٤١.

٨٨٥- الشعراء: ٤٢.

٨٨٦- في المصدر: حتى أتيا الجمع. م

خَابَ مِنِّي الْفِتْرَى»^{٨٨٧}.

فتناجى السحرة بينهم و قال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر، فذلك قوله -تعالى-: «فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى»^{٨٨٨}.

فقال السحرة: لنا تينك اليوم بسحر لم تر مثله، و قالوا: «بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنُدْعِيَنَّ الْمُغَالِبِينَ»^{٨٨٩}، و كانوا قد جاؤوا بالعصي و الحبال تحملها ستون بعيراً^{٨٩٠}، فلما أبوا إلا الإصرار على السحر قالوا لموسى: «إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى؟ قَالَ: بَلِ الْقَوْمُ»^{٨٩١} أنتم، فألقوا حبالهم و عصيتهم فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى، فذلك قوله -تعالى-: «بُخِبِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَلَّا يَشْعَى * فَأَوْبَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى»^{٨٩٢} و قال: واللّه إن كانت لعصياً في أيديهم ولقد عادت حيات و ما يعدون عصاي هذه، أو كما حدث نفسه^{٨٩٣} فأوحى الله -تعالى- إليه: «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاجِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ اتَى»^{٨٩٤} ففرج عن موسى و ألقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان مبین، كأعظم ما يكون أسود مدلم^{٨٩٥} على أربع قوائم قصار غلاظ شداد، و هو أعظم و أطول من البختي، و له ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة رأسه و عنقه و كاهله، لا يضرب ذنبه على شيء إلا حطمه و قصمه، و يكسر بقوائمه الصخور الصمّ الصلاب، و يطحن كل شيء، و يضرم حيطان البيوت

٨٨٧- طه: ٦١.

٨٨٨- طه: ٦٢.

٨٨٩- الشعراء: ٤٤.

٨٩٠- قال اليمتوي: فعملوا من جلود البقر حبالاً مجوفة و عصياً مجوفة و يزوتونها و يصيرون فيها الزبيق ثم أحوا المواضع التي أرادوا أن يلقوا فيها الحبال و العصي، ثم جلس فرعون فألقى السحرة حبالهم و عصيتهم؛ فلما حى الزبيق تحرك و مشت الحبال و العصي.

٨٩١- طه: ٦٥-٦٦.

٨٩٢- طه: ٦٦-٦٧.

٨٩٣- في المصدر: فلما حدث نفسه. م

٨٩٤- طه: ٦٨-٦٩.

٨٩٥- في المصدر: كأعظم ما يكون من الثعابين، أسود مدلم. م

بنفسه ناراً، وله عينان تلتهبان ناراً، و منخران تنفخان سموماً، و على مفرقه شعر
 كأمثال الرماح، و صارت الشعبتان له فأ سعتة اثناعشر ذراعاً، و فيه أنياب و
 أضراس، و له فحيح و كشيح و صرير و صريف، فاستعرضت ما ألقى السحرة من
 حبالهم و عصيتهم و هي حيات^{٨٩٦} في عين فرعون و أعين الناس، تسعى تلقفها و
 تبتلعها واحداً واحداً حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، و انهزم الناس
 فرعين هارين منقلبين، فتزاحوا و تضاعطوا و وطئ بعضهم بعضاً حتى مات منهم
 يومئذ في ذلك الزحام و مواطي الأقدام خمسة و عشرون ألفاً، و انهزم فرعون فيمن انهزم
 منخوباً^{٨٩٧} مرعوباً عازباً عقله^{٨٩٨} و قد استطلق بطنه في يومه ذلك عن أربعمئة
 جلسة^{٨٩٩}! ثم بعد ذلك إلى أربعين مرة في اليوم و الليلة على الدوام إلى أن هلك!

فلما انهزم الناس و عاين السحرة ما عاينوا و قالوا: لو كان سحراً لما غلبنا، و
 لما خفي علينا أمره و لئن كان سحراً فأين حبالنا و عصيتنا؟ فألقوا سجداً و قالوا: «آمننا
 برب العالمين * رب موسى و هارون»،^{٩٠٠} و كان فيهم اثنان و سبعون شيخاً قد انعمت
 ظهورهم من الكبر، و كانوا علماء السحرة، و كان رئيس جماعتهم أربعة نفر^{٩٠١}: سابور
 و عادور و حطحط^{٩٠٢} و مصفا، و هم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من
 سلطان الله تعالى، ثم آمنت السحرة كلهم.

فلما رأى فرعون ذلك أسف و قال لهم متجلداً: «آمنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ
 لَكُمْ؟ إِنَّهُ لَكَبِيرُ كُفِّ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَا فَطَمَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ
 وَلَا صَلَبَنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى»^{٩٠٣}.

٨٩٦- في المصدر: وهي تحيل. م

٨٩٧- «نخب» كان منزوع الفؤاد جباناً، و«المنخوب» الجبان الذاهب القلب. وفي المصدر: متخوفاً. م

٨٩٨- في المصدر: ذاهباً عقله.

٨٩٩- في المصدر: أربعمئة مرة. م

٩٠٠- الشعراء: ٤٧-٤٨ والأعراف: ١٢١-١٢٢.

٩٠١- هكذا في النسخ وفي تاريخ الطبري. وفي المصدر: خمسة نفر، وزاد «حفظ».

٩٠٢- في المصدر: وحفظ وخطط. وفي نسخة من العرائس: «غادر» بدل «عادور».

٩٠٣- طه: ٧١.

فقالوا: «كُنْ تُؤْتِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ وَالْيَدِي فَظَنَرْنَا فَأَقْبَضِ مَا أَنْتَ قَائِضٌ» ٩٠٤ إلى قوله -تعالى-: «وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» ٩٠٥.

فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف و صلبهم على جذوع النخل، وهو أول من فعل ذلك، فأصبحوا سحرة كفرة و أمسوا شهداء بررة، و رجع فرعون مغلوباً ٩٠٤ معلولاً، ثم أبى إلا إقامة على الكفر و التمادي فيه، فتابع الله -تعالى- عليه بالآيات و أخذه و قومه بالسنين إلى أن أهلكهم. و خرج موسى -عليه السلام- راجعاً إلى قومه والعصا على حالها حية تتبعه و تبصيص حوله و تلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه، و الناس ينظرون إليها ينخزلون و يتضاغظون حتى دخل موسى عسكر بني إسرائيل و أخذ برأسها فإذا هي عصاه كما كانت أول مرة، و شئت الله على فرعون أمره، ولم يجد على موسى سبيلاً، فاعتزل موسى في مدينته و لحق بقومه و عسكروا مجتمعين إلى أن صاروا ظاهرين ظافرين. ٩٠٧

بيان: «المدلمة» المظلمة. و «فحيح الأفعى» صوتها من فيها. و «الكشيش» صوتها من جلدها. و «المنخوب» الجبان الذي لا فؤاد له.

ثم قال الثعلبي: فلما خاف فرعون على قومه أن يؤمنوا بموسى عزم على بناء صرح يقوى به سلطانه، فقال: «بَاهَا قَانُ ابْنِي لِي صَرْحًا -الآية-». ٩٠٨ فجمع العمال والفعلة حتى اجتمع له خمسون ألف بقاء سوى الأتباع والأجراء ممن يطبخ الآجر والحصص و ينجر الخشب والأبواب و يضرب المسامين، فلم يزل يبني ذلك الصرح إلى أن فرغ منه في سبع سنين و ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض، فبعث الله -عز و جل- جبرئيل و ضرب بجناحه الصرح فقطعه ثلاث قطع: وقعت قطعة منها في البحر، و أخرى في الهند، و أخرى في المغرب.

و قال الضحاك: بعث الله وقت الغروب ٩٠٩ فقذف به على عسكر فرعون

٩٠٧- العرائس، ص ١١٦-١١٨ م

٩٠٨- الغافر: ٣٦.

٩٠٩- المصدر خال عن قوله: وقت الغروب. م

٩٠٤- طه: ٧٢.

٩٠٥- طه: ٧٣.

٩٠٦- في المصدر: مغلوباً مهزوماً مكسوراً. م

فقتل منهم ألف ألف رجل^{٩١٠}.

و قالوا: ولم يبق أحد عمل فيه شيئاً إلا أصابه موت أو حريق أو عاهة، ثم إن فرعون بعد ذلك عزم على قتال موسى فأراه الله الآيات^{٩١١}.

فلما لم يؤمن أوحى الله - تعالى - إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أهل أبيات في بيت، ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الأبواب، فإني مرسل على أعدائكم عذاباً وإني سأمر الملائكة^{٩١٢} فلا يدخل بيتاً على بابهم دم، و سأمرها فتقتل أبنكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم ويهلكون هم، ثم اخبزوا خبزاً فطيراً^{٩١٣} فإنه أسرع نكماً، ثم اسر بعبادي حتى تنهي بهم إلى البحر فيأتيك أمري. ففعلت ذلك بنو إسرائيل.

فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تعالجون هذا الدم على أبوابكم؟

فقالوا: إن الله - سبحانه - مرسل عذاباً فنسلم وتهلكون.

فقالت القبط: فما يعرفكم ربكم إلا بهذه العلامات؟

فقالوا: هكذا أمرنا نبيتنا.

فأصبحوا وقد طعن أبنكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة واحدة و كانوا سبعين ألفاً، واشتغلوا بدفنهم و بمانالهم من الحزن على المصيبة.

و سرى موسى بقومه متوجهين إلى البحر وهم ستمائة ألف و عشرون ألفاً لا يعتقد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره، و هم المقاتلة سوى الذرية، و كان موسى - عليه السلام - على الساقة، و هارون على المقدمة.

فلما فرغت القبط من دفن أبنكارهم و بلغهم خروج بني إسرائيل، قال فرعون: هذا عمل موسى قتلوا أبنكارنا من أنفسنا و أموالنا، ثم خرجوا و لم يرضوا أن ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم، فنادى في قومه كما قال الله - سبحانه - : «فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ

٩١٢ - في المصدر: سأمر الملائكة. م

٩١٣ - في المصدر: ثم اخبزوا فطيراً. م

٩١٠ - في المصدر: ألفي ألف رجل. م

٩١١ - العرائس، ص ١١٩. م

« وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ »^{٩١٤}. ثم تبعهم فرعون بجنوده و على مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، كل رجل على حصان و على رأسه بيضة و بيده حربة. و قال ابن جريح: أرسل فرعون في أثر موسى و قومه ألف ألف و خمسمائة ألف ملك مسور^{٩١٥} مع كل ملك ألف، ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم^{٩١٦} و كانوا مائة ألف رجل كل واحد منهم ركباً حصاناً أدهم، فكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم، و ذلك حين طلعت الشمس و أشرقت، كما قال الله - سبحانه - : « فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ »^{٩١٧}.

فلما تراءى الجمعان و رأت بنو إسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا: يا موسى أين ما وعدتنا من النصر و الظفر؟ هذا البحر أمامنا، إن دخلناه غرقنا، و فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا، و لقد أودينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا. فقال موسى: « اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ آصِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »^{٩١٨}. و قال: « عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يُسَخِّرَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ قَتَنَظَّرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (الأعراف: ١٢٩) »^{٩٢٠}. قالوا: فلما انتهى موسى - عليه السلام - إلى البحر هاجت الرياح ترمي بموج كالجبال، فقال له يوشع بن نون: يا مكلّم الله^{٩٢١} أين أمرت و قد غشينا فرعون و البحر أمامنا؟

فقال موسى: ههنا.

فخاض يوشع الماء و جاز البحر ما يوارى حافر دابته الماء.

و قال خرييل^{٩٢٢}: يا مكلّم الله أين أمرت؟

قال: ههنا.

٩١٤ - الشعراء: ٥٣ - ٥٦.

٩١٥ - «ملك مسور» مسود قدير.

٩١٦ - «الدهم» العدد الكثير.

٩١٧ - الشعراء: ٦٠.

٩١٨ - في المصدر: فقال موسى لقومه: يا قوم استعينوا. هـ - م

٩١٩ - الأعراف: ١٢٨.

٩٢٠ - العرائس، ص ١٢٣. م

٩٢١ - في المصدر: يا كلم الله. م

٩٢٢ - في المصدر: «خرييل» في المواضع.

فكبح فرسه بلجامه^{٩٢٣} حتى طار الزبد من شدقيه ثم أقحمه البحر فرسب في الماء و ذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا، فأوحى الله سبحانه إلى موسى: «أَيُّ أَضْرَبٍ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ»^{٩٢٤}، فضرب فلم يقطع فأوحى الله إليه أن كتبه؛ فضرب موسى بعصاه ثانياً وقال: انفلق أبا خالده^{٩٢٥}! «فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْقُلُودِ الْعَظِيمِ»^{٩٢٦}. فإذا خربيل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبدته. و ظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لا ثني عشر سبطاً، لكل سبط طريق، و أرسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يساً.

و عن عبد الله بن سلام أن موسى لما انتهى إلى البحر قال: «يا من كان قبل كل شيء، و المكوّن لكل شيء، و الكائن بعد كل شيء اجعل لنا مخرجاً». و عن عبد الله قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وآله -: إنه قال عند ذلك: «اللهم لك الحمد و إليك المشتكى و أنت المستعان^{٩٢٧} و لا حول و لا قوة إلا بالله العليّ العظيم».

قالوا: فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق و عن جانبيهم الماء كالجبل الضخم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا و قال كل سبط، قد قتل إخواننا. فأوحى الله سبحانه إلى جبال الماء أن تشبكي! فصار الماء شبكات ينظر بعضهم إلى بعض، و يسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين، ولما خرجت ساقه عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون إليه، و أراد موسى أن يعود البحر إلى حاله الأولى فأوحى الله سبحانه - أن: «أَتْرِكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ»^{٩٢٨}.

فلما وصل فرعون قال لقومه: انظروا إلى البحر قد انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائي و عبيدي، ولم تكن في خيل فرعون أنثى فجاء جبرئيل على فرس أنثى و عليه عمامة سوداء و تقدمهم و خاض البحر و ظن أصحاب فرعون أنه منهم، فلما سمعت

٩٢ - «كبح الدابة باللجام» جذبها به لتقف ولا تجرى.

٩٢٦ - الشعراء: ٦٣.

٩٢١ - الشعراء: ٦٣.

٩٢٧ - في المصدر بعد ذلك: و عليك التكاملان. م

٩٢٤ - هذا كنية للبحر.

٩٢٨ - الدخان: ٢٤.

الخيول ربحها اقتحمت البحر في أثرها، و جاء ميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم^{١٢٩} و يقول لهم: الحقوا بأصحابكم. فلما أراد فرعون أن يسلك طريق البحر نهاه وزيره هامان و قال: إني قد أتيت هذا الموضع مراراً و مالي عهد بهذه الطرق، و إني لا آمن أن يكون هذا مكرأ من الرجل يكون فيه هلاكنا و هلاك أصحابنا. فلم يقطع فرعون و ذهب حاملاً^{١٣٠} على حصانه أن يدخل البحر، فامتنع و نفر حتى جاء جبرئيل على رمكة بيضاء فخاض البحر فتبعها حصان فرعون، فلما توافوا في البحر و هم أولهم بالخروج أمر الله البحر فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين بمراى من بني إسرائيل.

قالوا: فلما سمعت بنو إسرائيل صوت النظام البحر قالوا لموسى: ما هذه الوجبة؟^{١٣١} فقال لهم: إن الله سبحانه قد أهلك فرعون و كل من كان معه. فقالوا: إن فرعون لا يموت لأنه خلق خلق من لا يموت، ألم تر أنه كان يلبث كذا و كذا يوماً يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه الإنسان؟ فأمر الله سبحانه البحر فألقاه على نجوة من الأرض و عليه درعه حتى نظر إليه بنو إسرائيل.

و يقال: لولم يخرج الله تعالى بيده لشك فيه بعض الناس، فبعث موسى جندين عظيمين من بني إسرائيل كل جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون، و هي يومئذ خالية من أهلها لم يبق منهم إلا النساء والصبيان والزماني والمرضى والهرمي، و أمر على الجندين يوشع بن نون و كالب بن يوفنا^{١٣٢} فدخلوا بلاد فرعون فغنموا ما كان فيها من أموالهم و كنوزهم، و حملوا من ذلك ما استقلت به الحمولة^{١٣٣} عنها، و ما لم يطبقوا حملها باعوه من قوم آخرين؛ فذلك قوله تعالى: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَ زُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَ نَيْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ»^{١٣٤}. ثم

١٢٩- أي يسوقهم شديداً. وفي المصدر: يستحثهم.

١٣٠- في المصدر: معاجلاً. م

١٣١- «الوجبة» السقطة مع الهدية، أو صوت الساقط. وفي المصدر: هذه الضوضاء.

١٣٢- تقدم الخلاف في ضبطه.

١٣٣- أي ما أطاقت الحمولة.

١٣٤- الدعان: ٢٥-٢٨.

إن يوشع استخلف على قوم فرعون رجلاً منهم و عاد إلى موسى بن معه سالمين غانمين. ١٣٥

تذنيب: قال السيد المرتضى - قدس سره -: فإن قيل: كيف جاز لموسى أن يأمر السحرة بإلقاء الحبال والعصي وذلك كفر وسحر وتلبيس وتمويه، والأمر بمثله لا يحسن؟

قلنا: لا بد من أن يكون في أمره - عليه السلام - بذلك شرط، فكأنه قال: ألقوا ما أنتم ملقون إن كنتم محققين، و كان فيما تفعلونه حجة، و حذف الشرط لدلالة الكلام عليه و اقتضاء الحال له، و يمكن أن يكون على سبيل التحدي بأن يكون دعاهم إلى الإلقاء على وجه يساويه فيه، ولا يختلون فيما ألقوه السعي والتصرف من غير أن يكون له حقيقة لأن ذلك غير مساو لما ظهر على يده من انقلاب الجماد حية على الحقيقة دون التخيل، وإذا كان ذلك ليس في مقدورهم فإنها تحداهم به ليظهر حجته. ١٣٦

أقول: يمكن أن يقال: الأمر بالسحر إذا كان مشتملاً على بيان بطلانه و ظهور المعجزة و عدم مبالاته بما صنعوا مع أن القوم لا ينتهون عنه بعدم أمره بل بنهيه أيضاً ليس بقبيح^{١٣٧}، فيمكن أن يكون مخصصاً لعمومات النهي عن الأمر بالسحر إن كانت ولو كان لمحض دليل العقل، فلا يحكم في خصوص تلك الصورة بشيء من القبح؛ أو يقال: إنه لم يكن المراد به الأمر حقيقة بل كان الغرض عدم خوفه و مبالاته بما سحره به، فيمكن إرجاعه إلى أمر التسوية؛ وقيل: إنه لم يأمر بالسحر بل بالإلقاء وهو أعم منه.

ثم قال السيد: فإن قيل: فن أتى شيء خاف موسى - عليه السلام -؟
أوليس خوفه يقتضي شكه في صحة ما أتى به؟

١٣٥ - العرائس، ص ١٢٣ - ١٢٦؛ وفيه: غانمين شاكرين. م

١٣٦ - تنزيه الأنبياء، ص ٧٠ - ٧١. م

١٣٧ - بل ربما يمكن أن يقال بحسن ذلك، إذ فيه إبطال الباطل وإرشاد الجاهل إلى بطلان عملهم وأن عمله ليس من صنع عملهم وسحرهم، بل هو من عند الله، وعمله من صنع الله.

قلنا: إنما رأى من قوة التلبيس والتخييل ما أشفق عنده من وقوع الشبهة على من لم ينعم النظر^{٩٣٨} فأمنه الله - تعالى - من ذلك، وبيّن له أنّ حجته ستتضح للقوم بقوله - تعالى - : «لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» (طه: ٦٨).^{٩٣٩}

أقول: قد مرّ خبر في علّة ذلك الخوف في إلقاء إبراهيم - عليه السلام - في النار؛^{٩٤٠} وقيل كان لا يليق العصا إلا بوحسي، ولما أبطأ الوحي خاف تفرّق بعض الناس قبل أن يؤمر بالإلقاء؛ وقيل: كان خوفه ابتداءً على مقتضى الجبلة البشرية.

ثم قال السيد - رحمه الله -^{٩٤١}: فإن قيل: فما معنى قوله: «رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ الْآيَةَ»^{٩٤٢}؟

قلنا: أمّا قوله: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ»^{٩٤٣} ففيه وجوه:
أولها: أنّه أراد: لئلا يضلّوا، فحذف. وهذا له نظائر كثيرة في القرآن و
كلام العرب فن ذلك قوله: «أَنْ تُضِلَّ إِحْدَيْهِمَا»^{٩٤٤} وإنا أراد: لئلا تضلّ. وقوله:
«أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{٩٤٥} وقوله: «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»^{٩٤٦} وقال الشاعر:
نزلتم منزل الأضياف متا • فعبّجنا القرى أن تشتمونا

٩٣٨- أي لم يحقق النظر فيما صنعوا.

٩٣٩- تنزيه الأنبياء، ص ٧١. م

٩٤٠- وهو خبر اسماعيل بن الفضل الهاشمي، سأل عن أبي عبد الله - عليه السلام - عن موسى بن عمران لما رأى جباهم وعصيتهم كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها إبراهيم؟

قال: إنّ إبراهيم - عليه السلام - حين وضع في المنجنيق كان مستنداً إلى مافي صلبه من أنوار حجج الله عز وجل ولم يكن موسى - عليه السلام - كذلك.

٩٤١- تنزيه الأنبياء، ص ٧٣-٧٥. وقد لخصه المصنف. م

٩٤٢ و ٩٤٣- يونس: ٨٨.

٩٤٤- البقرة: ٢٨٢. والظاهر أنّ الآية لا تحتاج إلى تقدير والمعنى هو أن تنسى إحدى المرأتين فتذكرها الأخرى.

٩٤٥- الأعراف: ١٧٢.

٩٤٦- النحل: ١٥ ولقمان: ١٠.

و ثانيها: أن اللام ههنا هي لام العاقبة وليست بلام الغرض كقوله:
«لِيَكُونَ لَهُمْ عُدُوًّا وَحُرْمًا» ١٤٧.

و ثالثها: أن يكون مخرج الكلام مخرج النفي و الإنكار على من زعم
أن الله - تعالى - فعل ذلك ليضلهم.

ورابعها: أن يكون أراد الاستفهام فحذف حرفه المختص به. ١٤٨.

وَآخَذُوا مَا نَزَلَ بِالْأَمْرِ قَبْلَكُمْ مِنْ
الْمَثَلَاتِ ^(٢٦٢٩) بِسُوءِ الْأَفْعَالِ ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ . فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
أَحْوَالَهُمْ ، وَآخَذُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ .

مرکز تحقیق کتب و تاریخ علوم اسلامی

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ ^(٢٦٣٠) حَالِيهِمْ ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتْ الْعِزَّةُ
بِهِ شَأْنَهُمْ ، وَزَاخَتْ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ، وَوَدَّتِ ^(٢٦٣١) الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ ،
وَأَنْقَادَتِ النُّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتِ الْكِرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ الْاجْتِنَابِ
لِلْفُرْقَةِ ، وَاللُّزُومِ لِلْأَلْفَةِ ، وَالتَّحَاضُّ عَلَيْهِمَا ، وَالتَّوَاصِي بِهَا ، وَاجْتِنِبُوا
كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ^(٢٦٣٢) ، وَأَوْهَنَ ^(٢٦٣٣) مَنْتَهُمْ ^(٢٦٣٤) ؛ مِنْ تَضَاغُنِ
الْقُلُوبِ ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ
 التَّمَحِيصِ ^(٢٦٣٥) وَالْبَلَاءِ . أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ
 الْعِبَادِ بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا . اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِينَةُ عَيْدًا
 فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ ^(٢٦٣٦) ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ
 بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلْبَةِ ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ ، وَلَا
 سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ . حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى
 الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ ، وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ
 مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا ، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ ،
 فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا ، وَأُئِمَّةً أَعْلَامًا ، وَقَدْ بَلَغَتْ الْكِرَامَةُ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ
 مَا لَمْ تَذْهَبِ الْأَمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتْ الْأَمَلَاءُ ^(٢٦٣٧) مُجْتَمِعَةً ، وَالْأَهْوَاءُ
 مُؤْتَلِفَةً ، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَالْأَيْدِي مُتْرَادِفَةً ، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ،
 وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا ^(٢٦٣٨) فِي أَقْطَارِ
 الْأَرْضِينَ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ! فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي
 آخِرِ أُمُورِهِمْ ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتِ الْأَلْفَةُ ، وَأَخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ
 وَالْأَفِيدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ لِبَاسَ كِرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ ^(٢٦٣٩) ، وَبَقِيَ قِصَصُ

أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ .

الاعتبار بالأمم

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ . فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ^(٢٦١٠) الْأَحْوَالِ ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ^(٢٦١١) الْأَمْثَالِ !

تأملوا أمرهم في حال نشأتهم وتفرقهم ، ليالي كانت الأكاميرة
والقياصرة أرباباً لهم ، يختازونهم^(٢٦١٢) عن ريف الآفاق ، وبخبر
العراق ، وخضرة الدنيا ، إلى منابت الشبح ، ومهافي^(٢٦١٣) الريح ،
ونكد^(٢٦١٤) المعاش ، فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر^(٢٦١٥) ووبر^(٢٦١٦) ،
أذل الأمم داراً ، وأجذبهم قراراً ، لا يآوون^(٢٦١٧) إلى جناح دعوة
يعتصمون بها ، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها . فالأحوال
مضطربة ، والأيدي مختلفة ، والكثرة متفرقة ، في بلاء أزل^(٢٦١٨) ،
وأطباق جهل ! من بنات مؤودة^(٢٦١٩) ، وأصنام معبودة ، وأرحام
مقطوعة ، وغارات مشنونة^(٢٦٢٠) .

النعمة برسول الله

فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا ،
فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أَلْفَتَهُمْ : كَيْفَ نَشَرَتِ النُّعْمَةُ

عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَالتَّفَتِ
 أَمِلَةٌ بِهِمْ^(٢٦٥١) فِي عَوَائِدِ^(٢٦٥٢) بَرَكَتِهَا ، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا
 غَرِيقِينَ ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ^(٢٦٥٣) . قَدْ تَرَبَّعَتْ^(٢٦٥٤) الْأُمُورُ
 بِهِمْ ، فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ ، وَأَوْتَهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزِّ غَالِبٍ ،
 وَتَعَطَّفَتْ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ . فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ،
 وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ . يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا
 عَلَيْهِمْ ، وَيُمْتَضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْتَضِيهَا فِيهِمْ ! لَا تُغْمِزُ
 لَهُمْ قَنَاءَ^(٢٦٥٥) ، وَلَا تُفْرَعُ لَهُمْ صَفَاءَ^(٢٦٥٦) !

أومر المصلاة

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ ، وَتَلَمَّتُمْ^(٢٦٥٧) حِصْنَ
 اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ آمَنَ
 عَلَى جَمَاعَةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي
 يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ
 الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً ، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .
 وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا ، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ^(٢٦٥٨) أَحْزَابًا .
 مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِأَسْمِهِ ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا
 رَسْمَهُ .

تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَا كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَكْفِشُوا الْإِسْلَامَ عَلَيَّ
وَجْهِهِ أَنْتِهَا كَأَحْرَبِيهِ ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي
أَرْضِهِ ، وَأَمْنَا بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَىٰ غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ
الْكُفْرِ ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ
إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسِّيفِ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ .

وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ ، فَلَا
تَسْتَبْطِئُوا وَعَيْدُهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ ، وَتَهَؤُنَا بِبَطْشِهِ ، وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ .
فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمْ
الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ . فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي
وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي !

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ ، وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ ، وَأَمُتُمْ أَحْكَامَهُ .
أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنُّكْثِ ^(٢٦٥٩) وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ،
فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ ^(٢٦٦٠) فَقَدْ جَاهَدْتُ ، وَأَمَّا
الْمَارِقَةُ ^(٢٦٦١) فَقَدْ دَوَّخْتُ ^(٢٦٦٢) ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّذَّةِ ^(٢٦٦٣) فَقَدْ كُفَيْتُهُ
بِصَعْقَةٍ ^(٢٦٦٤) سَمِعَتْ لَهَا وَجِبَةٌ ^(٢٦٦٥) قَلْبِهِ وَرَجَّةٌ صَدْرِهِ ^(٢٦٦٦) ، وَبَقِيَّتُ
بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ . وَلَيْسَ أذنَ اللَّهِ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلِنَ
مِنْهُمْ ^(٢٦٦٧) إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ ^(٢٦٦٨) فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا !

فضل الوحي

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصَّغَرِ بِكَلَّا كَلٍ^(٢٦٦٩) الْعَرَبِ ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ^(٢٦٧٠)
 قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ
 وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ ، وَيُمْسِنِي جَسَدَهُ ،
 وَيُسَمِّنِي عَرْفَهُ^(٢٦٧١) . وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُدْقِمُنِيهِ ، وَمَا وَجَدَ لِي
 كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً^(٢٦٧٢) فِي فِعْلٍ . وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ
 يَسْأَلُكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ . وَلَقَدْ
 كُنْتُ أَتْبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ^(٢٦٧٣) أَثَرُ أُمَّهِ ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ
 أَخْلَاقِهِ عِلْمًا^(٢٦٧٤) ، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ بِحِرَاءِ^(٢٦٧٥) فَأَرَاهُ ، وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمئِذٍ
 فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَخَدِيجَةَ وَأَنَا
 ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ - فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ : « هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ
 آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ ، وَتَرَى مَا أَرَى ، إِلَّا أَنَّكَ

لَسْتَ بِنَبِيِّ ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ قَدْ أَدْعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدْعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «وَمَا تَسْأَلُونَ؟» قَالُوا : تَدْعُونَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِبَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟» قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : «فَإِنِّي سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيثُونَ» (٢٦٧٦) إِلَى خَيْرٍ ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ (٢٦٧٧) ، وَمَنْ يُحَزَّبُ الْأَحْزَابَ» . ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَانْقَلِبِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ» . فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا ، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ ، وَقَصَفَ (٢٦٧٨) كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ ؛ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفَرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُضُنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَمَّا

نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا - عَلُوا وَأَسْتَكْبَارًا - : فَمَرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا
وَيَبْقَى نِصْفُهَا ، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ
وَأَشَدِّ دَوِيًّا ، فَكَادَتْ تَلْتَفُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقَالُوا
- كُفْرًا وَعُتُوًّا - : فَمَرَّ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ ،
فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ ، فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ إِنِّي
أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَ بَانَ الشَّجَرَةَ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ
بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا بِنُبُوتِكَ ، وَإِجْلَالًا لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ الْقَوْمُ
كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ
فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا ! (يَعْزُونَنِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ
لَوْمَةٌ لَأَنِّسِمَ ، سِيَمَاهُمْ سِيَمَا الصُّدِّيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ ،
عَمَارٌ^(٢٦٧٩) اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ . مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ ؛ يُخَيُّونَ سُنْنَ
اللَّهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ ؛ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ ، وَلَا يَغْلُونَ^(٢٦٨٠) وَلَا
يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ !

[توضيحات حول المسائل المطروحة في نهاية الخطبة]

١- كيفية ولادة الرسول - صلى الله عليه وآله - ومعيشته و سلوكه و

[آدابه]

أقول: قال عبد الحميد بن أبي الحديد: روي أن بعض أصحاب أبي جعفر

محمد بن علي الباقر - عليهما السلام - سأله عن قول الله - تعالى - : «إِلَّا مَنِ ارْتَضَى

مِنْ رَسُولٍ قَبْلَهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»^{١٤٩} فقال - عليه السلام -:
 يوكل الله - تعالى - بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدون إليهم تبليغهم الرسالة، و
 وكل بمحمد ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق و
 يصدّه عن الشرّ ومساوي الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا
 رسول الله؛ وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض،
 فيتأمل فلا يرى شيئاً.

و روى الطبري في التاريخ عن محمد بن الحنفية، عن أبيه عليّ - عليه
 السلام - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول: ما هممت بشيء
 مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كلّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد
 من ذلك، ثمّ ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته؛ قلت ليلة لغلام من قريش
 كان يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر^{١٥٠} بها كما
 يسمر الشباب، فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت
 عزفاً^{١٥١} بالدف والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوج ابنة فلان. فجلست
 أنظر إليهم، فضرب الله على أذني، فكنت^{١٥٢} فما أيقظني إلا مسّ الشمس، فجئت^{١٥٣}
 إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً ثمّ أخبرته الخبر، ثمّ قلت له
 ليلة أخرى مثل ذلك، فقال: افعل. فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما
 سمعت حين دخلتها تلك الليلة، فجلست أنظر فضرب الله على أذني، فما أيقظني
 إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر، ثمّ ما هممت بعدها بسوء حتى
 أكرمني الله برسالته.

و روى محمد بن حبيب في أماليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أذكر
 وأنا غلام ابن سبع سنين، وقد بنى ابن جدعان داراً له بمكة، فجئت مع الغلمان

١٤٩- الج: ٢٧.

١٥٠- «سمر» لم يتم وتحدث ليلاً.

١٥١- «العزف» صوت الدف والطبور والعود وغيرها من آلات الطرب.

١٥٢- في المصدر: فتمت. وهو الموجود في تاريخ الطبري أيضاً.

١٥٣- في المصدر: فرجعت؛ وفي الطبري: فجئت. راجع تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٤.

تأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله فلأت حجري تراباً، فانكشفت عورتى، فسمعت نداءً من فوق رأسى: يا محمد أرخ إزارك! فجعلت أرفع رأسى فلا أرى شيئاً إلا أتى أسمع الصوت، فتماسكت لم أرخه، فكان إنساناً ضربني على ظهري فخررت لوجهي، وانحل إزاري وسقط^{٩٥٤} التراب إلى الأرض، فقامت إلى دار أبي طالب عتي ولم أعد.

فأما حديث مجاورته— صلى الله عليه وآله— بحراء فمشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح أنه كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعمائة أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته حتى جاءت السنة التي أكرمه الله— تعالى— فيها بالرسالة فجاور في حراء في شهر رمضان ومعه أهله خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبرئيل بالرسالة، قال— صلى الله عليه وآله—: جاءني وأنا نائم بنمط^{٩٥٥} فيه كتاب فقال: اقرأ! قلت: ما أقرأ؟ ففتني^{٩٥٦} حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق...» إلى قوله: «علّم الإنسان ما لم يعلم»^{٩٥٧}. فقرأته ثم انصرف عتي، فهبت^{٩٥٨} من نومي، وكأنا كتب في قلبي كتاب. وذكر تمام الحديث.

وأما حديث «أن الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذ إلا النبي و هو^{٩٥٩}— عليها السلام— وخديجة» فخير عفيف الكندي مشهور^{٩٦٠}، وقد ذكرناه من

٩٥٤- في المصدر: وانحل إزاري فسترني وسقط.

٩٥٥- «المنط» ضرب من البسط؛ وعاء كالسقط. والظاهر أن المراد هنا الثاني.

٩٥٦- في المصدر: «فتني» بالغين، أي خنتني.

٩٥٧- العلق: ١-٥.

٩٥٨- أي فاستيقظت. وفي المصدر: فانتبهت.

٩٥٩- أي علي— عليه السلام—.

٩٦٠- هذا الحديث مشهور بين العامة والخاصة، بل متواتر وعليه أصحابنا الإمامية من سالف الزمان إلى الآن. وتقدم ذلك ويأتي في أحاديث كثيرة في محله.

قبل، و أن أباطالب قال له: أتدري من هذا؟ قال: لا. قال: هذا محمد^{١٦١} بن عبد الله بن عبد المطلب، وهذا ابني علي بن أبي طالب، وهذه المرأة خلفها خديجة بنت خويلد زوجة محمد بن أخي؛ وأيم الله ما أعلم على الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. ^{١٦٢}

و قال أيضاً: روى محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة النبوية، و رواه أيضاً محمد بن جرير الطبري في تاريخه قال: كانت حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله - صلى الله عليه وآله - التي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدّها و معها زوجها و ابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر يلتبس الرضعا بمكة في سنة شهباء لم تبق شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لنا قرآء عجفاء، و معنا شارف لنا ما تبض^{١٦٣} بقطرة، ولا ننام ليلنا أجمع من بكاء صبيتنا الذي معنا من الجوع؛ ما في ثديي ما يغنيه، ولا في شاربنا^{١٦٤} ما يغذيه، و لكننا نرجو الغيث والفرج. فخرجت على أتان تلك ولقد رثت بالركب ضعفاً و عجفاً حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعا^{١٦٥}، فما متا امرأة إلا و قد عرض عليها محمد فتأباه إذا قيل لها: إنه يتيم، و ذلك آنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم، ما عسى أن تصنع أمه و جدّه، فكنا نكرهه لذلك؛ فما بقيت امرأة ذهبت معي إلا أخذت رضيعاً غيري. فلما اجتمعنا للانطلاق قلت لصاحبي: والله إنني لأكره أن أرجع من بين صواحي لم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي، و عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فذهبت إليه فأخذته و ما يحملني على أخذه إلا أنني لم أجد غيره.

قالت: فلما أخذته رجعت إلى رحلي فلما وضعت في حجري أقبل عليه ثدياي

١٦١ - في المصدر: هذا ابن أخي محمد.

١٦٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٩٨ - ٢٠٠، ط بيروت.

١٦٣ - قال الجزري: «ما تبض ببلال» أي ما يقطر منها بلبن، يقال: «بض الماء» إذا قطر وسال.

١٦٤ - «الشارف» المستة من النوق.

١٦٥ - في المصدر: الرضاع.

بما شاء من لبن، فوضع حتى روى، وشرب معه أخوه حتى روى، وما كنا ننام قبل ذلك من بكاء صبيتنا جوعاً، فنام وقام زوجي إلى شاربنا تلك فنظر إليها فإذا أنها حافل فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينارياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمين؟! ^{٩٦٦} والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة.

فقلت: والله إنني لأرجو ذلك.

ثم خرجنا وركبت أتاني تلك وحملته معي عليها، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حميرهم حتى أن صواحي ليقلن لي: ويحك يا بنت أبي ذؤيب اربعي ^{٩٦٧} علينا، أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟

فأقول هن: بلى والله إنها هي.

فيقلن: والله إن لها لشأناً.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض العرب أجذب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شباعاً ملاء لبنا ^{٩٦٨}، فكنا نحتلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى أن الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب؛ فيفعلون فيروح أغنامهم جياً ما تبض بقطرة، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير به حتى مضت سنتاه وفصلته ^{٩٦٩}، فكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان حتى كان غلاماً جفراً فقدمنا به على أمه آمنة بنت وهب ونحن أحرص شيء على مكثه فينالنا كنانرى من بركته. فكلّمنا أمه وقلنا لها: لو تركت ^{٩٧٠} عندنا حتى يغلظ فإننا نخشى عليه وباء مكة. فلم نزل بها حتى ردتنا معنا فرجعنا به إلى بلاد

٩٦٦- في المصدر: أتعلمين!؟

٩٦٧- أي أقيمي وانتظري، ويقال: «ربع فلان على فلان» إذا أقام وانتظره.

٩٦٨- في السيرة: شباعاً لبناً. قلت: أي غزيرات اللبن.

٩٦٩- «فصل الصبي عن الرضاع» فطمه.

٩٧٠- في المصدر: لو تركت. وفي السيرة وتاريخ الطبري: لو تركت بني عندي.

بني سعد، فوالله إنه لبعده ما قدمنا بأشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه
يشد^{٩٧١} فقال لي ولأبيه: ها هو ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليها ثياب بيض
فأضجعاه و شقابطنه فهما يسوطانه.

قالت: فخرجت أنا و أبوه نشدت نحوه فوجدناه قائماً منتقماً وجهه، فالتزمته
والتزمه أبوه و قلنا: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليها ثياب بيض فأضجعاني،
ثم شقاً بطني، فالتسا فيه شيئاً لا أدري ما هو.

قالت: فرجعنا به إلى خبائنا، و قال لي أبوه: يا حليلة! لقد نحشيت أن يكون
هذا الغلام قد أصيب^{٩٧٢} فألحقه بأهله^{٩٧٣}.

قالت: فاحتملته حتى قدمت به على أمه، فقالت: ما أقدمك به يا ظئر^{٩٧٤} و
قد كنت حريصة عليه و على مكثه عندك؟
فقلت لها: قد بلغ الله بابني و قضيت الذي علي، و تخوفت عليه الأحداث،
و أديته إليك كما تحبين.

قالت: ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك .

قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها الخبر .

قالت: أفتخوفت عليه الشيطان؟

قلت: نعم .

قالت: كلاً والله ما للشيطان عليه من سبيل و إن لابني لشأناً، أفلا أخبرك

خبره؟

قلت: بلى .

قالت: رأيت^{٩٧٥} حين حملت به أنه خرج مني نور أضاءت له قصور بصرى

٩٧١ - يشد (خ ل). وهو الموجود في السيرة والتاريخ.

٩٧٢ - أي أصابه الجن، أو طرف من الجنون.

٩٧٣ - في السيرة وتاريخ الطبري: فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به.

٩٧٤ - «الظئر» المرأة المرضعة.

٩٧٥ - في المصدر والسيرة والتاريخ: رأيت.

من الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت حملاً قط كان أخف ولا أيسر منه، ثم وقع حين ولدته وإنه واضع يديه بالأرض، ورافع رأسه إلى السماء، دعيه عنك، وانطلق راشدة. ٩٧٤

وروى الطبري في تاريخه عن شذاد بن أوس، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يحدث عن نفسه ويذكر ما جرى له وهو طفل في أرض بني سعد بن بكر، قال: لما ولدت استرضعت في بني سعد، فينا أنا ذات يوم منتبذاً من أهلي في بطن وادمع أتراب^{٩٧٧} لي من الصبيان نتقاذف بالجلّة إذ أتاني رهط ثلاثة، معهم طست من ذهب مملوءة ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هراباً حتى انتهوا إلى شفير^{٩٧٨} الوادي، ثم عادوا إلى الرهط فقالوا: ما رابكم إلى هذا الغلام فإنه ليس متاً، هذا ابن سيد فريش وهو مسترضع فينا غلام يتيم ليس له أب، فإذا يرد عليكم قتله؟ وماذا تصيبون من ذلك؟ ولكن إن كنتم لابد قاتليه فاختروا متاً أينما شئتم فاقتلوه مكانه ودعوا هذا الغلام، فإنه يتيم.

فلما رأى الصبيان أن القوم لا يبحرون لهم جواباً^{٩٧٩} انطلقوا هراباً مسرعين إلى الحي يؤذنونهم ويستصرونهم على القوم، فعمد أحدهم فأضجعي إضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك متاً^{٩٨٠}، ثم أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها^{٩٨١} ثم أعادها مكانها؛ ثم قام الثاني منهم فقال لصاحبه: تنح! فنحاه عني، ثم أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي و أنا أنظر إليه فصدعه، ثم أخرج منه مضغعة سوداء فرماها، ثم قال بيده: ينة منه، و

٩٧٦- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠١-٢٠٤، ط بيروت، والسيرة لابن هشام، ج ١، ص ١٧٣-١٧٧، وتاريخ

الطبري، ج ١، ص ٥٧٣-٥٧٩.

٩٧٧- «أتراب» أصدقاء، أو من ولد معه.

٩٧٨- «شفير الوادي» ناحيته من أعلاه.

٩٧٩- «أحار الجواب» رده.

٩٨٠- في المصدر: ولم أجد لذلك حساً.

٩٨١- أي بالغ في ذلك وأجاد.

كأنه يتناول شيئاً فإذا في يده خاتم من نور تحار أبصار الناظرين دونه، فحتم به قلبي، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرأ؛ ثم قال الثالث لصاحبه: تنخ عنه! فأمرّيدته ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي، فالتأم ذلك الشقّ، ثم أخذ بيدي فأهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً وقال للأول الذي شقّ بطني: زنه بعشرة من أمته. فوزني بهم فرجحتهم. فقال: دعوه فلو وزنتموه بأتمته كلّها لرجحهم. ثم ضمّوني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني، وقالوا: يا حبيب^{٩٨٢}! لا ترع إنك لوتدري ما يراد بك من الخير لقرّرت عينك. فيينا أنا كذلك إذا أنا بالحيّ قد جاؤوا بهذا فيرهم، وإذا أمي وهي ظئري أمام الحيّ تهتف بأعلى صوتها وتقول: يا ضعيفاه! فانكبت عليّ أولئك الرهط فقبلوا رأسي وبين عيني وقالوا: حبّذا أنت من ضعيف. ثم قالت ظئري: يا وحيداه! فانكبتوا عليّ وضمّوني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وبين عيني، ثم قالوا: حبّذا أنت من وحيد، وما أنت بوحيد، إنّ الله وملائكته معك والمؤمنين من أهل الأرض. ثم قالت ظئري: يا يتيماه! استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك. فانكبتوا عليّ وضمّوني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا: حبّذا أنت من يتيم، ما أكرمك على الله، لو تعلم ما يراد بك من الخير.

قال: فوصل الحيّ إلى شفير الوادي فلما بصرت بي أمي وهي ظئري قالت: يا بني لا أراك حياً بعد^{٩٨٣}، فجاءت حتى انكبت عليّ وضمّنتني إلى صدرها؛ فوالذي نفسي بيده إنني لفي حجرها قد ضمّنتني إليها وإنّ يدي لفي يد بعضهم، فجعلت ألتفت إليهم وظننت أنّ القوم يبصرونهم، فإذا هم لا يبصرونهم، فيقول بعض القوم: إنّ هذا الغلام قد أصابه لم أوطائف من الجنّ، فانطلقوا به إلى كاهن بني فلان حتى ينظر إليه ويداويه.

فقلت: ما بي شيء ممّا يذكر، إنّ نفسي سليمة^{٩٨٤} وإنّ فؤادي صحيح

٩٨٢- في المصدر: يا حبيب الله.

٩٨٣- في المصدر وتاريخ الطبريّ: ألا أراك حياً بعد؟

٩٨٤- في تاريخ الطبريّ: إنّ آرائي صحيحة.

ليست بي قلبة.

فقال أبي وهوزوج ظئري: ألا ترون كلامه صحيحاً؟ إنى لأرجو أن لا يكون على ابني بأس.

فاتفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن، فاحتملوني حتى ذهبوا بي إليه فقصوا عليه قصتي، فقال: اسكتوا حتى أسمع من الغلام فهو أعلم بأمره منكم.

فسألني فقصصت عليه أمري وأنا يومئذ ابن خمس سنين؛ فلما سمع قولي وثب وقال: يا للعرب اقتلوا هذا الغلام، فهو واللوات والعزى لئن عاش ليبدلن دينكم، وليخالفن أمركم، وليأتينكم بما لم تسمعوا به قط.

فانترعتني ظئري من حجره وقالت: لو علمت^{٩٨٥} أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به^{٩٨٦} ثم احتملوني. فأصيحت وقد صار في جسدي أثر الشق ما بين صدري إلى منتهى عانتي كأنه الشراك^{٩٨٧}.

بيان: أقول: رواه الكاثير روي في المنتقى بأسانيد^{٩٨٨} ولنشرح بعض ألفاظها: «الرضعاء» جمع «رضيع»، وقال الجزري: في حديث حليلة: «في سنة شهباء» أي ذات قحط وجذب، وقال: «القمرء» الشديدة البياض. قولها «راثت» من «الريث»، بمعنى الإبطاء؛ وفي أكثر رواياتهم: «ولقد أذمت» قال الجزري: ومنه

٩٨٥- في تاريخ الطبري: فانتصصت عليه أمري ما بين أوله وآخره، فلما سمع وثب إلي وضعتني إلى صدره، ثم نادى بأهل صوته: بالنعرب! يا للعرب! اقتلوا هذا الغلام واحملوني معه، فواللات والعزى لئن تركتموه وأدرك، ليبدلن دينكم وليسفرن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط.

فعمدت ظئري فانترعتني من حجره وقالت: لأنت أعتته وأجرن من ابني هذا، فلو علمت.

٩٨٦- في تاريخ الطبري بعد ذلك: فاطلب لنفسك من يقتلك، فأنا غير قاتلي هذا الغلام، ثم احتملوني فأذوني إلى أهل، فأصيحت مفرعاً مما فعل بي وأصيح أثر الشق. ٥١

٩٨٧- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٤-٢٠٧، ط بيروت، وتاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٧٥-٥٧٧.

٩٨٨- المنتقى في مولود المصطفى، الباب الثاني والثالث من القسم الثاني. قلت: ذكرت سابقاً أن حديث شق الصدر مرقاه

حديث حليلة «فلقد أذمت بالركب» أي حبستهم لانقطاع سيرها، كأنها حملت الناس على ذمها. انتهى. و«العجف» الهزال. «حتى انتهينا ريتا» أي بلغنا غاية. «لقطعت بالركب» أي من سرعة سيرها وشدة تقدمها انقطع الركب عنها. و«اربعي» أي ارفقي بنا وانتظري بنا. و«اللين» بمعنى اللبون.

وقال الجزري: في حديث حليلة: «كان يشب في اليوم شباب الصبي في الشهر فبلغ ستاً وهو جفر»، «استجفر الصبي» إذا قوى على الأكل، وأصله في أولاد المعز إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي، قيل له: «جفر» والأثنى «جفرة». انتهى.

و«البهم» جمع «بهمة» وهي أولاد الضأن. و«السوط» خلط الشيء بعضه ببعض، و«المسواط» ما يساط به القدر ليختلط بعضه ببعض. قوله «منتقياً» أي متغيراً. و«الجلّة» بالفتح، البعر. قوله «مارابكم»^{٩٨٩} أي ماشككم، ومعناه هاهنا: ما دعاكم إلى أخذ هذا. قوله «ماذا يرد عليكم» أي ما ينفعكم ذلك. قوله «فأنعم غسلها» أي بالغ فيه. قوله «ثم قال بيده يمينه» أي أشار بيده، أو مدها إلى جانب يمينه. و«القلبة» الداء.^{٩٩٠}

[٢- كيفية عبادة النبي - صلى الله عليه وآله - قبل البعثة]

تذنيب: اعلم أن علماء الخاصة والعامة اختلفوا في أنّ النبي - صلى الله عليه وآله - هل كان قبل بعثته متعبداً بشريعة أم لا؟

العامة، والإمامية لا يقول به، وهذا أيضاً كما ترى من مروياتهم.

٩٨٩- في المصدر وتاريخ الطبري: ما إربكم.

٩٩٠- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ١٥، كتاب تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله، ص ٣٦١-٣٦٩.

قال العلامة - قدس الله روحه - في شرحه على مختصر ابن الحاجب: اختلف الناس في أن النبي - صلى الله عليه وآله - هل كان متعبداً بشرع أحد من الأنبياء قبله قبل النبوة أم لا؟

فذهب جماعة إلى أنه كان متعبداً ونفاه آخرون كأبي الحسين البصري وغيره وتوقف الغزالي والقاضي عبد الجبار؛ والمثبتون اختلفوا فذهب بعضهم إلى أنه كان متعبداً بشرع نوح - عليه السلام - وآخرون قالوا بشرع إبراهيم - عليه السلام - وآخرون بشرع موسى - عليه السلام - وآخرون بشرع عيسى - عليه السلام - وآخرون قالوا: بما ثبت أنه شرع.

واستدل المصنف على أنه كان متعبداً بشرع من قبله بما نقل نقلاً يقارب التواتر أنه كان يصلي ويحج ويعتمر ويطوف بالبيت ويتجنب الميتة ويذكي ويأكل اللحم ويركب الحمار وهذه أمور لا يدركها العقل فلما صير إليها إلا من الشرع؛ واستدل آخرون على هذا المذهب أيضاً بأن عيسى - عليه السلام - كان مبعوثاً إلى جميع المكلفين، والنبي - صلى الله عليه وآله - كان من المكلفين، فيكون عيسى - عليه السلام - مبعوثاً إليه.

والجواب: لانسلم عموم دعوة من تقدمه.

واحتج المخالف بأنه لو كان متعبداً بشرع من قبله لكان مخالطاً لأهل تلك الشريعة قضاء للعادة الجارية بذلك أو لزمته المخالطة لأرباب تلك الشريعة بحيث يستفيد منهم الأحكام، ولما كان التالي باطلاً إجماعاً فكذا المقدم.

والجواب: لانسلم وجوب المخالطة لأن الشرع المنقول إليه عمن تقدمه إن كان متواتراً فلا يحتاج إلى المخالطة والمناظرة، وإن كان آحاداً فهو غير مقبول خصوصاً مع اعتقاده بأن أهل زمانه - صلى الله عليه وآله - كانوا في غاية الإلحاد.

سَلَّمنا أَنه كان يلزم المخالطة، لكنَّ المخالطة قد لا تحصل لموانع تمنع منها، فيحتمل^{٩٩١} ترك المخالطة لمن يقاربه من أرباب الشرائع المتقدمة على تلك الموانع، جمعاً بين الأدلة. انتهى.

وقال المرتضى - رضي الله عنه - في كتاب الذريعة: هل كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - متعبداً بشرائع من تقدمه من الأنبياء - عليهم السلام -؟ في هذا الباب مسألتان: إحداهما قبل النبوة، والأخرى بعدها. وفي المسألة الأولى ثلاثة مذاهب:

أحدها أَنه - صلى الله عليه وآله - ما كان متعبداً قطعاً، والآخر أَنه كان متعبداً قطعاً، والثالث التوقف وهذا هو الصحيح، والذي يدلُّ عليه أَنَّ العبادة بالشرائع تابعة لما يعلمه الله - تعالى - من المصلحة بها في التكليف العقلي، ولا يمنع أن يعلم الله - تعالى - أن لا مصلحة للنبي - صلى الله عليه وآله - قبل نبوته في العبادة بشيء من الشرائع، كما أَنه غير ممنوع أن يعلم أَن له - صلى الله عليه وآله - في ذلك مصلحة. وإذا كان كل واحد من الأمرين جائزاً ولا دلالة توجب القطع على أحدهما، وجب التوقف.

و ليس لمن قطع على أَنه ما كان متعبداً أن يتعلَّق بآته لو كان تعبد^{٩٩٢} - صلى الله عليه وآله - بشيء من الشرائع لكان فيه متبعا لصاحب تلك الشريعة ومقتدياً به، وذلك لا يجوز لأنَّه أفضل الخلق واتباع الأفضل للمفضول قبيح، وذلك أَنه غير ممنوع أن يوجب الله - تعالى - عليه - صلى الله عليه وآله - بعض ما قامت عليه الحجة به من بعض الشرائع المتقدمة لاعلى وجه الاقتداء بغيره فيها ولا الاتباع. وليس لمن قطع على أَنه - صلى الله عليه وآله - كان متعبداً أن يتعلَّق بآته - صلى الله عليه وآله - كان يطوف بالبيت ويحج ويصوم ويؤتي الزكاة ويأكل المذكَّى ويركب البهائم ويحمل عليها، وذلك أَنه لم يشبث عنه - صلى الله عليه وآله - أَنه قبل النبوة حج

٩٩١- فيحمل (خ ل).

٩٩٢- لعل الصحيح: لو كان تعبد.

أو اعتمر، ولو ثبت لقطع به على أنه كان متعبداً، وبالتنظي لا يثبت مثل ذلك؛ ولم يثبت أيضاً أنه -صلى الله عليه وآله- تولى التذكية بيده. وقد قيل أيضاً إنه لو ثبت أنه ذكّى بيده لجاز أن يكون من شرع غيره في ذلك الوقت أن يستعين بغيره في الذكاة، فذكّى على سبيل المعونة لغيره. وأكل لحم المذكّى لاشبهة في أنه غير موقوف على الشرع، لأنه بعد الذكاة قدر صار مثل كلّ مباح من المأكّل وزكوب البهائم والحمل عليها يحسن عقلاً إذا وقع التكفل بما يحتاج إليه من علف وغيره، ولم يثبت أنه -صلى الله عليه وآله- فعل من ذلك ما لا يستباح بالعقل فعله، وليس علمه -صلى الله عليه وآله- بأن غيره نبيّ بالدليل يقتضي كونه متعبداً بشريعته، بل لابتدأ من أمر زائد على هذا العلم.

فأما المسألة الثانية، فالصحيح أنه -صلى الله عليه وآله- ما كان متعبداً بشريعة نبيّ تقدم، و سندا عليه بعون الله، و ذهب كثير من الفقهاء إلى أنه كان متعبداً.

مرآة تحقيق تكوير علوم رسول

و لا بد قبل الكلام في هذه المسألة من بيان جواز أن يتعبّد الله -تعالى- نبيّاً بمثل شريعة النبيّ الأوّل، لأنّ ذلك إذا لم يجز سقط الكلام في هذا الوجه من المسألة. وقد قيل: إن ذلك يجوز على شرطين: إمّا بأن تدرس الأولى فيجدها الثاني، أو بأن يزيد فيها ما لم يكن منها، و ينعون من جواز ذلك على غير أحد هذين الشرطين و يدعون أنّ بعثته على خلاف ما شرطوه تكون عبثاً، ولا يجب النظر في معجزته ولا بد من وجوب النظر في المعجزات.

و ليس الأمر على ما قالوه، لأنّ بعثة النبيّ الثاني لا تكون عبثاً، إذا علم الله -تعالى- أنه يؤمن عندها و ينتفع من لم ينتفع بالأوّل، ولو لم يكن الأمر أيضاً كذلك كانت البعثة الثانية على سبيل ترادف الأدلة الدالة على أمر واحد، ولا يقول أحد: إن نصب الأدلة على هذا الوجه يكون عبثاً.

فأما الوجه الثاني، فإننا لا نسلم لهم أنّ النظر في معجز كلّ نبيّ يعث لا بد من أن يكون واجباً، لأنّ ذلك يختلف؛ فإن خاف المكلف من ضرر إن هو لم ينظر

وجب النظر عليه، وإن لم يخف لم يكن واجباً. وقد استقصينا هذا الكلام وفرغناه في كتاب الذخيرة.

والذي يحقق هذه المسألة أن تعبدته—صلى الله عليه وآله—بشرع من تقدمه لا بد فيه من معرفة أمرين: أحدهما نفس الشرع والآخر كونه متعبداً به؛ وليس يخلو من أن يكون علم—صلى الله عليه وآله—كلا الأمرين بالوحي النازل عليه والكتاب المسلم إليه، أو يكون علم الأمرين من جهة النبي المتقدم، أو يكون علم أحدهما من هذا الوجه والآخر من غير ذلك الوجه.

والوجه الأول يوجب أن لا يكون متعبداً بشرائعهم إذا فرضنا أنه بالوحي إليه علم الشرع والتعبد معاً، وأكثر ما في ذلك أن يكون تعبد بمثل شرائعهم، وإنما يضاف الشرع إلى الرسول إذا حمله ولزمه أدائه، ويقال في غيره: إنه متعبد بشرعه متى دعاه إلى أتباعه وألزمه الانقياد له، فيكون مبعوثاً إليه؛ وإذا فرضنا أن القرآن والوحي وردا ببيان الشرع وإيجاب الاتباع فذلك شرعه—صلى الله عليه وآله—لا يجب إضافته إلى غيره.

وأما الوجه الثاني فهو وإن كان خارجاً من أقوال الفقهاء المخالفين لنا في هذه المسألة فاسد من جهة أن نقل اليهود ومن جرى مجراهم من الأمم الماضية قديين في مواضع أنه ليس بحجة لانقراضهم وعدم العلم باستواء أولهم وآخرهم، وأيضاً فإنه—صلى الله عليه وآله—مع فضله على الخلق لا يجوز أن يكون متبعاً لغيره من الأنبياء المتقدمين—عليهم السلام—؛ ثم هذا القول يقتضي أن لا يكون—صلى الله عليه وآله—بأن يكون من أمة ذلك النبي بأولى متاً، ولا بأن تكون متعبدين بشرعه بأولى من أن يكون متعبداً بشرعنا، لأن حاله كحالنا في أننا من أمة ذلك النبي.

وبهذه الوجوه التي ذكرناها نبطل القسمين الذين فرغناهما، ومما يدل على حجة ما ذكرناه وفساد قول مخالفينا أنه قد ثبت عنه—صلى الله عليه وآله—توقفه في أحكام معلوم أن بيانها في التوراة وانتظاره فيها نزول الوحي، ولو كان متعبداً بشرعية موسى—عليه السلام—لما جرى ذلك؛ وأيضاً فلو كان الأمر على ما قالوه لكان يجب أن

يجعل - صلى الله عليه وآله - كتب من تقدمه في الأحكام بمنزلة الأدلة الشرعية، و
 معلوم خلافه؛ و أيضاً فقد نبه - صلى الله عليه وآله - في خبر معاذ على الأدلة فلم يذكر
 في حملها التوراة والإنجيل؛ و أيضاً فإن كل شريعته مضافة إليه بالإجماع، ولو كان
 متعبداً بشرع غيره لما جاز ذلك؛ و أيضاً فلا خلاف بين الأمة في أنه - صلى الله
 عليه وآله - لم يؤد إلينا من أصول الشرائع إلا ما أوحى إليه و حمله؛ و أيضاً فإنه
 لاخلاف في أن شريعته - صلى الله عليه وآله - ناسخة لكل الشرائع المتقدمة من غير
 استثناء، فلو كان الأمر كما قاله لما صح هذا الإطلاق؛ و أيضاً فإن شرائع من تقدم مختلفة
 متضادة فلا يصح كونه متعبداً بكلها فلا بد من تخصيص و دليل يقتضيه، فإن ادعوا أنه
 متعبد بشريعة عيسى - عليه السلام - بأنها ناسخة لشريعة من تقدم فذلك منهم ينقض
 تعلقهم بتعرفه - صلى الله عليه وآله - من اليهود في التوراة، فأما رجوعه في رجم
 المحسن إليها فلم يكن لأنه كان متعبداً بذلك، لأنه لو كان الرجوع هذه العلة
 لرجع - صلى الله عليه وآله - في غير هذا الحكم إليها، وإنما رجع لأمر آخر؛ و قد قيل:
 إن سبب الرجوع أنه - صلى الله عليه وآله - كان خبيراً بأن حكمه في الرجم يوافق ما
 في التوراة فرجع إليها تصديقاً لخبره و تحقيقاً لقوله - صلى الله عليه وآله - . انتهى .

و قال المحقق أبو القاسم الحلبي - طيب الله رمسه - في أصوله: شريعة من قبلنا

هل هي حجة في شرعنا؟

قال قوم: نعم ما لم يثبت نسخ ذلك الحكم بعينه. و أنكر الباقون ذلك وهو

الحق. لنا وجوه:

الأول: قوله - تعالى -: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» ١٩٣.

الثاني: لو كان متعبداً بشرع غيره لكان ذلك الغير أفضل، لأنه يكون تابعاً

لصاحب ذلك الشرع، و ذلك باطل بالاتفاق.

الثالث: لو كان متعبداً بشرع غيره لوجب عليه البحث عن ذلك الشرع، لكن

ذلك باطل، لأنه لو وجب لفعله، ولو فعله لاشتهر، و لوجب على الصحابة والتابعين

بعده والمسلمين إلى يومنا هذا متابعتة - صلى الله عليه وآله - على الخوض فيه، ونحن نعلم من الدين خلاف ذلك.

الرابع: لو كان متعبداً بشرع من قبله لكان طريقه إلى ذلك إمام الوحي أو النقل، ويلزم من الأول أن يكون شرعاً له لا شرعاً لغيره، ومن الثاني التعويل على نقل اليهود وهو باطل، لأنه ليس بمتواتر لما تطرق إليه من القدر المانع من إفادة اليقين، ونقل الأحاد منهم لا يوجب العمل لعدم الثقة.

و احتج الآخرون بقوله - تعالى -: «فَبِهَدْيِهِمْ آفْتَدِهِ»^{٩٩٤} و بقوله: «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ تَبْعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً»^{٩٩٥} و بقوله: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا»^{٩٩٦} و بقوله: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ»^{٩٩٧} و بقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ»^{٩٩٨} و بأنه - صلى الله عليه وآله - رجع في معرفة الرجم في الزنا إلى التوراة.

أجاب الأولون عن الآية الأولى بأنها تنص من الأمر بالاهتداء بهديهم كلهم، فلا يكون ذلك إشارة إلى شرعهم، لأنه مختلف، فيجب صرفه إلى ما اتفقوا عليه وهو دلائل العقائد العقلية دون الفروع الشرعية.

و عن الثاني بأن ملة إبراهيم - عليه السلام - المراد بها العقليات دون الشرعيات^{٩٩٩} يدل على ذلك قوله [- تعالى -]: «وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِّي مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا قَبْلَ نَفْسِهِ نَفْسَهُ»^{١٠٠٠}، فلو أراد الشرعيات لما جاز نسخ شيء منها، و

٩٩٤ - الأنعام: ٩٠.

٩٩٥ - النحل: ١٢٣.

٩٩٦ - الشورى: ١٣.

٩٩٧ - النساء: ١٦٣.

٩٩٨ - المائدة: ٤٤.

٩٩٩ - وربما يقال: إن هذا التوجيه لا ينطبق على مثل قوله - تعالى -: «وَمَا جَعَلْنَاكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ هُوَسَمَّا كُمُ الْمُسْلِمِينَ» (حج: ٧٨) حيث ظاهره عدم الحرج في الفروع، إلا أن يقال ذلك أيضاً في الحرج الشديد المنتق عقلاً فيكون من العقليات أيضاً.

١٠٠٠ - البقرة: ١٣٠.

قد نسخ كثير من شرعه، فتعين أن المراد منه العقليات.

وعن الآية الثالثة أنه لا يلزم من وصية نوح—عليه السلام—بشرعنا أنه أمره به، بل يحتمل أن يكون وصايته به أمراً منه بقبوله عند أعقابهم إلى زمانه—صلى الله عليه وآله—أو وصى به بمعنى أطلعه عليه وأمره بحفظه، ولو سلمنا أن المراد: شرع لنا ما شرع لنوح—عليه السلام—لاحتمل أن يكون المراد به من الاستدلال بالمعقول على العقائد الدينية، ولو لم يحتمل ذلك لم يبعد أن يتفق الشرعان، ثم لا يكون شرعه حجة علينا من حيث ورد على نبيتنا—صلى الله عليه وآله—بطريق الوحي، فلا تكون شريعته شريعة لنا باعتبار ورودها عنه.

وعن الآية الرابعة أن المساواة في الوحي لا تستلزم المساواة في الشرع.

وعن الآية الخامسة أن ظاهرها يقتضي اشتراك الأنبياء جميعاً في الحكم بها، وذلك غير مراد، لأن إبراهيم ونوحاً وإدريس و آدم—عليهم السلام—لم يحكموا بها لتقدمهم على نزولها، فيكون المراد أن الأنبياء يحكمون بصحة ورودها عن الله وأن فيها نوراً وهدى، ولا يلزم أن يكونوا متعبدين بالعمل بها، كما أن كثيراً من آيات القرآن منسوخة وهي عندنا نور وهدى؛ وأما رجوعه—صلى الله عليه وآله—في تعرف حد الرجم فلانسلم أن مراجعته إلى التورية لتعرفه، بل لم لا يجوز أن يكون ذلك لإقامة الحجة على من أنكر وجوده في التورية. انتهى.

أقول: إنما أوردنا دلائل القول في نفي تعبده—صلى الله عليه وآله—بعد البعثة بشريعة من قبله لاشتراكها مع ما نحن فيه في أكثر الدلائل، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الذي ظهر لي من الأخبار المعتبرة والآثار المستفيضة هو أنه—صلى الله عليه وآله—كان قبل بعثته مذ أكمل الله عقله في بدوسته نبياً مؤيداً بروح القدس، يكلمه الملك، و يسمع الصوت، ويرى في المنام، ثم بعد أربعين سنة صار رسولاً، وكلمه الملك معانية، ونزل عليه القرآن، وأمر بالتبليغ، وكان يعبد الله قبل ذلك بصنوف العبادات إتماً موافقاً لما أمر به الناس بعد التبليغ وهو أظهر^{١٠٠١}، أو على وجه آخر، إتماً

١٠٠١—لأنه لو كان على وجه آخر لكان يتغير بعد ما أمر بتبليغه، ولو كان ذلك لنقل إلينا، وحيث لم ينقل صبح أن نقول: إنه كان موافقاً لما أمر به الناس بعد.

مطابقاً لشريعة إبراهيم - عليه السلام -، أو غيره ممن تقدمه من الأنبياء - عليهم السلام - لأعلى وجه كونه تابعاً لهم وعاملاً بشريعتهم، بل بأن ما أوحى إليه - صلى الله عليه وآله - كان مطابقاً لبعض شرائعهم، أو على وجه آخر نسخ بما نزل عليه بعد الإرسال.

ولا أظن أن يخفى صحّة ما ذكرت على ذي فطرة مستقيمة و فطنة غير سقيمة بعد الإحاطة بما أسلفنا من الأخبار في هذا الباب و أبواب أحوال الأنبياء - عليهم السلام - و ما سنذكره بعد ذلك في كتاب الإمامة. و لنذكر بعض الوجوه لزيادة الاطمئنان على وجه الإجمال:

الأول: أن ما ذكرنا من كلام أمير المؤمنين - عليه السلام - من خطبته القاصمة المشهورة بين العامة والخاصة يدلّ على أنه - صلى الله عليه وآله - من لدن كان فطيماً كان مؤيداً بأعظم ملك يعلمه مكارم الأخلاق و محاسن الآداب، وليس هذا إلا معنى النبوة كما عرفت في الأخبار الواردة في معنى النبوة. وهذا الخبر مؤيد بأخبار كثيرة سبقت في الأبواب السابقة في باب منشاء - صلى الله عليه وآله - و باب تزويج خديجة وغيرها من الأبواب.

الثاني: الأخبار المستفيضة الدالة على أنهم - عليهم السلام - مؤيدون بروح القدس من بدء حالهم بنحو ما مر من التقرير.

الثالث: صحیحة الأحوال وغيرها حيث قال: «نحو ما كان رأى رسول الله - صلى الله عليه وآله - من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة»^{١٠١٢} فدلت على أنه - صلى الله عليه وآله - كان نبياً قبل الرسالة. ويؤيده الخبر المشهور عنه - صلى الله عليه وآله -: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» أو «بين الروح والجسد»؛ ويؤيده أيضاً الأخبار الكثيرة الدالة على أن الله - تعالى - اتخذ إبراهيم - عليه السلام - عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وأن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وأن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وأن الله اتخذ خليلاً قبل أن

يجعله إماماً. ١٠٠٣

الرابع: مارواه الكليني في الصحيح عن يزيد الكناسي، قال: سألت أبا جعفر - عليه السلام - أكان عيسى بن مريم حين تكلم في المهدي حجة لله على أهل زمانه؟

فقال: كان يومئذ نبياً حجة لله غير مرسل؛ أما تسمع لقوله حين قال: «إني عبدُ اللهِ آتاني الكتابَ وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنتُ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دلتُ حياً»! ١٠٠٤

قلت: فكان يومئذ حجة لله على زكريا في تلك الحال وهو في المهدي؟

فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس ورحمة من الله لمريم حين تكلم فعبّر عنها ١٠٠٥ وكان نبياً حجة على من سمع كلامه في تلك الحال ثم صمت فلم يتكلم حتى مضت له سنتان، وكان زكريا الحجة لله على الناس بعد صمت عيسى بستين، ثم مات زكريا فوراً ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير، أما تسمع لقوله - عز وجل -: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً» ١٠٠٦. فلما بلغ عيسى - عليه السلام - سبع سنين تكلم بالنبوة والرسالة حين أوحى الله - تعالى - إليه، فكان عيسى الحجة على يحيى وعلى الناس أجمعين...

إلى آخر الخبر. ١٠٠٧

وقد ورد في أخبار كثيرة أن الله لم يعط نبياً فضيلة ولا كرامة ولا معجزة إلا وقد أعطاه نبينا - صلى الله عليه وآله - فكيف جاز أن يكون عيسى - عليه السلام - في المهدي نبياً ولم يكن نبينا - صلى الله عليه وآله - إلى أربعين سنة نبياً؟ ويؤيده ما مر في أخبار ولادته - صلى الله عليه وآله - وما ظهر منه في تلك

١٠٠٣ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٢، كتاب النبوة، ص ١٢.

١٠٠٤ - مريم: ٣١.

١٠٠٥ - أي تكلم عن مريم حين سكنت وأشارت إلى ابنها.

١٠٠٦ - مريم: ١٢.

١٠٠٧ - أصول الكافي، ج ١، ص ٣٨٢.

الحال من إظهار النبوة، ومامرّ وسيأتي من أحوالهم وكمالهم في عالم الأظلة وعند الميثاق، وأنهم كانوا يعبدون الله - تعالى - ويستحونه في حجب النور قبل خلق آدم - عليه السلام - وأن الملائكة منهم تعلموا التسبيح والتهليل والتقديس إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في بدء أنوارهم. ويؤتده ماورد في أخبار ولادة أمير المؤمنين - عليه السلام - أنه - عليه السلام - قرأ الكتب السماوية على النبي - صلى الله عليه وآله - بعد ولادته، وما سيأتي من أن القائم - عليه السلام - في حجر أبيه - عليه السلام - أجاب عن المسائل الغامضة وأخبر عن الأمور الغائبة، وكذا سائر الأئمة - عليهم السلام - كما سيأتي في أخبار ولادتهم - عليهم السلام - ومعجزاتهم؛ فكيف يجوز عاقل أن يكون النبي - صلى الله عليه وآله - في ذلك أدون منهم جميعاً؟

الخامس: أنه - صلى الله عليه وآله - بعد ما بلغ حدّ التكليف لا بد من أن يكون إقناً نبيّاً عاملاً بشريعته أو تابعاً لغيره، لما سيأتي من الأخبار المتواترة أن الله لا يخلي الزمان من حجة ولا يرفع التكليف عن أحد، وقد كان في زمانه أوصياء عيسى - عليه السلام - وأوصياء إبراهيم - عليه السلام - فلو لم يكن أوحى إليه بشريعة ولم يعلم أنه نبيّ كيف جازله أن لا يتابع أوصياء عيسى - عليه السلام - ولا يعمل بشريعتهم إن كان عيسى - عليه السلام - مبعوثاً إلى الكافة، وإن لم يكن مبعوثاً إلى الكافة وكان شريعة إبراهيم - عليه السلام - باقياً في بني إسماعيل كما هو الظاهر، فكان عليه أن يتبع أوصياء إبراهيم - عليه السلام - ويكونوا حجة عليه - صلى الله عليه وآله - وهو باطل بوجهين:

أحدهما أنه يلزم أن يكونوا أفضل منه كما مرّ تقريره.
وثانيها مامرّ من نفي كونه محجوجاً بأبي طالب وبأبيه^{١٠٠٨} بل كانا مستودعين للوصايا.

السادس: أنه لا شك في أنه - صلى الله عليه وآله - كان يعبد الله قبل بعثته بما لا يعلم إلا بالشرع كالطواف والحج وغيرهما كما سيأتي أنه - صلى الله عليه وآله -

حج عشرين حجة مستسراً^{١٠٠٩} و قدورد في أخبار كثيرة أنه - صلى الله عليه وآله - كان يطوف و أنه كان يعبد الله في حراء، و أنه كان يراعي الآداب المنقولة من التسمية والتحميد عند الأكل و غيره.^{١٠١٠}

و كيف يجوز ذومسكة من العقل على الله - تعالى - أن يهمل أفضل أنبيائه أربعين سنة بغير عبادة؟ والمكابرة في ذلك سفسطة، فلا يخلو إما أن يكون عاملاً بشريعة مختصه به أوحى الله إليه، و هو المطلوب، أو عاملاً بشريعة غيره و هو لا يخلو من وجوه:

الأول: أن يكون علم وجوب عمله بشريعة غيره و كيفية الشريعة من الوحي و هو المطلوب أيضاً، لأنه - صلى الله عليه وآله - حينئذ يكون عاملاً بشريعة نفسه موافقاً لشريعة من تقدمه كما مر تقريره في كلام السيد - رحمه الله -.

الثاني: أن يكون علمها جميعاً من شريعة غيره، و هو باطل كما عرفت بوجهين:

أحدهما أنه يلزم كون من يعمل بشريعته أفضل منه. وثانيها أنه معلوم أنه - صلى الله عليه وآله - لم يراجع في شيء من الأمور إلى غيره ولم يخالط أهل الكتاب؛ و كان هذا من معجزاته - صلى الله عليه وآله - أنه أتى بالقصص مع أنه لم يخالط العلماء ولم يتعلم منهم، كما مر في وجوه إعجاز القرآن، و قد قال - تعالى -: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ»^{١٠١١}، و المكابرة في هذا أيضاً مما لا يأتي به عاقل.

الثالث: أنه - صلى الله عليه وآله - علم وجوب العمل بشريعة من قبله

١٠٠٩ - وفي خبر غياث بن ابراهيم عن الصادق - عليه السلام -: لم يحج النبي بعد قدوم المدينة إلا واحدة، وقد حج بمكة مع قومه حججات. وفي خبر عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام أنه - صلى الله عليه وآله - حج عشر حججات مستسراً. وفي خبر عمر بن يزيد عنه - عليه السلام -: حج رسول الله صلى الله عليه وآله غير حجة الوداع عشرين حجة. وغير ذلك مما أوردها الشيخ الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعة، باب استحباب تكرار الحج والعمرة، فراجع.

١٠١٠ - راجع البحار، الطبعة الجديدة، ج ١٦.

١٠١١ - الجمعة: ٢.

بالوحي وأخذ الشريعة من أربابها، وهذا مع تضمنه للمطلوب كما عرفت— إذ لا يلزم منه إلا أن يكون نبياً أوحى إليه أن يعمل بشريعة موافقة لشريعة من تقدمه— باطل بما عرفت من العلم بعدم رجوعه— صلى الله عليه وآله— إلى أرباب الشرائع قط في شيء من أموره، وأما عكس ذلك فهو غير متصور إذ لا يجوز عاقل أن يوحى الله إلى عبده بكيفية شريعة لأن يعمل بها ولا يأمره بالعمل بها حتى يلزمه الرجوع في ذلك إلى غيره، مع أنه يلزم أن يكون تابعاً لغيره مفضولاً وقد عرفت بطلانه. ثم إن قول من ذهب إلى أنه— صلى الله عليه وآله— كان عاملاً بالشرائع المنسوخة كشريعة نوح و موسى— عليهما السلام— فهو أشد فساداً، لأنه بعد نسخ شرائعهم كيف جازله— صلى الله عليه وآله— العمل بها إلا بأن يعلم بالوحي أنه يلزمه العمل بها، ومع ذلك لا يكون عاملاً بتلك الشريعة، بل بشريعة نفسه موافقاً لشرائعهم كما عرفت.

و أما استدلالهم بقوله تعالى: «مَا كُنْتُمْ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ»^{١٠١٢}، فلا يدل إلا على أنه— صلى الله عليه وآله— كان في حال لم يكن يعلم القرآن وبعض شرائع الإيمان، ولعل ذلك كان في حال ولادته قبل تأييده بروح القدس، كما دلت عليه رواية أبي حمزة^{١٠١٣} وغيرها؛ وهذا لا ينافي نبوته قبل الرسالة والعمل بشريعة نفسه قبل نزول الكتاب.

وبعد ما قررنا المطلوب في هذا الباب وما ذكرنا من الدلائل لا يخفى عليك ضعف بعض ما نقلنا في ذلك عن بعض الأعاظم ولا نتعرض للقبح فيها بعد وضوح الحق، ولو أردنا الاستقصاء في إيراد الدلائل ودفع الشبهة لطال الكلام، ولخرجنا عن مقصودنا من الكتاب، والله الموفق للصواب.^{١٠١٤}

[هذا بيان في شرح الجزء الأخير من الخطبة]

بيان: «الكلاكل» الصدور، الواحدة «كلكل» والمعنى: أني أذلتهم و

١٠١٢- الشورى: ٥٢.

١٠١٣- راجع البحار الطبعة الجديدة، ج ١٨، ص ٢٦٥ و ٢٦٦، الحديث نمت رقم ٢٢ و ٢٦.

١٠١٤- بحار الأنوار الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا— صلى الله عليه وآله—، ص ٢٧١-٢٨١.

صرعتم إلى الأرض، أو أنختهم للحمل عليهم. و «نجم النبت» أي طلع و ظهر، قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة: فإن قلت: أما قهره لمضر فعلم فإ حال ربيعة ولم يعرف^{١٠١٥} أنه قتل منهم أحداً؟ قلت: بلى قد قتل بيده و بجيشه كثيراً من رؤسائهم في صفين والجمل و قد تقدم ذكر أسمائهم من قبل، و هذه الخطبة خطب بها بعد انقضاء أمر النهروان. و «العرف» بالفتح، الريح الطيبة. و «مضغ الشيء مضغه» بفتح الضاد. و «الخطلة في الفعل» الخطاء فيه و إيقاعه على غير وجهه. و «حراء» [بالمذ والتخفيف] جبل بمكة معروف. و «الرتة» الصوت. و «القراية القريبة» بينه و بين رسول الله -صلى الله عليه وآله-، و «المنزلة الخصيصة» أنه ابن عمه دنيا^{١٠١٦} و أن أبوهما أخوان لأب و أم دون غيرهما من بني عبد المطلب إلا الزبير ثم إن أباه كفل رسول الله -صلى الله عليه وآله- دون غيره من الأعمام و رباه من بني هاشم، ثم ما كان بينها من المصاهرة التي أفضت إلى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار. و نحن نذكر ما ذكره أبو باب السيرة من معاني هذا الفصل.

روى الطبري في تاريخه، قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن نجيع، عن مجاهد، قال: كان من نعمة الله -عز و جل- على علي بن أبي طالب -عليه السلام- و ما صنع الله له و أراد به من الخير أن قريشاً أصابهم أزمة شديدة...

و ساق الحديث إلى آخر ما مر برواية الصدوق.

ثم قال الطبري: قال ابن حميد: قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وآله- إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة و خرج معه علي بن أبي طالب -عليه السلام- مستخفياً من عمه أبي طالب و من جميع أعمامه و سائر قومه، فيصليان الصلوات فيها. فإذا أمسيا، رجعا فكثا ما شاء الله أن يكثا. ثم إن أباطالبا عشر عليها يوماً و هما يصليان، فقال لرسول الله -صلى الله

١٠١٥- في المصدر: ولم نعرف.

١٠١٦- أي أنه ابن عمه لحماً لاصق النسب.

عليه وآله—: يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به؟

قال: يا عمّ! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم؛ أو كما قال: بعثني الله به رسولاً إلى العباد وأنت يا عمّ! أحقّ من بذلت له النصيحة و دعوته إلى الهدى وأحقّ من أجابني إليه وأعانني عليه؛ أو كما قال....
فقال أبوطالب: يا ابن أخي! إنني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي و ما كانوا عليه، ولكن لا يخلص إليك شيء تكرهه ما بقيت.

قال الطبري: و قد روى هؤلاء المذكورون أنّ أباطالب قال لعليّ— عليه

السلام—: يا بني! ما هذا الذي أنت عليه؟

فقال: يا أبة! آمنت بالله وبرسوله وصدقت بما جاء به وصليت لله معه.

قال: فزعموا أنه قال له: أما إنّه لا يدعوا إلّا إلى خير فألزمه.

وروى الطبري في تاريخه أيضاً، قال: حدّثنا أحمد بن الحسين الترمذي، قال:

حدّثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا العلاء عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن

عبد الله قال: سمعت عليّاً— عليه السلام— يقول: أنا عبد الله و أخو رسوله و أنا

الصديق الأكبر لا يقو لها بعدي إلّا كاذب مفتى صلّيت قبل الناس سبع سنين.

و في غير رواية الطبري: أنا الصديق الأكبر و أنا الفاروق الأوّل، و أسلمت

قبل إسلام أبي بكر و صلّيت قبل صلّاته سبع سنين، كأنه— عليه السلام— لم يرتض أن

يذكر عمرو ولا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه، و ذلك لأنّ إسلام عمر كان متأخراً.

وروى الفضل بن العباس، قال: سألت أبي عن ولد رسول الله الذكور:

أيتهم كان رسول الله— صلّى الله عليه وآله— له أشدّ حبّاً؟

فقال: عليّ بن أبي طالب— عليه السلام—.

فقلت له: سألتك عن بنيه؟

فقال: إنّه كان أحبّ عليه من بنيه جميعاً و أرف، ما رأينا زايه يوماً من

الدهر منذ كان طفلاً إلّا أن يكون في سفر لخديجة، و ما رأينا أباً أبتر بابن منه لعليّ ولا

ابناً أطوع لأب من عليّ له.

وروى الحسين بن زيد بن علي بن الحسين - عليه السلام -، قال: سمعت زيدا أبي يقول: كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - يمسح اللعنة والتمر حتى تلين فيجعلها في فم علي - عليه السلام - وهو صغير في حجره.

وروى جبير بن مطعم، قال: قال أبي لنا ونحن صبيان بمكة: ألا ترون حب هذا الغلام - يعني علياً - لمحمد واتباعه له دون أبيه؟ واللأت والعزى لوددت أنه ابني بفتيان بني نوفل جميعاً. ١١٧

بيان: قال ابن أبي الحديد: وأما رنة الشيطان، فروى أحمد بن حنبل في مسنده عن علي بن أبي طالب - عليه السلام - قال: كنت مع رسول الله صبيحة الليلة التي أسري به فيها وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي سمعت رنة شديدة، فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنة؟

قال: ألا تعلم؟! هذه رنة الشيطان، علم أنه أسري بي الليلة إلى السماء فأيس من أن يعبد في هذه الأرض.

وقد روي عن النبي - صلى الله عليه وآله - ما يشابه هذا لما بايعه الأنصار السبعون ليلة العقبة، سمع من العقبة صوت عال في جوف الليل: يا أهل مكة! هذا مذقم والصبابة معه قد أجمعوا على حربكم.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله - للأنصار: ألا تسمعون ما يقول هذا أرب الكعبة يعني شيطانها - وقد روي أرب العقبة -؟

ثم التفت إليه فقال: أسمع يا عدو الله؟ أما والله لا فرغ لك. ١١٨ انتهى.

أقول: وهاتان الرنتان غير ماورد في الخبر، وهي إحدى الرنتين اللتين مضتا

في الخبرين. ١١٩

١٠١٧ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣٨، كتاب تاريخ أمير المؤمنين - عليه السلام -، ص ٣٢٢. فراجع أيضاً شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٩٨ - ٢٠١، ط بيروت.

١٠١٨ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٠٩، ط بيروت.

١٠١٩ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٨، كتاب تاريخ نبينا - صلى الله عليه وآله -، ص ٢٢٣.

[هذا أيضاً بيان آخر قصير في شرح الجزء الأخير من الخطبة:]

قَب: رسلاً مثله مع اختصار. ١٠٢٠

بيان: «الدوي» صوت ليس بالعالى كصوت النحل ونحوه. و «قصف الرعد و غيره قصيفاً» اشتدّ صوته. و «رُفرف الطائر بجناحيه» إذا بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و «العتوّ» التكبر والتجبر. ١٠٢١

[هذا بيان كامل في شرح تمام الخطبة:]

بيان: «بهره» غلبه. و «الرواء» بضمّ الراء والهمز والمد، المنظر الحسن. و «العرف» بالفتح، الريح الطيبة. قوله - عليه السلام - «لا يدري» أي لا يدريه أكثر الناس.

قوله - عليه السلام - «بأمر» الباء للاستصحاب. قوله - عليه السلام - «ملكاً» أي في الظاهر، لكونه في السماء ومخلوطاً بهم.

و قال الجزري: «الموادة» الرخصة والسكون. و «المحابة» و قال: «هذا شيء حَمِي» أي محظور لا يقرب. و «أعداه الداء» أي أصابه مثل ما بصاحب الداء. و «الاستفزاز» الإزعاج والاستنهاض على خفة وإسراع. و «الرجل» اسم جمع لرجل. قوله - عليه السلام - «لقد فوق» أي وضع فوق سهمه على الوتر. «وأغرق» أي استوفى مدّ القوس وبالغ في نزعها ليكون مرماه أبعد، ووقع سهامه أشد.

قوله «من مكان قريب» لقربه بهم و جريانه منهم مجرى الدم. قوله - عليه السلام - «بظنّ مصيب» في بعض النسخ «غير مصيب» ووجه بوجوه:

الأول: أنه قال ما قال لاعلى وجه العلم، بل على سبيل التوهم، و «المصيب» الحقّ هو العلم دون التوهم أو الظنّ وإن اتفق وقوعهما. الثاني: أنّ قوله: «لأصويبتهم» ١٠٢٢ بمعنى الشرك أو الكفر، والذين

١٠٢٠- ابن شهر آشوب: المناقب.

١٠٢١- بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٧، كتاب تاريخ نبينا - صلى الله عليه وآله -، ص ٣٨٩.

١٠٢٢- الحبر: ٣٩.

استثناهم المعصومون من المعاصي، ولا ريب في كون هذا الظن غير مصيب. ١٠٢٣
 الثالث: أنه - عليه السلام - إنما قال ذلك لأن غوايتهم كان منهم اختباراً،
 وتصديق أبناء الحمية له يعود إلى وقوع الغواية منهم على وفق ظنه، فكان ظنه في
 نسبتها إليه خطأ وبعبارة أخرى لما ظن أنه قادر على إجبارهم على المعاصي وسلب
 اختيارهم حكم - عليه السلام - بخطائه، ولعل هذا أصوب.

قوله - عليه السلام - «الجامحة» أي النفوس الجامحة ١٠٢٤ من «جمع الفرس»
 إذا اعتز راكبه وغلبه. وكل ماطلع وظهر فقد نجم. و«استفحل» أي قوي واشتد.
 و«دلف» أي تقدم. و«قحم في الأمر» رمى بنفسه فيه من غير روية.
 و«الولجة» بالتحريك، موضع أوكهف يستتر فيه المارة من مطر وغيره. و
 «الورطات» المهالك.

قوله - عليه السلام - «إثخان الجراحة» أي جعلكم واطئين لإثخانها وهو
 كثرتها كما قيل فهو مفعول ثان للإبطاء، ويحتمل أن يكون مفعولاً أولاً وهو أظهر.
 و«الحز» القطع. و«الخزائم» جمع «خزامة» وهي حلقة من شعر تجعل في
 وثرة أنف البعير فيشد فيها الزمام. و«ورى الزند» أي خرجت ناره. و«القدح»
 إخراجها من الزند. و«تألبوا» تجتمعوا.

قوله - عليه السلام - «يقتنصونكم» أي يتصيدونكم. و«الحومة» معظم
 الماء والحرب وغيرهما، وموضع الجار والمجرور نصب على الحال، أي يقتنصونكم في
 حومة ذلك. و«الجولة» الموضع الذي تجول فيه. و«النزغ» الإفساد. وفي النهاية:
 «المسلحة» القوم الذين يحفظون الثغر من العدو، لأنهم يكونون ذوي سلاح، أولاً أنهم
 يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة. انتهى.
 وكلمة «ما» في قوله - عليه السلام - «من غير ما فضل» زائدة للتأكيد. و

١٠٢٣ - لأنه لا يظفر بإغواء الجميع بهذا المعنى.

١٠٢٤ - في هامش المطبوع: أي الأنفس الجامعة، أو الأخلاق الجامعة. من شرح نهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١٠، ط بيروت.

«أمن في الطلب» أي جد وأبعد. و«المصارحة» المكاشفة. و«المناسبة» المعادة. و«أعنى» أسرع. و«ليلة ظلماء حندس» أي شديدة الظلمة. و«المهواة» الوهدة يتردى الصيد فيها. و«ذُللاً» بضمّتين، جمع «ذلول» و«سلساً» كذلك جمع «سلس» وهما بمعنى سهل الانقياد.

قوله — عليه السلام — «أمرأ» أي اعتمدوا أمراً. قوله — عليه السلام — «تضايقت الصدور به» كناية عن كثرة. قوله — عليه السلام — «تكبروا عن حسبهم» قيل: أي جهلوا أصلهم أنه الطين المنتن فتكبروا.

قوله — عليه السلام — «وألقوا المهجينة» أي نسبوا ما في الإنسان من القبائح إلى ربهم، أو نسبوا الخطاء إليه — تعالى — فيما اختار لهم من خليفة الحق. ١٠٢٥

قوله — عليه السلام — «مكابرة لقضائه» أي لحكمه عليهم بمتابعة أئمة الحق، أو لما أوجب عليهم من شكر النعمة. و«الآلاء» الأنبياء والأوصياء — عليهم السلام —.

مركز تحقيق وتصوير علوم رسول

و«اعتزاء الجاهلية» نداؤهم: يا لفلان! فيستمون قبيلتهم فيدعونهم إلى المقاتلة وإثارة الفتنة. ١٠٢٦ قوله «لنعمه عليكم أصداداً» لعل المعنى أن تلك الخصال توجب زوال النعم عنكم، فكأنكم أصداد وحساد لنعم الله عليكم.

قوله — عليه السلام — «شربتم بصفوكم» أي شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم، أو متلبسين بصفوكم. و«الأحلاس» جمع «جلس» بالكسر، وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازماً له، فقيل لكل ملازم أمر هو جلس ذلك الأمر؛ ذكره الجزري.

و«النفث» النفخ، استعير هنا لوساوس الشيطان؛ وفي بعض النسخ «نشأ» من «نشأ الحديث» إذا أفساه. و«مصارع جنوبهم» مساقطها. و«لواقح الكبر» ما يوجب حصوله. و«خفض الجناح» كناية عن لين الجانب وحسن الخلق والشفقة. و

١٠٢٥ - وقيل: أي أنهم باحتقار غيرهم من الناس قبحو خلق الله لهم.

١٠٢٦ - وقيل: تفاخرهم بأنسابهم، كل منهم ينتسب إلى أبيه وما فوقه من أجداده؛ وكثيراً ما يميز التفاخر إلى الحرب، وهي إنما تكون بدعوة الرؤساء فهم سيولها.

«المحصنة» الجوع. و «المجهدة» المشقة. و «محصهم» بالمهملتين، أي خلصهم و طهرهم، و بالمعجمتين، أي حركهم و زلزمهم. و «الذهبان» بالضم والكسر، جمع الذهب. و «العقيان» بالكسر، الذهب الخالص. و «البلاء» الامتحان. و «الإنباء» الإخبار بالوعد والوعيد.

قوله - عليه السلام - «ولا لزمتم الأسماء معانيها» أي كانت تنفك الأسماء عن المعاني فتصدق الأسماء بدون معانيها، كالمؤمن والمسلم والزاهد وغيرها. و «الخصاصة» الفقر. و «ضامه حقه» انتقصه. و «الضيم» الظلم.

قوله - عليه السلام - «تمتد نحوه» أي يؤمله المؤمنون ويرجوه الراجون، فإن كل من أمل شيئاً يطمح إليه بصره و يسافر برغبته إليه، فكنتي عن ذلك بمد العنق و شد عقد الرحال.

قوله - عليه السلام - «فكانت النيات مشتركة» أي بين الله و بين ما يأملون من الشهوات، غير خالصة له - تعالى - و حسناتهم مقسمة بينه - تعالى - و بين تلك الشهوات؛ أو المعنى أنهم لو كانوا كذلك لآمن بهم جل الخلق للرجبة والرهبنة، فلم يتميّر المؤمن والمنافق، والمخلص والمرائي. و «جبل وعسر» أي غليظ حزن.

قوله - عليه السلام - «و أقل نتائق الدنيا» قال ابن أبي الحديد: أصل هذه اللفظة من قولهم «امرأة نتاق» أي كثيرة الحبل والولادة، يقال: «ضبيعة منتاق» أي كثيرة الربيع، فجعل - عليه السلام - الضياع ذوات المدر التي يثار للحرث نتاق و قال: إن مكة أقلها صلاحاً للزرع، لأن أرضها حجرية. ١٠٢٧ و «القطر» الجانب.

قوله - عليه السلام - «دمثة» أي سهلة، و كلما كان الرمل أسهل كان أبعد من أن ينبت و من أن يزكوبه الدواب لأنها تتعب في المشي به. قوله «وشلة» أي

١٠٢٧ - قال في النهاية في حديث علي - عليه السلام - «أقل نتائق الدنيا مدرأ»: «النتائق» جمع «نتيقة» فعلية بمعنى مفعولة من «النتق» وهو أن يقلع الشيء فترفعه من مكانه لترمي به؛ هذا هو الأصل، وأراد بها ههنا البلاد لرفع بنائها وشهرتها في موضعها. انتهى. وما ذكرناه في الأصل، ذكر ابن أبي الحديد وعلته أوفق منه رحمه الله. راجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٥٨، ط بيروت.

قليلة الماء. قوله «أعطافهم»، «عطفا الرجل» جانباه، أي [أن] يميلوا جوانبهم معرضين عن كل شيء متوجهين نحوه. و«المثابة» المرجع. و«النجمة» في الأصل، طلب الكلاء، ثم سمي كل من قصد أمراً يروم النفع فيه منتجماً. و«ثمره الفؤاد» هي سويداء القلب. و«السحيق» البعيد. و«الفتح» الطريق بين الجبلين. و«هز المناكب» كناية عن السفر إليه مشتاقين. ١٠٢٨ وقوله «يهللون» أي يرفعون أصواتهم بالتلبية. و«الرمل» سعي فوق المشي. و«السرابيل» جمع «السربال» وهو القميص، أي خلعوا المحيط.

قوله «ملتق البني» أي مشتبك العمارة. ١٠٢٩ و«البرة» الواحدة من البرّ وهو الحنطة. و«الأرياف» جمع «ريف» وهو كل أرض فيها زرع ونخل؛ وقيل: هو ما قارب الماء من الأرض. و«المهدة» المطيفة ١٠٣٠. و«الغدق» الماء الكثير. و«النظارة» الحسن. و«مضارعة الشك» مقاربتة، وفي بعض النسخ بالصاد المهملة ١٠٣١. و«الاعتلاج» الاضطراب.

قوله - عليه السلام - «فتحا» بضمّتين، أي مفتوحة. وقوله «ذلالاً» أي سهلة. و«وخامة العاقبة» رداءها.

قوله - عليه السلام - «فإنها» قيل: الضمير يعود إلى مجموع البني والظلم والكبن وقيل: إلى الأخير باعتبار جعله «مصيدة» وهي بسكون الصاد وفتح الياء، آلة يصطاد بها. و«المساورة» الموائبة. قوله - عليه السلام - «ما تكدي» ١٠٣٢ أي لا ترّد عن تأثيرها. ويقال: «رمي فأشوى» إذا لم يصب المقتل.

قوله - عليه السلام - «ما حرم الله» ما زائدة. قوله - عليه السلام - «عتاق الوجوه» إما من العتق بمعنى الحرّية، أو بمعنى الكرم، و«العتيق» الكريم من كل شيء والخيار من كل شيء. و«النواجم» جمع «ناجمة» وهو ما يطلع ويظهر

١٠٢٨ - وقيل: أي يحرّكوا مناكبهم، أي رؤوس أكتافهم لله، يرفعون أصواتهم بالتلبية وذلك في السعي والطلاوف.

١٠٢٩ - وقيل: أي كثير العمران.

١٠٣٠ - أي المحيطة من كل جهة.

١٠٣١ - وفي المصدر بالسين المهملة.

١٠٣٢ - من «أكدي الرجل» أي لم يظفر بحاجته.

من الكبر. و «القدح» الكف والمنع. ويقال: «لاط حبه بقلبي يلبط» إذا لصق. و «مواقع النعم» الأموال والأولاد، وآثارها هي الترفه والغناء والتلذذ بها، ويحتمل أن يكون الموقع مصدرأ. و «المجداء» جمع «ماجد» و «المجد» الشرف في الآباء، والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكونا في آباءه. و «النجداء» الشجعان، واحدهم «نجيد». و «بيوتات العرب» قبائلها. و «اليعسوب» السيد والرئيس والمقدم. و «الرغبية» المرغوبة. قوله — عليه السلام — «لخلال الحمد» أي الخصال المحمودة.

قوله — عليه السلام — «و مدت العافية» على البناء للمفعول وهو ظاهر، أو على البناء للفاعل من قوهم: «مد الماء» إذا جرى وسال. قوله — عليه السلام — «و وصلت» استعار الوصل لاجتماعهم عن كرامة الله لهم حال كونهم على ذلك الأمر، و رشح بذكر الحبل. و «التحاضن» تفاعل من «الحضن» وهو الحث والتحريض. و «تواصى القوم» أي أوصى بعضهم بعضاً. و «الفقرة» واحدة «فقر» الظهر، و يقال لمن أصابته مصيبة شديدة: قد كسرت فقرته. و «المثة» بالضم، القوة. و «الأعباء» الأثقال.

قوله — عليه السلام — «فساموهم» أي الزموهم. و «المرار» بالضم، شجر مر، واستعير شرب الماء المر لكل من يلقى شدة.

قوله — عليه السلام — «و بلغت الكرامة»، قوله «بهم» متعلق بقوله «بلغت» وقوله «لهم» بالكرامة، وقوله «إليه» [متعلق] بقوله «لم تذهب»^{١٠٣٣}. و «الأملأ» جمع «الملا» أي الجماعات والأشراف. و «الترافد» التعاون.

قوله — عليه السلام — «متحازبين» أي مختلفين أحزاباً. و «غضارة النعمة طيبها ولذتها. قوله — عليه السلام — «فما أشد اعتدال الأحوال» أي ما أشبه الأشياء بعضها ببعض! وإن حالكم لشبيهة بحال أولئك.

قوله — عليه السلام — «يحتازونهم» أي يعدونهم. و «بحر العراق» دجلة والفرات، أما الأكاسرة فطردهم عن بحر العراق، والقياصرة عن الشام وما فيه من

المراعي والمنتجع. و «الشيخ» نبت معروف، و «منابت الشيخ» أرض العرب. و «مهافي الرياح» المواضع التي تهفو فيها الرياح، أي تهب وهي الفيافي والصحاري. و «نكد المعاش» ضيقه وقلته و «العالة» جمع «عائل» و هو الفقير. و «الدبر» بالتحريك، الجرح الذي يكون في ظهر البعير. ١٠٣٤ و «الجدب» قلة الزرع والشجر. و «الأزل» الضيق والشدة.

قوله «وإطباق جهل» بكسر المعزة، أي جهل عام مطبق عليهم، أو بفتحها، أي جهل متراكم بعضه فوق بعض. و «وأد البنات» قتلهن. و «شن الغارة عليهم» تفريقها عليهم من جميع جهاتهم. قوله — عليه السلام — «والتفت الملة» أي كانوا متفرقين، فالتفت ملة محمد صلى الله عليه وآله — بهم فجمعتهم، يقال: «التفت الحبل بالخطب» أي جمعه، و «التفت الخطب بالحبل» أي اجتمع به. وقوله «في عوائد حال» أي جمعهم الملة كائنة في عوائد بركتها.

قوله — عليه السلام — «فكهن» أي أشرين مرحين ١٠٣٥ فكاهة صادرة عن خضرة عيش النعمة. قوله — عليه السلام — «قد تربعت» أي أقامت. و يقال: «تعطف الدهر على فلان» أي أقبل حظه وسعادته بعد أن لم يكن كذلك. و «الذرى» الأعالى.

قوله — عليه السلام — «لا يفمز» يقال: «غمز به بيده» أي نخسه. و «القناة» الريح، و يكتفى عن العزيز الذي لا يضام، فيقال: «لا يفمز له قناة» أي هو صلب، والقناة إذا لم تكن في يد الغامز كانت أبعد عن الحطم والكسر. وقوله «لا تقرع لهم صفاة» مثل يضرب لمن لا يطمع في جانبه لغزته وقوته. و «الصفاة» الصخرة والحجر الأملس.

وقوله «بأحكام» متعلق بثلمتم، وقوله «بنعمة» متعلق بقوله «امتتن». قوله

١٠٣٤ - و «الوبر» شعر الجمال، والمراد أنهم كانوا رعاة ظاعنين من واد إلى آخر، لم تكن لهم بلدة ولا حاضرة يعيشون فيها.
١٠٣٥ - «أشر» بطر، أي أخذته دهشة وحيرة عند هجوم النعمة، أو طغى بالنعمة، أو عندها تصرفها إلى غير وجهها فهو أشر.
و «مرح الرجل» اشتد فرحه ونشاطه حتى جاوز القدر وتبختر واختال، فهو مرح.

«النار ولا العار» أي ادخلوا النار ولا تلتزموا العار. ١٠٣٦

وقال الجوهري: «كفأت الإناء» قلبته، وزعم ابن الأعرابي أن «أكفأته» لغة و «كفأت القوم كفاءة» إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره. قوله «إلى غيره» الضمير عائذ إلى الإسلام أو إلى الله.

قوله «فلا تستبطئوا» أي فلا تستبعدوا. قوله «لترك التناهي» يقال: «تناهوا عن المنكر» أي نهى بعضهم بعضاً. و «دوخه» أي ذلله. و «شيطان الردهة» هو ذو الثدية ١٠٣٧. فقد روي أنه رماه الله يوم النهر بصاعقة. ١٠٣٨ و «الردهة» نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء. وإنما سمي بذلك لأنه وجد بعد موته في حفرة؛ وقيل: هو أحد الأبالسة. و «الوجبة» اضطراب القلب. و «الرجة» الحركة والزلزلة. و «أدلت من فلان» أي قهرته و غلبته. و «التشدر» التبدد والتفرق. و «الكلاكل» الصدور ١٠٣٩، الواحدة «كلكل» أي أنا أذلتهم وصرعتم إلى الأرض. و «النواجم» جمع «ناجمة» وهي ماعلا قدرة وطارصيته. و «الخطل» خفة وسرعة، و يقال للأحق العجل: خطل. قوله «لا تفيثون» أي لا ترجعون.

قوله — عليه السلام — «في القلب» أي قلب بدر ١٠٤٠. و «الدوي» صوت ليس بالعالي. و «قصف الطير» اشتد صوته. و «ررف الطائر بجناحيه» إذا بسطها عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه. و «العتو» التكبر والتجبر. قوله «خفيف فيه» أي سريع. قوله — عليه السلام — «ولا يفلون» كل من خان خفية في شيء فقد غل.

١٠٣٦ — هكذا في النسخ؛ ولعل الأصوب هو أن يقال: أي ندخل النار ولا نلتزم العار.

١٠٣٧ — في هامش المطبوع: «ذو الثدية» لقب رجل اسمه «ثرملة». فن قال في الثدي أنه مذكور يقول: إنما أدخلوا الماء في التصغير لأن معناه اليد وذلك أن يده كانت قصيرة مقدار الثدي، يدل على ذلك أنهم كانوا يقولون فيه ذو اليدية وذو الثدية جميعاً؛ من الصحاح.

١٠٣٨ — في هامش المطبوع: «ذو الثدية» كسمية، لقب حرقوص بن زهير كبير الخوارج، أو هو بالمشاة تحت. منه — طاب ثراه —.

١٠٣٩ — قيل: «القرن» القوة والشدة، و إنما ذكره لتشبههم بالثور، كما ذكر الكلال لتشبههم بالجمل. منه — رحمه الله —.

١٠٤٠ — طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش.

أقول: إنها أوردت هذه الخطبة الشريفة بطولها لاشتمالها على جل قصص الأنبياء - عليهم السلام - وعلل أحوالهم وأطوارهم وبعثهم والتنبيه على فائدة الرجوع إلى قصصهم والنظر في أحوالهم وأحوال أممهم وغير ذلك من الفوائد التي لا تحصى ولا تحفى على من تأمل فيها، صلوات الله على الخطيب بها. ١١٤١

١٩٣ - خطبة أمير المؤمنين عليه السلام

يصف فيها المتقين

روي أن صاحباً لأمر المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلاً عابداً ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، صف لي المتقين حتى كاني أنظر إليهم . فتشاقل عليه السادم عن جوابه ثم قال : يا همام ، اتق الله وأحسن : « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » . فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي - صلى الله عليه وآله - ثم قال عليه السلام :

مرآة تحقيق تكملة شرح الحديث

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنِ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ . فَكَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ : مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ^(٢٦٨١) ، وَمَشِيَّتُهُمُ التَّوَاضُعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ^(٢٦٨٢) عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ^(٢٦٨٣) . وَلَوْلَا

الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرُّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةَ عَيْنٍ ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ،
 فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا ، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ .
 قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيْفَةٌ ، وَحَاجَاتُهُمْ
 خَفِيْفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيْفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيْرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيْلَةٌ .
 تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ ^(٢٦٨١) يَسْرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا ،
 وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . **أَمَّا اللَّيْلُ** فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ ، تَالِيْنَ
 لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يَرْتَلُونَهَا تَرْتِيْلًا ^(٢٦٨٥) يَخْرُجُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَشِيرُونَ ^(٢٦٨٦)
 بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ . فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيْقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا ،
 وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبَ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا
 بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيْفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيْرَ ^(٢٦٨٧)
 جَهَنَّمَ وَشَهِيْقَهَا ^(٢٦٨٨) فِي أَصْوْلِ آذَانِهِمْ ، فَهُمْ حَانُونَ ^(٢٦٨٩) عَلَى
 أَوْسَاطِهِمْ ، مُفْتَبِرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ ^(٢٦٩٠) وَأَكْفَهُمْ وَرُكْبِهِمْ ، وَأَطْرَافِ
 أَقْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ ^(٢٦٩١) . وَأَمَّا
 النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءَ ، أَبْرَارُ أَتْقِيَاءَ . قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ ^(٢٦٩٢)
 يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى ، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضَى ،

وَيَقُولُ : لَقَدْ خُولِطُوا^(٢٦٩٣) !

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ! لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الْقَلِيلَ ، وَلَا
يَسْتَكْبِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَهَمُونَ ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ
مُشْفِقُونَ^(٢٦٩٤) إِذَا زُكِّيَ^(٢٦٩٥) أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ ، فَيَقُولُ :
أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي ! اللَّهُمَّ لَا
تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا
يَعْلَمُونَ



فَمِنْ عِلْمِهِمْ أَحَدِهِمْ أَنْكَ تَبْرَى لَهُ قُوَّةٌ فِي دِينِهِ ، وَحَزْمًا فِي لَيْبِهِ ،
وَإِيمَانًا فِي يَقِينِهِ ، وَحِرْصًا فِي عِلْمِهِ ، وَعِلْمًا فِي حِلْمِهِ ، وَقَصْدًا فِي
غِنَى^(٢٦٩٦) ، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةِ ، وَتَجَمُّلاً^(٢٦٩٧) فِي فَاقَةِ ، وَصَبْرًا فِي
شِدَّةِ ، وَطَلَبًا فِي حَلَالِ ، وَنَشَاطًا فِي هُدًى ، وَتَحَرُّجًا^(٢٦٩٨) عَنْ طَمَعِ .
بِعَمَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ . يُنْسِي وَهَمَّهُ الشُّكْرُ ، وَيُضْبِحُ
رَهْمَهُ الذُّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُضْبِحُ فَرِحًا ، حَذِرًا لَمَّا حُذِرَ مِنْ
الْغَفْلَةِ ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِنْ اسْتَضَعَبَتْ^(٢٦٩٩)
عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا
يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلَ

بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ،
 مَنزُوراً^(٢٧٠٠) أَكَلَهُ ، سَهْلاً أَمْرَهُ ، حَرِيْزاً دِينَهُ^(٢٧٠١) ، مَبْتَةً شَهْوَتَهُ ،
 مَكْظُوماً غَيْظَهُ . الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ . إِنْ كَانَ فِي
 الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ
 الْغَافِلِينَ . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ،
 بَعِيداً فَحْشَهُ^(٢٧٠٢) ، لِيناً قَوْلَهُ ، غَائِباً مُنْكَرَهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفَهُ ،
 مُقْبِلاً خَيْرَهُ ، مُدْبِراً شَرَّهُ . فِي الزَّلَازِلِ^(٢٧٠٣) وَقُورٍ^(٢٧٠٤) ، وَفِي الْمَكَارِهِ
 صَبُورٍ ، وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٍ . لَا يَحْجِيفُ عَلَيَّ مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْتِمُّ
 فِيمَنْ يُحِبُّ . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ ،
 وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ^(٢٧٠٥) ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا
 يَشْتَمُ بِالْمَصَائِبِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ
 صَمَتَ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بَغِيَ عَلَيْهِ
 صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ،
 وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرِيهِ ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ .
 بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ .
 لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظْمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ .
ثُمَّ قَالَ : أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟

فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام : وَنَحَكَ ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ ، وَسَبَبًا
لَا يَتَجَاوَزُهُ . فَمَهْلًا ، لَا تَعُدُّ لِمِثْلِهَا ، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ !

تبيين: قال الكيدري: «الهمام» البعيد الهمة و كان السائل كاسمه.
وقال ابن أبي الحديد: همّام، هو همّام بن شريح بن يزيد بن مرة و كان من
شيعة أمير المؤمنين - عليه السلام - و أوليائه، و كان ناسكا عابداً و ثقافله عن جوابه
لأنه علم أنّ المصلحة في تأخير الجواب، و كأنه حضر المجلس من لا يحب - عليه
السلام - أن يجيب - و هو حاضر. و لعله بثاقفه - عليه السلام - يشتد شوق همّام
إلى سماع الموعدة. و لعله من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة، لا عن وقت
الحاجة. ١٠٤٢

وقال ابن ميثم: ثقافله - عليه السلام - لخوفه على همّام كما يدلّ عليه قوله -
عليه السلام - «أما والله لقد كنت أخافها عليه». ١٠٤٣
وأقول: هذا أظهر.

«أتق الله وأحسن» أي ليس عليك أن تعرف صفات المتقين على التفصيل
ولعل الأصلح لك القناعة بما تعرفه مجملًا من صفاتهم و مراعاة التقوى والاحسان، و
كأنّ المراد بالتقوى الاجتناب عما نهى الله عنه، و بالاحسان فعل ما أمر الله به،
فالكلمة جامعة لصفات المتقين و فضائلهم.

١٠٤٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٣٤، ط بيروت.

١٠٤٣ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٣، ط بيروت.

«حتى عزم عليه»، «عزمت على فلان» أقسمت عليه، و «عزمت على الأمر» أي قطعت عليه وأردت فعله حتماً؛ فالضمير في «عليه» يحتمل عوده إليه - عليه السلام - و إلى ما سأله من الوصف على التفصيل، والأول أظهر، ورواية الصدوق تعينه ١٠٤٤.

والتعرض للغنا والأمن ١٠٤٥ لدفع توهم أن مدح المتقين الترغيب في الطاعة والتخويف من المعصية لانتفاعه - سبحانه - ودفع المضرة عنه، وليس المعنى أن أفعال الله - سبحانه - ليست معللة بالأعراض كما زعمه الحكماء، بل إشارة إلى ما ذكره المتكلمون من أن الغرض لا يعود إليه - سبحانه - بل إلى العباد، لأنه أراد أن يشيهم في الآخرة، والثواب هو النفع المقارن للتعظيم والإجلال، وفعله لمن لا يستحق أصلاً قبيح عقلاً، فلذا كلفهم وبعث إليهم الرسل و وعدهم وأوعدهم و عرضهم للمثوبات الدائمة الجليلة. وتفصيل ذلك في كتب الكلام.

و «المعاش» بالياء، جمع «معيشة» وهي ما يعاش به أو فيه وما يكون به الحياة، قال الله - تعالى -: «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ١٠٤٦. و «مواضع الخلق» مراتبهم، قال الله - تعالى -: «وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ» ١٠٤٧ وهي إشارة إلى الدرجات الدنيوية كالغنا والفقر والصحة والمرض، أو الدينية لاختلاف استعداداتهم وقابلياتهم في العلم والعمل، أو الأعم منها وهو أظهر، والتفريع يؤيد الأخيرين.

«منطقهم الصواب»، «المنطق» النطق أي لا يقولون إلا حقاً و يحترزون عن الكذب والفحش والغيبة وسائر الأقاويل الباطلة، وقيل: أي لا يتكلمون إلا في مقام التكلم كذا لله - تعالى - و إظهار حق و إبطال باطل، و كأن الابتداء بالمنطق لكون النفع والضرر في القول أكثر في الأغلب من أعمال سائر الجوارح.

١٠٤٤ - حيث قال: فقال همام: «يا أمير المؤمنين! أسألك بالذي أكرمك بما خصك...» الخ. والرواية في الأمالي، ص ٣٤٠، مجلس ٨٤.

١٠٤٥ - يعني في قوله - عليه السلام - «خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم...» الخ.

١٠٤٦ و ١٠٤٧ - الزخرف: ٣٢.

و «الملبس» بفتح الباء، ما يلبس. و «الاقتصاد» التوسط بين طرفي الافراط والتفريط، والمعنى أنهم لا يلبسون ما يلحقهم بدرجة المترفين، ولا ما يلحقهم بأهل الخسة والدناءة، أو يصير سبباً لشهرتهم بالزهد كما هو دأب المتصوفين، أو المعنى أن الاقتصاد في الأقوال والأفعال صار شعاراً لهم محيطاً بهم، كاللباس للانسان كما امر.

«ومشيهم التواضع» أي لا يمشون مشى المختالين والمتكبرين، كما قال - عز و جل - : «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا - الآية»^{١٠٤٨}، أو المراد أن سيرتهم وسلوكهم بين الخلق أو في سبيل الله بالتواضع والتذلل. «غضوا أبصارهم»، «غض فلان طرفه» - كمد - أي خفضه، وكذلك غض من صوته، وكل شيء كفضته فقد غضضته.

و «وقفت» - كضربت - أي دمت قائماً، و «وقفته أنا وقفاً» أي فعلت به ما وقف و «وقفت الرجل عن الشيء وقفاً» أي منعته عنه، و «وقفت الدار وقفاً» أي حسبها في سبيل الله. والمراد الاقتصاد على استماع العلم النافع، وفيه إيماء إلى ذم الاصغاء إلى القصص الكاذبة، بل وكثير من الصادقة، كما سيأتي إن شاء الله.

و «الرخاء» بالفتح، سعة العيش، قال القطب الراوندي - رحمه الله - : يعني أن المتقين يتعبون أبدانهم في الطاعات، فيطيبون نفساً بتلك المشقة التي يحتملونها مثل طيب قلب الذي نزلت نفسه في الرخاء. ولا بد من تقدير مضاف لأن تشبيه الجمع بالواحد لا يصح، أي كل واحد منهم إذا نزل في البلاء يكون كالرجل الذي نزلت نفسه في الرخاء، ونحو قوله - تعالى - : «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْهَقُ»^{١٠٤٩}. قال: ويجوز أن يكون «الذي» بمعنى ما المصدرية كقوله - تعالى - : «وَوَحُّشٌ كَالَّذِي نَحَّضُوا»^{١٠٥٠} أي نزوله في البلاء كنزوله في الرخاء.

وقال ابن ميثم: يحتمل أن يكون المراد بالذي، الذين، فحذف النون كما في قوله - تعالى - : «وَوَحُّشٌ كَالَّذِي نَحَّضُوا»^{١٠٥١}.

١٠٤٨ - الإسراء: ٣٧.

١٠٤٩ - البقرة: ١٧١.

١٠٥٠ - التوبة: ٦٩.

١٠٥١ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٥، ط بيروت. والآية، كما سبق، في التوبة: ٦٩.

وقال ابن أبي الحديد: موضع كالأذي نصب لأنه صفة مصدر محذوف والمراد كالنزول الذي، وقد حذف العائد إليه وهو الهاء في «نزلته» كقولك: «ضربت الذي ضربت» أي ضربت الذي ضربته، وتقدير الكلام: نزلت أنفسهم منهم في حال البلاء نزولاً كالنزول الذي نزلته منهم في حال الرخاء. ١٠٥٢

وقال الكيدري - قدس سره -: «نزلت أنفسهم... الخ» لأنهم كسروا سورة الشهوة البهيمية وطيبوا عن أنفسهم نفساً ووقفوا أشباحهم وأرواحهم على مرضاة الله وحبسوها في سبيله، فلا مطمح لهم إلى ما فيه نصيب أنفسهم، بل جلّ عنايتهم مصروفة إلى تحصيل ما خلقوا لأجله من إعداد زاد المعاد، والاقبال بكلّ الوجوه على عبادة ربّ العباد، والتفاتهم إلى الأبدان يكون على طريق الطبع كالتفات سالك البادية للحجّ الحقيقي إلى رعي الجمّل، وعلّموا يقيناً أنّ ما أصابهم من الكد في الطريق وإن كان عظيماً فإنه كالأذي في جنب ما يصلون به إليه من لقاء المحبوب ونيل المطلوب، فالحن عندهم كالمح والبلية كالنعم.

وقوله «كالأذي» نظير قوله - تعالى -: «وَحُضِّنْمُ كَالَّذِي خَاضُوا» ١٠٥٣ وبيت الحماسة: عسى الأيام أن يرجعن يوماً كالأذي كانوا. أي نزلت في البلاء كالنزول الذي نزلت في الرخاء. انتهى.

والمراد بالبلاء المرض والضيق ونحوهما أو الأعم من احتمال المشقة أيضاً وليس مخصوصاً به وطيب قلوبهم للرضا بقضاء الله كما في المجالس ١٠٥٤: «فصغر مادونه في أعينهم» في اختلاف التعبير دلالة على أنّ الخالق تمكّن في قلوبهم بخلاف مادونه فلم يتجاوز أعينهم.

«فهم والجنة» قال الراوندي - رحمه الله -: الواو بمعنى «مع» وقال ابن أبي الحديد بنصب «الجنة» وقد روي بالرفع على أنه معطوف على هم، والأول أحسن. و

١٠٥٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ١٤٢، ط بيروت.

١٠٥٣ - التوبة: ٦٩.

١٠٥٤ - حيث قال: نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالأذي نزلت منهم في الرخاء. رضي منهم عن الله بالقضاء.

قوله «كمن قدرآها» وقوله «فهم فيما منعمون» إتما كلاهما لقوة الايمان واليقين، أو لشدة الخوف والرجاء، أو الرؤية إشارة إلى قوة اليقين؛ و «التنعم والعذاب» أي شدة الرجاء والخوف و هما أيضا من فروع اليقين، واختار الوالد - قدس سره - الأخير، و قال الكيدري: أي حصل لهم من العلوم اليقينية ما يجري مجرى الضرورية كما قال - عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا». و روي «والجنة» بالنصب فيكون الواو بمعنى مع ويكون خبر المبتدأ الكاف في «كمن رآها».

«قلوبهم محزونة» حزن قلوبهم للخوف من العقاب لاحتمال التقصير و عدم شرائط القبول، كما قال - عز وجل - : «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ آلَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ»^{١٠٥٥}. والأمن من ضرورهم لأنهم لا يهتمون بظلم أحد، كما ورد في الخبر: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». و قيل لأن أفعالهم حسنة في الواقع وإن كانت سيئة في الظاهر، وهو بعيد.

«غيفة» أي مهزولة لكثرة الصيام والسهر والرياضات، أو للخوف أو لها و خفة حاجاتهم لقلّة الرغبة في الدنيا و ترك اتباع الهوى و قصر الأمل و قناعتهم بما رزقهم الله.

و «العفة» كفت النفس عن المحرمات، بل عن الشبهات والمكروهات أيضاً. و جملة «أعقبتم» صفة للأيتام. و «تجارة» عطف بيان للراحة، أو بدل منه، أو منصوب على المدح، أو على الحال، أو على تقدير فعل، أي اتجروا تجارة. قال الراوندي - رحمه الله - : نصب المصدر مع حذف فعله كثير في الكلام. و «ربح الرجل في تجارته» - كعلم - ، و يسند إلى التجارة مجازاً، قال - تعالى - : «فَمَا رَبَّيْتُمْ بِتِجَارَتِهِمْ»^{١٠٥٦}.

و قال الأزهري: «ربح الرجل في تجارته» أي صادف سوقاً ذات ربح و «أربحت الرجل إرباحاً» أعطيته ربحاً، فالتجارة المربحة كأنها تعطي ربحاً أو هي الربحية من أفعال بمعنى فعل.

وقال الكيدري: «تجارة» انتصابه على المصدر من معنى الكلام السابق، لأن مضمون قوله «صبروا أيتاماً... الخ» يدل على أنهم أتجروا بذلك أو يكون منصوباً بفعل مضمر يفتره ما بعده، أي يتر لهم ربهم تجارة، أو على المدح أو التخصيص، أي أعني تجارة، أو أخص تجارة؛ وجعلها بدلاً من «راحة» على ما زعم صاحب المناجح ليس بالقوي لأن التجارة المريحة ليست بنفس الراحة، وإنما صبرهم المستعقب لتلك الراحة هي التجارة. انتهى.

«أرادتهم الدنيا» أي أقبلت إليهم من الوجوه المذمومة أو مطلقاً وتمكنوا من تحصيلها بكسب المال والجاه فلم يقبلوها ولم يسعوا في تحصيلها، وقيل: ويحتمل أن يراد أهل الدنيا. و «أسره» - كضربه - أي شده وحبسه. و «الفدية» زخارف الدنيا وملاذها التي سلموها إلى الدنيا بالترك والإعراض عنها.

أقول: ونقل الكيدري - قدس سره - رواية تمثل الدنيا لأمر المؤمنين - عليه السلام - وإعراضه عنها كما استقلها عنه في باب ذم الدنيا، ثم قال: فهذا معنى قوله - عليه السلام - «أرادتهم الدنيا ولم يريدوها». وإذا تدبرت الخلال المذكورة في هذه الخطبة وجدت أمير المؤمنين - عليه السلام - هو الموصوف بها كلها. وقد أوردت هذه الأبيات وأمثالها في «أنوار العقول من أشعار وصي الرسول».

فأما أسرها إياهم، فلأن أرواح الأولياء قدسية ومقامها في العالم الجسد أي على خلاف مقتضى طبيعتها فهي غريبة في هذا العالم وصفوها بالكلية إلى عالمها فهي أسيرة هنا من حيث الغربة وعدم الملاءمة، فدائماً يستعد ويتيتأ للسفر الحقيقي ويزيل المثبطات ويرفعها من البين، وذلك فداءها.

«أما الليل» في بعض النسخ بالنصب على حذف حرف الجر، أي أما حالهم في الليل، فالمقصود تفصيل حالهم في الليل والنهار؛ وفي بعض النسخ بالرفع، فالغرض تفصيل حال ليلهم ونهارهم. و «الصف» ترتيب الجمع على صف، و «صف القدمين» وضعها في الصلاة بحيث يتحاذى الإبهامان ويتساوى البعد بين الصدر والعقب.

و في بعض النسخ: «تالون» مكان «تالين». «يرتلونه» أي القرآن، و روي: «يرتلونها» فالضمير لأجزاء القرآن. «وَرْتَلِي الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً» ١٠٥٧ أي أحسن تأليفه، وعن أمير المؤمنين— عليه السلام— أنه «حفظ الوقوف وأداء الحروف، وهو جامع لما يعتبره القراء».

و «الحزن» الهم و «حزنه الأمر»— كنصر— أي جعله حزناً و «حزن»— كعلم— أي صار حزناً، و «حزنه تحزناً» جعل فيه حزناً؛ و في أكثر النسخ على التفعيل و في بعضها كينصرون. و تحزين النفوس بآيات الوعيد ظاهر، و أما آيات الوعد فللخوف من الحرمان و عدم الاستعداد.

و «ثار الغبار» إذا سطع وهاج، و «ثار القطا» إذا نهضت من موضعها، و «أثار الغبار واستثاره» هيجه. ولعل المراد بالدواء العلم و بالداء الجهل. و استشارة العلم بالتدبر و التذكر، قال في النهاية: في الحديث: «أثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين و الآخرين». و يحتمل أن يراد استشارة العلم الكامنة في النفس على حسب الاستعداد و الكمال بالتدبر و التفكير و التذكر.

و قال الوالد— قدس سره—: المراد أنهم يداوون بآيات الخوف داء الرجاء الغالب الذي كاد أن يبلغ حد الاغترار و الأمن لمكر الله، و بآيات الرجاء داء الخوف إذا قرب من القنوط، و بما يستكمل اليقين داء الشبهة، و بالعبرداء القسوة و بما ينفر عن الدنيا و الميل إليها داء الرغبة فيها و نحو ذلك.

و «ركن إلى الشيء»— كنصر كما في النسخ و كعلم أيضاً— أي مال و سكن. و «التطلع إلى الشيء» الاستشراق له و الانتظار لوروده. و «نصب الشيء» رفعه و أن يستقبل به شيء، و الكلمة منصوبة على الظرفية أي ظنوا أنها فيما نصب بين أيديهم، و في بعض النسخ مرفوعة على أنها خبر أن.

و قال الكيدري: «و تطلعت نفوسهم إليها» أي كادت تطلع شمس نفوسهم من أفق عوالم أبدانهم، فتصعد إلى العالم العلوي شوقاً إلى ما وعدوا به في تلك

الآيات، من أخائر الذخائر وعظام الكرائم. وانتصاب «نصب أعينهم» على الظرف أي في موضع يقابل أعينهم، ويجوز فيه الرفع.

وقال الراوندي - رحمه الله -: الظن هنا بمعنى اليقين، قال - تعالى -: «الآن تظنُّ أولئك أنَّهم مُبْعُوثُونَ»^{١٠٥٨} أي أيقنوا أنَّ الجنة معدة لهم بين أيديهم. وقال ابن أبي الحديد: ويمكن أن يكون على حقيقته.

و «صغي إليه» - كرضي - أي مال، و «أصغى سمعه إليه» أي أماله، و «زفير النار» صوت توقدها، و «الزفير» أيضاً إخراج النفس بعد مده فالمراد زفير أهل جهنم. و «الشهيق» تردد البكاء في الصدر مع سماع الصوت من الحلق، و «شهيق الحمار» صوته. و كونها في أصول الآذان كناية عن تمكثها في الآذان.

«حانون أوساطهم»، «حنى ظهره يحنيه و يحنوه» أي عطفه فأنحنى، و حنوهم على أوساطهم وصف لحال ركوعهم. و «الافتراش» البسط على الأرض، و هو وصف لحال سجودهم.

قال الكيدري: «فهم حانون» أي منعطفون للركوع، و «حنى» قد جاء متعدياً و لازماً و تعديته أكثر، فيكون تقديره «حانون ظهورهم على أوساطهم».

«يطلبون إلى الله» أي يسألونه راغبين و متوجهين إليه. و «فك الرقبة» - كمد - أي أعتقها و «[فك] الأسير» خلصه.

«و أما النهار» بالنصب و الرفع كما تقدم. قال الكيدري: «أما النهار» انتصابه على الظرفية و تعلقه بما بعده من الصفات كحلماء و غيره. و «حلماء» خبر مبتدأ محذوف، أي فهم حلماء في النهار، و يجوز فيه الرفع على تقدير «أما النهار فهم حلماء فيه» فيكون مبتدأ الجملة بعده خبره و فيها ضمير مقدر يعود إليه. و «الحلماء» ذو الأناة أو العقلاء. و «برى السهم يبريه» أي نحته. و «القِداح» جمع «قِدح» بالكسر فيها، و هو السهم قبل أن يراش و ينقل، و هو كناية عن تحافة البدن و ضعف الجسد، أو زوال الآمال و المطالب الدنيوية.

و «خولط فلان في عقله» إذا اختل عقله و صار مجنوناً، و «خالطه» أي مازجه. و قال الراوندي وغيره: المعنى: يظن الناظر بهم الجنون و ما بهم من جنة، بل مازج قلوبهم أمر عظيم و هو الخوف فتولّوها لأجله. و قيل: «و لقد خالطهم» أي صار سبباً لجنونهم الذي يظنه الناظر. «أمر عظيم» هو الخوف.

و قال الكيدري: «قد براهم الخوف» أي أنصاهم و أنحفهم. «خولطوا» أي خالط عقولهم جنون.

و «الاستكثار» عد الشيء كثيراً. و «اتهمت فلاناً» أي ظننت فيه ما نسب إليه و «اتهمته في قوله» أي شككت في صدقه، و الاسم «التهمة» كرتبة، و السكون لغة، و أصل التاء واو. و المراد أنهم يظنون بأنفسهم التقصير أو الميل إلى الدنيا، أو عدم الإخلاص في النية أو الأعم، أو يشكون في شأنها و نياتها و يخافون أن يكون مقصودها في العبادات الرياء و السمعة و أن تجرّها العبادة إلى العجب، فلا يعتمدون عليها.

و «الاشفاق» الخوف، و إشفاقهم من السيئات و إن تابوا منها لاحتمال عدم قبول توبتهم، و من الحسنات لاحتمال عدم القبول لاختلال بعض الشرائط و شوب النية، أو للأعمال السيئة و قد قال الله - عز و جل - : «إِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» ١٠٥٩.

«إذا زكّي أحدهم»، «التزكية» المدح، و خوفهم من الوقوع في العجب و الاتكال على العمل و سؤال عدم المؤاخذة لذلك، و يحتمل أن يكون كناية عن عدم الرضا بما يقولون، و التبري من التزكية و ظن البراءة بالنفس فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

«واجعلني أفضل ممّا يظنون» أي و قني لدرجة فوق ما يظنون بي من حسن العمل و القبول.

و قال ابن أبي الحديد: قد قاله لقوم مرّ عليهم، و هم مختلفون في أمره فمنهم

الحامد له، ومنهم الذام، فقال - عليه السلام - : [اللهم] إن كان ما يقوله الذاقون حقاً فلا تؤاخذني به، وإن كان ما يقوله الحامدون حقاً فاجعلني أفضل مما يظنون. ١٠٦٠

«فإن علامة أحدهم أنك ترى له»، في بعض النسخ: «لهم» فالضمير راجع إلى معنى أحدهم. و «القوة في الدين» أن لا يتطرق إلى الايمان الشك، والشبهات و إلى الأعمال الوسوس والخطرات، أو أن لا يدرك العزم في الأمور الدينية وتى ولافتور للوم وغيره، قال - تعالى - : «بُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لُؤْمَةَ لَائِمٍّ» ١٠٦١ . و «الحزم» بالفتح، ضبط الأمر، والأخذ فيه بالثقة، والحذر من فواته و كأنّ المعنى أنه لا يصير حزمه سبباً لخشونته، بل مع الحزم يداري الخلق ويلاينهم.

و «القصد» التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وترك الإسراف والتقتير، أي يقتصد في حال الغنا، أو في تحصيل الغنا، أو في الانفاق مع غنى النفس. و «التجمل» التزين وتكليف الجميل وإظهاره، و «التجمل في الفاقة» سلوك مسلك الأغنياء والمتجملين في حال الفقر، وذلك بترك الشكوى إلى الخلق والابتهاج بما أعطى الله وإظهار الغنى عن الخلق، أو التجمل والتزين في الفاقة بما أمكن وعدم إظهار الفاقة للناس، إلا ما لا يمكن ستره أو زائداً على ما هو الواقع كالفقراء الطامعين فيما في أيدي الناس.

«والصبر في الشدة» الصبر على شدة الفقر أو العبادة أو المصائب أو الأعم. و «الطلب في الحلال» الكسب من غير الطرق التي نهي عنها. و «النشاط» بالفتح، طيب النفس للعمل وغيره. و «الهدى» الرشاد والدلالة، أي ينشط لهداية الناس، أو لاهتدائه في نفسه. و «التحرج» التأثم، والمعنى جعل الطمع حرجاً وعده إثمًا و عيباً. و قال ابن أبي الحديد: حرف الجرّ في بعض هذه المواضع يتعلّق بالظاهر فيكون موضعه نصباً بالمفعولية، وفي بعضها يتعلّق بمحذوف فيكون موضعه أيضاً نصباً

على الصفة؛ ففي قوله «(في دين)» يتعلّق بالظاهر أي «(قوة)»، يقال: فلان قويّ في كذا و على كذا، و «(في لين)» يتعلّق بمحذوف أي حزماً كائناً في لين، و «(في يقين)» و «(في علم)» يتعلّق بالظاهر، و «(في)» بمعنى «(على)» كقوله - تعالى - : «وَلَا ضَلَبْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ»^{١٠٦٢}. و «(في غنى)» يتعلّق بمحذوف، و «(في عبادة)» يحتمل الأمرين، و «(في فاقة)» بمحذوف، و «(في شدة)» يحتمل الأمرين، و «(في حلال)» يتعلّق بالظاهر و «(في)» بمعنى اللام، و «(في هدى)» يحتملها، و «(عن طمع)» بالظاهر.

و «(الوجل)» الخوف، و خوفهم من التقصير في العمل كمّاً أو كيفاً أو من عذاب الله إشارة إلى قوله - سبحانه - : «يُؤْتُونَ مَا آتَوْا - الآية»^{١٠٦٣}. و «(الهم)» أول العزم، و ما قصده الانسان و أضبره في نفسه، و كأنّ تخصيص الشكر بالمساء لأنّ الرزق و إفاضة النعم والفوز بالمكاسب يكون في اليوم غالباً، و تخصيص الذكر بالصباح لأنّ الشواغل عن الذكر في اليوم أكثر، و كلّ يوم كأنه وقت استيناف العمل.

و «(الحذر)» و «(الفرح)» - ككثف - صفتان من الحذر والفرح، بالتحريك. والمراد بالفضل والرحمة، التوفيق والهداية أو ما يشمل النعم الدنيوية، و هذا الفرح يعود إلى الشكر، و قال بعض الشارحين: ليس المقصود تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح بل كما يقول أحدنا: يمسي و يصبح حذراً فرحاً، و كذلك تخصيص الشكر بالمساء والذكر بالصباح، و يحتمل أن لا يكون مقصوداً.

و «(الصعب)» نقيض الذلول، و «(استصعبت على فلان دابته)» أي صعبت، و «(استصعبت عليه نفسه)» أي لم تطعه في العبادات المكروهة للنفس و ترك المعاصي، لأنّ النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

«و لم يعطها سؤلها فيما تحب» أي لم يطاوع النفس فيما تريده من هذا الأمر الذي استصعبت عليه، أو في غيره من اللذات لتنقاد و تترك الاستصعاب، إذ إطاعة النفس في لذاتها توجب طغيانها وقوتها في الباطل و بعدها عن الله، و لذا ترى القوة على العبادة في المرتاضين و من انحلتهم العبادة أكثر منها في الأقوياء والمترفين بالنعم.

و «قرت عين فلان و أقر الله عينه» — كفر وعرض — أي سر وفرح، ومعناه: أبرد الله دمة عينه لأن دمة الفرح والسرور باردة، ودمة الحزن حارة، وقيل: معنى «أقر الله عينك» بلغك أمنيتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره، وقيل: معناه: أبرد الله عينك بأن ينقطع بكاءها، وقرّة عين كل أحد مأموله و منتهى رضاه.

و «ما لا يزول» ما عند الله والدار الآخرة. و «ما لا يبقى» الدنيا وزخارفها. «يمزج الحلم بالعلم» أي يحلم للعلم بفضله لا لضعف النفس و عدم المبالاة بما قيل له، أو فعل به، أو لا يطيش في المحاورات والمباحثات مع أنه يقول عن علم؛ وقيل: المراد بالحلم العقل، أي يتعلم عن تفكر و تدبر ولا يعتمد على الظنون والآراء الواهية، أو يتفكر فيما علم و يحفظه حتى يتمكن في قلبه. «والقول بالعمل» أي إذا أمر الناس بمعروف أو نهاهم عن منكر عمل به، أو يفي بالوعد، أو يقرن الإيمان بالأعمال الصالحة، أو يجمع بين القول الجميل والفعل الحسن.

و «الزرر والمنزور» القليل. و «الأكل» — كعناق — الحظ من الدنيا؛ وفي بعض النسخ: «أكله» بالفتح، أي لا يمتلي من الطعام، لأنه من أسباب الكسل عن العبادة و كثرة النوم. و «الجزز» الموضع الحصين، و «حرز حريز» كحصن حصين، و «حرزه» — كنصره — حفظه والمراد عدم إهماله في أمر دينه و عدم تطرق الخلل إليه. و «المأمول» المرجو.

«إن كان في الغافلين» لعل الغرض من القرينتين أنه لا يزال ذاكرة لله سواء كان مع الغافلين أو مع الذاكرين، أما إذا كان في الغافلين فيذكر الله بقلبه أو بلسانه أيضاً فيصير سبباً لذكرهم أيضاً، فيكتب أنه في الذاكرين.

وقوله — عليه السلام — «لم يكتب من الغافلين» كأنه تفتن في العبارة، أو المعنى أنه ليس ذكره بمحض اللسان ليكتب من الغافلين بل قلبه أيضاً مشغول بذكره — تعالى —.

والغالب في الصلة والقطع الاستعمال في الرحم، وقد يستعملان في الأعم

أيضاً.

و «بعيداً» عود إلى السياق السابق، والجمل معترضة، أو حال عن فاعل يصل، وقد يعبر بالبعد عن العدم؛ وكذلك الغيبة والحضور والاقبال والإدبار ويحتمل القلة فإن التقوى غير العصمة، ويمكن أن يراد بالإقبال الازدياد والإدبار الانتقاص، أي لا يزال يسعى فيزداد خيره وينتقص شره.

وقال الوالد - رحمه الله -: يمكن أن يراد بالمعروف والمنكر الاحسان

والإساءة إلى الخلق.

و «الزلازل» الشدائد. و «الوقور» فعول من «الوقار» بالفتح، وهو الحلم

والرزانة. و «الرخاء» سعة العيش. و «الحييف» الجور والظلم. والمراد بالإثم الميل عن

الحق والغرض أنه لا يترك الحق للعداوة والمحبة إذا كان حاكماً، أو لا يجور على العدو



ولا يساعد المحب بما يخرج عن الحق.

«لا يضيع ما استحفظ» أي ما أودع عنده من الأموال والأسرار، والتضييع

في الأول بالخيانة والتفريط و في الثانية بالاذاعة والافشاء، ويحتمل شموله لما

استحفظه الله من دينه و كتابه. «ولا ينسى ما ذكر» أي ما أمر بتذكره من آيات

الله وعبره وأمثاله، أو الأعم منها و من أحكام الله والموت والمصير إلى الله و أهوال

الآخرة.

و «النبز» بالتحريك، اللقب، قيل: و كثر فيما كان ذمماً، و «المنابزة

والتناز» التعابير والتداعي بالألقاب. و «المضارة» الاضرار. و «الجار» المجاور في

السكنى و من أجرته من أن يظلم. و «شمت - كفرح - شماتة» بالفتح، أي فرح

ببلية العدو. «لا يدخل في الباطل» أي في مجلس الفسق واللهو والفساد، أو المراد عدم

ارتكاب الباطل، و كذا «الخروج من الحق» أي من مجالسه، أو عدم ترك الحق.

«لم يغمه صمته» لعلمه بمفاسد الكلام وعدم التذاذه بالباطل من القول، أو

لاشتغال قلبه حين الصمت بذكر الله. «لم يعل صوته» أي لا يشتد صوته أو يكتفي

بالتبسم، إذ الخروج عنه يكون غالباً بالضحك بالصوت العالي، والواسطة نادرة. و

«أراح الناس» لاشتغاله بنفسه. و «الزهد» خلاف الرغبة، و كثيراً ما يستعمل في

عدم الرغبة في الدنيا. و «التزاهة» بالفتح، التباعد عن كل قدر و مكروه، وإنما كان تباعده زهداً و نزاهة لأنه إنما يرغب عن أهل الدنيا و أهل الباطل؛ و قيل: نزاهة عن تدنس العرض.

و «الخدیعة» - ككربة - الاسم من «خدعة» أي ختله و أراد به المكروه من حيث لا يعلم. و «صعق» - كسمع - أي عُشي عليه من صوت شديد سمعه أو من غيره، و ربّما مات منه. «كانت نفسه فيها» أي مات بها، و يحتمل أن يراد بالصعقة الصيحة، كما هو الغالب في هذا المقام. و يراد بكون نفسه فيها خروج روحه بخروجها. و «ويح» كلمة رحمة و يستعمل في التعجب كما مرّ مراراً، و التلطف في مثل هذا المقام من قبيل الاحسان إلى من أساء. و قد مرّ الكلام في هذا المقام و في بعض ما تقدّم في شرح رواية الكافي فلا نعيده.

و أقول: روى في تحف العقول أيضاً مثله. ١٠٦٤

و أقول: لما سلك قدوة المحققين ابن ميثم البحرانيّ في شرح هذا الحديث مسلّكاً آخر، أردت إيراده ليطلع الناظر في كتابنا على أكثر ما قيل في ذلك فأوردته. ١٠٦٥

قال - قدس سره - وصف - عليه السلام - المتقين بالوصف المجمل فقال: «فالمثقون فيها هم أهل الفضائل» أي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة باصلاح قوتي العلم والعمل، ثم شرع في تفصيل تلك الفضائل و نسقها.

فالأولى: الصواب في القول و هو فضيلة العدل المتعلقة باللسان، و حاصله أن لا يسكت عما ينبغي أن يقال فيكون مفرطاً، ولا يقول ما ينبغي أن يسكت عنه فيكون مفرطاً، بل يضع كلاماً من الكلام في موضعه اللائق به و هو أخص من الصدق، لجواز أن يصدق الانسان فيما لا ينبغي من القول.

الثانية: «و ملبسهم الاقتصاد» و هو فضيلة العدل في الملبوس، فلا يلبس ما

١٠٦٤ - تحف العقول، ص ١٥٤ - ١٥٨، ط إسلامية.

١٠٦٥ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٣، ص ٤١٤ - ٤٢٥.

يلحقه بدرجة المترفين ولا يلحقه بأهل الخسة والدناءة مما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا.

الثالثة: مشي التواضع، والتواضع ملكة تحت العفة، يعود إلى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشي التواضع مستلزم للسكون والوقار.

الرابعة: غض الأبصار عما حرم الله وهو ثمرة العفة.

الخامسة: وقوفهم أسماعهم على سماع العلم النافع، وهو فضيلة العدل في قوة السمع. والعلوم النافعة ما هو كمال القوة النظرية من العلم الإلهي وما يناسبه و ما هو كمال للقوة العملية وهي الحكمة العملية.

السادسة: نزول أنفسهم منهم في البلاء كنزولها في الرخاء، أي لا تقنط من بلاء ينزل بها ولا تبطر برخاء يصيبها، بل مقامها في الحالين مقام الشكر. و «الذي» صفة مصدر محذوف والضمير العائد إليه محذوف أيضاً، والتقدير: نزلت كالنزول الذي نزلت في الرخاء. ويحتمل أن يكون المراد بـ «الذي» «الذين» فحذف النون كما في قوله تعالى: «كألذي خاضوا»^{١٠٦٥}. ويكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم في البلاء بالذي نزلت أنفسهم منهم في الرخاء، والمعنى واحد.

السابعة: غلبة الشوق إلى ثواب الله والخوف من عقابه على نفوسهم إلى غاية أن أرواحهم لا تستقر في أجسادهم من ذلك، لولا الآجال التي كتبت لهم. وهذا الشوق والخوف إذا بلغ إلى حد الملكة، فإنه يستلزم دوام الجد في العمل والاعراض عن الدنيا، ومبدأهما تصور عظمة الخالق، وبقدر ذلك يكون تصور عظمة وعده ووعيده، وبحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء وهما بابان عظيمان للجنة.

الثامنة: عظم الخالق في أنفسهم، وذلك بحسب الجواذب الإلهية إلى الاستغراق في محبته ومعرفته، وبحسب تفاوت تصور عظمتة - تعالى - يكون تصورهم لأصغرية مادونه، ونسبته إليه في أعين بصائرهم.

وقوله «فهم والجنة كمن قد رآها» إلى قوله «معدّبون» إشارة إلى أن

العارف وإن كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنة و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها، كالأذين شاهدوا الجنة بعين حسّهم و تنعموا فيها و كالأذين شاهدوا النار و عذبوا فيها. و هي مرتبة عين اليقين، فبحسب هذه المرتبة كانت شدّة شوقهم إلى الجنة و شدّة خوفهم من النار.

التاسعة: حزن قلوبهم، و ذلك ثمره الخوف الغالب.

العاشرة: كونهم مأموني الشرور، و ذلك أنّ مبدء الشرور بحجة الدنيا و أباطيلها، و العارفون بمنزل عن ذلك.

الحادية عشر: نخافة أجسادهم، و مبدء ذلك كثرة الصيام و السهر و جشوبة المطعم و خشونة الملبس و هجر الملاذ الدنيوية.

الثانية عشر: نخفة حاجاتهم، و ذلك لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضروري من ملبس و مأكل، و لا أخفق من هذه الحاجة.

الثالثة عشر: عفة أنفسهم، و ملكة العفة فضيلة القوة الشهوية و هي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة و الفجور.

الرابعة عشر: الصبر على المكروه أيتام حياتهم من ترك الملاذ الدنيوية و احتمال أذى الخلق؛ و قد عرفت أنّ الصبر مقاومة النفس الأمارة بالسوء لسلاً ينقاد إلى قبائح اللذات. و إنّها ذكر قصر مدة الصبر و استعقابه للراحة الطويلة ترغيباً فيه و تلك الراحة بالسعادة في الجنة كما قال - تعالى -: «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا» الآية^{١٠٦٧}. و قوله «تجارة مربحة» استعار لفظ التجارة لأعمالهم الصالحة و امثال أوامر الله. و وجه المشابهة كونهم متموضين بمتاع الدنيا و بحركاتهم في العبادة متاع الآخرة. و رشح بلفظ الربح لأفضلية متاع الآخرة و زيادته في النفاسة على ما تركوه. و ظاهر أنّ ذلك بتيسير الله لأسبابه و إعدادهم له بالجواذب الإلهية.

الخامسة عشر: عدم إرادتهم للدنيا مع إرادتها لهم، و هو إشارة إلى الزهد الحقيقي و هو ملكة تحت العفة، و كفى بارادتها لهم عن كونهم أهلاً لأن يكونوا فيها

رؤوساً و أشرافاً كقضاة و وزراء و نحو ذلك و كونها بمعرض أن تصل إليهم لو أرادوها. و يحتمل أن يريد: أرادهم أهل الدنيا، فحذف المضاف.

السادسة عشر: افتداء من أسرته لنفسه منها، و هو إشارة إلى من تركها وزهد فيها بعد الإنهاك فيها والاستمتاع بها، ففكك بذلك الترك والإعراض والتعمرن على طاعة الله أغلال الهيئات الرديئة المتلبسة منها عن عنقه. و لفظ الأسر استعارة في تمكّن تلك الهيئات من نفوسهم، و لفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها بالأعراض عنها والمواظبة على طاعة الله. و إنما عطف بالواو في قوله «و لم يريدوها» و بالفاء في قوله «فقدوا» لأنّ زهد الانسان في الدنيا كما يكون متأخراً عن إقبالها عليه، كذلك قد يكون متقدماً عليه لقوله - صلى الله عليه وآله - «و من جعل الآخرة أكبر همه جمع الله عليه همه و أنته الدنيا و هي راغمة»، فلم يحسن العطف هنا بالفاء. و أمّا الفدية فلما لم يكن إلا بعد الأسر لاجرم عطفها بالفاء.

السابعة عشر: كونهم صافين أقدامهم بالليل يتلون القرآن و يرتلون... إلى قوله «آذانهم»، و ذلك إشارة إلى تطويع نفوسهم الأمانة بالسوء بالعبادات و شرح لكيفية استثيارهم للقرآن العزيز في تلاوته و غاية ترتيلهم له بفهم مقاصده و تحزينهم لأنفسهم به عند ذكر الوعيدات من جملة استثيارهم لدواء دائهم. و لما كان داءهم هو الجهل و سائر الرذائل العملية، كان دواء الجهل بالعلم و دواء كلّ رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة لها، فهم بتلاوة القرآن يستثيرون بالتحزين الخوف عن وعيد الله المضاد للإنهاك في الدنيا، و داءه العلم الذي هو دواء الجهل؛ و كذلك كلّ فضيلة حتّى القرآن عليها، فهي دواء لما يضاهاها من الرذائل. و باقي الكلام شرح لكيفية التحزين والتشويق.

و قوله «فهم حانون على أوساطهم» ذكر لكيفية ركوعهم. و قوله «مفترشون لجباههم...» إلى قوله «أقدامهم» إشارة إلى كيفية سجودهم و ذكر الأعظم السبعة و قوله «يطلبون...» إلى قوله «رقابهم» إشارة إلى غايتهم من عبادتهم تلك.

الثامنة عشر: من صفاتهم بالنهار كونهم حكماء و أراد الحكمة الشرعية و ما فيها من كمال القوّة العلمية والعملية لكونها المتعارفة بين الصحابة والتابعين و روي:

«حلماء» و «الحلم» فضيلة تحت ملكة الشجاعة هي الوسط بين رذيلتي المهانة والافراط في الغضب. وإنما خصّ الليل بالصلاة لكونها أولى بها من النهار. التاسعة عشر: كونهم علماء وأراد كمال القوة النظرية بالعلم النظريّ وهو معرفة الصانع وصفاته.

العشرون: كونهم أبراراً والبرّ يعود إلى العفيف لمقابلته الفاجر. الحادية والعشرون: كونهم أتقياء، والمراد بالتقوى ههنا الخوف من الله. وقد مرّ ذكر العقّة والخوف وإنما كرّرها هنا في عداد صفاتهم بالنهار وذكرها هناك في صفاتهم المطلقة. وقوله «وقد براهم الخوف...» إلى قوله «عظيم» شرح لفعل الخوف الغالب بهم، وإنما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبّرة للبدن به عن النظر في صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن أداء بدل ما يتحلّل وشبه بري الخوف لهم يبري القداح، ووجه التشبيه شدة النحافة، ويتبع ذلك تغير السحنات^{١٠٦٨} والضعف عن الانفعالات النفسانية من الخوف والحزن حتى يحسبهم الناظر مرضى وإن لم يكن بهم مرض.

«و يقول قد خولطوا» وذلك إشارة إلى ما يعرض لبعض العارفين عند اتصال نفسه بالملا الأعلى و اشتغالها عن تدبير البدن وضبط حركاته أن يتكلّم بكلام خارج عن المتعارف يستبشع بين أهل الشريعة الظاهرة فينسب ذلك منه إلى الاختلاط والجنون وتارة إلى الكفر والخروج عن الدين. وقوله «ولقد خالطهم أمر عظيم» هو اشتغال أسرارهم بملاحظة جلال الله ومطالعة أنوار الملا الأعلى.

الثانية والعشرون: كونهم لا يرضون [من أعمالهم] القليل إلى قوله «الكبير» وذلك لتصوّرهم شرف غايتهم المقصودة بأعمالهم. وقوله «فهم لأنفسهم متهمون...» إلى قوله «ما لا يعلمون» فتهتمهم لأنفسهم وخوفهم من أعمالهم يعود إلى شكّهم فيما يحكم به أوهامهم من حسن عبادتهم و كونها مقبولة أو واقعة على الوجه المطلوب الموصل إلى الله - تعالى - فإنّ هذا الوهم يكون مبدأً للعجب بالعبادة والتقاصر عن

الازدياد عن العمل والتشكك في ذلك و تهمة النفس بانقيادها في ذلك الحكم للنفس الأمانة يستلزم خوفها أن تلك الأعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير واقعة عليه و ذلك باعث على العمل و كاسر للعجب به، وقد عرفت أن العجب من المهلكات كما قال - عليه السلام - : «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، و إعجاب المرء بنفسه».

و كذلك خوفهم من تركية الناس لهم هو الدواء لما ينشأ من تلك التركية من الكبر والعجب بما يزكون به، فيكون جواب أحدهم عند تركيته أنني أعلم بنفسى من غيري... إلى آخره.

ثم شرع - عليه السلام - بعد ذلك في علاماتهم التي بجملتها يعرف أحدهم. والصفات السابقة و إن كان كثير منها مما يخص أحدهم و يعرف به إلا أن بعضها قد يدخله الرياء فلا يدل على التقوى الحقة، فجمعها ههنا ونسقتها.

فالأولى: القوة في الدين، وذلك أن يقاوم في دينه الوسواس الخناس ولا يدخل فيه خداع الناس، وهذا إنما يكون في الدين العالم.

الثانية: الحزم في الأمور الدنيوية والدينية والتثبت فيها ممزوجاً باللين للخلق و عدم الفضاضة عليهم كما في المثل: «لا تكن حلواً فتستترط ولا مرّاً فتلفظ»^{١٠٦٩}. و هي فضيلة العدل في المعاملة مع الخلق و قد علمت أن اللين قد يكون للتواضع المطلوب بقوله - [تعالى] - : «وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^{١٠٧٠}. و قد يكون من مهانة وضعف يقين، والأول هو المطلوب و هو المقارن للحزم في الدين و مصالح النفس والثاني رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب.

١٠٦٩ - ذكره الجوهري في «سروط» ولفظه: لا تكن حلواً فتستترط ولا مرّاً فتتفق^١ و«تتفق» بمعنى تلفظ، من قوم «أعقبت الشيء» إذا أزلته من فيك لمرارته، كما يقال: «أشكيت الرجل» إذا أزلته عما يشكوه. الصحاح، ص ١١٣٠.

وهكذا ذكره الميداني وقال: «الاستراط» الابتلاع. و«الاعقاء» أن تشتد مرارة الشيء حتى يلفظ لمرارته. وبعضهم يروي: «فتتفق» بوزن «فتستترط» والصواب كسر القاف، يقال: «أعق الشيء». والمعنى: لا تتجاوز الحد في المرارة فترسى، ولا في الحلاء فتبلع، أي كن متوسطاً. مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٢٣٢، تحت الرقم ٣٦٠٤.

الثالثة: الإيمان في اليقين، ولما كان الإيمان عبارة عن التصديق بالصانع وما وردت به الشريعة و كان ذلك التصديق قابلاً للشدة والضعف، فتارة يكون عن التقليد وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدليل وتارة عن العلم به مع العلم بأنه لا يكون إلا كذلك وهو علم اليقين، ومحققو السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة بل يطلبون بعين اليقين بالمشاهدة بعد طرح حجب الدنيا والاعراض عنها. أراد أن علمهم علم اليقين لا يتطرق إليه احتمال.

الرابعة: الحرص في العلم والازدياد منه.

الخامسة: مزج العلم وهو فضيلة القوة الملكية بالحلم وهو من فضائل القوة السبعية.

السادسة: القصد في الغنى وهو فضيلة العدل في استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة. *علم روي*

السابعة: الخشوع في العبادة وهو من ثمرة الفكر في جلال المعبود وملاحظة عظيمته الذي هو روح العبادة.

الثامنة: التجمل في الفاقة: وذلك بترك الشكوى إلى الخلق والطلب منهم وإظهار الغنى عنهم، وينشأ عن القناعة والرضا وعلو الهمة ويعين على ذلك ملاحظة الوعد العاجل وما أعد للمتقين.

التاسعة: وكذلك الصبر في الشدة.

العاشرة: الطلب في الحلال وينشأ عن العفة.

الحادية عشر: النشاط في الهدى وسلوك سبيل الله وينشأ عن قوة الاعتقاد فيما وعد المتقون وتصور شرف الغاية.

الثانية عشر: عمل الصالحات على وجل، أي من أن يكون على غير الوجه اللائق فلا يقبل كما روي عن زين العابدين — عليه السلام — أنه كان في التلبية وهو على راحلته وخرّ مغشياً عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك فقال: «خشية أن يقول

لي: لا لبيك ولا سعديك».

الثالثة عشر: أن يكون همهم عند المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار وما لم يرزقوا و يصبحوا و همهم الذكر لله ليذكروهم الله فيرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية كما قال - تعالى - : «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ»^{١٠٧١}.

الرابعة عشر: أن يبيت حذراً و يصبح فرحاً، و قوله «حذراً...» إلى قوله «الرحمة» تفسير للمحذور و ما به الفرح و ليس مقصوده تخصيص البيات بالحذر والصباح بالفرح، بل كما يقول أحدنا: يسي فلان و يصبح حذراً فرحاً، و كذلك تخصيصه الشكر بالمساء والذكر بالصباح يحتمل أن لا يكون مقصوداً.

الخامسة عشر: «إن استصعبت...» إلى قوله «تحتب» إشارة إلى مقاومته لنفسه الأتقارة بالسوء عند استصعابها عليه و قهره لها على ماتكبره و عدم متابعتها لها في ميولها الطبيعية و محاباتها.

السادسة عشر: أن يرى قرّة عينه فيما لا يزول، أي من الكمالات النفسانية الباقية كالعلم والحكمة ومكارم الأخلاق المستلزمة للذات الباقية والسعادة الدائمة. و «قرّة عينه» كناية عن لذته و ابتهاجه لاستلزامها لقرار العين و بردها برؤية المطلوب و زهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا.

السابعة عشر: أن يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول بالعمل، فلا يقول ما لا يفعل فلا يأمر بمعروف فيقف دونه ولا ينهى عن منكر ثم يفعل ولا يعد فيخلف، فيدخل في مقت الله كما قال - تعالى - : «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ»^{١٠٧٢}.

الثامنة عشر: قصر أمله و قربه، و ذلك لكثرة ذكر الموت والوصول إلى الله. التاسعة عشر: قلّة زلله و قد عرفت أن زلل العارفين يكون من باب ترك الأولى لأن صدور الخفريات عنهم صار ملكة والجواذب فيهم إلى الزلل والخطيئات نادرة تكون لضرورة منهم أوسهوا، ولا شك في قلته.

- العشرون: خشوع قلبه عن تصوّر عظمة المعبود.
- الحادية والعشرون: قناعة نفسه و ينشأ عن ملاحظة حكمة الله في قدرته و قسمته الأرزاق، و يعين عليها تصوّر فوائدها الحاضرة و غايتها في الآخرة.
- الثانية والعشرون: قلة أكله و ذلك لما يتصوّر في البطننة من ذهاب الفطنة و زوال الرقة و حدوث القسوة و الكسل عن العمل.
- الثالثة والعشرون: سهولة أمره، أي لا يتكلف لأحد ولا يكلف أحداً.
- الرابعة والعشرون: حرز دينه، فلا يهمل منه شيئاً ولا يطرق إليه خللاً.
- الخامسة والعشرون: موت شهوته، و لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عمّا حرم عليه و يعود إلى العفة.
- السادسة والعشرون: كظم غيظه و هو من فضائل القوة الغضبية.
- السابعة والعشرون: كونه «مأمول الخير» و ذلك لأكثرية خيريته [و كونه «مأمون الشرور» و ذلك لعلم الخلق بعدم قصده للشرور.
- الثامنة والعشرون: قوله «إن كان من الغافلين...» إلى قوله «الغافلين» أي إن رآه الناس في أعداد الغافلين عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان، كتب عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه بالذكر و إن تركه بلسانه، و إن كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر أنه لا يكتب من الغافلين. و لذكر الله ممدوح كثيرة و هو باب عظيم من أبواب الجنة و الاتصال بجناب الله، و قد أشرنا إلى فضيلته و أسرار.
- التاسعة والعشرون: عفو عمّن ظلمه، و العفو فضيلة تحت الشجاعة و خص من ظلمه ليتحقّق عفوّه مع قوّة الداعي إلى الانتقام.
- الثلاثون: و يعطي من حرمه و هي فضيلة تحت السخاء.
- الحادية والثلاثون: و يصل من قطعه، و المواصلة فضيلة تحت العفة.
- الثانية والثلاثون: بعد فحشه، و أراد ببعده الفحش عنه أنه قلماً يخرج في أقواله إلى ما لا ينبغي.
- الثالثة والثلاثون: لينه في القول عند محاورات الناس و وعظهم و معاملتهم و

هو من أجزاء التواضع.

الرابعة والثلاثون: غيبة منكره وحضور معروفه وذلك للزومه حدود الله.

الخامسة والثلاثون: إقبال خيره وإدبار شره، وهو كقوله «الخير منه مأمول والشر منه مأمون» ويحتمل باقبال خيره أخذه في الازدياد من الطاعة وتشميره فيها، وبقدر ذلك يكون إدباره عن الشر لأن من استقبل أمراً وسعى فيه بعد عما يضاده وأدبر عنه.

السادسة والثلاثون: وقاره في الزلازل، وكفى بها عن الأمور العظام والفتن الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب وأحوال الناس، والوقار ملكة تحت الشجاعة.

السابعة والثلاثون: كثرة صبره في المكاره، وذلك عن ثباته وعلو همته عن أحوال الدنيا.

الثامنة والثلاثون: كثرة شكره في الرخاء وذلك لمحبه المنعم الأول جلّت قدرته فيزداد شكره في رخائه وإن قل.

التاسعة والثلاثون: كونه لا يحيف على من ييغض وهو سلب للحيف والظلم مع قيام الداعي إليها وهو البغض لمن يتمكن من حيفه وظلمه.

الأربعون: كونه لا يأثم فيمن يحب وهو سلب لرذيلة الفجور عنه باتباع الهوى فيمن يحب، إتما باعطائه ما لا يستحق أو دفع ما يستحق عليه عنه كما يفعله قضاة السوء وأمراء الجور، فالمتقي لا يأثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي إليه وهو المحبة لمن يحبه، بل يكون على فضيلة العدل في الكل على السواء.

الحادية والأربعون: اعترافه بالحق قبل أن يشهد عليه، وذلك لتحرزه في دينه من الكذب، إذ الشهادة إنما يحتاج إليها مع إنكار الحق وذلك كذب.

الثانية والأربعون: كونه لا يضيع أماناته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه، وذلك لورعه ولزوم حدود الله.

الثالثة والأربعون: ولا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره وأمثاله ولا يترك العمل بها، وذلك لمدائمة ملاحظتها وكثرة إخطارها بباله والعمل لعنايته المطلوبة منه.

الرابعة والأربعون: ولا يناز بالألقاب، وذلك لملاحظته النهي في الذكر الحكيم: «وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ»^{١٠٧٣} ولست ذلك النهي وهو كون ذلك مستلزماً لإثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقة المضادة لمطلوب الشارع.

الخامسة والأربعون: ولا يضارّ بالجار لملاحظة وصية الله - تعالى - به: «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ»^{١٠٧٤} ووصية رسول الله - صلى الله عليه وآله - في المرفوع إليه: «أوصاني ربي بالجار حتى ظننت أنه يورثه»، ولغاية ذلك وهي الألفة والاتحاد في الدين.

السادسة والأربعون: ولا يشمت بالمصائب، وذلك لعلمه بأسرار القدر وملاحظته لأسباب المصائب وأنه في معرض أن تصيبه فيتصور أمثالها في نفسه فلا يفرح بنزولها على غيره.

السابعة والأربعون: أنه لا يدخل في الباطل ولا يخرج عن الحق، أي لا يدخل فيما يبتعد عن الله - تعالى - من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب إليه من مطالبه الحق، وذلك لتصور شرف غايته.

الثامنة والأربعون: كونه لا يغمه صمته لوضعه كلاً من الصمت والكلام في موضعه وإنما يستلزم الغم الصمت عما ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه.

التاسعة والأربعون: كونه لا يعلو ضحكك، وذلك لغلبة ذكر الموت وما بعده على قلبه؛ ومما نقل من صفات الرسول - صلى الله عليه وآله -: كان أكثر ضحكك التبسم وقد يفتّر أحياناً ولم يكن من أهل القهقهة والكركرة وهما كفتيتان للضحك.

الخمسون: صبره في البغي عليه إلى غاية انتقام الله له، وذلك منه نظراً إلى ثمرة الصبر إلى الوعد الكريم [في قوله - تعالى -]: «ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُحِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ الْآيَةُ»^{١٠٧٥} وقوله: «وَلَيْسَ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ»^{١٠٧٥}.

الحادية والخمسون: كون نفسه منه في عناء، أي نفسه الأمانة بالسوء لمقاومته لها وقهرها ومراقبته إياها والناس من أذاه في راحة لذلك .
 الثانية والخمسون: كون بعده عمن تباعد عنه لزهده فيما في أيدي الناس و نزاهته عنه، لاعن كبر وتعظم عليهم؛ وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم، لا المكروهم وخديعة لهم عن بعض المطالب كما هو عادة الخبيث المكار.
 وهذه الصفات والعلامات قد يتداخل بعضها، ولكن تورد بعبارة أخرى أو تذكر مفردة ثم تذكر ثانياً مركبة مع غيرها. ١٠٧٧

١٩٤ - من خطب أمير المؤمنين عليه السلام

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادَ (٢٧٠٧) عَنْهُ مِنَ المَعْصِيَةِ ،
 وَنَسَّأَلُهُ لِمَنِّيهِ تَمَامًا ، وَبِحَبْلِهِ أَعْتَصَمًا . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
 وَرَسُولُهُ ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ (٢٧٠٨) ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ
 غُصَّةٍ (٢٧٠٩) . وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ الأَدْنُونَ (٢٧١٠) ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصُونَ (٢٧١١) ،
 وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ العَرَبُ أَعْنَتَهَا (٢٧١٢) ، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بَطُونٌ رَوَّاحِلَهَا ،
 حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا ، مِنْ أْبَعَدِ الدَّارِ ، وَأَسْحَقِ (٢٧١٣) المَزَارِ .
 أَوْصِيَكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمْ

الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمُرْتَلُونَ (٢٧١٤) ، يَتَلَوْنُونَ الْوَأْنَ ، وَيَفْتَنُونَ
 أَفْتِنَانًا (٢٧١٥) ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ (٢٧١٧) وَيَرْضُونَكُمْ (٢٧١٨) .
 بِكُلِّ مِرْصَادٍ (٢٧١٩) . قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ (٢٧٢٠) ، وَصِفَاحُهُمْ (٢٧٢١) نَقِيَّةٌ .
 يَمْشُونَ الْخَفَاءَ (٢٧٢٢) ، وَيَدْبُونَ (٢٧٢٣) الضَّرَاءَ . وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ
 شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعِيَاءُ (٢٧٢٤) . حَسَدَةٌ (٢٧٢٥) الرِّخَاءُ ، وَمُؤَكَّدُو
 الْبَلَاءِ ، وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ . لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ (٢٧٢٦) ، وَإِلَى كُلِّ
 قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ (٢٧٢٧) دَمُوعٌ . يَتَقَارِضُونَ الثَّنَاءَ (٢٧٢٨) ،
 وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ : إِنْ سَأَلُوا الْخَفَا (٢٧٢٩) ، وَإِنْ عَدَلُوا (٢٧٣٠) كَشَفُوا ،
 وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا ،
 وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا . يَتَوَصَّلُونَ
 إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنْفِقُوا (٢٧٣١) بِهِ أَعْلَاقَهُمْ (٢٧٣٢) .
 يَقُولُونَ فَيُشْبِهُونَ (٢٧٣٣) ، وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ،
 وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ (٢٧٣٤) ، فَهُمْ لَمَّةٌ (٢٧٣٥) الشَّيْطَانِ ، وَحَمَّةٌ (٢٧٣٦) النَّيْرَانِ :
 « أَوْلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

بيان: «الغمرة» الرحمة من الماء والناس والشدة، و«خوضها» اقتحامها.

قوله: عليه السلام— «وقد تلون» أي تغير أقرابه ألواناً. و«تألب» أي تجمع عليه الأبعدون نسباً. قوله: عليه السلام— و«خلعت هذا» مثل سائر أي أوجفوا إليه مسرعين لمحاربتة، لأن الخيل إذا خلعت أعتتها كان أسرع لحربها. و«السحق»

البعث، ١٠٧٨

١٩٥ - **مِنْ خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ**

يحمد الله ويشني على نبيه ويعظ

حمد الله

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِيهِ ، وَجَلَالَ كِبْرِيَائِهِ ، مَا حَيْرَ
 مَقْلَ (٢٧٣٧) الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُلُوبِهِ ، وَرَدَّعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ (٢٧٣٨)
 النُّفُوسِ عَنْ عِرْقَانِ كُنْهِ صِفْتِهِ .

مركز تحقيقات كويت للعلوم والدراسات

للشهادتين

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ .
 وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ ،
 وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَائِمَةٌ (٢٧٣٩) ، فَصَدَّعَ (٢٧٤٠) بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلخَلْقِ ،
 وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ (٢٧٤١) ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

المطلة

وَأَعْلَمُوا ، عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا ،

عَلِيمَ مَبْلَغِ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَفْتِحُوهُ ^(٢٧٤٢) ،
 وَاسْتَنْجِحُوهُ ^(٢٧٤٣) ، وَأَطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ ^(٢٧٤٤) ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ
 حِجَابٌ ، وَلَا أَغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ
 حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ ؛ لَا يَسْلِمُهُ ^(٢٧٤٥) الْعَطَاءُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ
 الْحَبَاءُ ^(٢٧٤٦) ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ ، وَلَا يَلْوِيهِ ^(٢٧٤٧)
 شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِبُهُ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ ، وَلَا تَحْجُزُهُ هَبَةٌ
 عَنْ سَلْبٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ ، وَلَا تُؤَلِّبُهُ ^(٢٧٤٨) رَحْمَةٌ عَنْ
 عِقَابٍ ، وَلَا يُجِنُّهُ ^(٢٧٤٩) الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ
 الْبُطُونِ . قَرَبَ فَنَأَى ، وَعَلَا قَدَانًا ، وَظَهَرَ فَبَطَّنَ ، وَبَطَّنَ فَعَلَنَ ،
 وَدَانَ ^(٢٧٥٠) وَلَمْ يُدَنَّ . لَمْ يَذَرَا ^(٢٧٥١) الْخَلْقَ بِأَحْتِيَالٍ ^(٢٧٥٢) ، وَلَا اسْتَعَانَ
 بِهِمْ لِكَلَالٍ ^(٢٧٥٣) .

أَوْصِيَكُمْ ، عِبَادَ اللَّهِ ، بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهَا الزُّمَامُ ^(٢٧٥٤) وَالْقِيَامُ ^(٢٧٥٥) ،
 فَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا ، وَأَعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا ، تَوَلُّوا بِكُمْ إِلَى أَسْنَانِ ^(٢٧٥٦)
 الدَّعَةِ ^(٢٧٥٧) وَأَوْطَانِ السَّعَةِ ، وَمَعَاقِلِ ^(٢٧٥٨) الْحِرْزِ ^(٢٧٥٩) وَمَنَازِلِ الْعِزِّ
 «يَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ ، وَتُعْطَلُ فِيهِ
 صُرُومُ ^(٢٧٦٠) الْعِشَارِ ^(٢٧٦١) . وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ،
 وَتَبْكُمُ كُلُّ لَهْجَةٍ ، وَتَدِلُّ الشَّمُّ ^(٢٧٦٢) الشَّوَامِخَ ^(٢٧٦٣) ، وَالصَّمُّ ^(٢٧٦٤)

الرَّوَّاسِخُ^(٢٧٦٥)، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا^(٢٧٦٦) سَرَابًا^(٢٧٦٧) رَقْرَقًا^(٢٧٦٨)، وَمَعْهَدُهَا^(٢٧٦٩)
قَاعًا^(٢٧٧٠) سَمَلَقًا^(٢٧٧١)، فَلَا شَفِيعُ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلَا
مَعْدِرَةٌ تَدْفَعُ.

بيان: تشبيه التقوى بالزمام إما لأنها المانعة عن الخطاء والزلل، أو لأنها تقود إلى الجنة، وسمّاها قواماً لأنه بها تقوم أمور الدنيا والآخرة. و«الأكنان» جمع «لكن» وهو الستر. و«المعقل» الملجأ، و«المعاقل» الحصون. و«الصروم» جمع «صرمة» وهي القطيعة من الإبل نحو الثلاثين. و«الشمم» محرّكة، ارتفاع الجبل، أي تذلّ الجبال العالية والأحجار الثابتة. و«الصلد» الصلب الشديد. و«الرقرة» بصيص الشراب وتلاؤه. و«معهدا» أي ما عهد منزلاً للناس أو مسكناً. و«القاع» المستوي من الأرض. و«السملق» الأرض المستوية الجرداء التي لا شجر فيها. «فلا شفيع يشفع» أي بغير إذن الله، أو للكافرين. ١٠٧٩

١٩٦ — وَمِنْ حَبْلِ الْجَنَّةِ الْكَلْبُ

بعثة النبي

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٌ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ، وَلَا مَنَهْجٌ وَاضِحٌ.

المظة بالزه

أَوْصِيَكُمْ، عِبَادَ اللَّهِ، بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ
شُخُوصٍ^(٢٧٧٢)، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصُ، سَاكِنَهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ^(٢٧٧٣)،

تَمِيدُ^(٢٧٧٤) بِأَهْلِهَا مِيدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا^(٢٧٧٥) الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ
 الْبِحَارِ ، فَمِنْهُمْ الْغَرِقُ الْوَبِقُ^(٢٧٧٦) ، وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بَطُونِ الْأَمْوَاجِ ،
 تَحْفِزُهُ^(٢٧٧٧) الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا ، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا
 فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَلَيْ مَهْلِكٍ !
 عِبَادَ اللَّهِ ، الْآنَ فَاعْلَمُوا ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالْأَبْدَانُ صَاحِبَةٌ ،
 وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ^(٢٧٧٨) ، وَالْمُنْقَلَبُ^(٢٧٧٩) فَسِيحٌ ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ
 إِرْهَاقِ^(٢٧٨٠) الْفَوْتِ^(٢٧٨١) ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ . فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نَزُولَهُ ، وَلَا
 تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

بيان: «الساطع» المرتفع كقوله تعالى: «المرتفع»

١٩٧ - وَمَنْ كَانَتْ أَعْيُنُهُ عَلَى الْغَايِبِ مُبْقِنَةً

ينبه فيه على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ^(٢٧٨٢) مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ - أَنِّي لَمْ أَرُدْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ . وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ^(٢٧٨٣)
 بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ^(٢٧٨٤) فِيهَا الْأَبْطَالُ ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا
 الْأَقْدَامُ ، نَجْدَةٌ^(٢٧٨٥) أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا .

وَلَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى
صَدْرِي . وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي ، فَأَمَرَتْهَا عَلَى وَجْهِي . وَلَقَدْ
وُلِّيتُ غُسْلَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ
الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ ^(٢٧٨٦) : مَلَأَ يَهَيْطُ ، وَمَلَأَ يَعْجُجُ ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي
هَيْئَةً ^(٢٧٨٧) مِنْهُمْ ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْبِجِهِ . فَمَنْ ذَا
أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا ؟ فَانْفُذُوا عَلَيَّ بِصَائِرِكُمْ ^(٢٧٨٨) ، وَلْتَصَدُقْ
نِيَّاتِكُمْ فِي جِهَادِ هَدُوكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَةِ الْحَقِّ ،
وَلِإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَةٍ ^(٢٧٨٩) الْبَاطِلِ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي
وَلَكُمْ !

بيان: «استحفظته الشيء» أودعته عنده وسألته أن يحفظه. و
«المستحفظون» على بناء المفعول، المطلقون على أسرار الرسول - صلى الله عليه وآله -
وسيرته، الصادقون في الشهادة، الذين لم يغيروا ولم يبدلوا للأغراض الدنيوية.
وقال ابن أبي الحديد: الظاهر أنه - عليه السلام - يؤمن في قوله «لم أزد
على الله... الخ» إلى أمور وقعت عن غيره. ^{١٠٨١}
ثم ذكر أموراً كثيرة من مخالقات عمر و معارضاة لرسول الله - صلى الله
عليه وآله -.

وقال في قوله - عليه السلام - «و لقد واسيته بنفسي» يقال: «واسيته و
أسيته» و بالهمزة أفصح. وهذا مما اختص - عليه السلام - بفضيلته غير مدافع،
ثبت معه يوم أحد و فرّ الناس، و ثبت معه يوم حنين و فرّ الناس، و ثبت معه تحت
رايته يوم خيبر حتى فتحها و فرّ من كان بعث بها قبله. ^{١٠٨٢} انتهى.

و قال الجوهري: «نكص ينكص» رجع. و «نجدة» منصوب على المصدر لفعل محذوف، و هي الشجاعة. «و إن رأسه لعلى صدري» قيل: لعله أسنده إلى صدره عند اشتداد عنته، أو كان رأسه - صلى الله عليه وآله - على ركبته فيكون رأسه في صدره عند إكبابه عليه. و قد يقال: المراد بسيلان النفس هبوب النفس عند انقطاع الأنفاس. و قيل: أراد بنفسه دمه، يقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قاء عند وفاته دماً يسيراً و أن علياً - عليه السلام - مسح بذلك وجهه. و لا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز أن يخص دم الرسول - صلى الله عليه وآله -.

و «الضجيج» الصياح عند المكروه، و الجزع. و «الهيمنة» الكلام الخفي لا يفهم. و «الصلاة» تحمل الحقيقة والدعاء. و انتصاب قوله «حيّاً و ميتاً» بالحالية من الضمير المجرور في «به»، لا عن الضمير في «متي» كما لا يخفى. قوله - عليه السلام - «فانفدوا» أي أسرعوا إلى الجهاد على بصيرة منكم. و «اللزلة» الموضع الذي يزل فيه الإنسان كما المزلة. ١٠٨٣

توضيح: «المستحفظون» الضابطون لأحوال النبي - صلى الله عليه وآله - المطلاعون على سيرته، أو علماء الصحابة لأنهم استحفظوا الكتاب والسنة. و «النجدة» الشجاعة. و «الهيمنة» الكلام الخفي لا يفهم. ١٠٨٤

بيان: «الهيمنة» الكلام الخفي لا يفهم. ١٠٨٥

- ١٠٨٣ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٩٢، ط كسباني و ص ٦٣٩، ط تبريز.
 ١٠٨٤ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٣٨، كتاب تاريخ أمير المؤمنين - عليه السلام -، ص ٣١٨.
 ١٠٨٥ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢٢، كتاب تاريخ نبينا - صلى الله عليه وآله -، ص ٥٤٠.

١٩٨ - ﴿قَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

بينه على إحاطة علم الله بالجزئيات ، ثم يبحث على التقوى ،
ويبين فضل الإسلام والقرآن

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ ،
وَإِخْتِلَافَ النَّيَّانِ^(٢٧٩٠) فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ
الْعَاصِفَاتِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ^(٢٧٩١) ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ ،
وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .



المصنعة بالتقوى

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أِبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ
يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ
قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ^(٢٧٩٢) . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ
قُلُوبِكُمْ ، وَبَصْرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ
فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجِلَاءُ عَسَا أَبْصَارِكُمْ ،
وَأَمْنُ فَرْعِ جَاشِكُمْ^(٢٧٩٣) ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ
شِعَارًا^(٢٧٩٤) دُونَ دِئَارِكُمْ^(٢٧٩٥) ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفًا بَيْنَ
أَضْلَاعِكُمْ ، وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلًا^(٢٧٩٦) لِحِينِ وُرُودِكُمْ ،
وَشَفِيحًا لِدَرْكِ^(٢٧٩٧) طَلِبَتِكُمْ^(٢٧٩٨) ، وَجَنَّةً^(٢٧٩٩) لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ

لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكْنَا لِعُطُولِ وَخَشَتِكُمْ ، وَنَفْسًا لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ .
 فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفِ مُكْتَنِفَةٍ ، وَمَخَافٌ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأَوَارٍ (٢٨٠٠)
 نِيرَانِ مُوقَدَةٍ . فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ (٢٨٠١) عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوهَا ،
 وَأَحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأُمُوجُ بَعْدَ تَرَاجُمِهَا ،
 وَأَسَهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا (٢٨٠٢) ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكِرَامَةُ بَعْدَ
 قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّثَتْ (٢٨٠٣) عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ
 بَعْدَ نُضُوبِهَا (٢٨٠٤) ، وَوَبَّلتُ عَلَيْهِ الْبَرَكَاتُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا (٢٨٠٥) .

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَأَمَّنْ
 عَلَيْكُمْ بِبِنْعَمَتِهِ ، فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ ، وَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ
 طَاعَتِهِ .

فضل الاسلام

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَأَصْطَفَعَهُ عَلَى
 عَيْنِهِ . وَأَصْطَفَاهُ (٢٨٠٦) خَيْرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ . أَذَلَّ الْأَدْيَانَ
 بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ الْأَيْمَانَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكِرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ مُحَادِّدَهُ (٢٨٠٧)
 بِنُصْرِهِ ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ (٢٨٠٨) . وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ
 حِيَاضِهِ . وَأَنَاقَ (٢٨٠٩) الْجِيَاضَ بِسَوَاتِحِهِ (٢٨١٠) . ثُمَّ جَعَلَهُ لَا أَنْفِصَامَ

لِعُرْوَتِهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا أَنْهَادَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِذَعَائِمِهِ ،
وَلَا أَنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا أَنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ . وَلَا عَفَاءً ^(٢٨١١) لِشَرَائِعِهِ ،
وَلَا جَذًّا ^(٢٨١٢) لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ ^(٢٨١٣) لِبَطْرِيقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةً ^(٢٨١٤)
لِسُهُولَتِهِ . وَلَا سَوَادَ لِبُوضَحِهِ ^(٢٨١٥) ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ ^(٢٨١٦)
فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ ^(٢٨١٧) لِفَجْحِهِ ^(٢٨١٨) ، وَلَا أَنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلَا
مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ . فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاحٍ ^(٢٨١٩) فِي الْحَقِّ أَسَاخِهَا ^(٢٨٢٠) ،
وَتَبَّتْ لَهَا آسَاسُهَا . وَيَنَابِيعُ غُرَّتْ عِيُونُهَا . وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ
نِيرَانُهَا ^(٢٨٢١) . وَمَمَارٌ ^(٢٨٢٢) أَقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا ^(٢٨٢٣) ، وَأَعْلَامٌ ^(٢٨٢٤)
قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلٌ رَوِيَ بِهَا وَرَادُهَا . جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى
رِضْوَانِهِ ، وَدِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ ؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ ،
رَفِيعُ الْبُنْيَانِ . مُنِيرُ الْبُرْهَانِ ، مُضِيءُ النِّيرَانِ ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ .
مُشْرِفُ الْمَنَارِ ^(٢٨٢٥) ، مُعَوِّذُ الْمَثَارِ ^(٢٨٢٦) . فَشَرَّفُوهُ وَآتَبَعُوهُ ، وَأَدَّوْا إِلَيْهِ
حَقَّهُ ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ .

بيان: «الاصطفاء» الاختيار، أي اختاره لأن يكون طريقاً إلى طاعته و
سبيلاً إلى جنته. و «الاصطناع» افتعال من «الصنعة» وهي العطيّة والكرامة
والاحسان، و «اصطنعه» أي اختاره و اتخذه صنيعه و «اصطنع خاتماً» أي أمر أن
يصنع له. وقال بعض شراح النهج: تقول: «اصنع لي كذا علي عيني» أي اصنعه
صنعة كالتّي تصنعها وأنا حاضر أشاهدها بعيني؛ فالمعنى: أمر بأن يصنع الإسلام
كالمصنوع المشاهد للأمر أي أسس قواعده على ما ينبغي و على علم منه بدقائقه، و

قبل: أي على علم منه بشرفه وفضله. وقيل: أي اختاره أو أمر بأن يصنع حافظاً له كما يقال في الدعاء بالحفظ والحياطة: «عين الله عليك». و«على» يفيد الحال على الوجوه. و«اصطفيت الشيء» أي آثرته و«اصطفيته الود» أي أخلصته.

«و أصفاه خيرة خلقه» أي آثر واختار للبعثة به خيرة خلقه، أو جعل خيرة خلقه خالصاً لتبليغه دون غيره. و«الخيرة» بالكسر و كعنية، الاسم من «الاختيار». و«الدعامة» بالكسر، عماد البيات، والضمير في «محبته» للاسلام أو لله. و«ذلة الأديان» نسخها، أو المراد ذلة أهلها. وكذا «وضع الملل» وهو الحظ ضد الرفع يحتملها. و«نخذله» - كنصره - ترك نصرته. و«المحادثة» المخالفة ومنع ما يجب عليك من الحد بمعنى المنع. و«ركن الشيء» جانبه الذي يستند إليه ويقوم به، و«أركان الضلالة» العقائد المضلّة أو رؤساء أهل الضلال أو الأصنام. و«ركنه» أصوله وقواعده أو النبي - صلى الله عليه وآله - أو كلمة التوحيد. و«حياضه» قوانينه أو النبي والأئمة - صلوات الله عليهم - أو العلماء أيضاً وماءها العلم والهداية. و«تنق الحوض» - كفرج - أي امتلاً، و«أتأفه» أملاًه. و«الماتع» المستقي الذي يستخرج الدلو. و«الحياض» هنا المستفيدون و«مواتحه» الأئمة الآخذون شرائعه عن النبي - صلى الله عليه وآله - أو المستنبطون من القرآن، أو العلماء المستنبطون معالم الكتاب والسنة بأفكارهم، أو الآخذون عن النبي والأئمة - عليهم السلام - و يحتمل أن يراد بالحياض القواعد والمواتع المؤتسسون لها بأمر الله المبتنون لها للمستضيئين بأنوارهم؛ أو يراد بالحياض أولي العلم - عليهم السلام - الذين ملأ الله صدورهم من زلال المعرفة والهداية و بالمواتع المبلغون عن الله من الملائكة وروح القدس والالهامات الربانية.

و «الانفصام» الانكسار أو من غير إيانة، و «العروة» من الدلو والكوز المقبض. و «الفك» الفصل. و «العفاء» الدروس و ذهاب الأثر. و «الشرية» ما شرع الله لعباده أي سنّ و أوضح. و «الجد» بالجيم والذال المعجمة، القطع أو القطع المستأصل؛ وفي بعض النسخ بالحاء المهملة وهو القطع، وفي بعضها بالجيم والذال

المهيلة و هو القطع أيضاً والفعل في الجميع كـ «مد»، و «الضنك» الضيق، و «وعوثة الطريق» تعسر سلوكه، وأصله من «الوعث» و هو الرمل، والمشي فيه يشتد ويشقّ و منه «وعشاء السفر» لشدة و مشقته، و عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -: «بعث إليكم بالحنيفية السمحة السهلة البيضاء».

و «الْوَضَح» بالتحريك، البياض و بياض الاسلام صفاءه عن كدر الباطل. و «نصبت الشيء» أي أقتته و رفعته فانتصب. و «التصّل» بالتحريك، الاستواء والاعوجاج أو الاعوجاج في صلابة. و «الفج» الطريق الواسع بين الجبلين. و «طفئت النار - كفرح - و انطفأت» أي ذهب لها.

و «حلاوة الدين» لذة القرب من الله والنعم الدائم. و «ساخ الشيء في الأرض» أي غاب و غار. و «الينع» بالكسر الأصل. و «الأساس» - كسحاب - أصل البناء. و «الينبوع» العين ينبع منه الماء أي يخرج، وقيل: الجدول الكثير الماء و هو أنسب. و «غزر العين» - ككرم - أي كثر ماؤه. و «شبت النار» على المعلوم والمجهول، توقدت، لازم متعد، ولا يقال: «شابة» بل مشبوبة، و في النسخ على المجهول. و «النيران» جمع «نار». و «المنار» جمع «منارة» و هو العلم يهتدى به، و قيل: «المنار والمنارة» موضع النور. و «سفر الرجل» - كنصر - أي خرج للارتحال فهو سافر. و «الفج» الطريق الواسع الواضح بين جبلين. و «المنهل» المشرب والموضع الذي فيه المشرب، و «روي» - كرضي - ضد العطش. و «الوراد» الذين يردون الماء ضد الصادرين. و «ذروة الشيء» بالضم والكسر، أعلاه؛ و كذلك «السنام» - كسحاب - مأخوذ من سنام البعير. و «الوثيق» المحكم الثابت. و «ركن الشيء» بالضم جانبه. و «البيان» ما بيني و مصدر «بنيت الدار وغيره». و «البرهان» الحجّة. و «العزة» القوة والغلبة و ضد الذلّة. و «السلطان» يحتمل الحجّة والسلطنة. و «أشرف الموضع» أي ارتفع. و «أعوزه الشيء» أي احتاج إليه فلم يقدر عليه و «أعوز فلان» إذا افتقر و «أعوزه الدهر» أي أحوجّه.

و «ثار الغبار» هاج و سطع، و «ثار به الناس» و ثبوا عليه، و «ثار فلان إلى

«الشر» أي نهض، و«المثار» الموضع والمصدر. قيل: أي يعجز الناس إثارة و إزعاجه لقوته وثباته، وقال بعضهم: أي يعجز الخلق إثارة دفاثته وما فيه من كنوز الحكمة ولا يمكنهم استقصاؤها. و روى بعض: «معوز المثال» باللام، أي يعجز الخلق عن الإتيان بمثله.

«فشرفوه» أي عدوه شريفاً واعتقدوه كذلك، وكذلك عظموه. و «أداء حقه» الاتباع الكامل. و «وضعه مواضعه» الكيف عن تغيير أحكامه والعلم بمرتبه و مقداره الذي جعله الله له، أو العمل بجميع ما تضمنته من الأوامر والنواهي.

الرسول الاعظم

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ
 حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْأَنْقِطَاعُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ ،
 وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ ، وَخَشِنَ مِنْهَا
 مِهَادُ ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادُ ، فِي أَنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا ، وَأَقْتَرَابِ
 مِنْ أَشْرَاطِهَا ، وَتَصَرُّمِ ، مِنْ أَهْنِهَا ، وَأَنْفِصَامِ مِنْ
 خَلْقَتِهَا ، وَأَنْتِشَارِ مِنْ سَبَبِهَا ، وَعَفَاءِ مِنْ أَعْلَامِهَا ، وَتَكَشُّفِ
 مِنْ عَوْرَاتِهَا ، وَقِصْرِ مِنْ طُولِهَا .

جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ ، وَرَبِيبًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ ،
 وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ .

بيان: «على ساق» أي على شدة. و «المهاد» الفراش. قوله — عليه السلام — «و أرف منها قياد» أي قرب منها انقياد للانقطاع والزوال. و «أشراط الساعة» علاماتها. و «التصرم» الانقضاء. و «الانفصام» الانقطاع. و كتى بالحلقة عن نظامها و اجتماع أهلها بالنواميس والشرائع. و «السبب» كل شيء يتوصل به إلى غيره، و انتشاره كناية عن فساد أسباب ذلك النظام. و «العفاء» الدروس والهلاك. و يمكن أن يكون المراد بالأعلام العلماء والصلحاء. قوله «من طوها» أي من امتدادها، و قرئ الطول بكسر الطاء وفتح الواو بمعنى الحبل. ١٠٨٧

القرآن الكريم

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجًا لَا
يَخْبُو^(٢٨٣٥) تَوَقُّدُهُ ، وَبَحْرًا لَا يَدْرِكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَاجًا^(٢٨٣٦) لَا يُغْبِلُ^(٢٨٣٧)
نَهْجَهُ ، وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ، وَفِرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بُرْهَانُهُ ،
وَتَبْيَانًا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ ، وَشِفَاءً لَا تُخْشِي أَسْقَامُهُ ، وَعِزًّا لَا تُهْزِمُ
أَنْصَارُهُ ، وَحَقًّا لَا تُخَذَلُ أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتِهِ^(٢٨٣٨) ،
وِنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ ، وَرِيَاضُ^(٢٨٣٩) الْعَدْلِ وَغَدْرَانُهُ^(٢٨٤٠) ، وَأَثَافِي^(٢٨٤١)
الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيْطَانُهُ^(٢٨٤٢) . وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ
الْمُسْتَنْزِفُونَ^(٢٨٤٣) ، وَعَيْونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ^(٢٨٤٤) ، وَمَنَاهِلٌ^(٢٨٤٥)
لَا يَغِيْضُهَا^(٢٨٤٦) الْوَارِدُونَ ، وَمَنَازِلٌ لَا يَصِلُ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلَامٌ
لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ ، وَآكَامٌ^(٢٨٤٧) لَا يَجُوزُ عَنْهَا^(٢٨٤٨) الْقَاصِدُونَ .

جَعَلَهُ اللهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيْعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجٍ^(٢٨٤٩)
 لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ،
 وَحَبْلًا وَثِيْقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيْعًا ذُرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْمًا
 لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنْ أَتَمَّ بِهِ ، وَعُذْرًا لِمَنْ أَنْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَانًا
 لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلَجًا^(٢٨٥٠) لِمَنْ حَاجَّ بِهِ ،
 وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجَنَّةً^(٢٨٥١)
 لِمَنْ اسْتَلَامَ^(٢٨٥٢) ، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى ، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى ، وَحُكْمًا
 لِمَنْ قَضَى^(٢٨٥٣)

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

۱۹۹ - وَمِنْ مَعْرِفَةِ الْوَقْتِ

كان يومی به اصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَأَسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا
 بِهَا ، فَإِنَّهَا « كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى
 جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا : لَمْ نَكُ
 مِنْ الْمُصَلِّينَ » . وَإِنَّهَا لَتَحْتُ الذُّنُوبَ حَتَّى^(٢٨٥٤) الْوَرَقِ ، وَتُطَلِّقُهَا
 إِطْلَاقَ الرَّبْقِ^(٢٨٥٥) ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -
 بِالْحَمَّةِ^(٢٨٥٦) تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ

وَاللَّيْلَةَ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ ^(٢٨٥٧) ؟ وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ . يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - نَصَبًا ^(٢٨٥٨) بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَضْطَبِرُ عَلَيْهَا » ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَضْطَبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

توضيح: «الحت» نثر الورق من الغصن. و«الربق» جمع «الربقة» وهي في الأصل عروة في حبل يجعل في عنق البهيمة ويدها يمسكها، ذكره الجزري؛ أي تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقدة.

وقال في العين: «الحمة» عين ماء حار. وقيل: التاء في «إقامة» عوض عن العين الساقطة للإعلال، فإن أصله «إقوم» مصدر «أقوم» كقولك «أعرض إعراضاً» فلما أضيف أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت التاء. قوله - عليه السلام - «وَيَضْطَبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ» أي يحبس، قال - تعالى - : «وَأَضْطَبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» (النور: ٣٧). ١٠٨٨

الزكاة

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيَّبَ النَّفْسَ بِهَا ، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً .

فَلَا يُتَّبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفَهُ ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ
طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا ، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسَّنَةِ ،
مَغْبُوتٌ ^(٢٨٥٩) الْأَجْرِ ، ضَالٌّ الْعَمَلِ ، طَوِيلُ النَّدَمِ .

الامانة

ثُمَّ آدَاءَ الْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى
السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْأَرْضِينَ الْمَذْجُوعَةِ ^(٢٨٦٠) ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ
الْمَنْصُوبَةِ ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ ، وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوْ
أَمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَعَ ، وَلَكِنْ أَشْفَقْنَا مِنْ
الْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَا مَا جَهَلَ مَنْ هُوَ أَوْضَعُ مِنْهُمْ ، وَهُوَ الْإِنْسَانُ ، « إِنَّهُ
كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » .

علم الله تعالى

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ ^(٢٨٦١) فِي
لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ . لَطْفًا بِهِ خَبِيرًا ^(٢٨٦٢) ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا
أَعْضَاؤَكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عِيُونُهُ ، وَخَلْقَاتُكُمْ
عِيَانُهُ ^(٢٨٦٣)

٢٠٠ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ السَّالِمَاتِ

في معاوية

وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةَ بِأَذَى مِنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةَ
الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذَى النَّاسِ ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ
كُفْرَةٌ . « وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوْمٍ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وَاللَّهِ مَا أَسْتَفْغَلُ بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا أَسْتَفْغِرُ بِالشَّدِيدَةِ (٢٨٦٤)

بيان: «الغمز» العصر باليد والكبس، أي لا ألين بالخطب الشديد، بل
أصبر عليه: ويروى بالراء المهملة، أي لا أستجمل بشدائد المكاره. ١٠٨٩

٢٠١ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ السَّالِمَاتِ

يعظ بسلوك الطريق الواضح

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ
قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعُهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضَى وَالسُّخْطُ (٢٨٦٥) . وَإِنَّمَا عَقَرَ
نَاقَةَ ثُمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرَّضَى ، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ : « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ نَخَّارَتْ (٢٨٦٦)

أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُورَ السُّكَّةِ الْمُحَمَّاةِ (٢٨١٧) فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ (٢٨٦٨)

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التُّبَيْهِ!

بيان: لما كانت العادة جارية بأن يستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفيق في الطريق لاسيما إذا كان طويلاً صعباً غير مأنوس، فهي عن الاستيحاش في تلك الطريق وكتى به عما عساه يعرض لبعضهم من الوسوسة بأنهم ليسوا على الحق لقلتهم وكثرة مخالفهم، كما أشرنا إليه.

و أيضاً قلة العدد في الطرق الحسية مظنة الهلاك والسلامة مع الكثرة، فبتهم — عليه السلام — على أنهم في طريق الهدى والسلامة وإن كانوا قليلين، ولا يجوز مقايضة طرق الآخرة بطرق الدنيا بطريق الهدى والسلامة.

ثم نبه على علة قلة أهل طريق أهل الهدى وهي اجتماع الناس على الدنيا فقال: «فإن الناس»، واستعار للدنيا المائدة لكونها مجتمع اللذات، وكتى عن قصر مدتها بقصر شعبها، وعن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل في الآخرة بطول جوعها.

قيل: و لفظ الجوع مستعار للحاجة الطويلة بعد الموت إلى المطاعم الحقيقية الباقية من الكمالات النفسانية وهو بسبب الغفلة في الدنيا، فلذلك نسب الجوع إليها. ١٠٩٠

بيان: «الخوار» صوت البقر، و «السكة» هي التي يحرق بها. و «المحماة» أقوى صوتاً وأسرع غوصاً. ١٠٩١

١٠٩٠ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٦٧، كتاب الايمان والكفر، ص ١٥٨.

١٠٩١ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١١، كتاب النبوة، ص ٣٧٩.

٢٠٢ — وَمِنْ كَلِمَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام ، كالمناجي به
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قبره

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي ، وَعَنْ أِبْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ ،
وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ! قُلْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقُّ
عَنهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنْ فِي النَّاسِي (٢٨٦٩) لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ ، وَفَادِحِ (٢٨٧٠)
مُصِيبَتِكَ ، مَوْضِعِ تَعَزُّ (٢٨٧١) ، فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ (٢٨٧٢) قَبْرِكَ ،
وَقَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، «فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» .
فَلَقَدْ اسْتَرْجَعَتِ الْوَدِيعَةَ ، وَأَخَذَتِ الرَّهِيْنَةَ ! أَمَا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَا
لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ ، (٢٨٧٣) إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَاوِكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ .
وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافِرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْبِهَا (٢٨٧٤) ، فَأَحْفِيهَا (٢٨٧٥) السُّوَالُ ،
وَأَسْتَخْبِرُهَا الْحَالَ ، هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخُلْ مِنْكَ الذُّكْرُ ،
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامٌ مُودَعٌ ، لَا قَالَ (٢٨٧٦) وَلَا سَيِّمٌ (٢٨٧٧) ، فَلِنْ
أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أَقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ
الصَّابِرِينَ .

٢٠٣ - وَمَنْ أَمَّا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ

في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَجَازٍ ^(٢٨٧٨) ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا
 مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَقَرِّكُمْ ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ ،
 وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَفِيهَا
 اخْتَبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ . إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟
 وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟ ^{لِللَّهِ آبَاؤُكُمْ} ! فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ
 قَرَضًا ، وَلَا تَخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرَضًا عَلَيْكُمْ .

٢٠٤ - وَمَنْ أَمَّا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ

كان كثيراً ما ينادي به استعابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَأَقْلُوا الْعَرْجَةَ ^(٢٨٧٩)
 عَلَى الدُّنْيَا ، وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ
 عَقَبَةَ كَوُوداً ^(٢٨٨٠) ، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً ، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا ،
 وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَّ الْمَنِيَّةِ ^(٢٨٨١) نَحْوَكُمْ دَانِيَةً ^(٢٨٨٢) ،
 وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ ^(٢٨٨٣) فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْطَعَاتُ
 الْأُمُورِ ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْدُورِ . فَقَطَّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا وَأَسْتَظْهَرُوا ^(٢٨٨٤)

بِرَّادِ التَّقْوَى .

وقد معنى شيء من هذا الكلام فيما تقدم ، بخلاف هذه الرواية .

٢٠٥ - وَمِنْ حِكَايَاتِ الْأَنْبِيَاءِ

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتها ،
والاستعانة في الأمور بها

لَقَدْ نَقَمْتُمَا ^(٢٨٨٥) . يَسِيرًا ، وَأَرْجَانُتُمَا ^(٢٨٨٦) كَثِيرًا . أَلَا تُخْبِرَانِي ،
أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ ؟ أَمْ أَيُّ قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُمَا
عَلَيْكُمَا بِهِ ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعْتُمَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ ، أَمْ
جَهَلْتُمَا ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ ^{بِحُكْمِ كَثِيرٍ مِنْ رِوَايَاتِهِ}

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ ^(٢٨٨٧) ،
وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا ، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا ، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ
إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا ، وَأَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا اسْتَنَّ
النَّبِيُّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَاقْتَدَيْتُهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ
إِلَى رَأْيِكُمَا ، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُمَا ، فَاسْتَشِيرَكُمَا
وَأَخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا ، وَلَا عَنْ
غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأَسْوَةِ ^(٢٨٨٨) ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ
أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي ، وَلَا وَلِيِّتُهُ هَوَى مِنِّي ، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ

رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَسْتَجِبْ
إِلَيْكُمْ فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ ، فَلَيْسَ
لَكُمْ ، وَاللَّهِ ، عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمْ فِي هَذَا عُنْتِي^{١٠٩٢} . أَخَذَ اللَّهُ
بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَاللَّهِمَّ وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ .
ثم قال عليه السلام : رَجِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ
رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ .

توضيح: قال في النهاية: «نعم» إذا بلغت به الكراهة حد السخط. وقال
ابن أبي الحديد: أي نعمتا من أحوالي السير وتركنا الكثير الذي ليس لكما ولا لغيركما
فيه مطعن فلم تذكره، فهلاً اغتفرنا السير للكثير؟ وليس هذا اعترافاً بأن مانقماه
موضع الطعن والعيب، ولكنه على جهة الاحتجاج^{١٠٩٢}.

و قال ابن ميثم: أشار بالسير الذي نقماه إلى ترك مشهورتها و تسويتها
لغيرها في العطاء، فإنه وإن كان عندهما صعباً فهو لكونه غير حق في غاية السهولة.
والكثير الذي أرجاه ما أخراه من حقه ولم يوفياه إياه^{١٠٩٣}.
وقيل يحتمل أن يريد أن الذي أبدياه و نقماه بعض ممّا في أنفسهما، وقد
دل ذلك على أنّ في أنفسهما أشياء كثيرة لم يظهرها.

و «الاستئثار» الانفراد بالشيء. و دفع الحق عنها أعم من أن يصير إليه—
عليه السلام— أو إلى غيره أو لم يصير إلى أحد بل بقي بحاله في بيت المال. و «الاستئثار
عليها به» هو أن يأخذ حقها لنفسه. و جهل الحكم أن يكون الله قد حكم بجرمة
شيء فأحلّه الإمام، و جهل الباب^{١٠٩٤} أن يصيب في الحكم و يخطئ في الاستدلال؛

١٠٩٢- شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٨، ط بيروت.

١٠٩٣- شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ١٠، ط بيروت.

١٠٩٤- كذا، والصواب هو أن يكون: وخطأ الباب.

أو يكون جهل الحكم بمعنى التحير فيه وأن لا يعلم كيف يحكم والخطأ في الباب أن يحكم بخلاف الواقع، و«الإربة» بالكسر، الحاجة، و«الأسوة» بالضم والكسر، القدوة، أي أسوتكما بغيركما في العطاء. ويقال للأمر الذي لا يحتاج إلى تكميل: مفروغ منه و«العتبي» الرجوع من الذنب والإساءة. ١٠٩٥

٢٠٦ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ السَّالِمَاتِ

وقد سمع قوما من اصحابه يسبون أهل الشام أيام حريم بصفين

إِنِّي أُنْكِرُهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ ،
وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ ، كَانَ أَضُوبَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ
مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ : اللَّهُمَّ أَحْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا
وَبَيْنِهِمْ ، وَأَهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقُّ مَنْ جَهَلُهُ ،
وَيَرْعَوِي^(٢٨٩٠) عَنِ الْغِيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ^(٢٨٩١)

بيان: قوله - عليه السلام - «و أبلغ في العذر» أي العذر في القتال معهم، أو في إتمام الحجّة عليهم وإيداء عذر الله - تعالى - في عقابهم. وفي النهاية: «حقنت دمه» إذا منعت من قتله، و«أراقته» أي جمعت له وحبسته عليه. و«يرعوي» أي يرجع ويكف. و«اللهج بالشيء» الولوع به، و«قد لهج» بالكسر، اغري به. ١٠٩٦

١٠٩٥ - بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٤٠١، ط كعباني وص ٣٧٦، ط تبريز.

١٠٩٦ - بحار الأنوار الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٥٩، ط كعباني وص ٤٧٢، ط تبريز.

٢٠٧ - وَمَنْ كَلِمَاتٍ لَا يَلْمِهَا اللَّهُ

في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب
 أَمَلِكُوا^(٢٨٩٢) عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِينِي^(٢٨٩٣) ، فَإِنِّي أَنفَسُ^(٢٨٩٤)
 يَهْدِينَ - يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَى الْمَوْتِ لِثَلَا
 يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .
 قال السيد الشريف ، وقوله عليه السلام « املكوا عني هذا الغلام » من أعلى الكلام
 وافصح .

بيان: في أكثر النسخ: « املكوا » بفتح الهمزة. وقال ابن أبي الحديد: الألف
 في « املكوا » ألف وصل لأن الماضي ثلاثي من « ملكت الفرس والدار أملك »
 بالكسر، أي احجروا عليها كما يحجر المالك على مملوكه. و « عن » متعلقة بمحذوف،
 تقديره: استولوا عليه وأبعدوه عني. ولما كان الملك سبب الحجر غير بالسبب عن
 المسبب. ووجه علو هذا الكلام وفصاحته أنه لما كان في « املكوا » معنى البعد
 أعقبه بـ « عن »، وذلك أنهم لا يملكونه دونه - عليه السلام - إلا وقد أبعده
 عنه. ١٠٩٧

قوله - عليه السلام - « يهتني » أي لثلاً يهتني، و « هت البناء » كسره و
 « نفست به » بالكسر، أي بخلت به. ١٠٩٨

٢٠٨ - وَمَنْ كَلِمَاتٍ لَا يَلْمِهَا اللَّهُ

قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة
 أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحْبَبْتُ ، حَتَّى نَهَيْتُكُمْ^(٢٨٩٥)

١٠٩٧ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٥، ط بيروت.

١٠٩٨ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٥٥٩، ط كمباني و ص ٤٧٢، ط تبريز.

الْحَرْبُ ، وَقَدْ ، وَاللَّهِ ، أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكَ .
 لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا ، وَكُنْتُ أَمْسِ
 نَاهِيًا ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مِنْهِيًا ، وَقَدْ أَحْبَبْتُمْ الْبَقَاءَ ، وَلَيْسَ لِي أَنْ
 أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ !

بيان: قال الجوهري: «نهكت الثوب - بالفتح - نهكاً» لبسته حتى خلق،
 و «نهكت من الطعام» بالغت في أكله و «نهكته الحمى» إذا جهده و أضنته و
 نقضت لحمه؛ و فيه لغة أخرى: نهكته الحمى - بالكسر - تنهكه نهكاً و نهكه.
 قوله - عليه السلام - «و تركت» أن لم يستأصلكم بل فيكم بعد بقية. «و هي
 لعدوكم أنهك» لأن القتل في أهل الشام كان أشد استحراراً، والوهن فيهم أظهر.
 قوله - عليه السلام - «وليس لي أن أحملكم» أي لاقدرة لي عليه و إن كان يجب و
 عليكم إطاعتي. ١٠٩٩

٢٠٩ - وَمَنْ دَخَلَ بَصْرَةَ

بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه -
 يعود ، فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ
 كُنْتَ أَخْوَجَ ؟ وَبَلَى ! إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ : تَقْرِي فِيهَا الضُّيْفَ ،
 وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ^(٢٨٩١) مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا ، فَإِذَا أَنْتَ
 قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ .

فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين ، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد . قال : وما له ؟ قال :
لبس العباة وتخلّى عن الدنيا . قال : عليّ به . فما جاء قال :

يَا عُدَيَّ^(٢٨٩٧) نَفْسِيهِ ا لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ا أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ
وَوَلَدَكَ ا أترى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ا أَنْتَ
أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ا

قال : يا أمير المؤمنين ، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة ما كلك ا

قَالَ : وَيَحْكُكَ ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أُمَّةٍ
الْعَدْلَ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ^(٢٨٩٨) بِصَعْفَةِ النَّاسِ ، كَيْلًا يَتَّبِعُ^(٢٨٩٩)
بِالْفَقِيرِ فَقْرَهُ ا

بيان: قوله «كنت أحوج»، «كنت» ههنا زائدة، مثل قوله— تعالى—:

«مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا»^{١١٠٠} . و «مطالع الحقوق» وجوهها الشرعية. قوله— عليه

السلام— «عليّ به» أي أحضره، والأصل: اعجل به عليّ، فحذف فعل الأمر ودن

الباقي عليه. و «العُدَيَّ» تصغير عدوّ، وقيل: إنّها صغره من جهة حقارة فعله ذلك

لكونه عن جهل منه، وقيل: أريد به الاستعظام لعداوته لها، وقيل: خرج مخرج

التحتن والشفقة كقولهم «يا بني». قوله «لقد استهام بك الخبيث» أي يجعلك

الشیطان هائماً ضالاً، والباء زائدة. و «طعام جشِب» أي غليظ. و «تتبع الدم

بصاحبه» إذاهاج.^{١١٠١}

١١٠٠— مريم: ٢٩.

١١٠١— بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤٠، كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام، ص ٣٣٦.

٢١٠ - وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ عَدْوًا

وقد سألناه سائل عن أحاديث البدع ، وعمّا في أيدي الناس
من اختلاف الخبر ، فقال عليه السلام :

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَصِدْقًا وَكُذِبًا ، وَنَاسِيحًا وَمَنْسُوحًا ،
وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا ، وَحِفْظًا وَوَهْمًا . وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَيَّ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَلَيَّ عَهْدِهِ ، حَتَّى قَامَ خَطِيبًا ،
فَقَالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَسْبُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .
وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :

المنافقون

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ ، مُتَّصِعٌ بِالإِسْلَامِ ، لَا يَتَّئِمُّ (٢١٠٠) وَلَا
يَتَحَرِّجُ (٢١٠١) ، يَكْذِبُ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -
مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ، وَلَمْ
يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا : صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ - رَأَاهُ ، وَسَمِعَ مِنْهُ ، وَلَقِفَ عَنْهُ (٢١٠٢) ، فَيَأْخُذُونَ
بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا
وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ ، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أئِمَّةِ الضَّلَالَةِ ، وَالِدُّعَاةِ

إِلَى النَّارِ بِالنُّزُورِ وَالْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا ، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ .

الخاطئون

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَوَهِسَ فِيهِ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا ، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيَقُولُ : أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَسَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ !

اهل الشبهة

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ ، وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

الصادقون المافظون

وَأَخْرَجُ رَابِعٌ ، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ

لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنْ اللَّهِ ، وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ وَلَمْ يَهْمُ^(٢٩٠٤) ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلِيٌّ وَجْهَهُ ، فَجَاءَ بِهِ
 عَلِيٌّ مَا سَمِعَهُ ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ
 بِهِ ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ^(٢٩٠٥) ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ ،
 وَالْمُحَكَّمَ وَالْمُتَشَابِهَ^(٢٩٠٦) ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْكَلَامُ
 لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ ، وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا
 عَنِ اللَّهِ ، سُبْحَانَهُ ، بِهِ ، وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ ، وَيُوجِّهُهُ عَلِيٌّ غَيْرَ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَمَا
 قَصِدَ بِهِ ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ ، حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا
 لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ ، فَيَسْأَلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّىٰ
 يَسْمَعُوا ، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِبِيٍّ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ
 فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

ل: أبي، عن علي، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر
 اليماني وعمر بن أذينة، عن أبان بن أبي عيثان، عن سليم بن قيس الهلالي قال: قلت
 لأمر المؤمنين - عليه السلام - : يا أمير المؤمنين! إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي

ذر شيئاً من تفسير القرآن و أحاديث عن نبي الله - صلى الله عليه وآله - غير ما في أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن و من الاحاديث عن نبي الله - صلى الله عليه وآله - أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون أن ذلك كله باطل؛ أفترى الناس يكذبون على رسول الله - صلى الله عليه وآله - متعمدين و يفسرون القرآن بأرائهم؟

قال: فأقبل عليّ - عليه السلام - عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب!

إن في أيدي الناس حقاً و باطلاً، و صدقاً و كذباً، و ناسخاً و منسوخاً، و عاماً و خاصاً و محكماً و متشابهاً، و حفظاً و وهماً. وقد كذب على رسول الله - صلى الله عليه وآله - على عهده حتى قام خطيباً فقال: «أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». ثم كذب عليه من بعده. إنها أناكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الإيمان متصنع بالإسلام لا يتأتم ولا يتحرج أنه يكذب على رسول الله - صلى الله عليه وآله - متعمداً فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: هذا قد صحب رسول الله - صلى الله عليه وآله - و رآه و سمع منه فأخذوا منه وهم لا يعرفون حاله و قد أخبر الله - عز و جل - عن المنافقين بما أخبره و وصفهم بما وصفهم، فقال - عز و جل - : «وَإِذَا زَاتَتْهُمْ تَفْجِئَتُكَ أَجْسَابُهُمْ وَانْ بَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ» ١١٠٢.

ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلال و الدعاة إلى النار بالزور و الكذب و البهتان، فولّوهم الأعمال و حملوهم على رقاب الناس و أكلوا منهم الدنيا ١١٠٣، و إنما الناس مع الملوك و الدنيا إلّا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة. و رجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه و وهم فيه ولم يتعمد كذباً، فهو في يده يقول به و يعمل به و يرويه ويقول: أنا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وآله -، فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه و لو علم هو أنه وهم لرفضه.

١١٠٢ - المناقون: ٤.

١١٠٣ - وفي نسخة: و أكلوا بهم الدنيا.

ورجل ثالث سمع من رسول الله - صلى الله عليه وآله - شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ للناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول الله - صلى الله عليه وآله -، مبغض للكذب خوفاً من الله - عز وجل - وتعظيماً لرسول الله لم يسه^{١١٠٤}، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ: وإن أمر النبي - صلى الله عليه وآله - مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص عام ومحكم ومتشابه، وقد كان يكون من رسول الله - صلى الله عليه وآله - الكلام له وجهان: فكلام عام وكلام خاص مثل القرآن، وقال الله - عز وجل - في كتابه: «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْ نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^{١١٠٥}. فيشبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله، وليس كل أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - يسأله عن الشيء فيفهم؛ كان منهم من يسأله ولا يفهمه، حتى أن كانوا ليحجون أن يجيء الأعرابي والطارقي فيسأل رسول الله - صلى الله عليه وآله - حتى يسمعوا. وكنت أدخل على رسول الله - صلى الله عليه وآله - كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخلىني فيها، أدور معه حيثما دار. وقد علم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه لم يوضع ذلك بأحد من الناس غيري، وربما كان ذلك في بيتي^{١١٠٦} يأتيني رسول الله - صلى الله عليه وآله - أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عتي نساءه فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في بيتي لم تقم عنه فاطمة ولا أحد من بني. وكنت إذا سأله أجابني وإذا سكنت عنه وفنيت مسألي ابتدأني. فما نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وآله - آية من القرآن إلا أقرأها وأملاها علي فكتبها بخطي، وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي، وكتبته منذ دعا الله لي بما دعاه، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، أمر ولا نهى، كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهى عن معصية إلا علمنيه وحفظنيه،

١١٠٦ - وفي نسخة: في شيء.

١١٠٥ - الحشر: ٧.

١١٠٤ - في الحصال: لم يسه.

فلم أنس حرفاً واحداً. ثم وضع - صلى الله عليه وآله - يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي إني منذ دعوت الله - عز وجل - لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفنتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لالست أخاف عليك النسيان ولا الجهل.

نهج، فت: مرسلأ مثله.

في: ابن عقدة ومحمد بن همام، وعبد العزيز وعبدالواحد ابنا عبدالله بن يونس، عن رجالهم، عن عبدالرزاق، وهمام، عن معمر بن راشد، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم مثله.

ج: عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد - عليها السلام - قال: نخطب أمير المؤمنين - عليه السلام - وساق الحديث... إلى أن قال: فقال له رجل: إني سمعت من سلمان وأبي ذر الغفاري والمقداد أشياء من تفسير القرآن والأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وآله -.

ثم ذكر نحواً مما مرّ إلى قوله «حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارئي فيسأله - صلى الله عليه وآله - حتى يسمعوا وكان لا يمرّ بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته.

فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم.

إيضاح: سيأتي الخبر بتمامه في باب العلة التي من أجلها لم يغير أمير المؤمنين - عليه السلام - بعض البدع. قوله - عليه السلام - «حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً» ذكر الصدق والكذب بعد الحق والباطل من قبيل ذكر الخاص بعد العام، لأن الصدق والكذب من خواصّ الخبر، والحق والباطل يصدقان على الأفعال أيضاً، وقيل: الحق والباطل هنا من خواصّ الرأي والاعتقاد والصدق والكذب من خواصّ النقل والرواية. قوله - عليه السلام - «محكماً ومتشابهاً» المحكم في اللغة هو المضبوط المتقن ويطلق في الاصطلاح على ما اتّضح معناه وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منها معاً وعلى ما كان نظمه مستقيماً خالياً عن الخلل، وما لا يحتمل من

التأويل إلا وجهاً واحداً، ويقابله بكل من هذه المعاني المتشابهة. قوله — عليه السلام — «ووهماً» بفتح الهاء، مصدر قولك «وهمت» بالكسر، أي غلظت وسهوت؛ وقد روي: «وهماً» بالتسكين، مصدر «وهمت» بالفتح، إذا ذهب وهمك إلى شيء وأنت تريد غيره، والمعنى متقارب. قوله — عليه السلام — «فليتوبوا» صيغة الأمر ومعناه الخبر كقوله — تعالى —: «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَتُوبْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا»^{١١١٧}. قوله — عليه السلام — «متبصع بالإسلام» أي متكلف له ومتدلس به غير متصف به في نفس الأمر. قوله — عليه السلام — «لا يتأثم» أي لا يكف نفسه عن موجب الإثم، أو لا يعد نفسه آثماً بالكذب على رسول الله — صلى الله عليه وآله —، وكذا قوله «لا يتحرج» من الحرج بمعنى الضيق. قوله — عليه السلام — «وقد أخبر الله — عز وجل — عن المنافقين» أي كان ظاهراً حسناً وكلامهم، كلاماً مزيفاً مدلساً يوجب اغترار الناس بهم وتصديقهم فيما ينقلونه عن النبي — صلى الله عليه وآله — ويرشد إلى ذلك أنه — سبحانه — يخاطب نبيه — صلى الله عليه وآله — بقوله: «وَإِذَا زَانَتْهُمْ تُجِبْكَ أَجْسَانُهُمْ»^{١١١٨} أي لصباحتهم وحسن منظرهم «وإن يقولوا تسمع لقولهم»^{١١١٩} أي تصغي إليه لذلاقة ألسنتهم. قوله — عليه السلام — «فولئهم الأعمال» أي أئمة الضلال بسبب وضع الأخبار أعطوا هؤلاء المنافقين الولايات وسلطوهم على الناس. ويحتمل العكس أيضاً، أي بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا والين على الناس وصنعوا ماشاؤوا وابتدعوا ما أرادوا، ولكنّه بعيد.

قوله — عليه السلام — «ناسخ ومنسوخ» قال الشيخ البهائي — رحمه الله —: خبرتان لأن، أو خبر مبتدء محذوف أي بعضه ناسخ وبعضه منسوخ، أو بدل من «مثل» وجزه على البدلية من القرآن ممكن، فإن قيام البدل مقام المبدل منه غير لازم عند كثير من المحققين. قوله — عليه السلام — «وقد كان يكون» إسم كان ضمير الشأن ويكون تامة وهي مع اسمها الخبر، وله وجهان: نعت للكلام لأنه في حكم النكرة، أو حال منه، وإن جعلت «يكون» ناقصة فهو خبرها. قوله — عليه السلام —

«وقال الله» لعل المراد أنهم لما سمعوا هذه الآية علموا وجوب اتباعه - صلى الله عليه وآله - ولما اشتبه عليهم مراده عملوا بما فهموا منه وأخطأوا فيه، فهذا بيان لسبب خطأ الطائفة الثانية والثالثة؛ ويحتمل أن يكون ذكر الآية لبيان أن هذه الفرقة الرابعة المحقة إنما تتبعوا^{١١١٠} جميع ما صدر عنه - صلى الله عليه وآله - من الناسخ والمنسوخ والعام والخاص، لأن الله - تعالى - أمرهم باتباعه في كل ما يصدر عنه. قوله - عليه السلام - «فيشبهه» متفرع على ما قبل الآية، أي كان يشبهه كلام الرسول - صلى الله عليه وآله - على من لا يعرف، ويحتمل أن يكون المراد أن الله - تعالى - إنما أمرهم بمتابعة الرسول - صلى الله عليه وآله - فيما يأمرهم به من اتباع أهل بيته والرجوع إليهم فإنهم كانوا يعرفون كلامه ويعلمون مراده فاشتبه ذلك على من لم يعرف مراد الله - تعالى - وظنوا أنه يجوز لهم العمل بما سمعوا منه بعده - صلى الله عليه وآله - من غير رجوع إلى أهل بيته. قوله - عليه السلام - «ماعنى الله به» الموصول مفعول «لم يدر» ويحتمل أن يكون فاعل «يشبهه». قوله - عليه السلام - «ولا يستفهمه» أي إعظماً له. قوله - عليه السلام - «والطارثي» أي الغريب الذي أتاه عن قريب من غير أنس به وبكلامه، وإنما كانوا يحبون قدومها إقماً لاستفهامهم وعدم استعظامهم إتياء أولآته - صلى الله عليه وآله - كان يتكلم على وفق عقولهم فيوضحه حتى يفهم غيرهم. قوله - عليه السلام - «فيخليني فيها» من «الخلوة» يقال: «استخلى الملك فأخلاه» أي سأله أن يجتمع به في خلوة فعل، أو من «التخلية» أي يتركني أدورمه. قوله - عليه السلام - «أدورمه حيثادار» أي لا امنع عن شيء من خلواته، أدخل معه أي مدخل يدخل فيه وأسير معه أينما سار، أو المراد أنني كنت محرماً لجميع أسزاره قابلاً لعلومه، أخوض معه في كل ما يخوض فيه من المعارف وكنت أوافق في كل ما يتكلم فيه وأفهم مراده. قوله - عليه السلام - «تأويلها وتفسيرها» أي بطنها وظهرها.^{١١١١}

١١١٠ - كذا، وهذا خطأ واضح والصواب أن يكون: أتبعوا.

١١١١ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٢، كتاب العلم، ص ٣٢٨ - ٣٣٣.

٢١١ - وَطَبَا فِيهَا السَّيْرُ

في عجيب صنعة الكون

وَكَانَ مِنْ أَقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ ، أَنْ جَعَلَ مِنْ
 مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِرِ^(٢٩٠٧) الْمُتْرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ^(٢٩٠٨) ، يَبَسًا جَامِدًا^(٢٩٠٩) ،
 ثُمَّ فَطَرَ^(٢٩١٠) مِنْهُ أَطْبَاقًا^(٢٩١١) ، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِنَاقِهَا^(٢٩١٢) ،
 فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ^(٢٩١٣) ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ^(٢٩١٤) . وَأَرْسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا
 الْأَخْضَرَ^(٢٩١٥) الْمُسْتَنْجِرِ^(٢٩١٦) ، وَالْقَمَقَامِ^(٢٩١٧) الْمُسَخَّرِ ، قَدْ ذَلَّ
 لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِحَشِيَّتِهِ . وَجَبَلَ^(٢٩١٨)
 جَلَامِيدَهَا^(٢٩١٩) ، وَنَشُوزَ^(٢٩٢٠) مُتُونِهَا^(٢٩٢١) وَأَطْوَادَهَا^(٢٩٢٢) ، فَأَرَسَاهَا
 فِي مَرَاسِيهَا^(٢٩٢٣) ، وَالزَّمَمَهَا قَرَارَاتِهَا^(٢٩٢٤) ، فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ
 أَصْوُلُهَا فِي الْمَاءِ ، فَأَنهَدَ جِبَالَهَا^(٢٩٢٥) عَنْ سُهُولِهَا ، وَأَسَاخَ^(٢٩٢٦)
 قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا^(٢٩٢٧) ، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا^(٢٩٢٨) ،
 وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا^(٢٩٢٩) ، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا ، وَأَرَزَهَا^(٢٩٣٠) فِيهَا
 أَوْتَادًا ، فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مَنْ أَنْ تَمِيدَ^(٢٩٣١) بِأَهْلِهَا ، أَوْ تَسِيخَ^(٢٩٣٢)
 بِحِمْلِهَا ، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ
 مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا ، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا ،
 وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا قَوْقَ بَحْرِيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي^(٢٩٣٣) وَقَا يُسَمُّ

لَا يَسْرِي ، تَكَرَّرُهُ ^(٢٩٣٤) الرِّيَّاحُ الْعَوَاصِفُ ، وَتَمَخُّضُهُ الْفَمَامُ
الدَّوَارِفُ ^(٢٩٣٥) ، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» .

بيان: «الاعتذار على الشيء» القدرة عليه. و«الجبروت» فعلوت من «الجبر» وهو القهر. و«البديع» بمعنى المبدع بالفتح. و«اللطيف» الدقيق. و«زخر البحر» - كمنع - أي تملأ وارتفع. و«المتراكم» المجتمع بعضه فوق بعض. و«تقاصف البحر» تزاومت أمواجه. وقال ابن أبي الحديد: «البيس» بالتحريك، المكان يكون رطباً ثم يبس. قال الله - تعالى - : فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً ^{١١١٢}. و«البيس» بالسكون، اليابس خلقة، يقال: «خطب بيس» وهكذا يقول أهل اللغة، وفيه كلام لأن الخطب ليس يابساً خلقة بل كان رطباً من قبل، والأصوب أن يقال: لا تكون هذه اللفظة محرّكة إلا في المكان خاصة. ^{١١١٣} انتهى.

و«الجامد» ضد الدائب، والمراد بالبيس الجامد الأرض. و«الفطر» بالفتح، الخلق والإنشاء. و«الأطباق» بالفتح، جمع «طبق» بالتحريك، وهو غطاء كل شيء، والطبق أيضاً من كل شيء ما ساواه. وقوله - عليه السلام - «ففتقها» إشارة إلى قوله - تعالى - : «أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ تَمَاقَاتًا وَتَمَاقَاتًا فَفَتَقْنَاهُمَا» ^{١١١٤}. وقد مرّت الوحوة في تفسيرها، وهذا مما يؤيد بعضها فتذكر. ويدل على حدوث السماوات وكونها أولى طبقات منفصلة في الحقيقة متصلة في الصورة بعضها فوق بعض، ففتقها وفرّقها وبعدها بعضها عن بعض، فحصلت سبع سماوات متميزات بينها أفضية للملائكة.

و«الاستمساك» الاحتباس والاعتصام، والفرض عدم تفرّقها كأن بعضها معتصم ببعض. و«قيامها على حذّه» كناية عن وقوفها على ما حذّه لها من المكان والمقدار والشكل والهيئة والنهايات والطبائع وعدم خروجها عن تلك. والضمير في

١١١٢ - طه: ٧٧.

١١١٣ - شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٥٢، ط بيروت.

١١١٤ - الأنبياء: ٣٠.

«حده» راجع إلى الله أو إلى اليبس.

وقال الكيدري: «الأخضر» الماء، والعرب تصفه بالخنصرة. و«المثنجر» على صيغة اسم الفاعل كما في النسخ، السائل من ماء أو دمع، وبفتح الجيم، وسط البحر، وليس في البحر ماء يشبهه؛ ذكره الفيروزآبادي.

وقال الجزري في حديث عليّ — عليه السلام —: «يحملها الأخضر المثنجر» هو أكثر موضع في البحر ماء، والميم والنون زائدتان. ومنه حديث ابن عباس: «فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ كالقرارة في المثنجر»، «القرارة» الغدير الصغير.

و«القمقام» بالفتح كما في النسخ وقد يضم، البحر، ويكون بمعنى السيد والأمر العظيم والعدد الكثير. و«المسخر» في بعض النسخ بالخاء المعجمة وفي بعضها بالجيم، في القاموس: «سجر النهر» ملاء و«تسجير الماء» تفجيرها. والضمير في قوله — عليه السلام — «منه» راجع إلى ماء البحر أو إلى اليبس الجامد، فيكون الدخان الذي خلق منه السماوات مرتفعاً منه. و[الضمير] في «استمسكت» إلى الأطباق، أو إلى ما يرجع إليه الضمير في يحملها وهو اليبس الجامد والتأنيث لأن المراد به الأرض. و«أذعن له» أي خضع وانقاد. و«الجاري منه» أي السائل بالطبع، فوقوفه عدم جريانه طبعاً بارادته — سبحانه — أو السائل منه قبل إرادته وأمره بالجمود. ويحتمل أن تكون الضمائر في «ذلّ» و«أذعن» و«وقف» راجعة إلى الأخضر أو القمقام وهو أنسب بتذكير الضمير والجريان.

و«جبل» — كنصر وضرب — أي خلق. و«الجلمد» بالفتح و«الجلمود» بالضم، الحجر العظيم الصلب. و«النشز» بالفتح، المكان المرتفع والجمع «نشوز» بالضم. و«المتن» ماصلب من الأرض وارتفع. و«الطود» بالفتح، الجبل أو العظيم منه، والضمائر راجعة إلى الأرض المعبر عنها باليبس الجامد. و«أرسيها» أي أثبتها «في مراسيها» أي في مواضعها المعينة بمقتضى الحكم الإلهية. و«القرارة» موضع القرار. و«رست» أي ثبتت؛ وفي بعض النسخ: «رستت» يقال: «رستت» —

كنصر — إذا ذهب إلى أسفل وإذا ثبت. ويقال: «نهدثذي الجارية» — كمنع ونصر — أي كعب وأشرف. و«السهل من الأرض» ضد الحزن. و«ساخت قوائمه في الأرض تسوخ وتسيخ» أي دخلت فيها وغابت، و«أساخها» غيبتها. و«قواعد البيت» أساسه. و«القطر» بالضم، الناحية، أي غيب قواعد الجبال في متون نواحي الأرض، وقيل: أي في جوانب أقطارها. و«النصب» بالفتح ويحرك، العلم المنسوب، وبالضم وبضمّتين، كل ما جعل علماً وكل ما عبد من دون الله، والمراد بالأنصاب الجبال وبمواضعها الأمكنة الصالحة للجبال بمقتضى الحكمة. و«القلال» بالكسر جمع «قلّة» بالضم، وهي أعلى الجبل أو أعلى كل شيء. و«الشاهق» المرتفع، أي جعل قلالها مرتفعة، و«إطالة الأنشاز» مؤكدة لها. و«العماد» بالكسر، الخشبة التي تقوم عليها البيت والأبنية الرفيعة، والظاهر أن المراد بجعلها للأرض عماداً ما استفاد من الفقرة التالية، وقيل: المراد جعلها مواضع رفيعة في الأرض. و«أرز» بتقديم المهملة — كنصر وضرب وعلم — أي ثبت، و«أرز» بتشديد المعجمة أي أثبت، وفي أكثر النسخ بالتخفيف وفتح العين وفي بعضها بالتشديد. قال في النهاية: في كلام عليّ — عليه السلام —: «أرزها فيها أوتاداً» أي أثبتها. إن كانت الزاي مخففة فهي من «أرزت الشجرة تأرز» إذا أثبت في الأرض وإن كانت مشددة فهي من «أرزت الجراد» إذا أدخلت ذنبها في الأرض لتلقي فيها بيضها. و«ررزت الشيء في الأرض رزاً» أثبته فيها، وحينئذ تكون الهمزة زائدة. انتهى. وقيل: وروي «آرز» بالمد، من قولهم «شجرة آرزة» أي ثابتة في الأرض.

«فسكنت على حركتها» أي حال حركتها التي هي من شأنها، لأنها محمولة على سائل متموج كما قيل، أو على أثر حركتها بتموج الماء. «من أن تميد» أي تتحرك وتضطرب. «أو تسيخ بحملها» أي تفوص في الماء مع ما عليها.

قال ابن أبي الحديد: لو تحركت الأرض فإما أن تتحرك على مركزها أولاً، والأول هو المراد بقوله — عليه السلام — «تميد بأهلها» والثاني ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت وهو المراد بقوله — عليه السلام — «تسيخ بحملها» وأن لا تنزل إلى تحت وهو

المراد بقوله «تزول عن مواضعها». انتهى.

ويحتمل أن يراد بقوله — عليه السلام — «تميد بأهلها» تحركها واضطرابها بدون الغوص في الماء كما يكون عند الزلزلة، ويسوخها بحملها حركتها على وجه يغوص أهلها في الماء سواء كانت على المركز أم لا، فتكون الباء للتعدي، وبزواها عن مواضعها خراب قطعاتها بالرياح والسيول أو بتفرق القطعات وانفصال بعضها عن بعض، فإن الجبال كالعروق السارية فيها تضبطها عن التفرق كما سيأتي، ويؤيده إيزاد المواضع بلفظ الجمع.

وصيغة «فعالان» بالتجريك في المصدر، تدل على الاضطراب والتقلب والتنقل كالميدان والنزوان والخفقان، ولعل المراد بهذا الموجان ما كان غامراً للأرض أو كثراً وإمساكها بخلق الجبال التي تقدم في الكلام. و«زطونة أكنافها» أي جوانبها لميدانها قبل خلق الجبال. و«المهاد» بالكسر، الفراش، والموضع بيتاً للصبى ويوطأ. و«الفراش» ما يسطر و«اللجة» بالضم، معظم الماء. و«ركد» — كنصر — أي ثبت وسكن. و«صرى عرق الشجر» — كرمى — أي دب تحت الأرض.

وقال الجوهري: «الكركرة» تصريف الرياح^{١١١٥} السحاب إذا جمعت بعد تفرق وقال: «باتت تكرر الجنب» وأصله تكرر من التكرير^{١١١٦} و«كركرته عتي» أي دفعته ورددته.

و«الرياح العواصف» الشديدة الهبوب. و«مخض اللبن يمحضه» مثلثة، أي أخذ زبده، وفي النسخ الفتح والضم. و«الغمام» جمع «غمامة» وهي السحابة البيضاء أو الأعم. و«ذرف الدمع» — كضرب — أي سال. و«ذرف عينه» أي سال دمعها، و«ذرف العين دمعها» أي أسأها. و«من يخشى» العلماء، كما قال — سبحانه —: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^{١١١٧}. ويحتمل أن يكون التخصيص لأجل

١١١٥- في الصحاح: الريح.

١١١٦- في الصحاح: و«كركرت بالدجاجة» صحت بها، و«كركرته عتي».

١١١٧- الفاطر: ٢٨.

أن عدم الخشية يوجب عدم المبالاة بالعبر والالتفات إليها. ١١١٨

٢١٢ - وَمِنْ خُطْبَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةَ ،
وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةَ ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا
النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ
عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةَ ، وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ
أَرْضَكَ وَسَمَاوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَ الْمَغْنِيِّ عَنْ نُصْرِهِ ، وَالْآنِخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ .

بيان: قال ابن ميثم: هذا الفصل من خطبة كان يستنهض — عليه السلام —

بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام قاله بعد تقاعد أكثرهم عن معاوية. ١١١٩

و«ما» في «أتيا» زائدة مؤكدة. وفي وصف المقالة بالعادلة توسع.

و«النكوص» الرجوع قهقري. «فإننا نستشهدك» أي نسألك أن تشهد عليه. «ثم

أنت بعد» أي بعد تلك الشهادة عليه. ١١٢٠

١١١٨ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٥٧، كتاب السماء والعالم، ص ٣٨.

١١١٩ - شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٢٧.

١١٢٠ - بحار الأنوار، الطبعة القديمة، ج ٨، ص ٦٧٨، ط كمباني وص ٦٢٦، ط تبريز.

٢١٣ - ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾

في تمجيد الله وتعظيمه

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنِ شَبِّهِ^(٢٩٣٦) الْمَخْلُوقِينَ ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ ،
الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ
الْمُتَوَهِّمِينَ ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ وَلَا أَرْذِيَادٍ ، وَلَا عِلْمِ مُسْتَفَادٍ ،
الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلْمُ ،
وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ^(٢٩٣٧) لَيْلٌ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ ،
لَيْسَ إِذْرَاكُهُ بِالْإِبْصَارِ ، وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ .

ومنها في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

أَرْسَلَهُ بِالضُّبْيَاءِ ، وَقَدَّمَهُ فِي الْأِصْطِفَاءِ ، فَرَّتْ^(٢٩٣٨) بِهِ الْمَفَاتِقُ^(٢٩٣٩) ،
وَسَاوَرَ^(٢٩٤٠) بِهِ الْمَغَالِبَ ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ^(٢٩٤١) ،
حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ ، عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .

بيان: قوله - عليه السلام - «في الاصطفاء» أي على غيره من الأنبياء
والأوصياء. و«المفاتق» جمع «مفتق» أي أصلح به المفاصد والأمور المنتشرة.
و«المساورة» المواثبة، أي كسر به - صلى الله عليه وآله - سورة من أراد الطغيان.
و«الحزن» المكان الغليظ الحشن. و«الحزونة» الحشونة. قوله - عليه السلام -
«حتى سرح الضلال» أي طرده وأسرع به ذهاباً عن يمين وشمال، من قولهم «ناقة

شرح ومنسرحة» أي سريعة. ١١٢١

٢١٤ - وَمِنْ حَقِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يصف جوهر الرسول ، ويصف العلماء ، ويعظ بالتقوى

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدْلٌ ، وَحَكَمٌ فَصَلٌ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ ، كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ (٢٩٤٢) فَرَقْتَيْنِ جَعَلَهُ فِي
خَيْرِهِمَا ، لَمْ يُسْهِمَ فِيهِ عَاهِرٌ (٢٩٤٣) ، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ (٢٩٤٤)

أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا ، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمًا ،
وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا (٢٩٤٥) . وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ
عَلَى الْأَلْسِنَةِ ، وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ . فِيهِ كِفَاءٌ (٢٩٤٦) لِمُكْتَفٍ ، وَشِفَاءٌ
لِمُسْتَفٍ .

صفة للعلماء

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ (٢٩٤٧) عِلْمُهُ ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ ،
وَيَفْجَرُونَ عُيُونَهُ . يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ (٢٩٤٨) ، وَيَتَلَاقُونَ بِالْمَحَبَّةِ ،
وَيَتَسَاقُونَ بِكَأْسِ رَوِيَّةٍ (٢٩٤٩) ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ (٢٩٥٠) ، لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيْبَةُ (٢٩٥١) ،

وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةَ . عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ^(٢٩٥٢) ،
 فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ ، وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ ، فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَدْرِ يُنْتَقَى^(٢٩٥٣) ،
 فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى ، قَدْ مَيَّزَهُ التَّخْلِيفُ ، وَهَذَّبَهُ^(٢٩٥٤) التَّمْجِيفُ^(٢٩٥٥) .

العظة بالتقوى

فَلْيَقْبَلِ أَمْرٌ كَرَامَةٌ^(٢٩٥٦) بِقَبُولِهَا ، وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً^(٢٩٥٧) قَبْلَ حُلُولِهَا ،
 وَلْيَنْظُرْ أَمْرٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مَقَامِهِ ، فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ
 بِهِ مَنْزِلًا ، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ^(٢٩٥٨) ، وَمَعَارِفِ مُنْتَقِلِهِ^(٢٩٥٩) . فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى
 قَلْبٍ سَلِيمٍ ، أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ، وَتَحَنَّنَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ
 السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَّرَهُ ، وَطَاعَةَ هَادٍ أَمْرَهُ ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ
 تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ ، وَتُقَطَعَ أَسْبَابُهُ ، وَأَسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ ، وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ^(٢٩٦٠) ،
 فَقَدْ أَقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

بيان: الظاهر أن الضمير في «أنه» راجع إلى الله، وقيل: راجع إلى القضاء
 والقدر المذكور في صدر الخطبة. و«الحكم» بالتحريك، منفذ الحكم. و«الفصل»
 القطع والقضاء بين الحق والباطل. و«النسخ» الإزالة والتغيير والإبطال.

وقال ابن أبي الحديد: يعني كلما قسم الله الأب الواحد إلى ابنين أعدت خيرهما
 وأفضلها لولادة محمد - صلى الله عليه وآله - وسمى ذلك نسخاً لأن البطن الأول

تزلزل ويخلفه البطن الثاني. ١١٢٢

«لم يسهم فيه عاهر»، «السهم» النصيب والحظ؛ وفي النهاية: وأصله واحد السهام التي يضرب بها في الميسر وهي القداح، ثم سمي به ما يفوز به الفاتح سهمه. ثم كثر حتى سمي كل نصيب سهماً. انتهى. و«السهم» بالضم، القرابة و«المساهمة» المقارعة، و«أسهم بينهم» أي أقرع، وكانوا يعملون بالقرعة إذا تنازعوا في ولد والكلمة في بعض النسخ على صيغة المجرد كـ «يمنع» وفي بعضها على بناء الإفعال. و«العاهر» الزاني، قيل: أي لم يضرب فيه العاهر بسهم ولم يكن للفجور في أصله شركة.

وقال ابن أبي الحديد^{١١٢٣}: في الكلام رمز إلى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن. ثم حكى عن الجاحظ أنه قال: قام عمر على المنبر فقال: إياكم وذكر العيوب والظلم في الأصول. ثم قال: وروى المدائني هذا الخبر في كتاب **أُمّهات** الخلفاء وقال: إنه روي عند جعفر بن محمد — عليها السلام — بالمدينة فقال: لا تلمه يا ابن أخي! إنه أشفق أن يحدج بقصة نفيل بن عبد العزى وصهاك أمة الزبير بن عبد المطلب. ثم قال: رحم الله عمر إنه لم يعد السنة وتلا: «إِنَّ الدِّينَ يُحْبَبُونَ أَنْ تُشِيعَ الْقَاجِشَةُ فِي الدِّينِ آمَنُوا — الآية»^{١١٢٤}.

أقول: قد أوردنا هذه القصة في نسب عمر. و«الدعامة» بالكسر، عماد البيت الذي يقوم عليه. و«العصم» — كعنب — جمع «عصمة» وهي المنع والحفظ. و«كفاء» أصله كفاية واللاتيان بالهمزة للازدواج، كما قالوا: الغدايا والعشايا [و] كما قال — صلى الله عليه وآله —: «مأزورات غير مأجورات» والأصل الواو.

وقال ابن أبي الحديد: «أهل الخير» هم المتقون و«دعائم الحق» الأدلة الموصلة إليه المثبتة له في القلوب، و«عصم الطاعة» هي الإدمان على فعلها والتمرن عليها، لأنّ المرون على الفعل يكسب الفاعل ملكة تقتضي سهولة عليه. و«العون» ههنا هو اللطف المقرب من الطاعة المبتعد من القبيح ولما كان العون من الله — سبحانه — مستهلاً للقول أطلق عليه من باب التوسّع أنه يقول على الألسنة ولما كان

الله — تعالى — هو الذي يثبت كما قال: «يُبَيِّنُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ»^{١١٢٥}
نسب التثبيت إلى اللطف لأنه من فعل الله.

وقال ابن ميثم^{١١٢٦}: قوله — عليه السلام — «ألا وإن الله» ترغيب
للسامعين أن يكونوا من أهل الخير ودعائم الحق وعصم الطاعة وكأنه عنى بالعون
القرآن، قال — تعالى —: «لِنُبَيِّنَ بِهِ قَوْلَكَ»^{١١٢٧}.

و«فيه كفاء» أي في ذلك العون كفاية لطالبي الاكتفاء، أي من الكمالات
النفسانية، «وشفاء» لمن طلب الشفاء من أمراض الرذائل الموبقة، ويمكن أن يكون
المراد بأهل الخير الأتقياء وبدعائم الحق النبي والأئمة — عليهم السلام — وبعصم
الطاعة العبادات التي توجب التوفيق من الله — سبحانه — وترك المعاصي الموجبة
لسلبه أو الملائكة العاصمة للعباد عن اتباع الشياطين وبالعون الملائكة المرغبة في طاعة
الله كماورد في الأخبار.

و«المستحفظين» في أكثر النسخ بالنصب على صيغة اسم المفعول وهو أظهر،
يقال: «استحفظته إياه» أي سألته أن يحفظه؛ وفي بعض النسخ على صيغة اسم
الفاعل، أي الطالبين للحفظ؛ وفي بعض النسخ بالرفع حملاً على المحل وكونه خبراً بعيد
والمراد بهم الأئمة — عليهم السلام — كماورد في الأدعية والأخبار، وقال الشراح:
المراد بهم العارفون أو الصالحون.

«يصونون مصونه» أي يكتمون ما ينبغي أن يكتم من أسرار علمه من غير
أهله. و«يفجرون عيونه» أي يفيضون ما ينبغي إفاضته على عامة الناس، أو كلّ علم
على من هو قابل له، أو يتقون في مقام التقية ويظهرون الحق عند عدمها. و«الولاية»
في النسخ بالكسر، قال سيويه: «الولاية» بالفتح المصدر وبالكسر الاسم؛ وقال
ابن أبي الحديد: «الولاية» بفتح الواو المحبة والنصرة، أي يتواصلون وهم أولياء ومثله

١١٢٥- إبراهيم: ٢٧.

١١٢٦- شرح النهج لابن ميثم، ج ٤، ص ٣٣، ط بيروت.

١١٢٧- الفرقان: ٣٢.

«ويتلاقون بالمحبة» كما تقول: «خرجت بسلاحي» أي وأنا متسلح أو يكون المعنى: يتواصلون بالقلوب لا بالأجسام، كما تقول: أنا أراك بقلبي وأزورك بخاطري وأواصلك بضميري. انتهى.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد ولاية أهل البيت — عليهم السلام — أي بسببها، أو متصفين بها أو مظهرين لها. و «ماء روتي» — كغني — أي كثير مرقه و «روي من الماء — كرضي — رياً» بالفتح والكسر، أي تنعم، والاسم «الري» بالكسر. «والرقة» في بعض النسخ بالفتح وفي بعضها بالكسر، ولعل المراد التساقى من المعارف والعلوم. و «الريبة» بالكسر، التهمة والشك اسم من «الربيب» بالفتح، أي لا تخالطهم شك في المعارف والعقائد أو تهمة في حب أحدهم للآخر. وعدم إسراع الغيبة فيهم لعدم استحقاقهم للغيبة في أقوالهم وأعمالهم واتقائهم فواضع التهم، أو المعنى: لا يغتابون الناس ولا يتبعون عيوبهم.

و «الخلق» يكون بمعنى التقدير والابداع و بمعنى الطبيعة كالمخلوقة. و «الأخلاق» جمع «خلق» بالضم وبضمتين، وهو السجية والطبع والمروة والدين. ويحتمل أن يكون المراد بالخلق ما هو بمنزلة الأصل والمشخص للذات وبالأخلاق الفروع والشعب. والضمير في «عليه» راجع إلى ما أشير إليه بذلك أو إلى العقد.

«فكانوا كتفاضل البذر» أي كان التفاضل بينهم وبين الناس كالتفاضل بين ما ينتقى من البذر أي يختار وبين ما يلقى؛ فالمعنى: كالتفاضل بين الجيد والردى. ويحتمل أن يكون المراد أنه كان التفاضل بينهم كالتفاضل بين أفراد المختار من البذر فكما أنه لا تفاضل يعتد به فيما بينها كذلك فيما بينهم. و «خلص الشيء» — كنصر — أي صار خالصاً و «خلصه» أي جعله كذلك و «خلصه» أيضاً نجاه؛ والمراد بالتخلص الانتقاء المذكور أي ميّزه ذلك عن غيره، أو المعنى: ميّزه الله تخلصاً إياه عن شرور النفس والشيطان عن غيره. وفي بعض النسخ: «التلخيص» بتقديم اللام، وهو التبيين و «التلخيص والتهديب» التنقية والاصلاح. و «التحصين» الابتلاء والاختبار.

و«الكرامة» الاسم من التكريم والاكرام، والمراد بها هنا نصحه — سبحانه — ووعظه وتذكيره أو ما وعده الله على تقدير حسن العمل من المثوبة والزلفى؛ وقبول الكرامة على الثاني بالعمل الصالح الموجب للفوز بها وعلى الأول العمل بمقتضاه وبقبولها القبول الحسن اللائق بها. و«قرعه» — كمنعه — أي أتاه فجأة و«قرع الباب» دقّه، وقال الأكثر: «القارعة» الموت، ويحتمل القيامة لأنها من أسمائها سميت بها لأنها تقرع القلوب بالفرع وأعدّها الله للعذاب، أو الداهية التي يستحقها العصي، يقال: «أصابه الله بقارعة» أي بداهية تهلكه، وحلولها نزولها. و«استبدلت الشيء بالشيء» أي اتخذت الأول بدلاً من الثاني. والمراد بالنظر التدبّر والتفكر. والظرف في قوله «في منزل» متعلق بالمقام و«حتى» لانتهاى غاية المقام، أي الثبات أو الإقامة، أي ليعتبر الانسان بهذه المدة القصيرة وإقامته القليلة في اذنيا المنتهية إلى الاستبدال بها واتخاذ غيرها.

وقيل: يحتمل أن تكون كلمة «في» لإفادة الظرفية الزمانية ويكون قوله «في منزل» متعلقاً بالنظر ومدخول «حتى» علة غائية للنظر، أي لينظر بنظر الاعتبار وليتأمل مدة حياته في الدنيا في شأن ذلك المنزل الفاني حتى تتخذ بدله منزلاً لائقاً للنزول فالاستبدال حينئذ اتخاذ البديل المستحق لذلك، أو توطين النفس على الارتحال ورفض المنزل الفاني.

«فليصنع» أي فليعمل. و«المتحوّل» بالفتح، مكان التحوّل؛ وكذلك «المنتقل» و«معارف المنتقل» قيل: هي المواضع التي يعرف الانتقال إليها، وقال ابن أبي الحديد: «معارف الدار» ما يعرفه المتوسّم بها، واحدها «معرفة» مثل معاهد الدار ومعالمها، ومنه: «معارف المرأة» أي ما يظهر منها كالوجه واليدين. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بمعارف المنتقل ما عرف من أحواله والأمور السانحة فيه، فيمكن أن يكون المتحوّل والمنتقل مصدرين.

«من يهديه» يعنى نفسه والأئمة من ولده — عليهم السلام —. «من يرديه» أي يهلكه بالقائه في مهاوي الجهل والضلالة. و«البصر» يطلق على الحاسة ويراد به العلم مجازاً وقد يطلق على العلم، يقال: «بصرت بالشيء» أي علمته. ويحتمل أن

تكون الاضافة لأدنى ملابسة، أي بالبصر الحاصل للمطيع بتبصير الهادي إياه. و«السبب» في الأصل الحبل. وإغلاق الأبواب بالموت، وجوز بعضهم أن يكون الأبواب والأسباب عبارة عن نفسه والأئمة من ذريته — عليهم السلام — فإنهم أبواب الفوز والفلاح والأسباب الممدودة من السماء إلى الأرض، بهم يصل العبد إلى الله — سبحانه — والغلق والقطع كناية عن عدمهم أو غيبتهم — عليهم السلام — و«استفتح التوبة» أي طلب فتحها كأنها باب مغلق يطلب فتحها للدخول فيها، ويمكن أن يكون من «الاستفتاح» بمعنى الاستنصار، أي طلب أن تنصره التوبة. و«مطت — كبعت — وأمطت» أي تنحيت وكذلك «مطت غيري وأمطته» أي نحيت.

وقال الأصمعي: مطت أنا وأمطت غيري،^{١١٢٨} و«الحوبة» بالفتح، الإثم. «فقد أقيم على الطريق» أي بهداية الله — سبحانه — و«النهج» بالفتح، الطريق الواضح.^{١١٢٩} نهج: وأشهد أن محمداً عبده وسيد عباده، كلما نسخ^{١١٣٠} الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما، لم يسهم فيه عاهر، ولا ضرب فيه فاجر. بيان: «النسخ» الإزالة والتغيير، استعير هنا للقسمة لأنها إزالة للمقسوم وتغيير له. و«العاهر» الزاني، ويطلق على الذكر والأنثى، وكذلك الفاجر.

تذنيب: أقول: قد ذكر علمائنا — رضي الله عنهم — بعض خصائصه — صلى الله عليه وآله — في كتبهم وجمعها العلامة — رحمه الله — في كتاب التذكرة. فلنورد ملخص ماذكروه — رحمهم الله — قال في التذكرة: فأما الواجبات عليه دون غيره من أمته أمور: الأول السواك، الثاني الوتر، الثالث الأضحية.

١١٢٨- راجع الصحاح، ج ٣، ص ١١٦٢.

١١٢٩- بحار الأنوار الطيبة الجديدة، ج ٦٩، كتاب الإيمان والكفر، ص ٣١١.

١١٣٠- قيل: «نسخ الخلق» نقلهم بالتناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فرقا.

روي عنه — صلى الله عليه وآله — أنه قال: ثلاث كتب عليّ ولم يكتب عليكم: السواك والوتر والأضحية.

وفي حديث آخر: كتب عليّ الوتر ولم يكتب عليكم، وكتب عليّ السواك ولم يكتب عليكم، وكتبت عليّ الأضحية ولم تكتب عليكم.

وتردّد الشافعي^{١١٣١} في وجوب السواك عليه — صلى الله عليه وآله —.

الرابع: قيام الليل لقوله — تعالى —: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ»^{١١٣٢}. وإن أشعر لفظ النافلة بالسنّة، ولكتّنها في اللغة الزيادة ولأنّ السنّة جبر للفریضة، وكان — صلى الله عليه وآله — معصوماً من التقصان في الفرائض. واختلف الشافعية فقال بعضهم: كان ذلك واجباً عليه وقال بعضهم: كان واجباً عليه وعلى أمته فنسخ.

أقول: ذكر الوتر مع قيام الليل يشتمل على تكرار ظاهره، والأصل فيه أن العامة رويوا حديثاً عن عائشة أن النبي — صلى الله عليه وآله — قال: «ثلاث عليّ فريضة ولكم سنّة: الوتر والسواك وقيام الليل». ولذا جمعوا بينها تبعاً للرواية، كما يظهر من شارح الوجيزة وتبعهم أصحابنا — رضوان الله عليهم —.

وقال الشهيد الثاني — قدس سره —: اعلم أنّ بين قيام الليل وبين الوتر الواجبين عليه مغايرة العموم والخصوص المطلق، لأنّ قيام الليل بالتهجد يحصل بالوتر وبغيره فلا يلزم من وجوبه وجوبه، وأمّا الوتر فلما كان من العبادات الواقعة بالليل فهو من جملة التهجد بل أفضله. فقد يقال: إنّ إيجابه يغني عن إيجاب قيام الليل وجوابه أنّ قيام الليل وإن تحقّق بالوتر لكن مفهومه مغاير لمفهومه لأنّ الواجب من القيام لما كان يتأدى به وبغيره. وبالكثير منه والقليل كان كلّ فرد يأتي به منه موصوفاً بالوجوب لأنّه أحد أفراد الواجب الكلّي، وهذا القدر لا يتأدى بإيجاب الوتر خلاصة ولا يفيد فائدته، فلا بدّ من الجمع بينهما.

١١٣١- في المصدر: أصحاب الشافعي.

١١٣٢- الإسراء: ٧٩.

ثم قال في التذكرة: الخامس: قضاء دين من مات معسراً لقوله - صلى الله عليه وآله -: «من مات وخلف مالا فلورثته، ومن مات وخلف ديناً أو كلاً فعلي» وإلى هذا مذهب الجمهور^{١١٣٣}. وقال بعضهم: كان ذلك كرمأ منه، وهذا اللفظ لا يمكن حمله على الضمان لأن من صحح ضمان المجهول لم يصحح على هذا الوجه. وللشافعية وجهان في أن الإمام هل يجب عليه قضاء دين المعسر إذا مات وكان في بيت المال سعة تزيد على حاجة الأحياء لما في إيجابه من الترغيب في اقتراض المحتاجين.

السادس: مشاورة أولي النهي. لقوله - تعالى -: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»^{١١٣٤}. وقيل: إنه لم يكن واجباً عليه، بل أمر لاستمالة قلوبهم وهو المعتد، فإن عقل النبي - صلى الله عليه وآله - أوفر من عقول كل البشر.

السابع: إنكار المنكر إذا رآه وإظهاره، لأن إقراره على ذلك يوجب جوازه، فإن الله - تعالى - ضمن له النصر والإظهار.

الثامن: كان عليه تخيير نسائه بين مفارقتها ومصاحبتها بقوله - تعالى -: «تَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا فَمَعًا لَيْنَ أَقْتَعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا»^{١١٣٥} وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا»^{١١٣٥}.

والأصل فيه أن النبي - صلى الله عليه وآله - آثر لنفسه الفقر والصبر عليه، فأمر بتخيير نسائه^{١١٣٦} بين مفارقتها واختيار زينة الدنيا وبين اختياره والصبر على ضرر الفقر لئلا يكون مكرهاً هن على الضرر والفقر؛ هذا هو المشهور. وللشافعية وجه في التخيير لم يكن واجباً عليه وإنما كان مندوباً، والمشهور الأول. ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - لما خيّرهن اخترنهن والدار الآخرة، فحرم الله - تعالى - على رسوله التزويج عليهن والتبديل بين من أزواج ثم نسخ ذلك ليكون المنة لرسول الله -

١١٣٣- في المصدر: أو كلاً فإلتي. وعلى هذا مذهب الجمهور.

١١٣٥- الأحزاب: ٢٨ و ٢٩.

١١٣٦- في المصدر: فأمره بتخيير نسائه.

١١٣٤- آل عمران: ١٥٩.

صلى الله عليه وآله - بترك التزويج عليهن بقوله - تعالى - : «إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن» ١١٣٧ .

قالت عائشة: إن النبي - صلى الله عليه وآله - لم يمت حتى أحل له النساء تعني اللاتي حظرن عليه. وقال أبوحنيفة: إن التحريم باقٍ لم ينسخ. وقد روي أن بعض نساء النبي - صلى الله عليه وآله - طلبت منه حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من فضة وطلاها بالزعفران، فقالت: لا أزيد إلا من ذهب، فاعتم النبي - صلى الله عليه وآله - لذلك فنزلت آية التخيير.

وقيل: إنما خيره لأنه لم يمكنه التوسعة عليهن، فربما يكون فيهن من يكره المقام معه فنزله عن ذلك.

وروي أن النبي - صلى الله عليه وآله - كان يطالب بأمور لا يملكها وكان نساءه يكثرن مطالبته حتى قال عمر: كنا معاشر المهاجرين متسلطين على نساءنا بمكة وكانت نساء الأنصار متسلطات على الأرواح، فاختلف نساؤنا فيهن فتخلفن بأخلاقهن؛ وكلمت امرأتي يوماً فراجعتني، فرفعت يدي لأضربها وقلت: أترجعيني يا لكعاء ١١٣٨ ؟

فقالت: إن نساء رسول الله - صلى الله عليه وآله - يراجعنه وهو خير منك.

فقلت: خابت حفصة وخسرت، ثم أتيت حفصة وسألتها.

فقالت: إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - قد يظل على بعض نسائه

طول نهاره غضباناً.

فقلت: لا تغتري بابنة أبي قحافة، فإنها حبة ١١٣٩ رسول الله - صلى الله

عليه وآله - يحمل منها ما لا يحمل منك.

وقال عمر: كنت قد ناويت رجلاً من الأنصار حضور مجلس رسول الله -

صلى الله عليه وآله - ليخبر كل واحد منا صاحبه فيما يعبري، ففرع الأنصاري باب

١١٣٧ - الأحزاب: ٥٠.

١١٣٨ - «اللكعاء» اللثيمة.

١١٣٩ - «العجة» بالكسر، المحبوبة.

الدار يوماً، فقلت: أجدنا غسان؟

وكان قد أخبرنا بأن غسان تنعل خيولها لتغزونا، فقال: أمر أفضع من ذلك،
 طلق رسول الله - صلى الله عليه وآله - جميع نسائه.
 فخرجت من البيت ورأيت أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله -
 يبكون حوله وهو جالس وكان أنس على البيت^{١١١}.

فقلت: استأذن لي فلم يجب. فانصرفت فنازعني نفسي وعاودت فلم يجب،
 حتى فعلت ذلك ثلاثاً، فسمع رسول الله - صلى الله عليه وآله - صوتي فأذن،
 فدخلت فرأيته نائماً على حصير من الليف، فاستوى وأثر الليف في جنبه؛ فقلت: إن
 قيصر وكسرى يفرشان الديباج والحريز.

فقال: أفي شك أنت يا عمر؟ أما علمت أنها لم في الدنيا ولنا في الآخرة.
 ثم قصصت عليه القصة فابتسم لما سمع قولي لحفصة «لا تغتري بابنة أبي
 قحافة». ثم قلت: طلقت نساءك؟
 فقال: لا.

وروي أنه كان آلى من نسائه شهراً فكمث في غرفة شهراً، فنزل قوله - تعالى
 -: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ - الآية»^{١١٤١} فبدأ رسول الله - صلى الله عليه وآله -
 بعائشة وقال: إني ملق إليك أمراً فلا تبادريني بالجواب حتى تؤامري^{١١٤٢} أبويك،
 وتلا الآية.

فقلت: أفيك أوامر أبوي؟ اخترت الله ورسوله والدار الآخرة.
 ثم قالت: لا تخبر أزواجك بذلك. وكانت تريد أن يخترن.
 فيفارقهن رسول الله - صلى الله عليه وآله - فدار - صلى الله عليه وآله -
 على نسائه وكان يخبرهن بما جرى لعائشة، فاخترن بأجمعهن الله ورسوله، وهذا التخيير

١١٤٠ - في المصدر: وكان أسامة على البيت.

١١٤١ - الأحزاب: ٢٨.

١١٤٢ - أي حتى تشاوري أبويك.

عند العامة كناية في الطلاق وعندنا أنه ليس له حكم.

وقال الشهيد الثاني والشيخ علي - رحمهما الله - : هذا التخيير عند العامة القائلين بوقوع الطلاق بالكناية كناية عن الطلاق، وقال بعضهم: إنه صريح فيه وعندنا ليس له حكم بنفسه، بل ظاهر الآية أن من اختارت الحياة الدنيا وزينتها يطلقها لقوله - تعالى - : «إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا» ١١٤٣.

أقول: سيأتي القول فيه في بابه.

ثم قال في التذكرة: وأما المحرمات فقسمان:

الأول: ما حرم عليه خاصة في غير النكاح وهو أمور:

الأول: الزكاة المفروضة، صيانة لمنصبه العليّ عن أوساخ أموال الناس التي تعطى على سبيل الترحم وتنبئ عن ذلّ الآخذ، وأبدل بالنبيء الذي يؤخذ على سبيل القهر والغلبة المنبئ عن عزّ الآخذ وذلّ المأخوذ منه، ويشركه ١١٤٤ في حرمتها أولوا القرني، لكنّ التحريم عليهم بسببه أيضاً فالخاصة ١١٤٥ عائدة إليه، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : إنا أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة.

أقول: قال الشهيد الثاني - رحمه الله - بعد ذكر هذا الوجه: مع أنها لا تحرم عليهم مطلقاً، بل من غير الهاشمي مع وفاء نصيبهم من الخمس بكفايتهم وأما عليه - صلى الله عليه وآله - فإنها تحرم مطلقاً، ولعلّ هذا أولى من الجواب السابق لأنّ ذلك مبنئ على مساواتهم له في ذلك كما تراه العامة، فاشتركوا في ذلك الجواب والجواب الثاني مختصّ بقاعدتنا.

رجعنا إلى كلام التذكرة:

الثاني: الصدقة المندوبة، الأقرب تحريمها على رسول الله - صلى الله عليه وآله -

١١٤٣ - الأحزاب: ٢٨.

١١٤٤ - في المصدر: ويشركه.

١١٤٥ - في المصدر وفي غير نسخة المصنف: فالخاصة.

وآله — لما تقدّم وهو أحد قولي الشافعيّ تعظيماً له وتكريماً، وفي الثاني يجوز، وحكم الإمام عندنا حكم النبيّ — صلى الله عليه وآله —.

الثالث: إنه كان — صلى الله عليه وآله — لا يأكل الثوم والبصل والكراث، وهل كان محرماً عليه؟ الأقرب: لا، وللشافعيّة وجهان، لكنه كان يمتنع منها لئلا يتأذى بها من ينجيه من الملائكة؛ روي أنه — صلى الله عليه وآله — أتى بقدر فيها بقول فوجد لها ريحاً فقرّبها إلى بعض أصحابه وقال له: كل! فإنني أناجي من لا تناجي.

الرابع: إنه — صلى الله عليه وآله — كان لا يأكل متكئاً، روي أنه — صلى الله عليه وآله — قال: أنا أكل كما تأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد. وهل كان ذلك محرماً عليه أو مكروهاً كما في حقّ الأئمة؟ الأقرب الثاني، وللشافعيّ وجهان.

الخامس: يحرم عليه الخنط والشعر تأكيذاً لحجّته وبيانا لمعجزته، قال الله — تعالى —: «وَلَا تَحْطُّهُ يَمِينِكَ»^{١١٤٦} وقال — تعالى —: «وَقَا عَلْمَانَهُ الشُّغْرَ»^{١١٤٧}. وقد اختلف في أنه — صلى الله عليه وآله — كان يحسنها أم لا؟ وأصحّ قولي الشافعيّ الثاني، وإنها يثبته التحريم على الأول.

السادس: كان — صلى الله عليه وآله — إذا لبس لأمة^{١١٤٨} الحرب يحرم عليه نزعها حتى يلقى العدو ويقاتل، قال — صلى الله عليه وآله —: «ما كان لنبيّ إذا لبس لأمة أن ينزعها حتى يلقى العدو»؛ وهو المشهور عند الشافعيّة ولهم وجه: إنه كان مكروهاً لا محرماً.

السابع: كان — صلى الله عليه وآله — إذا ابتدأ بتطوع حرم عليه تركه قبل إتمامه، وفيه خلاف.

الثامن: كان يحرم أن يمدّ عينيه إلى ما متع الله به الناس، قال الله — تعالى —: «وَلَا تَمُدُّ عَيْنَيْكَ — الآية»^{١١٤٩}.

التاسع: كان يحرم عليه خائنة الأعين، قال - صلى الله عليه وآله -: «ما كان لنبي أن يكون له خائنة الأعين». وفسروها بالإيحاء إلى مباح، من ضرب أو قتل على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، وإنما قيل له خائنة الأعين لأنه سبب الخيانة ١١٥٠ من حيث أنه يخفى ولا يحرم ذلك على غيره إلا في محظور، وبالجملة أن يظهر خلاف ما يضمن. وطرده بعض الفقهاء ذلك في مكائدة الحروب وهو ضعيف، وقد صح أن رسول الله - صلى الله عليه وآله - كان إذا أراد سفراً ورى بغيره.

العاشر: اختلفوا في أنه هل كان يحرم عليه أن يصلي على من عليه دين أم لا؟ على قولين.

الحادي عشر: اختلفوا في أنه هل كان يجوز أن يصلي على من عليه دين مع وجود الضامن.

الثاني عشر: لم يكن له أن يمن ليستكثر، قال الله - تعالى -: «وَلَا تَمُنُّ بِتَشْكُرٍ»، ١١٥١ أي لا تعط شيئاً تشكره، قال المفسرون: إنه كان من خواصه - صلى الله عليه وآله -.

الثاني: ما حرم عليه خاصة في النكاح وهو أمور:

الأول: إمساك من تكره نكاحه وترغب عنه لأنه - صلى الله عليه وآله - نكح امرأة ذات جمال، فلقنت أن تقول لرسول الله - صلى الله عليه وآله -: «أعوذ بالله منك» وقيل لها: «إن هذا الكلام يعجبه». فلما قالت ذلك قال - صلى الله عليه وآله -: «لقد استعدت بمعاذ» وطلقها.

وللشافعية وجه غريب: أن كان لا يحرم إمساكها لكن فارقها تكراً منه ومات رسول الله - صلى الله عليه وآله - عن تسع نسوة: عايشة، وحفصة، وأم سلمة بنت ابن أمية المخزومي، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وسودة بنت زمعة، وصفية بنت حيي بن أخطب

١١٥٠ - في المصدر: لأنه شبه الخيانة.

١١٥١ - المدثر: ٦.

الخيرية، وزينب بنت جحش. وجميع من تزوج بهن خمسة عشر وجمع بين إحدى عشرة ودخل بثلاث عشرة وفارق امرأتين في حياته: إحداهما الكلبية وهي التي رأى بكشحا بياضاً، فقال لها: الحقي بأهلك! والأخرى التي تعوذت منه.

وقال: أبو عبيد: تزوج رسول الله - صلى الله عليه وآله - ثمانية عشر امرأة

واتخذ من الاماء ثلاثاً، ١١٥٢

الثاني: نكاح الكفار ١١٥٣. عندنا لا يصح للمسلم على الأقوى، لقوله - تعالى

:- «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ» ١١٥٤ وقال: «وَلَا تُنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ» ١١٥٥.

وقال بعض علمائنا: إنه يصح، وهو مذهب جماعة من العامة؛ فعندنا التحريم بطريق

الأولى ثابت في حق النبي - صلى الله عليه وآله -.

واختلف في مشروعيته له من جور من العامة في حق الأمة على قولين:

أحدهما المنع لقوله - صلى الله عليه وآله -: «زواجي في الدنيا زوجاتي في

الآخرة»، والجنة محرمة على الكافرين، ولأنه أشرف من أن يضع مائه في رحم

كافرة، والله - تعالى - أكرم زوجاته إذ جعلهن أمهات المؤمنين والكافرة لا تصلح

لذلك لأن هذه أسوة الكرامة، ولقوله - تعالى - «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» ١١٥٦، ولقوله

«كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» وذلك لا يصح في الكافرة.

والثاني الجواز لأن ذبائحهم له حلال فكذلك نساءهم. والمقدمة الأولى

ممنوعة، فإن ذبائح أهل الكتاب عندنا محرمة، وأما نكاح الأمة فلم يجز له بلاخلاف

بين الأكر، وأما وطى الأمة فكان سائغاً له مسلمةً كانت أو كفايةً لقوله - تعالى

:- «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» ١١٥٧ وقوله - تعالى - «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» ١١٥٨ ولم يفصل.

وملك - صلى الله عليه وآله - مارية القبطية وكانت مسلمةً، وملك صفية وهي

مشركة، فكانت عنده إلى أن أسلمت فأعتقها وتزوجها. وجوز بعضهم نكاح الأمة

١١٥٢ - سيأتي أحوال أزواجه في بابها.

١١٥٣ - في المصدر: نكاح الكتابية.

١١٥٦ - التوبة: ٢٨.

١١٥٧ - النساء: ٣.

١١٥٤ - البقرة: ٢٢١.

١١٥٨ - الأحزاب: ٥٠.

١١٥٥ - المتحنة: ١٠.

المسلمة له - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - بالعقد كما يجوز بالملك والنكاح أوسع منه من الأمة، ولكن الأكثر على المنع لأن نكاح الأمة مشروط بالخوف من العنت، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - معصوم وبفقدان طول^{١١٥٩} الحرّة، ونكاحه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - مستغني^{١١٦٠} عن المهر ابتداء وانتهاء، وبأن من نكح أمة كان ولده معها رقيقاً عند جماعة ومنصب النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - منزّه عن ذلك، لكن من جور له نكاح الأمة قال: خوف العنت إنما يشترط في حق الأمة ومنع من اشتراط فقدان الطول، وأما رقّ الولد فقد التزم^{١١٦١} بعض الشافعية وجهاً مستبعداً فيه بذلك، والصحيح خلافه لأنه عندنا يتبع أشرف الطرفين.

وأما التخفيفات فقسمان:

الأول: ما يتعلق بغير النكاح وهي أمور:

الأول: الوصال في الصوم، كان مباحاً للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - وحرام على أمته؛ ومعناه أنه بطوي الليل بلا أكل وشرب^{١١٦٢} مع صيام النهار، لا أن يكون صائماً لأن الصوم في الليل لا ينعقد، بل إذا دخل الليل صار الصائم مفطراً إجماعاً، فلما نهى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عن الوصال قيل له: إنك تواصل، فقال: إني لست كأحدكم، إني أظلّ عند ربّي يطعمني ويسقيني.

وفي رواية: إني أبيت عند ربّي فيطعمني ويسقيني.

قيل: معناه يسقيني ويغذيّني بوجيه.

وقال الشهيد الثاني - نورالله ضريحه -: الوصال يتحقق بأمرين: أحدهما

الجمع بين الليل والنهار عن ترك الصوم بالنبوة، والثاني تأخير عشائه الى سحوره بالنية كذلك^{١١٦٣} بحيث يكون صائماً مجموع ذلك الوقت. والوصال بمعنى محرم على أمته ومباح له - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -.

١١٦٠ - هكذا في النسخة، والصحيح: مستغني.

١١٥٩ - «الطول» القدرة والغنى.

١١٦٢ - في المصدر: ولا شرب.

١١٦١ - في المصدر: فقد أئزم.

١١٦٣ - والروايات قد وردت بمعنيين. ففي مرسلة الصدوق عن الصادق - عليه السلام -: الوصال الذي نهى عنه هو أن يجعل

ثم نقل كلام التذكرة وقال: ليس بجيد لأن الأكل بالليل ليس بواجب، وقد صرح به هو في المنتهى فقال: لو أمسك عن الطعام يومين لابنية الصيام بل بنية الإفطار فالأقوى عدم التحريم، وعلى ما ذكره هنا لافرق بينه - صلى الله عليه وآله - وبين غيره، بل المراد الصوم فيها معاً بالنية، فإن هذا حكم مختص به محرم على غيره. أقول: ما ذكره - رحمه الله - هو المطابق لكلام الأكثر، لكن الأخبار الواردة في تفسيره تقتضي التحريم مطلقاً؛ وأيضاً لو كان المراد مع النية فلا وجه للتخصيص بهذين الفردين، بل الظاهر أنه لو نوى دخول ساعة من الليل مثلاً في الصوم كان تشريعاً محرماً.

وسياتي تمام القول في ذلك في كتاب الصوم إن شاء الله - تعالى -.

ثم قال في التذكرة:
الثاني: اصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة، كجارية حسنة وثوب مترفع^{١١٦٤} وفسر جوائز وغير ذلك، ويقال لذلك الذي اختاره: «الصفى والصفية» والجمع «الصفايا» ومن صفاياها صفية بنت حيى، اصطفاها واعتتمها وتزوجها، وذوالفقار.

الثالث: خمس النية والغنيمة كان لرسول الله - صلى الله عليه وآله - الاستبداد به، وأربعة أخماس النية كانت له أيضاً.
الرابع: أبيع له دخول مكة بغير إحرام خلافاً لأئمة، فإنه محرم عليهم على خلاف.

الخامس: أبيحت له ولأئمة كرامة له الغنائم وكانت حراماً على من قبله من الأنبياء، بل أمروا بجمعها فتنزل نار من السماء فتأكلها. وإنه كان يقضي لنفسه

الرجل عشاء سحوره. وفي حديث الحلبي عن أبي عبد الله - عليه السلام -، قال: الوصال في الصيام أن يجعل عشاء سحوره. وفي حديث سليمان الديلمي عنه - عليه السلام -: وإتما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا وصال في صيام» يعني لا يصوم الرجل يومين متواليين من غير إفطار. وفي حديث حفص عنه - عليه السلام -: المواصل في الصيام يصوم يوماً ويلة ويفطر في السحر.
١١٦٤ - «رفع الثوب» خلاف غلظ. وفي الحديث: ثوب حسن.

وفي غيره خلاف، وأن يحكم لنفسه ولولده، وأن يشهد لنفسه ولولده، وأن يقبل شهادة من شهد له ١١٦٥.

السادس: أبيح له أن يحمي لنفسه الأرض لرعي ماشيته وكان حراماً على من قبله من الأنبياء — عليهم السلام — والأئمة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم. وقال المحقق الثاني — رحمه الله — في شرح القواعد: وهذا عندنا مشترك بينه وبين الأئمة — عليهم السلام — وقول المصنف — رحمه الله — في التذكرة «والأئمة بعده ليس لهم أن يحموا لأنفسهم» ليس جارياً على مذهبنا.

ثم قال في التذكرة:

السابع: أبيح له أن يأخذ الطعام والشراب من المالك وإن اضطر إليها ١١٦٦ لأن حفظه لنفسه الشريفة أولى من حفظ نفس غيره، وعليه البذل والفداء بمهجته مهجة رسول الله — صلى الله عليه وآله — لأنه — صلى الله عليه وآله — أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

وقال المحقق في شرح القواعد: وينبغي أن يكون الإمام كذلك كما يرشد إليه التعليل، ولم أقف على تصريح في ذلك.

ثم قال في التذكرة:

الثامن: كان لا ينتقض وضوءه بالنوم، وبه قال الشافعية، وحكى أبو العباس منهم وجهاً آخر غريباً، وكذلك حكى وجهين في انتقاض وضوءه باللمس. التاسع: كان يجوز له أن يدخل المسجد جنباً، ومنعه بعض الشافعية وقال: لا أخاله صحيحاً.

العاشر: قيل: إنه كان يجوز له أن يقتل من آمنه وهو غلط، فإنه من يحرم ١١٦٧ عليه خائنة الأعين كيف يجوز له قتل من آمنه؟

١١٦٥- في المصدر: من يشهد له.

١١٦٦- في المصدر: وإن اضطر إليها.

١١٦٧- في المصدر: فإن من يحرم عليه.

الحادي عشر: قيل: إنه كان يجوز له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه لأن لعنه رحمة؛ واستبعده الجماعة وروى أبوهريرة أن النبي - صلى الله عليه وآله - قال: «اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفه، إنما أنا بشر فأني المؤمن آذيته بتهمة ولعنة^{١١٦٨} فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة يتقرب بها إليك يوم القيامة». وهو عندنا باطل لأنه معصوم لا يجوز منه لعن الغير وسببه بغير سبب؛ والحديث لو سلم إنما هو لسبب.

ومن التخفيفات^{١١٦٩} ما يتعلق بالنكاح وهي أمور:

الأول: الزيادة على أربع نسوة، فإنه - صلى الله عليه وآله - مات عن تسع، وهل كان له الزيادة على تسع؟ الأولى الجواز لامتناع الجور عليه، وللشافعية وجهان: هذا أصحها، والثاني المنع، وأما انحصار طلاقه في الثلاث فالوجه في ذلك كما في حق الأمة وهو أحد وجهي الشافعية. والثاني العدم كما لم ينحصر عدد زوجاته - صلى الله عليه وآله -.

الثاني: العقد بلفظ الهبة، لقوله - تعالى -: «وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ»^{١١٧٠} فلا يجب المهر حينئذٍ بالعقد ولا بالدخول، لا ابتداءً ولا انتهاءً كما هو قضية الهبة، وهو أظهر وجهي الشافعية. والثاني المنع، كما في حق الأمة. وعلى الأول هل يشترط لفظ النكاح من جهة النبي - صلى الله عليه وآله -؟ وللشافعية وجهان: أحدهما: نعم، لظاهر قوله - تعالى -: «أَنْ تَشْتَكِيَهَا»^{١١٧١}. والثاني لا يشترط في حق الواهبة^{١١٧٢}، وهل ينعقد نكاحه بمعنى الهبة حتى لا يجب المهر ابتداءً ولا انتهاءً؟ وجهان للشافعية، ولهم وجه غريب: إنه يجب المهر في حق الواهبة، وخاصية النبي - صلى الله عليه وآله - ليست في إسقاط المهر، بل في الانعقاد بلفظ الهبة.

الثالث: كان إذا رغب - صلى الله عليه وآله - في نكاح امرأة فإن كانت خلية فعليها الإجابة ويحرم على غيره خطبتها، وللشافعية وجه: إنه لا يحرم، وإن كانت

١١٦٨- في المصدر: أولعنته.

١١٧٠ و ١١٧١- الأحزاب: ٥٠.

١١٦٩- في المصدر: القسم الثاني من التخفيفات.

١١٧٢- في المصدر: أن يشترط في حق الواهبة.

ذات زوج وجب على الزوج طلاقها لينكحها لقضية زيد^{١١٧٣}. ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان إيمانه واعتقاده بتكليفه النزول عن أهله، ومن جانب النبي - صلى الله عليه وآله - ابتلاؤه ببليّة البشرية ومنعه من خائنة الأعين ومن الإضممار الذي يخالف الإظهار كما قال - تعالى - : «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ»^{١١٧٤} ولا شيء أدى إلى غض البصر وحفظه لمجاريه الاتفاقية^{١١٧٥} من هذا التكليف وليس هذا من باب التخفيفات كما قاله الفقهاء، بل هو في حقه غاية التشديد^{١١٧٦} إذ لو كلف بذلك آحاد الناس لما فتحوا أعينهم في الشوارع خوفاً من ذلك، ولهذا قالت عائشة: لو كان - صلى الله عليه وآله - يخفي آية لأخفي هذه.

الرابع: انعقاد نكاحه بغير ولي وشهود، وهو عندنا ثابت في حقه - صلى الله عليه وآله - وحق أمته^{١١٧٧} إذ لا يشترط نحن ذلك؛ وللشافعية وجهان. الخامس: انعقاد نكاحه في الإحرام، وللشافعية فيه وجهان: أحدهما الجواز لما روي أنه - صلى الله عليه وآله - نكح ميمونة محرماً، والثاني المنع كما لم يحل له الوطني في الإحرام، والمشهور عندهم أنه نكح ميمونة حلالاً.

السادس: هل كان يجب عليه القسم بين زوجاته بحيث إذا باتت عند واحدة منهن ليلة وجب عليه أن يبيت عند الباقيات كذلك أم لا يجب؟ قال الشهيد الثاني - رحمه الله - : اختلف العلماء في ذلك، فقال بعضهم: لا يجب عليه ذلك لقوله - تعالى - : «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ»^{١١٧٨} ومعنى «ترجي» تؤخر وتترك إيواءه إليك ومضاجعته بقريئة قسيمه، وهو

١١٧٣ - في المصدر: كقضية زيد.

١١٧٤ - الأحزاب: ٣٧.

١١٧٥ - في المصدر: وحفظه عن المحابة الاتفاقية.

١١٧٦ - فيه تأمل واضح يعلم بمراجعة الآية وتفسيرها.

١١٧٧ - في ثبوت جواز النكاح بغير ولي مطلقاً في حق أمته هل تأمل، بل منع.

١١٧٨ - الأحزاب: ٥١. قال الطبرسي في معناها: أي تؤخر وتبعد من تشاء من أزواجك، وتضم إليك من تشاء منهن واختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أن المراد: تقدم من تشاء من نسائك في الإيواء إليك وهو الدعاء للفراش، وتؤخر من تشاء في ذلك، وتدخل من تشاء منهن في القسم، ولا تدخل من تشاء؛ عن قتادة، قال: وكان رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقسم بين أزواجه وأباح الله له ترك ذلك.

قوله: «وَتُوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ» أي تضمه إليك وتضاجعه؛ ثم لا يتعين ذلك عليك، بل لك بعد الإرجاء، أن تبتغي ممن عزلت ماشئت وتوويه إليك. وهذا ظاهر في عدم وجوب القسمة عليه - صلى الله عليه وآله -، حتى روي أن بعد نزول الآية ترك القسمة لجماعة من نسائه وآوى إليه جماعة ممنهن معينات وقال آخرون: بل تجب القسمة عليه كغيره لعموم الأدلة الدالة عليها ولأنه لم يزل يقسم بين نسائه حتى كان يطاق به وهو مريض عليهن ويقول: «هذا قسمي فيما أملك، وأنت أعلم بما لا أملك» يعني قلبه - صلى الله عليه وآله - والمحقق - رحمه الله - استضعف الاستدلال بالآية على عدم وجوب القسمة بأنه كما يحتمل أن يكون المشية في الإرجاء والإيواء لجميع نسائه يحتمل أن يكون متعلقاً بالواهبات أنفسهن خاصة، فلا يكون دليلاً على التخير مطلقاً. وحينئذ فيكون اختيار قول ثالث وهو وجوب القسمة لمن تزوجهن بالعقد وعدمها لمن وهبت نفسها. وفي هذا عندي نظر لأن ضمير الجمع المؤنث في قوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» واللفظ العام في قوله: «وَمَنْ ابْتَغَيْتَ» لا يصح عوده للواهبات، لأنه لم يتقدم ذكر الهبة إلا لامرأة واحدة، وهي قوله: «وَأَقْرَأَهُ فُؤْمَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا»^{١١٧١} فوحد ضمير الهبة في مواضع من الآية، ثم عقبه بقوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ» فلا يحسن عوده إلى الواهبات، إذ لم يسبق له ذكر على وجه الجمع. بل إلى جميع الأزواج المذكورات في هذه الآية وهي قوله - تعالى -: «بِأَيْهَا

ثانيها: أن المراد: تعزل من تشاء ممنهن بغير طلاق، وترد إليك من تشاء ممنهن بعد عزلك إياها بلا تجديد عقد.

ثالثها: أن المراد: تطلق من تشاء ممنهن وتمسك من تشاء.

رابعها: أن المراد: تترك نكاح من تشاء من نساء أمتك وتنكح ممنهن من تشاء؛ عن الحسن، قال: وكان - صلى الله عليه وآله - إذا خطب امرأة لم يكن لغيره أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها.

خامسها: [أن المراد]: تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهن أنفسهن لك فتوويها إليك، وتترك من تشاء ممنهن فلا تقبلها.

«وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزَلْتِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» (الأحزاب: ٥١) أي إن أردت أن تووي إليك امرأة ممن عزلتهن عن ذلك وتضمها إليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب ولا إثم عليك في ابتغائها، أباح الله - سبحانه - له ترك القسم في النساء حتى يؤخر من يشاء عن وقت نوبتها، ويطاق من يشاء في غير وقت نوبتها، وله أن يعزل من يشاء، وله أن يرده المعزولة إن شاء. فضله الله بذلك على جميع الخلق.

النَّبِيِّ إِنَّا أَخْلَقْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّائِي آتَيْتَ أُجُوزَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِنَّا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَتَنَابَ عَمَلُكَ وَتَنَابَ عَمَلَاتِكَ وَتَنَابَ خَالِكَ وَتَنَابَ خَالَاتِكَ اللَّائِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ — الآيَة ١١٨٠ الآيَة، ثم عقبها بقوله: «تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ — الآيَة»، وهذا هو ظاهر في عود ضمير النسوة المخير فيهن إلى من سبق من أزواجه جمع. وأيضاً فإن النبي — صلى الله عليه وآله — لم يتزوج بالهبة إلا امرأة واحدة على ما ذكره المحذثون والمفسرون، وهو المناسب لسياق الآيَة، فكيف يجعل ضمير الجمع عائداً إلى الواهبات وليس له منهن إلا واحدة؟ ثم لو تنزلنا وسلّمنا جواز عوده إلى الواهبات لما جاز حمله عليه بمجرد الاحتمال مع وجود اللفظ العام الشامل لجميعهن، وأيضاً فإن غاية الهبة أن تزويجه — صلى الله عليه وآله — يجوز بلفظ الهبة من جانب المرأة أو من الطرفين، وذلك لا يخرج الواهبة عن أن تكون زوجته فيلحقها ما يلحق غيرها من أزواجه. لأنها تصير بسبب الهبة بمنزلة الأمة. وحينئذ فتخصيص الحكم بالواهبات لا وجه له أصلاً، وأما قوله صلى الله عليه وآله — فجاز كونه بطريق التفضل والانصاف وجبر القلوب، كما قال الله — تعالى —: «ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَنِّيهِنَّ وَلَا تَخْرُجَنَّ وَتَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ» ١١٨١.

انتهى كلامه — رحمه الله —.

ورجعنا إلى كلام التذكرة:

السابع: إنه كان يجوز للنبي — صلى الله عليه وآله — تزويج المرأة ممن شاء بغير إذن وليها وتزويجها من نفسه وتولي الطرفين من غير إذن وليها، وهل ١١٨٢ كان يجب عليه نفقة زوجاته؟ وجهان لهم بناء على الخلاف في المهر، وكانت المرأة تحل له بتزويج الله — تعالى —؛ قال — سبحانه — في قصة زيد: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا» ١١٨٣. وقيل: إنه نكحها بمهر، وحلوا «زَوَّجْنَاكَهَا» على إحلال الله — تعالى

١١٧٩ و ١١٨٠ — الأحزاب: ٥٠.

١١٨٢ — في المصدر قبل ذلك: وسوّغ الشافعية أن ينكح المعتدة في وجه؛ وهل كان. اهـ.

١١٨٣ — الأحزاب: ٣٧.

وروى الكليني في الحسن عن عمر بن أذينة في حديث طويل أن النبي —
صلى الله عليه وآله — فارق المستعينة وامرأة أخرى من كندة، قالت لما مات ولده
إبراهيم: لو كان نبياً ما مات ابنه فتزوجت^{١١٨٨} بعده باذن الأولين؛ وأن أباجعفر —
عليه السلام — قال: ما نهى الله — عز وجل — عن شيء إلا وقد عصي فيه، لقد
نكحوا أزواج رسول الله — صلى الله عليه وآله — من بعده، وذكر هاتين العامرتين
والكنديتين. ثم قال أبوجعفر — صلى الله عليه وآله —: لو سألتكم عن رجل تزوج امرأة
فطلقها قبل أن يدخل بها أتخل لابنه؟

لقالوا: لا، فرسول الله أعظم حرمة من آبائهم.

وفي رواية أخرى عن زرارة عنه — عليه السلام — نحوه، وقال في حديثه:
وهم يستحلون أن يتزوجوا^{١١٨٩} أمهاتهم؟ وإن أزواج النبي — صلى الله عليه وآله —
في الحرمة مثل أمهاتهم إن كانوا مؤمنين.^{١١٩٠}

إذا تقرر ذلك فنقول: تحريم أزواجه — صلى الله عليه وآله — لما ذكرناه من
النهي المؤكد عنه في القرآن لا لتسميتهن أمهات المؤمنين في قوله — تعالى —: «وَأَزْوَاجُهُ
أُمَّهَاتُهُمْ»^{١١٩١} ولا لتسميته — صلى الله عليه وآله — والداً، لأن ذلك وقع على وجه
المجاز لا الحقيقة، كناية عن تحريم نكاحهن، ووجوب احترامهن؛ ومن ثم لم يجر النظر
إليهن ولا الخلوة بهن ولا يقال لبناتهن: أخوات المؤمنين، لأنهن لا يحرمن على المؤمنين.
فقد زوج رسول الله — صلى الله عليه وآله — فاطمة — عليها السلام — بعلي — عليه
السلام — وأختها «رقية» و «أم كلثوم» عثمان، وكذا لا يقال لأبائهن وأمهاتهن:
أجداد المؤمنين وجداتهم، ولا لآخواتهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم. وللشافعية
وجه ضعيف في إطلاق ذلك كله، وهو في غاية البعد. انتهى.

ثم قال — رحمه الله — في التذكرة:

١١٨٨ — في الحديث: فتزوجت، فجدم أحد الرجلين وجرن الآخر.

١١٨٩ — في الكافي: وهم لا يستحلون أن يتزوجوا أمهاتهم.

١١٩٠ — فروع الكافي، ج ٢، ص ٣٣-٣٤.

١١٩١ — الأحزاب: ٦.

الثاني: إن أزواجه أمهات المؤمنين، سواء فيه من ماتت تحت النبي ومن مات النبي - صلى الله عليه وآله - وهي تحتها، وليست الأمومة هنا حقيقة، ثم ذكر نحواً مما ذكره الشهيد الثاني - رحمه الله - في ذلك.

الثالث: تفضيل زوجاته على غيرهن بأن جعل ثوابهن وعقابهن على الضعف.

الرابع: لا يحل لغيرهن من الرجال أن يسألن شيئاً إلا من وراء حجاب لقوله - تعالى -: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ»^{١١٩٢}. وأما غيرهن فيجوز أن يسألن مشافهة.

الثاني: في غير النكاح، وهو أمور:

الأول: أنه خاتم النبيين - صلى الله عليه وآله -.

الثاني: إن له خير الأمم^{١١٩٣}، لقوله - تعالى -: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ»^{١١٩٤}

تكرمه له - صلى الله عليه وآله - وتشريفاً.

الثالث: نسخ جميع الشرائع بشريعته.

الرابع: جعل شريعته مؤبدة.

الخامس: جعل كتابه معجزاً بخلاف كتب سائر الأنبياء - عليهم السلام -.

السادس: حفظ كتابه عن التبديل والتغيير، وأقيم بعده حجة على الناس، ومعجزات غيره من الأنبياء انقضت بانقراضهم.

السابع: نصر بالرعب على مسيرة شهر، فكان العدو يرهبه من مسيرة شهر.

الثامن: جعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

التاسع: أحلت له الغنائم دون غيره من الأنبياء - عليهم السلام -.

العاشر: يشفع في أهل الكباثر، لقوله - صلى الله عليه وآله -: «ذخرت

١١٩٢- الأحزاب: ٥٣.

١١٩٣- في المصدر: أمته خير الأمم.

١١٩٤- آل عمران: ١١٠.

شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

الحادي عشر: بعث إلى الناس عامة.

الثاني عشر: سيّد ولد آدم يوم القيامة.

الثالث عشر: أول من تنشق عنه الأرض.

الرابع عشر: أول شافع ومشفّع.

الخامس عشر: أول من يقرع باب الجنة.

السادس عشر: أكثر الأنبياء تبعاً.

السابع عشر: أمته معصومة لا تجتمع على الضلالة.

أقول: قال المحقق في شرح القواعد: في عدّه هذا من الخصائص نظر لأنّ

الحديث غير معلوم الثبوت، وأمته - صلى الله عليه وآله - مع دخول المعصوم - عليه

السّلام - فيهم لا تجتمع على ضلالة لكن باعتبار المعصوم فقط ولا دخل لغيره في

ذلك، وبدونه هم كسائر الأمم على أنّ الأمم الماضين مع أوصياء أنبيائهم كهذه

الأمة مع المعصوم، فلا اختصاص. ١١٩٥

ثمّ قال في التذكرة:

الثامن عشر: صفوف أمته كصفوف الملائكة.

التاسع عشر: تنام عينه ولا ينام قلبه.

العشرون: كان يرى من ورائه كما يرى من قدّامه، بمعنى التحفّظ والحسن،

وكذلك قوله - صلى الله عليه وآله -: «تنام عيناى ولا ينام قلبي».

الحادى والعشرون: كان تطوّعه بالصلاة قاعداً كتطوّعه قائماً وإن لم يكن

عذر^{١١٩٦}، وفي حقّ غيره ذلك على النصف من هذا.

الثاني والعشرون: مخاطبة المصلّي بقوله «السّلام عليك ورحمة الله

١١٩٥ - يمكن أن يقال: إنّ أمته لا يجتمع على الضلالة، لأنّ فيها فرقة في جميع الأعصار يشعرون الحقّ؛ ولو اتّبع غيرهم غير سواء السبيل، فعليه يثبت الاختصاص.

١١٩٦ - في المصدر: وإن لم يكن له عذر.

وبركاته»^{١١٩٧}، ولا يخاطب سائر الناس.
 الثالث والعشرون: يحرم على غيره رفع صوته على صوت النبي.
 الرابع والعشرون: يحرم على غيره نداءه^{١١٩٨} من وراء الحجرات للآية^{١١٩٩}.
 الخامس والعشرون: نادى الله - تعالى - الأنبياء وحكى عنهم بأسمائهم،
 فقال - تعالى -: «يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا»^{١٢٠٠} [و] «أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ»^{١٢٠١} [و] «يَا نُوحُ»^{١٢٠٢}.
 وميز نبينا - صلى الله عليه وآله - بالنداء بألقابه الشريفة فقال -
 تعالى -: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ»^{١٢٠٣} [و] «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ»^{١٢٠٤} [و] «يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ»^{١٢٠٥}
 [و] «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»^{١٢٠٦}.

ولم يذكر اسمه في القرآن إلا في أربعة مواضع، شهد له فيها بالرسالة لافتقار
 الشهادة إلى ذكر اسمه، فقال:

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»^{١٢٠٧}.

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ»^{١٢٠٨}.
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَلَبُوا الصَّالِحِينَ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
 رَبِّهِمْ»^{١٢٠٩}.

١١٩٧- في المصدر: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

١١٩٨- في المصدر: مناداته.

١١٩٩- والآية نفسها: «إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (الحجرات: ٤).

١٢٠٠- يوسف: ٢٩.

١٢٠١- الصافات: ١٠٤.

١٢٠٢- هود: ٤٦.

١٢٠٣- الأنفال: ٦٤، ٦٥ و ٧٠، والتوبة: ٧٣، وفي غيرها.

١٢٠٤- المائدة: ١٤ و ٦٧.

١٢٠٥- المزمل: ١.

١٢٠٦- المدثر: ١.

١٢٠٧- الفتح: ٢٩.

١٢٠٨- الأحزاب: ٤٠.

١٢٠٩- محمد: ٢.

«بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَغْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ». ١٢١٠

و كان يحرم أن ينادى باسمه فيقول: يا محمد! يا أحمد! ولكن يقول ١٢١١: يا نبي الله! يا رسول الله! يا خيرة الله!... إلى غير ذلك من صفاته الجليلة.

السادس والعشرون: كان يستشفى به.

السابع والعشرون: كان يتبرك ببوله ودمه.

الثامن والعشرون: من زنى بحضرتة أو استهان به كفر.

التاسع والعشرون: يجب على المصلي إذا دعاه بحبيبه ١٢١٢ ولا تبطل صلاته؛

وللشافعية وجه: إنه لا يجب وتبطل به الصلاة.

الثلاثون: كان أولاد بناته ينسبون إليه و أولاد بنات غيره لا ينسبون إليه:

لقوله - صلى الله عليه وآله -: «كل سبب و نسب ينقطع يوم القيامة إلا سبي و نسبي». و قيل: معناه أنه لا ينتفع يومئذ بسائر الأنساب، و ينتفع بالنسبة إليه -

صلى الله عليه وآله -.

مسألة: قال - صلى الله عليه وآله -: «سموا باسمي ولا تكتوا بكنتي».

واختلفوا، فقال الشافعي: إنه ليس لأحد أن يكتي بأبي القاسم سواء كان اسمه

محمدًا أو لم يكن؛ و منهم من حمله على كراهة الجمع بين الاسم والكنية و جوزوا

الإفراد و هو الوجه لأن الناس لم يزالوا بكنته - صلى الله عليه وآله - يكتون ١٢١٣ في

جميع الأعصار من غير إنكار. انتهى. ١٢١٤

و يؤيد ما اختاره - رحمه الله - مارواه الكليني والشيخ عن علي بن إبراهيم،

عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله - عليه السلام - أن النبي -

١٢١٠ - الصفح: ٦. وفي الهامش: كآته - رحمه الله - غفل عما في سورة آل عمران: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

الرُّسُلُ» ومعها خمسة مواضع، لكن لا يحل بمقصوده. منه عنى عنه. أقول: راجع سورة آل عمران، الآية رقم ١٤٤.

١٢١١ - أي المنادي.

١٢١٢ - في المصدر: أن يحبيبه.

١٢١٣ - في المصدر: يكتون بكنته.

١٢١٤ - التذكرة، مقلدات النكاح.

صلى الله عليه وآله - نهى عن أربع كفى: عن أبي عيسى، وعن أبي الحكم، وعن أبي مالك، وعن أبي القاسم إذا كان الاسم محمداً. ١٢١٥
أقول: هذا جملة ما ذكره أصحابنا وأكثر مخالفينا من خصائصه - صلى الله عليه وآله - ولم نتعرض للكلام عليها وإن كان لبعضها مجال للقول فيه لقلة الجدوى، ولأننا أوردنا من الأخبار في هذا الباب وغيره ما يظهر به جليلة الحال لمن أراد الاطلاع عليه. والله الموفق للسداد. ١٢١٥

٢١٥ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ السَّيِّئَاتِ

كان يدعو به كثيراً

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضْبِحْ بِي مَبْتَأًا وَلَا سَقِيمًا ، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَيَّ
عُرُوقِي بِسُوءٍ ، وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأِ عَمَلِي ، وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي ^(٢٩٦١) ، وَلَا
مُرْتَدًّا عَنِ دِينِي ، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي ، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي ، وَلَا
مُلْتَبِسًا ^(٢٩٦٢) عَقْلِي ، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي . أَصْبَحْتُ عَبْدًا
مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي . وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ
أَخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَّقِيَ إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ
أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أَضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ !

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ

١٢١٥ - فروع الكافي، ج ٢، ص ٨٧.

١٢١٦ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ١٦، كتاب تاريخ نبينا - صلى الله عليه وآله -، ص ٣٨٢ - ٤٠١.

تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي !
 اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ أَنْ نُفْتَتِنَ عَنْ دِينِكَ ،
 أَوْ تَتَابَعِ بِنَا أَهْوَاؤَنَا^(٢٩٦٣) دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ !

٢١٦ - مِنْ خُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بصفين

أَمَا بَعْدُ ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ،
 لَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي
 التَّوَاصُفِ ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ،
 لَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ . وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ
 لَيْهِ ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، لِقُدْرَتِهِ عَلَيَّ
 بِإَادِهِ ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ
 جَعَلَ حَقَّهُ عَلَيَّ الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ
 فَضْلًا مِنْهُ ، وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ .

حق الموالى وحق الرعية

ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا أَفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَيَّ
 بَعْضٌ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ^(٢٩٦٤) فِي وُجُوهِهَا ، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَا

يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ . وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ تِلْكَ
 الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي ، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا
 اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - لِكُلِّ عَلَى كُلِّ ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ ، وَعِزًّا
 لِدِينِهِمْ ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ ، وَلَا تَصْلُحُ
 الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى
 الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ ، وَأَعْتَدَلَتْ
 مَعَالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا ^(٢٩٦٥) السُّنَنُ ^(٢٩٦٦) ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ
 الزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ، وَبَيْسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ . وَإِذَا
 غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا ، أَوْ اجْتَحَفَ ^(٢٩٦٧) الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ
 الْكَلِمَةُ ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ ، وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ ^(٢٩٦٨) فِي الدِّينِ ،
 وَتُرِكَتْ مَحَاجِجُ السُّنَنِ ^(٢٩٦٩) ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى ، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ ،
 وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمٍ ^(٢٩٧٠) حَقٌّ عُطِّلَ ، وَلَا
 لِعَظِيمٍ بَاطِلٍ فُعِلَ ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ
 تَبِعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ ، وَحُسْنِ
 التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنْ أَشَدَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ حِرْصُهُ ، وَطَالَ فِي
 الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ - بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ .
 وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ،

وَالْتَعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ أَمْرٌ - وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ
مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ (٢٩٧١) عَلَى مَا
حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ . وَلَا أَمْرٌ - وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ ، وَاقْتَحَمَتْهُ (٢٩٧٢)
الْعُيُونُ - بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

فاجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل ، يكثر فيه الثناء عليه ، ويذكر سمعه
وطاعته له ؛ فقال عليه السلام :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ
قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ - لِعِظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ ، وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ
كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَلَطْفَ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ
لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا . وَإِنْ مِنْ
أَسْخَفٍ (٢٩٧٣) حَالَاتِ الْوَلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ ، أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ
الْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي
ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحِبُّ الْأَطْرَافَ ، وَأَسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ؛ وَلَسْتُ - بِحَمْدِ اللَّهِ -
كَذَلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ أَنْحِطَاطًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ
عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ . وَرُبَّمَا اسْتَحَلَّى النَّاسُ
الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ (٢٩٧٤) ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ ، لِإِخْرَاجِي نَفْسِي
إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ (٢٩٧٥) فِي حُقُوقِ لَمْ أفرغ من أدائها ،

وَفَرَايِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا ، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ^(٢١٧٦) ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ^(٢١٧٧) ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قَيْلٍ لِي ، وَلَا التِّمَاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنْ اسْتِثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ . فَلَا تَكْفُؤُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي ، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي^(٢١٧٨) ، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى .

تبيين: قوله - عليه السلام - : «أوسع الأشياء في التواصف» أي كل أحد يصف الحق والعدل ويقول: لو وليت لعدلت، ولكن إذا تيسر له لم يعمل بقوله ولم ينصف الناس من نفسه. و «معالم الشيء» مظاهره و ما يستدل به عليه. و «الأذلال» المجاري والطرق. و «اختلاف الكلمة» اختلاف الآراء والأهواء.

وقال الجزري: أصل «الدغل» الشجر الملتق الذي يكون^{١٢١٧} أهل الفساد فيه، و «أدغلت في هذا الأمر» إذا أدخلت فيه ما يخالفه.^{١٢١٨}

و «الحجاج» جمع «محجة» وهي جادة الطريق. و «اقتحمته عيني» احتقرته و «الإطراء» المبالغة في المدح. قوله «من البقية» في أكثر النسخ بالباء الموحدة، أي

١٢١٧- الصحيح كما في المصدر: يكن.

١٢١٨- النهاية، ج ٢، ص ٢٥.

لا تثنوا عليّ لأجل ما ترون مني في طاعة الله، فإنما هو إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ لم أفرغ من أدائها، وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله عليّ لكم من النصيحة والهداية والإرشاد؛ وقيل: المعنى: لاعترافي بين يدي الله و بحضور منكم أنّ عليّ حقوقاً في رئاستي عليكم لم أقم بها بعد، وأرجو من الله القيام بها؛ وفي بعض النسخ المصححة القديمة بالتاء المثناة الفوقانية، أي خوف الله في حقوق لم أفرغ من أدائها بعد. قوله - عليه السلام - «و لا تتحفظوا مني» أي لا تمتنعوا من إظهار ما تريدون إظهاره لديّ خوفاً من سطوتي كما هو شأن الملوك . و «البادرة» الحذّة وما يبدر عند الغضب. و «المصانعة» المداراة والرشوة. ١٢١٩

كما ١٢٢٠: عليّ بن الحسن المؤدّب، عن أحمد بن محمد بن خالد، و أحمد بن محمد ١٢٢١ عن عليّ بن الحسن التيمي، جميعاً عن إسماعيل بن مهران، قال: حدثني عبدالله بن الحارث، عن جابر، عن أبي جعفر - عليه السلام - قال: خطب أمير المؤمنين - عليه السلام - الناس بصفتين، فحمد الله و أثني عليه وصلى على محمد النبي - صلى الله عليه وآله - ثم قال:

أما بعد، فقد جعل الله - تعالى - لي عليكم حقاً بولاية أمركم ١٢٢٢ ومنزلي التي أنزلني الله - عزّ ذكره - بها منكم ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، والحقّ أجل الأشياء في التواصف وأوسعها في التناصف ١٢٢٣، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه

١٢١٩ - بحار الأنوار، الطبعة الجديدة، ج ٤١، كتاب تاريخ أمير المؤمنين - عليه السلام -، ص ١٥٢.

١٢٢٠ - الروضة من الكافي، ص ٣٥٢ - ٣٦٠. وقد صحح هذا الكتاب «على أكبر الفقاري» وقابله مع الأصل وعلّق عليه تعليقات.

١٢٢١ - «أحمد بن محمد» عطف على «عليّ بن الحسن»، وهو العاصمي. والتيمي هو ابن فضال و... قل من تغفّن لذلك. (آت). وفي بعض النسخ: «أحمد بن محمد بن أحمد» وفي بعضها: «عليّ بن الحسن المؤدّب».

١٢٢٢ - الذي له عليهم من الحقّ هو وجوب طاعته وإحاض نصيحتة، والذي لهم عليه من الحقّ هو وجوب معدلته فيهم. (في) ١٢٢٣ - «التواصف» أن يصف بعضهم لبعض. و«التناصف» أن ينصف بعضهم بعضاً. وإنما كان الحقّ أجل الأشياء في التواصف لأنه يوصف بالحسن والوجوب وكلّ جميل وإنما كان أوسعها في التناصف لأنّ الناس لوتناصفوا في الحقوق لما شاق عليهم أمر من الأمور. وفي النهج: «والحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف» وهو أوضح ومعناه أنّ الناس كلّهم يصفون الحقّ ولكن لا ينصف بعضهم بعضاً (في). وفي بعض النسخ: «التراصف» موضع التواصف.

ولا يجري عليه إنا جرى له. ولو كان لأحد أن يجري ذلك له ولا يجري عليه، لكان ذلك الله - عز وجل - خالصاً دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه ضروب قضائه^{١٢٢٤}، ولكن جعل حقه على العباد أن يطيعوه وجعل كفارتهم^{١٢٢٥} عليه بحسن الثواب تفضيلاً منه وتطوُّلاً بكرمه وتوسعاً بما هو من المزيد له أهلاً.

ثم جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض فجعلها تنكافى^{١٢٢٦} في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إناً ببعض. فأعظم ممّا افترض الله - تبارك وتعالى - من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعيّة وحقّ الرعيّة على الوالي، فريضة فرضها الله - عز وجل - لكلّ على كلّ، فجعلها نظام ألفتهم وعزاً لدينهم^{١٢٢٨} وقواماً لسنن الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعيّة إناً بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إناً باستقامة الرعيّة، فإذا أدت الرعيّة إلى الوالي حقه وأدى إليها الوالي كذلك عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على أذلالها السنن^{١٢٢٩}، فصلح بذلك الزمان وطاب به العيش وطمع في بقاء الدولة ويشت مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعيّة واليهيم وعلا الوالي الرعيّة، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت مطامع الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت معالم

١٢٢٤ - أي أنواعه المتغيرة المتوالية. وفي بعض النسخ: «صروف قضائه».

١٢٢٥ - إنا سمي جزاؤه - تعالى - على الطاعة كقارة لأنه يكفر ما يزعمونه من أن طاعتهم له - تعالى - حق لهم عليه يستوجبون به الثواب، مع أنه ليس كذلك لأن الحق له عليهم حيث أقدروهم على الطاعة وأهمهم إياها ولهذا استأه التفضل والتطوّل والتوسع بالانعام الذي هو للمزيد منه أهل لأنه الكريم الذي لا تنفد خزائنه بالاعطاء والجود تعالى مجده وتقدّس. وفي نهج البلاغة: «وجعل جزاءهم عليه» وعلى هذا فلا يحتاج إلى التكليف. (في)

١٢٢٦ - أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي، وهو الطاعة من الرعيّة، مقابل بمثله وهو العدل فيهم وحسن السيرة. (آت)

١٢٢٧ - كما أن الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة. (آت)

١٢٢٨ - فإنها سبب اجتماعهم به ويقهرون أعداءهم ويعزّ دينهم. وقوله «قواماً» أي به يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم. (آت)

١٢٢٩ - في القاموس: «ذلّ الطريق» بالكسر، محبته. وأمور الله جارية أذلالها وعلى أذلالها أي مجارها، جمع «ذلّ» بالكسر.

السنن ١٢٣٠، فعمل بالهوى. وعظمت الآثار وكثرت علل النفوس ١٢٣١ ولا يستوحش لجسيم حدّ عطل، ولا لعظيم باطل أثل! فهناك تذلل الأبرار وتعز الأشرار وتخرب البلاد ١٢٣٢ وتمعظم تبعات الله - عزّ وجلّ - عند العباد. فهلمّ أيها الناس إلى التعاون على طاعة الله - عزّ وجلّ - والقيام بعدله والوفاء بعهده والانصاف له في جميع حقّه، فإنّه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك وحسن التعاون عليه، وليس أحد وإن اشتدّ على رضى الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله، ولكن من واجب حقوق الله - عزّ وجلّ - على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحقّ فيهم؛ ثمّ ليس أمره - وإن عظمت في الحقّ منزلته وجسمت في الحقّ فضيلته - يستغنى عن أن يعان على ما حمّله الله - عزّ وجلّ - من حقّه؛ ولا لامرئ مع ذلك خسئت به الأمور واقتحمته العيون ١٢٣٣ بدون ما أن يعين على ذلك ويعان عليه. وأهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر في ذلك حاجة وكلّ في الحاجة إلى الله - عزّ وجلّ - شرع سواء ١٢٣٤

١٢٣٠ - «الادغال» بكسر الهمزة، وهو أن يدخل في الشيء مما ليس منه وهو الابداع والتليس، أو بفتحها، جمع «الدغل» بالتحريك، الفساد. (آت)

١٢٣١ - قال البحرانيّ: «علل النفوس» أمراضها بملكات السوء كالغلّ والحسد والعدوات ونحوها، وقيل: عللها وجوه ارتكابها للمبتكرات فتأتي في كلّ منكر بوجه ورأي فاسد.

١٢٣٢ - «التأثيل» التأصيل و«مجد مؤثّل» أي مجموع ذواصل. وفي النهج: «فعل» مكان أثل. و«التبعة» ما يتبع أعمال العباد من العقاب وسوء العاقبة.

١٢٣٣ - «وللامرئ» يعني مع عدم الاستغناء عن الاستعانة. وقوله «خسئت به الأمور» يقال: «خسئت والكلب خساً» طردته وخساً الكلب بنفسه؛ يتعدى ولا يتعدى. وقد تعدّى بالباء، أي طردته الأمور، أو يكون الباء للسببية، أي بعدت بسببه الأمور. (آت) وفي بعض النسخ: «خسئت» بالمهملتين، أي اختبرته. و«اقتحمت» احتقره. وفي النهج: «ولا امرؤ وإن صفرته النفوس واقتحمته العيون». وقوله «بدون ما أن يعين» أي بأقلّ من أن يستعان به ويعان. والحاصل أنّ الشريف والوضيع جميعاً محتاجون في أداء الحقوق إلى إعانة بعضهم بعضاً واستعانة بعضهم ببعض، وكلّ من كانت النعمة عليه أعظم فاحتياجه في ذلك أكثر لأنّ الحقوق عليه أوفر لزيادة الحقوق بحسب ازدياد النعم. (في)

١٢٣٤ - «سواء» بيان لقوله «شرع» وتأكيد، وإنا ذكره - عليه السلام - ذلك لئلا يتوهم أنّهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربهم - تعالى - بل هو الموفق والمعين لهم في جميع أمورهم ولا يستغنون بشيء عن الله - تعالى - وإنا كلّفهم بذلك ليعتبر طاعتهم ويشيهم على ذلك واقتضت حكمته البالغة أن يجري الأشياء بأسبابها وهو المسبّب لها والقادر على إمضانها بلا سبب. (آت)

فأجابه رجل من عسكره لا يدري من هو (و يقال: إنه لم يرفي عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده).

فقام وأحسن الثناء على الله - عز وجل - بما أبلاههم وأعطاهم من واجب حقه عليهم والإقرار^{١٢٣٥} بكل ما ذكر من تصرف الحالات به وبهم. ثم قال: أنت أميرنا ونحن رعييتك؛ بك أخرجنا الله - عز وجل - من الذلّ وبعزازك أطلق عباده من الغلّ. ^{١٢٣٦} فاختر علينا وامض اختيارك واثمر فامض ائتمارك ^{١٢٣٧} فإنك القائل المصدق والحاكم الموفق والملك المحمّل ^{١٢٣٨} لاستحلّ في شيء من معصيتك ولا نقيس علماً بعلمك، يعظم عندنا في ذلك ^{١٢٣٩} خطرك ويجلّ عنه في أنفسنا فضلك.

فأجابه أمير المؤمنين - عليه السلام - فقال:

إن من حق من عظم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه من قلبه، أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه، وإن أحق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف إحسانه إليه؛ فإنه لم تعظم نعمة الله على أحد إلا زاد حق الله عليه عظماً. وإن من أسخف حالات الولاية عند صالح الناس ^{١٢٤٠} أن يظنّ بهم حبّ الفخر ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنني أحبّ الإطراء ^{١٢٤١} واستماع الثناء؛ ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحبّ أن يقال

١٢٣٥ - «أبلاههم» أنعمهم. «من واجب حقه» يعني من حق أمير المؤمنين - عليه السلام -. (ق)

١٢٣٦ - أشار به إلى قوله - تعالى -: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (الأعراف: ١٥٧). أي يخفف عنهم ما كانوا به من التكاليف الشاقة. (ق)

١٢٣٧ - «الائتمار» المشاورة.

١٢٣٨ - أي الملك الذي أعطاك الله للإمرة علينا وجعلنا خدمك وتبعك. (آت)

١٢٣٩ - أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليلية؛ ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من إطاعته - عليه السلام -. و«الخطير» القدر والمنزلة. (آت)

١٢٤٠ - «السخف» رقة العيش ورقة العقل، و«السخافة» رقة كل شيء، أي أضعف أحوال الولاية عند الرعية أن يكونوا متهمين عندهم بهذه الخصلة المذمومة. (آت)

١٢٤١ - «جال» من «الجولان». و«الإطراء» مجاوزة الحد في الثناء.

ذلك لتركته انحطاطاً لله - سبحانه - ١٢٤٢ عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة والكبرياء. وربّما استحلّ الناس ١٢٤٣ الشاء بعد البلاء، فلا تشنوا عليّ بحمّل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من البقية ١٢٤٤ في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لا بدّ من إضائها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا منّي بما يتحفظ به عند أهل البادرة ١٢٤٥ ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنّوا بي استحقاقاً في حقّ قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي لما لا يصلح لي، فإنّه من استحقّل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بها أثقل عليه. فلا تكفّوا عني مقالة بحقّ أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق ما أن أخطي ولا آمن ذلك من فعلي ١٢٤٦ إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي، فإنّها أنا وأنتم عبيد مملوكون

١٢٤٢ - أي تواضعاً له - تعالى - . وفي بعض النسخ القديمة: «ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتناهيت له أغنانا الله وإياكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعاطم وحسن الشاء». و«التناهي» قبول النهي، والضمير في «له» راجع إلى الله - تعالى - . وفي النهج كما في النسخ المشهورة. (آت)

١٢٤٣ - يقال: «استحلاه» أي وجده حلواً قال ابن ميثم - رحمه الله - : هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه، فكأنّه يقول: وأنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في الله وأحسّ الناس على ذلك ومن عادة الناس أن يستهلّ الشاء عند أن يلوبلا حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات. ثمّ أجاب أنّ هذا العذر في نفسه بقوله «ولا تشنوا عليّ بحمّل ثناء» أي لا تشنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة الله، فإنّ ذلك إنّما هو إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ، لم أفرغ بعد من أدائها وهي حقوق نعمه وفرائضه التي لا بدّ من المضيّ فيها؛ وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله عليّ من النصيحة في الدين والارشاد إلى الطريق الأفضل والتعليم لكيفية سلوكه.

١٢٤٤ - أي لاعترافي بين يدي الله وبمحض منكم، أنّ عليّ حقوقاً في إياتكم ورتاسقي عليكم لم أقم بها بعد، وأرجو من الله القيام بها. وفي بعض النسخ: «من التقيّة» يعني من أن يتقوى في مطالبة حقوقكم لم أفرغ من أدائها. وعلى هذا يكون المراد يستحلّ الشاء الذين يشبههم الناس اتقاء شرهم وخوفاً من بأسهم. (في)

١٢٤٥ - «أهل البادرة» الملوك والسلاطين. و«البادرة» الحدة والكلام الذي يسبق من الانسان في الغضب، أي لا تشنوا عليّ كما يشقّ على أهل الحدة من الملوك خوفاً من سلطتهم، أولاً تحتشمو منّي كما يحتشم من السلاطين والأمراء كتوك المسارة والحديث إجلالاً وخوفاً منهم وترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم. (آت). و«المصانعة» الرشوة والمدارة.

١٢٤٦ - هذا من قبيل هضم النفس، ليس بنفي العصمة مع أنّ الاستثناء يكفيننا مؤونة ذلك. (في) وقال المجلسي - رحمه الله - : هذا من الانقطاع إلى الله والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ وعدّه نفسه من المقصرين في مقام العبوديّة، والإقرار بأنّ عصمته من نعمه - تعالى - عليه.

لرب لارب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا وأخرجنا مما كنا فيه ١٢٢٧ إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى .

فأجابه الرجل الذي أجابه من قبل، فقال:

أنت أهل ما قلت والله والله فوق ما قلت، فبلاءه عندنا ما لا يكفر ١٢٢٨ وقد حملك الله - تبارك وتعالى - رعايتنا وولأك سياسة أمورنا، فأصبحت علمنا الذي نهدي به وإمامنا الذي نفتدي به، وأمرك كله رشد وقولك كله أدب، قد قررت بك في الحياة أعيننا وامتثلت من سرور بك قلوبنا وتحمّرت من صفة ما فيك من بارع الفضل ١٢٢٩ عقولنا. ولسنا نقول لك: «أيها الإمام الصالح!» تزكية لك ولا تجاوز القصد في الثناء عليك، ولم يكن ١٢٥٠ في أنفسنا طعن على يقينك أو غش في دينك، فنتخوف أن تكون أحدثت بنعمة الله - تبارك وتعالى - تحيراً أو دخلك كبر؛ ولكنا نقول لك ما قلنا تقرباً إلى الله - عز وجل - بتوفيرك وتوسماً بتفضيلك وشكراً بإعظام أمرك؛ فانظر لنفسك ولنا وآثر أمر الله على نفسك وعلينا، فنحن طوع فيما أمرتنا ننقاد من الأمور مع ذلك فيما ينفعنا.

فأجابه أمير المؤمنين - عليه السلام - فقال:

وأنا أستشهدكم عند الله على نفسي لعلمكم فيما وُليت به من أموركم، وعمّا قليل يجمعني وإيّاكم الموقف بين يديه والسؤال عمّا كنا فيه، ثم يشهد بعضنا على بعض فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً؛ فإن الله - عز وجل - لا يخفى عليه خافية ولا يجوز عنده إلا مناصحة الصدور في جميع الأمور.

- ١٢٤٧ - أي من الجهالة وعدم العلم والمعرفة والكالات التي يسرها الله تعالى لنا ببيعة الرسول - صلى الله عليه وآله - .
قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى نفسه - عليه السلام - خاصة لأنه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم في أفناء الناس، فيأتي بصيغة الجمع لداخلة فيها نفسه توسماً. (آت)
- ١٢٤٨ - أي نعمته عندنا وافرة بحيث لا نستطيع كفرها وسترها أولاً يجوز كفرانها وترك شكرها. (آت)
- ١٢٤٩ - «برع في الشيء» فاق أقرانه فيه.
- ١٢٥٠ - قال المجلسي - رحمه الله -: «لم يكن» على بناء الجهول، من «كننت الشيء» سترته. أو بفتح الياء وكسر القاف، من «وكننت الطائر بيضه يكتنه» إذا حضنه. وفي بعض النسخ: «لم يكن» وفي النسخة القديمة: «لن يكون».

فأجابه الرجل (و يقال: لم يرا الرجل بعد كلامه هذا لأمير المؤمنين - عليه السلام -).

فأجابه وقد عال الذي ١٢٥١ في صدره، فقال والبكاء يقطع منطقه وغصص الشجا تكسر صوته إعظماً لخطر مرزئته ووحشة من كون فجيئته. ١٢٥٢
فحمد الله وأثنى عليه، ثم شكبا إليه هول ما أشقى عليه ١٢٥٣ من الخطر العظيم والذل الطويل في فساد زمانه و انقلاب جده ١٢٥٤ و انقطاع ما كان من دونه ثم نصب المسألة إلى الله - عز وجل - بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتفجع وحسن الشناء فقال:

يارباني العباد وياسكن البلاد ١٢٥٥ أين يقع قولنا من فضلك؟ وأين يبلغ وصفنا من فعلك؟ وأنى تبلغ حقيقة حسن ثنائك أو تحصى جميل بلائك؟ فكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك اتصلت أسباب الخير إلينا؟ ألم تكن لذلّ الذليل ملاذاً وللمعصاة الكفار إخواناً؟ ١٢٥٦ فيمن؟ إلّا بأهل بيتك وبك أخرجنا الله - عز وجل - من فظاعة تلك الخطرات؟ أو بمن فرج عنا غمرات الكربات؟ ١٢٥٧ وبمن؟ إلّا بكم أظهر الله معالم ديننا واستصلح ما كان فسد من دنيانا حتى استبان بعد الجور ذكرنا ١٢٥٨ وقرت من رخاء العيش أعيننا لما ولّيتنا بالاحسان جهدك ووفيت لنا بجميع وعدك وقت لنا على جميع عهدك؛ فكنت شاهد من غاب منا

١٢٥١ - «عال» بالمهمله، اشتد وتفاقم وغلبه وثقل عليه وأهمته. (ق)

١٢٥٢ - «الفضة» بالضم، ما اعترض في الحلق وكذا الشجا. و«المرزنة» المصيبة، وكذا الفجيئة. والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين - عليه السلام -.

١٢٥٣ - أي أشرف عليه، والضمير في قوله «إليه» راجع إلى الله - تعالى -.

١٢٥٤ - «الجدة» البحث والتفجع والتضرع.

١٢٥٥ - «السكن» بالتحريك، كل ما يسكن إليه. وفي بعض النسخ: «ياساكن البلاد».

١٢٥٦ - أي كنت تعاشر من يعصيك ويكفر نعمتك معاشره إخوان شفقة منك عليهم، أو المراد الشفقة على الكفار والمعصاة والاهتمام في هدايتهم. ويحتمل أن يكون المراد المنافقين الذين كانوا في عسكره وكان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع. (آت)

١٢٥٧ - «الفضاعة» الشناعة. و«فضاعة تلك الخطرات» شناعتها وشدتها والغمرات الشدائد والمزدهجات.

١٢٥٨ - قال الجوهري: «نعوذ بالله من الجور بعد الكور» أي من النقصان بعد الزيادة. وفي بعض النسخ: «بعد الجور» بالمعجمة.

وخلف أهل البيت لنا وكنت عزّ ضعفائنا وثمال فقرائنا^{١٢٥٩} وعماد عظمائنا. يجمعنا في الأمور عدلك ويتسع لنا في الحق تأنيك^{١٢٦٠}. فكنت لنا أنساً إذا رأيناك وسكناً إذا ذكرناك. فأبي الخيرات لم تفعل؟ وأبي الصالحات لم تعمل؟ ولولا أن الأمر الذي نخاف عليك منه، يبلغ تحويله^{١٢٦١} جهدنا وتقوي مدافعتنا طاقتنا أو يجوز الفداء عنك منه بأنفسنا وبمن نفديه بالنفوس من أبنائنا، لقتلنا أنفسنا وأبناءنا. قبلك ولا نخطرها^{١٢٦٢} وقلّ خطرها دونك ولقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك وفي مدافعة من ناواك^{١٢٦٣}؛ ولكته سلطان لا يحاول وعزّ لا يزال^{١٢٦٤} وربّ لا يعال. فإن يمن علينا بعافيتك وبترحّم علينا ببقائك ويتحنن علينا بتفريج^{١٢٦٥} هذا من حالك إلى سلامة منك لنا وبقاء منك بين أظهرنا نحدث لله - عز وجل - بذلك شكراً نعظمه وذكرأ ندينه ونقسم أنصاف أموالنا صدقات، وأنصاف رقيقنا^{١٢٦٦} عتقاء ونحدث له تواضعاً في أنفسنا ونخشع في جميع أمورنا. وإن يُمض بك إلى الجنان ويجري عليك حتم سبيله، فغير متهم فيك قضاءه ولا مدفوع عنك بلاءه ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا بأن اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه ولكنا نبكي من غير إثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلاً^{١٢٦٧} وللدين والدنيا أكيداً^{١٢٦٨} فلانرى لك خلفاً نشكو

١٢٥٩ - في النهاية: «الثمال» بالكسر، الملجأ والغيث، وقيل: هو المظم في الشدة.

١٢٦٠ - أي صار مداراتك وتآنيك وعدم مبادرتك في الحكم علينا بما تستحقّه سبباً لوسعة الحق علينا وعدم تضيق الأمور بنا. (آت)

١٢٦١ - في بعض النسخ: «تحريكه» أي تغييره وصرفه.

١٢٦٢ - أي جعلناها في معرض المخاطرة والمهلك، أو صيرناها خطراً ورهناً وعرضاً لك. قال الجزري فيه: الأهل مشر للجنة، فإن الجنة لا خطر لها، أي لا عوض لها ولا مثل. و«الخطر» بالتحريك، في الأصل الرهن وما يخاطر عليه ومثل الشيء وعدله، ولا يقال إلّا في الشيء الذي له قدر ومزية. (آت)

١٢٦٣ - «حاولك» أي قصدك. و«ناواك» أي عاداك. وقوله «ولكته» أي الرب - تعالى -.

١٢٦٤ - أي ذو عزّ وغلبة. و«زاوله» أي حاوله وطالبه.

١٢٦٥ - في بعض النسخ: «بتفريج».

١٢٦٦ - «الرقيق» المملوك.

١٢٦٧ - في أكثر النسخ: «لعزّ هذا السلطان» فقوله «لعزّ» متعلق بالبكاء و«أن يعود» بدل اشتغال له، أي نبكي لتبدل عزّ هذا السلطان ذلكاً. (آت) وفي بعض النسخ: «لئن الله هذا السلطان» أي هذه السلطنة التي لا تكون صاحبها.

١٢٦٨ - «الأكيل» يكون بمعنى المأكول وبمعنى الأكل، والمراد هنا الثاني.

إليه ولا نظيراً نؤقتله ولا نقيمه. ١٢٦٩

تبيين: أقول: أورد السيد في النهج بعض هذا السؤال والجواب و أسقط أكثرهما؛ وسنشير إلى بعض الاختلافات.

قوله - عليه السلام - «بولاية أمركم» أي لي عليكم حقّ الطاعة لأنّ الله جعلني والياً عليكم متولياً لأمركم ولأنّه أنزلني منكم منزلة عظيمة هي منزلة الإمامة والسلطنة ووجوب الطاعة. قوله - عليه السلام - «والحقّ أجل الأشياء في التواصف» أي وصفه جميل وذكره حسن؛ يقال: «تواصفوا الشيء» أي وصفه بعضهم لبعض. و في بعض النسخ: «التراصف» بالراء المهملة، و «التراصف» تنضيد الحجارة بعضها ببعض، أي أحسن الأشياء في إحكام الأمور وإتقانها. «و أوسعها في التناصف» أي إذا أنصف الناس بعضهم لبعض فالحقّ يسعه ويحتمله ولا يقع للناس في العمل بالحقّ ضيق. و في نهج البلاغة: «فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف» أي إذا أخذ الناس في وصف الحقّ وبيانه كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولته على ألسنتهم وإذا حضر التناصف بينهم فطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدة العمل بالحقّ وصعوبة الإنصاف. قوله - عليه السلام - «صروف قضائه» أي أنواعه المتغيرة المتوالية. و في بعض النسخ: «ضروب قضائه» بمعناه، والحاصل أنّه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره ولم يجعل له على نفسه لكان هو - سبحانه - أولى بذلك، و على الأولوية بوجهين: الأوّل القدرة، فإنّ غيره - تعالى - لو فعل ذلك لم يطعه أحد والله - تعالى - قادر على جبرهم وقهرهم عليه؛ والثاني أنّه لو لم يجبرهم على أعمالهم و كلفهم بها لكان عادلاً لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبدهه أبد الدهر، لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها؛ فالمراد من أوّل الكلام أنّه - سبحانه - جعل لكلّ أحد على غيره حقاً حتى على نفسه. أمّا الحقّ المفروض على الناس فبمقتضى الاستحقاق و أمّا ما أجرى على نفسه فللوفاء بالوعد مع عدم لزوم الوعد عليه، فظهر جريان الحقّ على كلّ أحد وإن اختلفت الجهة والاعتبار.

قوله - عليه السلام - «و جعل كفارتهم عليه حسن الثواب» لعلّ المراد بالكفارة الجزء العظيم لستره عملهم حيث لم يكن له في جنبه قدر، فكأنه قد محاه وستره. وفي أكثر النسخ: «بحسن الثواب» فيحتمل أيضاً أن يكون المراد بها ما يقع منهم لتدارك سيئاتهم كالتوبة وسائر الكفارات، أي أوجب قبول كفارتهم وتوبتهم على نفسه مع حسن الثواب بأن يثيبهم على ذلك أيضاً؛ ولا يبعد أن يكون تصحيف «كفاءتهم» بالهمز. وفي النهج: «و جعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله.

قوله - عليه السلام - «ثم جعل من حقوقه» هذا كالمقدمة لما يريد أن يبيته من كون حقه عليهم واجباً من قبل الله - تعالى - وهو حق من حقوقه ليكون ادعى لهم على أدائه. وبيّن أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض، هي من حق الله - تعالى - من حيث أنّ حقه على عباده هو الطاعة وأداء تلك الحقوق طاعات الله، كحقّ الوالد على ولده وبالعكس وحقّ الزوج على الزوجة وبالعكس وحقّ الوالي على الرعية وبالعكس. قوله - عليه السلام - «فجعلها متكافؤاً في وجوهها» أي جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلاً بمثله، فحقّ الوالي وهو الطاعة من الرعية مقابل بمثله وهو العدل فيهم وحسن السيرة. قوله - عليه السلام - «ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض» كما أنّ الوالي إذا لم يعدل لم يستحقّ الطاعة. قوله - عليه السلام - «فريضة فرضها الله» بالنصب على الحالّة أو بإضمار فعل أو بالرفع ليكون خبر مبتدأ محذوف. قوله - عليه السلام - «نظاماً لألفتهم» فإنّها سبب اجتماعهم وبها يقهرون أعداءهم ويعزّ دينهم. قوله - عليه السلام - «وقواماً» أي بها يقوم جريان الحقّ فيهم وبينهم. قوله - عليه السلام - «عزّ الحقّ» أي غلب. قوله - عليه السلام - «واعتدلت معالم العدل» أي مظانّه، أو العلامات التي نصبت في طريق العدل لسلوكه، أو الأحكام التي يعلم بها العدل. قوله - عليه السلام - «على أذلالها» قال الفيروزآبادي: «ذلّ الطريق» بالكسر، محجّتها و «أمور الله جارية على أذلالها» أي مجارها، جمع «ذلّ» بالكسر. قوله - عليه السلام - «و كثر الإدغال» بكسر الهمزة، و «الإدغال» أن

يدخل في الشيء ما ليس منه وهو الإبداع والتلبيس؛ أو بفتحها، جمع «الدغل» بالتحريك، الفساد. قوله — عليه السلام — «علل النفوس» أي أمراضها بملكات السوء كالغل والحسد والعداوة ونحوها؛ وقيل: وجوه ارتكاباتها للمنكرات فتأتي من كل منكر بوجه وعلّة ورأي فاسد. قوله — عليه السلام — «أثّل» يقال: «مال مؤثّل» و«بجد مؤثّل» أي مجموع ذو أصل، و«أثّل الشيء» أصله وزكاه؛ ذكره الجزري. وفي النهج: «فعل». قوله — عليه السلام — «تبعات الله» قال في العين: «التبعة» اسم للشيء الذي لك فيه بغية شبه ظلامة ونحوها.

قوله — عليه السلام — «فهلّم أيها الناس» قال الجوهرى: «هلّم يا رجل» بفتح الميم، بمعنى تعال؛ قال الخليل: أصله «لّم» من قولهم «لّم الله شعته» أي جمعه، كأنه أراد: لم نفسك إلينا، أي أقرب؛ و«هاء» للتنبيه وإثنا حذف ألفها لكثرة الاستعمال وجعلها اسماً واحداً، يستوي فيه الواحد والجمع والتأنيث في لغة أهل الحجاز. قوله — عليه السلام — «حقيقة ما أعطى الله من الحق أهله» أي جزاء ما أعطى الله أهل الحق من الدين المبين وسائر ما هداهم الله — تعالى — إليه بأن يكون المراد بالحقيقة الجزاء مجازاً، أو يكون في الكلام تقدير مضاف، أي حقيقة جزاء ما أعطى من الحق، أو يكون المراد بالبلوغ إليها كونه بازائها ومكافاة لها؛ وقيل: المراد بحقيقة ما أعطى الله شكر نعمة هدايته — تعالى — إلى دين الحق. وفي النهج: «حقيقة ما أعطى الله من الطاعة له». وفي بعض النسخ القديمة من الكتاب: «حقيقة ما أعطى من الله أهله». قوله — عليه السلام — «النصيحة له» أي لله أو للامام أو نصيحة بعضهم لبعض — تعالى — بأن لا يكون الظرف صلة. وفي النهج: «النصيحة بمبلغ» بدون الصلة، وهو يؤتد الأخير. قال الجزري: «النصيحة» في اللغة الخلوص، يقال: «نصحته ونصحت له». ومعنى نصيحة الله صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتاب الله، هو التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى رسول الله — صلى الله عليه وآله — التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لما أمر به ونهى عنه، ونصيحة الأئمة [عليهم السلام] — أن يطيعهم في الحق، ونصيحة عامة

المسلمين، إرشادهم إلى مصالحهم. قوله - عليه السلام - «ولا لامرئى مع ذلك» كأنه راجع إلى ما حمل الله على الوالى أو إلى الوالى الذى أشير إليه سابقاً، أى لا يجوز أو لا بد لامرئى، أو لا استغناء لامرئى مع الوالى أو مع كون واليه مكلفاً بالجهاد وغيره من أمور الدين وإن كان ذلك المرء ضعيفاً محقراً بدون أن يعين على إقامة الدين و يعينه الناس أو الوالى عليه. وفي النهج: «ولا أمرؤ وإن صغرت النفوس واقتحمت العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه» وهو الظاهر. قوله - عليه السلام - «خسئت به الأمور» يقال: «خسأت الكلب خساً» طردته و «خساً الكلب بنفسه»، يتعدى ولا يتعدى؛ ذكره الجوهري. فيجوز أن يكون هنا استعمال غير متعد بنفسه قد عدى بالباء، أى طردته الأمور؛ أو يكون الباء للسببية، أى بعدت بسببه الأمور. وفي بعض النسخ: «حبست به الأمور». وعلى التقادير المراد أنه يكون بحيث لا يتمشى أمر من أموره ولا ينفع سعيه في تحصيل شيء من الأمور. «واقتحمت العيون» أى احتقرته. و كلمة «ما» في قوله - عليه السلام - «ما أن يعين» زائدة. قوله - عليه السلام - «و أهل الفضيلة في الحال» المراد بهم الأئمة والولاة والأمرء والعلماء و كذا أهل النعم العظام فإنهم لكونهم مكلفين بمظالم الأمور كالجهاد في سبيل الله و إقامة الحدود والشرائع والأحكام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى اعانة الخلق أحوج. و يحتمل أن يكون المراد بأهل الفضيلة العلماء فإنهم محتاجون فيما حمل عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أعوان ولا أقل إلى من يؤمر وينهى، و بأهل النعم أصحاب الأموال لأن ما حمل عليهم من الحقوق أكثر كأداء الأخماس والصدقات، و هم محتاجون إلى الفقير القابل لها و إلى الشهود و إلى غيرهم؛ والأول أظهر. قوله - عليه السلام - «و كل في الحاجة إلى الله - عز و جل - شرع سواء» بيان لقوله «شرع» و تأكيد. و إنما ذكر - عليه السلام - ذلك لئلا يتوهم أنهم يستغنون بإعانة بعضهم بعضاً عن ربهم - جل و عز -، بل هو الموفق والمعين لهم في جميع أمورهم ولا يستغنون بشيء عن الله - عز و جل -، و إنما كلفهم بذلك ليختبر طاعتهم و يشبههم على ذلك، و اقتضت حكمته البالغة أن يجرى الأشياء بأسبابها و هو المسبب لها والقادر على إمضائها بلا سبب.

قوله ١٢٧٠ «فأجابه رجل» الظاهر أنه كان الخضر - عليه السلام - وقد جاء في مواطن كثيرة وكلمه - عليه السلام - لإتمام الحجّة على الحاضرين؛ وقد أتى بعد وفاته - عليه السلام - وقام على باب داره وبكى وأبكى وخاطبه - عليه السلام - بأمثال تلك الكلمات وخرج وغاب عن الناس.

قوله «والإقرار» الظاهر أنه معطوف على الثناء، أي أقر إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك الرجل ولم يذكره - عليه السلام - اختصاراً أو تقيّة من تغير حالاته من استيلاء أئمة الجور عليه ومظلوميته وتغير أحوال رعيته من تقصيرهم في حقّه و عدم قيامهم بما يحقّ من طاعته والقيام بخدمته؛ ويمكن أن يكون الواو بمعنى «مع»، و يحتمل عطفه على واجب حقّه.

قوله ١٢٧١ «من الغلّ» أي أغلال الشرك والمعاصي. وفي بعض النسخ القديمة: «أطلق عنا رهائن الغلّ» أي ما يوجب إغلال القيمة. قوله «فاختر» أي اقبل ما أمرك الله به فامضه علينا. قوله «والملك المخول» أي الملك الذي أعطاك الله الإمرة علينا وجعلنا خدمك وتبعك. قوله «لا تستحلّ في شيء من معصيتك» لعله عذّب «في» لتضمين معنى الدخول، أو المعنى: لا تستحلّ في شيء شيئاً من معصيتك. وفي بعض النسخ القديمة: «لا نستحلّ في شيء من معصيتك» وهو أظهر. قوله «في ذلك» أي في العلم بأن تكون كلمة «في» تعليلية، ويحتمل أن يكون إشارة إلى مادّة عليه الكلام من إطاعته - عليه السلام - و «الخطر» القدر والمنزلة. قوله «و يجلّ عنه» يحتمل إرجاع الضمير إلى القياس، أي فضلك أجلّ في أنفسنا من ١٢٧٢ يقاس بفضل أحد، ويمكن إرجاعه إلى العلم فتكون كلمة «عن» تعليلية، كما في قوله - تعالى -: «وَمَا تَحْسُنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ» ١٢٧٣ أن ١٢٧٤ يجلّ و

١٢٧٠ - أي قول الراوي. (المصحح)

١٢٧١ - أي قول الخضر - عليه السلام - . (المصحح)

١٢٧٢ - هكذا في النسخة والصحيح: من أن يقاس. (المصحح)

١٢٧٣ - هود: ٥٣.

١٢٧٤ - هكذا في النسخة والصحيح: أي. (المصحح)

يعظم بسبب ذلك في أنفسنا فضلك .

قوله - عليه السلام - «من عظم جلال الله» إِمَّا على التضعيل بنصب «جلال الله» أو بالتخفيف برفعه، يعني: من حق من عظم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه في قلبه، أن يصغر عنده كلّ ما سوى الله - تعالى - لما ظهر له من جلال الله؛ وإنّ أحق من كان كذلك ائمة الحق - عليهم السلام - لعظم نعم الله وكمال معرفتهم بجلال ربهم، فحقّ الله - تعالى - عليهم أعظم منه على غيرهم؛ فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلا يحبوا الفخر والإطراء في المدح، أو يجب أن يضمحلّ في جنب جلال الله عندهم غيره - تعالى - فلا يكون غيره منظوراً لهم في أعمالهم ليطلبوا رضى الناس بمدحهم.

قوله - عليه السلام - «وإن من أسخف»، «السخف» رقة العيش ورقة العقل و«السخافة» رقة كلّ شيء، أي أضعف حالات الولاية عند الرعية أن يكونوا متهمين عندهم بهذه الخصلة الذمومة. قوله - عليه السلام - «أني أحبّ الإطراء» أي مجاوزة الحد في المدح والمبالغة فيه. قوله - عليه السلام - «انحطاطاً لله سبحانه» أي تواضعاً له - تعالى - . وفي بعض النسخ القديمة: «ولو كنت أحبّ أن يقال ذلك لتناهيت له. أغنانا الله وإياكم عن تناول ما هو أحقّ به من التعظيم و حسن الثناء. و«التناهي» قبول النهي؛ والضمير في «له» راجع إلى الله - تعالى - . وفي النهج كما في النسخ المشهورة.

قوله - عليه السلام - «و ربّنا استحلّ الناس» يقال: «استحلاه» أي وجده حلوّاً. قال ابن ميثم - رحمه الله - : هذا يجري مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه، فكأنّه يقول: أنت معذور في ذلك حيث رأيتني أجاهد في الله وأحثّ الناس على ذلك. ومن عادة الناس أن يستحلّ ١٢٧٥ الثناء عند أن يبلو ١٢٧٦ بلاء حسناً في جهاد أو غيره من سائر الطاعات. ثمّ أجاب عن هذا العذر في نفسه بقوله «فلا تثنوا» عليّ بجميل ثناء» أي لا تثنوا عليّ لأجل ما ترونه منّي من طاعة الله، فإنّ ذلك إنّما هو

إخراج لنفسي إلى الله من حقوقه الباقية عليّ، لم أفرغ بعد من أداؤها وهي حقوق نعمه وفرائضه التي لا بدّ من المضيّ فيها؛ وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله إليّ^{١٢٧٧} من النصيحة في الدين و الإرشاد إلى الطريق الأفضل والتعليم لكيفية سلوكه. وفي خط الرضوي - رحمه الله -: «من التقيّة» بالتاء، والمعنى: فإنّ الذي أفعله من طاعة الله إنّها هو إخراج لنفسي إلى الله وإليكم من تقيّة الخلق فيما يجب عليّ من الحقوق إذا كان - عليه السلام - إنّما يعبد الله الله غير ملتفت في شيء من عبادته وأداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفاً منه أو رغبة إليه، أو المراد بها التقيّة التي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة وتركها في أيام خلافته. وكأنة قال: لم أفعّل شيئاً إلاّ وهو أداء حقّ واجب عليّ، وإذا كان كذلك فكيف أستحقّ أن يثنى عليّ لأجل إثبات الواجب بثناء جميل وأقابل هذا التعظيم. وهذا من باب التواضع منه و تعليم كيفيته وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل إليه. انتهى.

وقال ابن أبي الحديد: معنى قوله - عليه السلام - «إخراجي نفسي إلى الله وإليكم» أي لاعترافي بين يدي الله وبمحض منكم أنّ عليّ حقوقاً في إياتكم و رئاستي، لم أقم بها بعد، و أرجو من الله القيام بها. انتهى. فكأنة جعل قوله «إخراجي» تعليلاً لترك الثناء لامثنى عليه، ولا يخفى بعده. ثم اعلم أنّه يحتمل أن يكون المراد بالبقية الإبقاء والترحم، كما قال - تعالى -: «أولوا بقية بنهون عن الفساد في الأرض»^{١٢٧٨} أي إخراجي نفسي من أن أبق و أترحم مدهانة في حقوق لم أفرغ من أداؤها.

قال الفيروزآبادي: «و أبقيت ما بيننا» لم أبالغ في إفسادها، والاسم «البقية»، و «أولوا بقية ينهون عن الفساد» أي إبقاء أو فهم. قوله - عليه السلام - «ولا تتحفظوا عني بما يتحفظ به عند أهل البادرة»، «البادرة» الحدة والكلام الذي يسبق من الانسان في الغضب، أي لا تثنوا عليّ كما يثنى على أهل الحدة من الملوك

١٢٧٧ - هكذا في النسخة والصواب وهو الأصح. عليّ. (المصحح)

خوفاً من سطوتهم، أو لاحتشاموا متي كما يحتشم من السلاطين والأمرء كترك المساءة والحديث إجلالاً و خوفاً منهم و ترك مشاورتهم أو إعلامهم ببعض الأمور والقيام بين أيديهم. قوله - عليه السلام - «بالمصانعة» أي الرشوة أو المدارة. قوله - عليه السلام - «كان العمل بها أثقل عليه» و شأن الولاة العمل بالعدل والحق، أو أنتم تعلمون أنه لا يثقل على العمل بها، قوله - عليه السلام - «بفوق أن أخطي» هذا من الانقطاع إلى الله والتواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحق وعدة نفسه من المقصرين في مقام العبودية والإقرار بأن عصمته من نعمه - تعالى - عليه وليس اعترافاً بعدم العصمة كما توهم، بل ليست العصمة إلا ذلك، فإنها هي أن يعصم الله العبد من ارتكاب المعاصي. وقد أشار إليه بقوله - عليه السلام - «أن يكفي الله» و هذا مثل قول يوسف - عليه السلام -: «وَمَا أَتَّبِعِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي»^{١٢٧٩}.

قوله - عليه السلام - «ما هو أملك به متي» أي العصمة من الخطأ، فإنه - تعالى - أقدر على ذلك للعبد من العبد لنفسه. قوله - عليه السلام - «مما كنا فيه» أي من الجهالة و عدم العلم والمعرفة والكمالات التي يسترها الله - تعالى - لنا بعبئة الرسول - صلى الله عليه وآله - . قال ابن أبي الحديد: ليس هذا إشارة إلى خاص نفسه - عليه السلام - لأنه لم يكن كافراً فأسلم، ولكنه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من أفناء الناس، فيأتي بصيغة الجمع الداخلة فيها نفسه توسعاً. و يجوز أن يكون معناها: لولا أطفاف الله - تعالى - بعبئة محمد - صلى الله عليه وآله - لكنت أنا وغيري على مذهب الأسلاف. انتهى.

قوله^{١٢٨٠} «فبلاءه عندنا ما لا يكفر» أي نعمته عندنا و افرة بحيث لا نستطيع كفرها و سترها، أي لا يجوز كفرانها و ترك شكرها. قوله «سياسة أمورنا»، «سست الرعية سياسة» أمرتها و نهيتها. و «العلم» بالتحريك، ما نصب في الطريق ليهتدى

١٢٧٩ - يوسف: ٥٣.

١٢٨٠ - أي قول الرجل وهو الخضر - عليه السلام - . (المصتح)

به السائرون. قوله «من بارع الفضل» قال الفيروزآبادي: «برع - ويثلث - براعة» فاق أصحابه في العلم وغيره، أوتّم في كلّ جمال وفضيلة، فهو بارع وهي بارعة. قوله «ولن يكن» على المجهول، من «كننت الشيء» سترته؛ أو بفتح الياء وكسر الكاف، من «وكن الطائر بيضه يكنه» إذا حضنه. وفي بعض النسخ: «لم يكن»؛ وفي النسخة القديمة: «لن يكون». قوله «وتوسّعاً» أي في الفضل والسواد قوله «مع ذلك» أي مع طاعتنا لك، أي نفس الطاعة أمر مرغوب فيه ومع ذلك موجب لحصول ما نفعنا وما هو خير لنا في دنيانا وآخرتنا.

قوله - عليه السلام - «إلا مناصحة الصدور» أي خلوصها عن غش النفاق بأن يطوى فيه ما يظهر خلافه، أو نصيح الإخوان نصحاً يكون في الصدر لا يمحض اللسان.

قوله ١٢٨١ «وقد عال الذي في صدره» يقال: «عاني الشيء» أي غلبي و«عال أمرهم» اشتد. قوله «وغيصن الشجوا»، «الغصنة» بالضم، ما اعترض في الحلق، وكذا الشجا و«الشجوة» الهتم والحزن. قوله «لخطر مرزثته»، «الخطر» بالتحريك القدر والمنزلة والإشراف على الهلاك. و«المرزثة» المصيبة، وكذا الفجيرة وكونها أي وقوعها وحصوها. والضميران راجعان إلى أمير المؤمنين - عليه السلام - والقائل كان عالماً بقرب أوان شهادته - عليه السلام - فلذا كان يندب ويتفجع؛ ورجاعها إلى القائل بعيد.

قوله «أشنى» أي أشرف عليه. والضمير في قوله «إليه» راجع إلى الله - تعالى - قوله «وانقلاب جده»، «الجد» البخت والتفجع والتوجع في المصيبة، أي سأل الله دفع هذا البلاء الذي قد ظن وقوعه عنه - عليه السلام - مع التفجع والتضرع.

قوله - عليه السلام - «يا رباني العباد» قال الجزري: الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الف والنون؛ وقيل: هو من الرب بمعنى التربية لأنهم كانوا يربون

المتعلمين بصغار العلوم وقيل: كبارها. و«الرباني» العالم الراسخ في العلم والدين والذي يطلب بعلمه وجه الله؛ وقيل: العالم العامل المعلم. قوله— عليه السلام— «و يا سكن البلاد»، «السكن» بالتحريك، كل ما يسكن إليه. قوله— عليه السلام— «وبك جرت نعم الله علينا» أي بجهدك ومساعدك الجمية لترويج الدين وتشديد الإسلام في زمن الرسول— صلى الله عليه وآله— وبعده. قوله— عليه السلام— «وللعصاة الكفار إخواناً» أي كنت تعاشر من يعصيك و يكفر نعمتك معاشرة الإخوان شفقة منك عليهم، أو المراد الشفقة على الكفار والعصاة والاهتمام في هدايتهم. و يحتمل أن يكون المراد المنافقين الذين كانوا في عسكره و كان يلزمه رعايتهم بظاهر الشرع. وقيل: المراد بالإخوان الخوان الذي يؤكل عليه الطعام، فإنه لغة فيه كما ذكره الجزري، ولا يخفى بعده. وفي النسخة القديمة: «ألم نكن» بصيغة المتكلم، وحينئذ فالمراد بالفقرة الأولى أنه كان ينزل بنازل كل ذليل، أي كنا نذل بكل ذلة و هوان، وهو أظهر وأصق بقوله «فبمن؟». قوله— عليه السلام— «من فضاة تلك الخطرات» أي شناعتها وشدتها. قوله «بعد الحور» قال الجوهري: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، أي من النقصان بعد الزيادة. وفي بعض النسخ بالجيم.

قوله— عليه السلام— «و ثمال فقراءنا» قال الجزري: «الثمال» بالكسر، الملبأ والقياس، وقيل: هو المطعم في الشدة.

قوله— عليه السلام— «يجمعنا في الأمور عدلك» أي هو سبب اجتماعنا و عدم تفرقنا في جميع الأمور أو من بين سائر الأمور، و هو سبب لانتظام جميع أمورنا، أو عدلك يحيط بجميعنا في جميع الأمور. قوله «و يتسع لنا في الحق تأنيك» أي صار مدارتك و تأنيك و عدم مبادرتك في الحكم علينا بما نستحقه، سبباً لوسعة الحق علينا و عدم تضيق الأمور بنا.

قوله— عليه السلام— «يبلغ تحريكه» أي تغييره و صرفه. وفي النسخة القديمة: «تحويله». قوله «ولأخطرناها» أي جعلناها في معرض المخاطرة والهلاك، أو صيرناها خطراً و رهناً و عوضاً لك. قال الجزري فيه: «فإن الجنة لا خطر لها» أي

لا عوض لها ولا مثل، و «الخطير» بالتحريك، في الأصل الرهن وما يخاطر عليه و مثل الشيء وعدله؛ ولا يقال إلا في الشيء الذي له قدر ومزية. ومنه الحديث: «إلا رجل يخاطر بنفسه وماله» أي يُلقيها في الهلكة بالجهاد. ومنه حديث النعمان: «إن هؤلاء - يعني المجوس - قد أخطروا لكم رثة ومتاعاً وأخطروا بهم الإسلام» المعنى أنهم قد شرطوا لكم ذلك وجعلوه رهناً من جانبهم، وجعلتم رهنكم دينكم. قوله - عليه السلام - «حاولك» أي قصدك. قوله «من ناواك» أي عاداك. قوله «ولكنه» أي الرب - تعالى - . قوله «وعز» أي ذو عز وغلبة. و «زاوله» أي حاوله وطالبه. وهذا إشارة إلى أن تلك الأمور بقضاء الله وتقديره والمبالغة في دفعها في حكم مغالبة الله في تقديراته. وقد سبق تحقيق القضاء والقدر في كتاب العدل.

قوله - عليه السلام - «نعظمه» الضمير ١٢٨٢ في قوله «ونعظمه وندميه»

راجعان إلى الشكر والذكر. مركز تحقيق كتب علوم رسول

قوله [- عليه السلام -] «بلاءه» يحتمل النعمة أيضاً. قوله [- عليه السلام -] «ما عنده» هو خبر «أن»، ويحتمل أن يكون الخبر محذوفاً، أي خير لك. والمعنى أنه لا تختلف قلوبنا، بل تتفق على أن الله اختار لك بامضائك النعيم والراحة الدائمة على ما كنت فيه من المشقة والاجهد والعناء. قوله [- عليه السلام -] «من غير إثم» أي لا نأثم على البكاء عليك، فإنه من أفضل الطاعات، أو لا نقول ما يوجب الإثم. قوله [- عليه السلام -] «لعز» متعلق بالبكاء و «أن يعود» بدل اشتغال له، أي نبكي لتبديل عز هذا السلطان ذلاً. قوله [- عليه السلام -] «أكيلاً»، «الأكيل» يكون بمعنى المأكول وبمعنى الأكل، والمراد هنا الثاني، أي نبكي لتبديل هذا السلطان الحقّ بسلطنة الجور، فيكون أكلاً للدين والدنيا. وفي بعض النسخ: «لعن الله هذا السلطان» فلا يكون مرجع الإشارة سلطنته - عليه السلام -، بل جنسها الباطل الشامل أيضاً، أي لعن الله السلطنة التي لا تكون صاحبها. ويحتمل أن

يكون اللعن مستعملاً في أصل معناه لغة وهو الإبعاد، أي أبعاد الله هذا السلطان عن أن يعود ذليلاً؛ ولا يخفى بعده. قوله [— عليه السلام—] «ولا نرى لك خلفاً» أي من بين السلاطين لخروج السلطنة عن أهل البيت— عليهم السلام—^{١٢٨٣}.

٢١٧— وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ

في التظلم والتشكي من قريش

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ^(٢٩٧٩) عَلَى قَرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَوُوا إِنَائِي^(٢٩٨٠) ، وَأَجْمَعُوا عَلَيَّ مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنْصَحَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا ، أَوْ مِتْ مُتَأَسِّفًا . فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ^(٢٩٨١) ، وَلَا ذَابٌ^(٢٩٨٢) وَلَا مُسَاعِدٌ ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ؛ فَصَنَنْتُ^(٢٩٨٣) بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَبْتُ عَلَى الْقَدَى^(٢٩٨٤) ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا^(٢٩٨٥) ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْرِ الشُّفَارِ^(٢٩٨٦)

قال الشريف رضي الله عنه ؛ وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدمة ، إلا أنني ذكرته ها هنا لاختلاف الروايتين .

٢١٨ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ السَّالِمَاتِ

في ذكر السائرين إلى البصرة لخرجه عليه السلام

فَقَدِمُوا عَلَيَّ عُمَالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ ، وَعَلَى
أَهْلِ مِصْرٍ ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ؛ فَشَتُّوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا
عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ ، وَوَثَبُوا عَلَيَّ شِيعَتِي ، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ؛ وَطَائِفَةٌ
عَضُّوا عَلَيَّ أَسْيَافِهِمْ^(٢٩٨٧) ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ .

٢١٩ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ السَّالِمَاتِ

لما مر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل :

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَسْرَهُ
أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتَلَتْ تَحْتَ بَطُونِ الْكَوَاكِبِ ! أَدْرَكْتُ وَتَرِي^(٢٩٨٨) مِنْ
بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ ، لَقَدْ أَتَلَعُوا^(٢٩٨٩) أَعْنَاقَهُمْ
إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوَقِصُوا^(٢٩٩٠) دُونَهُ .

٢٢٠ - وَمِنْ كَلِمَاتِهِ السَّالِمَاتِ

في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ^(٢٩٩١) ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ^(٢٩٩٢) ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلَهُ^(٢٩٩٣) ،
وَلَطْفَ غَلِيظَهُ^(٢٩٩٤) ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ ،
وَسَلَّكَ بِهِ السَّبِيلَ ، وَتَدَافَعَتْهُ^(٢٩٩٥) الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ ، وَدَارَ
الْإِقَامَةِ ، وَثَبَّتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِيهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ ، بِمَا
اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ ، وَأَرْضَى رَبَّهُ .

٢٢١ - وَمِنْ مَعَانِيهَا

قاله بعد تلاوته : « أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ » حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ

يَا لَهُ مَرَامًا^(٢٩٩٧) مَا أَبْعَدَهُ أَوْ زُورًا^(٢٩٩٨) مَا أَغْفَلَهُ^(٢٩٩٩) ! وَخَطَرًا مَا
أَفْظَعَهُ ! لَقَدْ اسْتَخْلَوْا^(٣٠٠٠) مِنْهُمْ أَيُّ مُدَكِّرٍ^(٣٠٠١) ، وَتَنَاوَشُوهُمْ^(٣٠٠٢)
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ! أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ! أَمْ بِعِيدِ الْهَلَكَى
يَتَكَاثَرُونَ ! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ^(٣٠٠٣) ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنْتْ . وَلَآنَ
يَكُونُوا عِبْرًا ، أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخِرًا ، وَلَآنَ يَهْبِطُوا بِهِمْ
جَنَابَ ذِلَّةٍ ، أَحَجَبِي^(٣٠٠٤) مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ ! لَقَدْ نَظَرُوا
إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ^(٣٠٠٥) ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ ، وَلَوْ
اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ^(٣٠٠٦) ، وَالرَّبُوعِ^(٣٠٠٧)
الْخَالِيَةِ ، لَقَالَتْ : ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضَلَالًا^(٣٠٠٨) ، وَذَهَبْتُمْ فِي

أَعْقَابِهِمْ جُهَالًا ، تَطَوُّونَ فِي هَامِهِمْ^(٣٠٠٩) . وَتَسْتَنْبِتُونَ^(٣٠١٠) فِي
أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ^(٣٠١١) فِيمَا لَفْظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ؛ وَإِنَّمَا
الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ^(٣٠١٢) وَنَوَائِحٍ^(٣٠١٣) عَلَيْكُمْ .

أُولَئِكَ سَلَفٌ غَايَتِكُمْ^(٣٠١٤) ، وَفَرَّاطٌ^(٣٠١٥) مَنَاهِلِكُمْ^(٣٠١٦) ، الَّذِينَ
كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمٌ^(٣٠١٧) الْعِزُّ ، وَحَلَبَاتٌ^(٣٠١٨) الْفَخْرُ ، مُلُوكًا وَسُوقًا^(٣٠١٩) .
سَنَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ^(٣٠٢٠) سَبِيلًا سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ .
فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ ؛ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ^(٣٠٢١)
قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنُمُونَ^(٣٠٢٢) . وَضَمَارًا^(٣٠٢٣) لَا يُوجَدُونَ ، لَا
يُفْرِعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزَنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ . وَلَا يَحْفَلُونَ^(٣٠٢٤)
بِالرَّوَاغِفِ^(٣٠٢٥) ، وَلَا يَأْذَنُونَ^(٣٠٢٦) لِلْقَوَاصِفِ^(٣٠٢٧) . غِيَابًا لَا يُنْتَظَرُونَ .
وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتُّوا . وَآلَافًا^(٣٠٢٨)
فَافْتَرَقُوا ، وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ ، وَلَا بَعْدِ مَحَلِّهِمْ . عَمِيَّتْ أَخْبَارُهُمْ .
وَصَمَّتْ^(٣٠٢٩) دِيَارُهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ سَقُوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا .
وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا ، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا . فَكَانَتْهُمْ فِي أَرْتِجَالِ الصَّفَةِ^(٣٠٣٠)
صَرَغَى^(٣٠٣١) سَبَاتٍ^(٣٠٣٢) . جِيرَانٌ لَا يَتَأَنُّونَ . وَأَحِبَّاءٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ .
بَلِيَّتْ^(٣٠٣٣) بَيْنَهُمْ عَرَا^(٣٠٣٤) . وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ .
فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَاءٌ . لَا يَتَعَارَفُونَ

لَيْلٍ صَبَاحًا ، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً .

أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ^(٣٠٣٥) ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا ، شَاهَدُوا مِنْ
أُحْطَارِ دَارِهِمْ أَفْطَعَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَرُوا ،
فَكَلَّمْنَا الْغَايَتَيْنِ ^(٣٠٣٦) مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَايِعَةٍ ^(٣٠٣٧) ، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ
وَالرَّجَاءِ . فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا ^(٣٠٣٨) بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا
عَاينُوا .

وَلَيْنَ عَمِيَّتْ آثَارُهُمْ ، وَأَنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ
أَبْصَارُ الْعَبْرِ ^(٣٠٣٩) ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانَ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ
جِهَاتِ النُّطْقِ ، فَقَالُوا : كَلَّحَتْ ^(٣٠٤٠) الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ ^(٣٠٤١) ، وَخَوَّتْ ^(٣٠٤٢)
الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ ^(٣٠٤٣) الْبَلِي ، وَتَكَاءَدْنَا ^(٣٠٤٤) ضَيْقُ
الْمَضْجَعِ ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ ، وَتَهَكَّمَتْ ^(٣٠٤٥) عَلَيْنَا الرُّبُوعُ ^(٣٠٤٦)
الصُّمُوتُ ^(٣٠٤٧) ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُورِنَا ،
وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا ، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا ، وَلَا
مِنْ ضَيْقٍ مُتَسَعًا ! فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كَشِفَ عَنْهُمْ مَخْجُوبُ الْغِطَاءِ
لَكَ ، وَقَدْ أَرْتَسَخَتْ ^(٣٠٤٨) أَسْمَاعُهُمْ بِالْهُوَامِ ^(٣٠٤٩) فَاسْتَكَّتْ ^(٣٠٥٠) ،
وَاصْتَحَلَّتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ ^(٣٠٥١) ، وَتَقَطَّعَتْ الْأَلْسِنَةُ فِي

أفواههم بعد ذلاقتها^(٣٠٥٢) ، وهمدت القلوب في صدورهم بعد
 يقظتها ، وعاث^(٣٠٥٣) في كل جارحة منهم جديد بلي^(٣٠٥٤) سمجها^(٣٠٥٥) ،
 وسهل طرق الآفة إليها ، مستسلمات فلا أيد تدفع ، ولا قلوب تجزع ،
 لرأيت أشجان قلوب^(٣٠٥٦) ، وأقذاء عيون^(٣٠٥٧) ، لهم في كل فظاعة
 صفة حال لا تنتقل ، وغمرة^(٣٠٥٨) لا تنجلي . فكم أكلت الأرض من
 عزيز جسد ، وأنيق^(٣٠٥٩) لون ، كان في الدنيا غدي^(٣٠٦٠) ترف ،
 وربيب^(٣٠٦١) شرف ! يتعلل^(٣٠٦٢) بالسرور في ساعة حزنه ، ويفزع إلى
 السلوة^(٣٠٦٣) إن مصيبة نزلت به ، ضا^(٣٠٦٤) بغضارة^(٣٠٦٥) عيشه ،
 وشحاحة^(٣٠٦٦) بلهوه ولعبه ! قبينا هو يصحك إلى الدنيا وتضحك
 إليه في ظل عيش غفول^(٣٠٦٧) ، إذ وطى الدهر به حسكة^(٣٠٦٨) ونقضت
 الأيام قواه ، ونظرت إليه الحثوف^(٣٠٦٩) من كذب^(٣٠٧٠) ، فخالطه^(٣٠٧١)
 بث^(٣٠٧٢) لا يعرفه ، ونجي^(٣٠٧٣) هم ما كان يجده ، وتولدت فيه
 فترات^(٣٠٧٤) عليل ، آنس ما كان بصحته ، ففزع إلى ما كان عوده
 الأطباء من تسكين الحار بالقار^(٣٠٧٥) ، وتحريرك البارد بالحار ، فلم
 يطفى ببارد إلا ثور حرارة ، ولا حرك بحار إلا هيج برودة ، ولا
 اعتدل بممازج^(٣٠٧٦) لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء ،
 حتى فتر معلله^(٣٠٧٧) ، وذهل مرضه ، وتعايا^(٣٠٧٨) أهله بصفة دائه ،

وَحَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيًّا خَبِيرًا يَكْتُمُونَهُ :
فَقَائِلٌ يَقُولُ : هُوَ لِمَا بِهِ ^(٣٠٧٩) ، وَمَنْ ^(٣٠٨٠) لَهُمْ إِيَابٌ ^(٣٠٨١) عَافِيَتِهِ ،
وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى ^(٣٠٨٢) الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ . فَبَيْنَا
هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا ، وَتَرَكَ الْأَحِبَّةَ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ
عَارِضٌ مِنْ غُصْبِهِ ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ ^(٣٠٨٣) ، وَبَيَسَتْ رُطُوبَةُ
لِسَانِهِ . فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ ^(٣٠٨٤) عَنْ رَدِّهِ ، وَدَعَا
مَوْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ عَنْهُ ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظِمُهُ ، أَوْ صَغِيرٍ
كَانَ يَرْحَمُهُ ! وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمْرَاتٍ ^(٣٠٨٥) هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَفْرَقَ
بِصِفَةٍ ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ ^(٣٠٨٦) أَهْلِ الدُّنْيَا .

٢٢٢ - وَمَنْ يَبِيعْ لِقَاءَ اللَّهِ

قاله عند تلاوته : « يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ
تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ » .

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ ^(٣٠٨٧) جِلَاءً ^(٣٠٨٨) لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ
بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ^(٣٠٨٩) ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ^(٣٠٩٠) ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ
الْمَعَانِدَةِ ، وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ - عَزَّتْ آلاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ ، وَفِي
أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ ^(٣٠٩١) ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ ^(٣٠٩٢) فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي

ذَاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَضَبُّوهُ^(٣٠٩٣) بِنُورِ بَقِظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ
وَالْأَفْئِدَةِ ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدْلَةِ^(٣٠٩٤)
فِي الْفَلَوَاتِ^(٣٠٩٥) . مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ^(٣٠٩٦) حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَبَشَّرُوهُ
بِالنُّجَاةِ ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَحَدَّرُوهُ مِنْ
الْهَلَكَةِ ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَأَدْلَةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ .
إِنَّ لِلذُّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ
نَهْ ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ ، وَيَهْتَفُونَ^(٣٠٩٧) بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ
لَهُ ، فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ^(٣٠٩٨) وَيَأْتِمِرُونَ بِهِ^(٣٠٩٩) ،
بِنَهْوِنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ
هُمْ فِيهَا ، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ، فَكَأَنَّمَا أَطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ
بِطَوْلِ الْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا^(٣١٠٠) ، فَكَشَفُوا
طَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، حَتَّى كَانَهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ
أَلَّا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمْ^(٣١٠١) الْمَحْمُودَةِ ،
مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ^(٣١٠٢) أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَّغُوا
لِمِحَاسِبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا فَقَصَرُوا عَنْهَا ،
أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ^(٣١٠٣) ظُهُورَهُمْ ،
فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا^(٣١٠٤) نَشِيجًا ، وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا^(٣١٠٥) ،

يَعْبُجُونَ^(٣١٠٦) إِلَىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَّقَامِ نَدَمٍ وَأَعْتِرَافٍ ، لَرَأَيْتَ أَغْلَامَ
هُدًى ، وَمَصَابِيحَ دُجًى ، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ
السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ ،
فِي مَقْعَدٍ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَرَضِي سَعِيَهُمْ ، وَحَمِيدَ مَقَامَهُمْ ،
يَتَنَسَّمُونَ^(٣١٠٧) بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ . رَهَائِنُ فَاقَةَ إِلَىٰ فَضْلِهِ ، وَأُسَارَىٰ
ذَلَّةَ لِعَظَمَتِهِ ، جَرَحَ طُولُ الْأَسَىٰ^(٣١٠٨) قُلُوبَهُمْ ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عِيُونَهُمْ .
لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَىٰ اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ
الْمَنَادِحُ^(٣١٠٩) ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاعِبُونَ .

فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ ، فَإِنْ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ .

٢٢٣ - وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ

قاله عند تلاوته : « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » .

أَذْحَضُ^(٣١١٠) مَسْوُولٍ حُجَّةً ، وَأَقْطَعُ مُغْتَرًّا مَعْدِرَةً ، لَقَدْ أَبْرَحَ^(٣١١١)
جَهَالَةً بِنَفْسِهِ .

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، مَا جَرَّأكَ عَلَىٰ ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ، وَمَا
أَنْسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولُ^(٣١١٢) ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ

يَقْظَةُ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِي (٣١١٣)
مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ ، أَوْ تَرَى الْمُتَبَلِّ بِأَلْمٍ يُمِضُ جَسَدَهُ (٣١١٤)
فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ ! فَمَا صَبْرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلْدَكَ عَلَى مُصَابِكَ ،
وَعَزَاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ ! وَكَيْفَ لَا
يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ (٣١١٥) ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ
سَطَوَاتِهِ ! فَتَدَاوٍ مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَى (٣١١٦)
الْغَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِيقْظَةٍ ، وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعًا ، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا . وَتَمَثَّلْ (٣١١٧)
فِي حَالِ تَوَلُّيكِ (٣١١٨) عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ ، بِدَعْوِكَ إِلَى عَفْوِهِ ، وَيَتَغَمَّدُكَ (٣١١٩)
بِفَضْلِهِ ، وَأَنْتَ مُتَوَلٌّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ !
تَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ! وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ
تُقِيمُ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ . فَلَمْ يَمْنَعَكَ فَضْلُهُ ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ
سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ (٣١٢٠) فِي نِعْمَةٍ يُحَدِّثُهَا لَكَ ،
وَ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَضْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ
طَعَنَهُ ! وَآيَمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَفَقِّينَ فِي الْقُوَّةِ ،
مَتَوَازِيَيْنَ فِي الْقُدْرَةِ ، لَكُنْتَ أَوْلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ
الْأَخْلَاقِ ، وَمَسَاوِيِ الْأَعْمَالِ . وَحَقًّا أَقُولُ ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتَكَ ، وَلَكِنْ
بِهَا أَغْتَرَّرْتَ ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ (٣١٢١) ، وَآذَنْتَكَ (٣١٢٢) عَلَى سَوَاءٍ .

وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُّكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ ، أَصْدَقُ
 وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ ، أَوْ تَغْرُكَ . وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ^(٣١٢٣) ،
 وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكْذَبٌ . وَلَيْثُنَ تَعَرَّفَتْهَا^(٣١٢٤) فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ ،
 وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذَكِيرِكَ ، وَبِلَاغِ مَوْعِظَتِكَ ،
 بِمَحَلَّةِ الشُّفِيقِ عَلَيْكَ ، وَالشَّجِيحِ^(٣١٢٥) بِكَ ! وَلَنِعَمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ
 بِهَا دَارًا ، وَمَحَلٌ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا^(٣١٢٦) مَحَلًّا ! وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا
 هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ .

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ^(٣١٢٧) ، وَحَقَّتْ^(٣١٢٨) بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ ، وَلَحِقَ
 بِكُلِّ مَنْسَكٍ^(٣١٢٩) أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عِبْدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ
 طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ^(٣١٣٠) فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصْرِ فِي الْهَوَاءِ ،
 وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَلِكَ دَاحِضَةٌ ،
 وَعَلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ !

فَتَحَرَ^(٣١٣١) مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُدْرُكَ ، وَتَثَبْتُ بِهِ حُجَّتِكَ ، وَخُذْ
 مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ ، وَتَيْسَرَ^(٣١٣٢) لِسَفْرِكَ ، وَشِمَّ^(٣١٣٣) بَرَقِ
 النَّجَاةِ ، وَأَرْحَلْ^(٣١٣٤) مَطَايَا التَّشْمِيرِ .

٢٢٤ - وَمِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ

يتبرأ من الظلم

وَاللَّهِ لَأَنَّ آيَاتٍ عَلَىٰ حَسَبِكِ السَّعْدَانِ (٣١٣٥) مُسَهَّدًا (٣١٣٦) ، أَوْ أُجْرٌ
فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغَاصِبًا لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ ، وَكَيْفَ
أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسِي يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قَوْلُهَا (٣١٣٧) ، وَيَطُولُ فِي
الشَّرَى (٣١٣٨) حُلُولُهَا !؟

وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمَلَقَ (٣١٣٩) حَتَّى اسْتَمَاحَنِي (٣١٤٠) مِنْ
بُرْكُمْ (٣١٤١) صَاعًا ، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شَعَثَ (٣١٤٢) الشُّعُورِ ، غُبِرَ (٣١٤٣)
الْأَلْوَانَ ، مِنْ فَقْرِهِمْ ، كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِيمِ (٣١٤٤) ،
وَعَاوَدَنِي مُوَكَّدًا ، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي ،
فَقُظِنُ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي ، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ (٣١٤٥) مُفَارِقًا طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ
لَهُ حَدِيدَةً ، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا ، فَصَجَّ ضَجِيجَ ذِي
دَنْفٍ (٣١٤٦) مِنْ أَلْمِيهَا ، وَكَأَدَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مَيْسَمِيهَا (٣١٤٧) ، فَقُلْتُ لَهُ :
ثَكَلْتِكَ الثَّوَاكِلُ (٣١٤٨) ، يَا عَقِيلُ ! أَتَيْتُنِي مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا
لِلْعَبِيهِ ، وَتَجَرَّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ ! أَتَيْتُنِي مِنَ الْأَذَى وَلَا

أَيْنُ مِنْ لَطَى^(٣١٤٩) ؟ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ^(٣١٥٠) فِي
 وَعَائِهَا ، وَكَمَعُجُونَةٍ شَنِئْتَهَا^(٣١٥١) ، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرَبِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ،
 فَقُلْتُ : أَصِلَةٌ^(٣١٥٢) ، أَمْ زَكَاةٌ ، أَمْ صَدَقَةٌ ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ
 الْبَيْتِ ! فَقَالَ : لَا ذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ : هَبْلَتِكَ
 الْهَبُولُ^(٣١٥٣) ! أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ؟ أَمْخَبِطُ^(٣١٥٤) أَنْتَ أَمْ
 ذُو جِنَّةٍ^(٣١٥٥) ، أَمْ تَهْجُرُ^(٣١٥٦) ؟ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا
 تَحْتَ أَفْلَاكِهَا ، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبَهَا جُلْبُ^(٣١٥٧) شَعِيرَةٍ
 مَا فَعَلْتُهُ ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جِرَادَةٍ تَقْضُمُهَا^(٣١٥٨) .
 مَا لِعَيْ^(٣١٥٩) وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى ، وَلِلَّذِي لَا تَبْقَى ! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ^(٣١٥٩)
 الْعَقْلِ ، وَقُبْحِ الزَّلْلِ . وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

٢٢٥ — وَمَنْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ

يلتجىء إلى الله أن يغنيه

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي^(٣١٦٠) بِالْيَسَارِ^(٣١٦١) ، وَلَا تَبَدِّلْ جَاهِي^(٣١٦٢)
 بِالْإِقْتَارِ^(٣١٦٣) ، فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعِظْ شِرَارَ خَلْقِكَ ،
 وَأَبْتَلِي بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأَفْتِنَنَّ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ
 ذَلِكَ كُلِّهِ وَبِي الْأَعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ؛ « إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

٢٢٦ - خطبة الجمعة المباركة

في التنفير من الدنيا

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْفُوفَةٌ ، وَبِالْعَذْرِ مَعْرُوفَةٌ ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا يَسْلَمُ نَزَالُهَا (٣١٦٤) .

أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ (٣١٦٥) ، أَلْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ ،
وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ ، وَإِنَّمَا أَهْلِهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ (٣١٦٦) ،
تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا ، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا (٣١٦٧)

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ
مَضَى قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَعْمَرَ دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ
آثَارًا (٣١٦٨) ؛ أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً (٣١٦٩) ،
وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً ، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً (٣١٧٠) . فَاسْتَبَدَلُوا
بِالْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ ، وَالنَّمَارِقِ (٣١٧١) الْمُمَهَّدَةِ (٣١٧٢) ، الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ
الْمُسْنَدَةِ ، وَالْقُبُورِ اللَّاطِئَةِ (٣١٧٣) الْمُلْحَدَةِ (٣١٧٤) ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى
الْخَرَابِ فَنَاوَهَا (٣١٧٥) ، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاوَهَا ؛ فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ،
وَسَاكِنُهَا مُقْتَرِبٌ ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ ،
لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ

مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ ، وَدُنُو الدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ ، وَقَدْ
 طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَلِهِ ^(٣١٧٦) أَلْبَلَى ^(٣١٧٧) ، وَأَكَلْتَهُمُ الْجَنَادِلُ ^(٣١٧٨) وَالثَّرَى ^(٣١٧٩) !
 وَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، وَأَرْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ ^(٣١٨٠) ،
 وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ ^(٣١٨١) بِكُمْ الْأُمُورُ ،
 وَبُعْثَرَتِ الْقُبُورُ ^(٣١٨٢) : « هُنَالِكَ تَبَلُّو ^(٣١٨٣) كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ،
 وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » .

٢٢٧ - وَمَنْ حَمَلَهُمْ إِلَى السَّلَامِ

يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسَ ^(٣١٨٤) الْأَنْسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكَفَايَةِ
 لِمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ . تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي
 ضَمَائِرِهِمْ ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ . فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ،
 وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ ^(٣١٨٥) . إِنْ أَوْحَشْتَهُمُ الْغُرْبَةَ أَنْسَهُمْ ذِكْرَكَ ،
 وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَّوْا إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْمًا بِأَنَّ
 أَرْمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ .
 اللَّهُمَّ إِنْ فَهِتُ ^(٣١٨٦) عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طَلِبَتِي ^(٣١٨٧) ،
 فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي ^(٣١٨٨) ، فَلَيْسَ ذَلِكَ

بِنُكْرٍ ^(٣١٨٧) مِنْ هِدَايَاتِكَ ، وَلَا يَبْدُعُ ^(٣١٩٠) مِنْ كِفَايَاتِكَ .
 اللَّهُمَّ أَحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ .

٢٢٨ - وَمِنْ أَلْفَاظِ الْإِسْلَامِ

يريد به بعض أصحابه

لِلَّهِ بَلَاءٌ فَلَانٌ ^(٣١٩١) ، فَلَقَدْ قَوْمٌ ^(٣١٩٢) الْأَوْدَ ، وَدَاوَى الْعَمَدَ ^(٣١٩٣) ،
 وَأَقَامَ السُّنَّةَ ، وَخَلَّفَ ^(٣١٩٤) الْفِتْنَةَ إِذْ هَبَّ نَقِي الثُّوبِ ، قَلِيلَ الْعَيْبِ .
 أَصَابَ خَيْرَهَا ، وَسَبَقَ شَرَّهَا . ^(٣١٩٥) أَدَى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ ، وَأَتَقَاهُ بِحَقِّهِ .
 رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ ^(٣١٩٥) ، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ ، وَلَا
 يَسْتَيَقِنُ الْمُهْتَدِي .

٢٢٩ - وَمِنْ أَلْفَاظِ الْإِسْلَامِ

في وصف بيعته بالخلافة

قال الشريف : وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة .

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُمَهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَهَا ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ
 عَلَيَّ ^(٣١٩٦) تَدَاكَ الْأَيْبِلِ الْهَيْمِ ^(٣١٩٧) عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا ، حَتَّى أَنْقَطَعَتِ
 النَّعْلُ ، وَسَقَطَ الرِّدَاءُ ، وَوُطِيَ الضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُورِ النَّاسِ

بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ أَبْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَهَدَجَ ^(٣١٩٨) إِلَيْهَا الْكَبِيرُ ،
وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَخَسَرَتْ ^(٣١٩٩) إِلَيْهَا الْكَعَابُ ^(٣٢٠٠) .

٣٣٠ ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَيْلِ﴾

في مقاصد أخرى

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِثْقٌ مِنْ كُلِّ
مَلَكَةٍ ^(٣٢٠١) ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ^(٣٢٠٢) . بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ ، وَيَنْجُو
الْهَارِبُ ، وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ ^{مرکز تحقیق کتب و ترویج علوم و فنون}

فضل العمل

فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ ، وَالْحَالُ
هَادِئَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ . وَبَادِرُوا ^(٣٢٠٣) بِالْأَعْمَالِ عُمْرًا نَاقِسًا ^(٣٢٠٤) ،
أَوْ مَرَضًا حَاسِبًا ^(٣٢٠٥) ، أَوْ مَوْتًا نَحَالِسًا ^(٣٢٠٦) . فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لَذَاتِكُمْ ،
وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدٌ طِبْيَاتِكُمْ ^(٣٢٠٧) . زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ،
وَقِرْنٌ ^(٣٢٠٨) غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ ^(٣٢٠٩) غَيْرُ مَطْلُوبٍ . قَدْ أَغْلَقْتُمْ
حَبَائِلَهُ ^(٣٢١٠) ، وَتَكْنَفْتُمْ ^(٣٢١١) غَوَائِلَهُ ^(٣٢١٢) ، وَأَقْصَدْتُمْ ^(٣٢١٣)
مَعَابِلَهُ ^(٣٢١٤) وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عُنُوتُهُ ^(٣٢١٥) ،

وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ (٣٢١٦) فَبُوشِكُ (٣٢١٧) أَنْ تَغْشَاكُمْ (٣٢١٨) دَوَاجِي (٣٢١٩)
 ظَلِيلِهِ (٣٢٢٠) وَأَخْتِدَامُ (٣٢٢١) عَلَيْهِ ، وَخَنَادِسُ (٣٢٢٢) غَمْرَاتِهِ (٣٢٢٣) ، وَغَوَاشِي
 سَكَرَاتِهِ ، وَالْيَيْمُ إِرْهَاقِهِ (٣٢٢٤) ، وَدُجُو (٣٢٢٥) أَطْبَاقِهِ (٣٢٢٦) ، وَجُشُوبَةُ (٣٢٢٧)
 مَذَاقِهِ . فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَاسْكَتْ نَجِيكُمْ (٣٢٢٨) ، وَفَرَّقَ نَدِيكُمْ (٣٢٢٩) ،
 وَعَفَى آثَارَكُمْ (٣٢٣٠) ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَاثَكُمْ ، يَقْتَسِمُونَ
 تَرَاثِكُمْ (٣٢٣١) ، بَيْنَ حَمِيمٍ (٣٢٣٢) خَاصُّ لَمْ يَنْفَعُ ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ
 يَمْنَعُ ، وَآخِرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعُ



مرکز تحقیقات و پژوهش اسلامی
فصل الجهد

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ ، وَالتَّاهِبِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّزَوُّدِ فِي
 مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا تَغْرَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ
 الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ، الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا (٣٢٣٣) ،
 وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا (٣٢٣٤) ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا (٣٢٣٥) . وَأَصْبَحَتْ
 مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَانًا (٣٢٣٦) ، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَانًا . لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ ، وَلَا
 يَحْفَلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ (٣٢٣٧) ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ . فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا
 فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ مُنُوعٌ ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ (٣٢٣٨) ، لَا
 يَدُومُ رِخَاوَتُهَا ، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاوَتُهَا ، وَلَا يَرُكِّدُ (٣٢٣٩) بَلَاوَتُهَا .

ومنها في صفة الزهاد : كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا ، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ ، وَبَادَرُوا^(٣٢٤٠) فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ^(٣٢٤١) ، وَيَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ .

٢٣١ - وَمِنْ حَبْلِ الْإِسْلَامِ

خطبها بندي قار ، وهو متوجه إلى البصرة ، ذكرها الواقدي في كتاب « الجمل » :

فَصَدَعَ^(٣٢٤٢) بِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ^(٣٢٤٣) ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ^(٣٢٤٤) ، وَأَلْفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ^(٣٢٤٥) فِي الصُّدُورِ ، وَالضُّغَائِنِ الْقَادِحَةِ^(٣٢٤٦) فِي الْقُلُوبِ .

٢٣٢ - وَمِنْ حَبْلِ الْإِسْلَامِ

كلم به عبدالله بن زمعة ، وهو من شيعة ، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا ، فقال عليه السلام :

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِيَّ لِلْمُسْلِمِينَ^(٣٢٤٧) ، وَجَلَبُ أَسْيَافِهِمْ^(٣٢٤٨) ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ^(٣٢٤٩) فِي حَرْبِهِمْ ، كَانَ لَكَ

مِثْلُ حَظِّهِمْ ، وَإِلَّا فَجَنَازَةٌ^(٣٢٥٠) أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ .

٢٣٣ — وَمِنْ حِكَايَةِ الْأَمْرَاءِ وَالْمَلِكِ

بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر ، وهو في فضل أهل البيت ، ووصف فساد الزمان

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ^(٣٢٥١) مِنَ الْإِنْسَانِ ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا أَمْتَنَعَ ،
وَلَا يُمَهِّلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ . وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ^(٣٢٥٢)
عُرُوقُهُ ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ^(٣٢٥٣) غُصُونُهُ .



فساد الزمان

مركز بحوث ودراسات التاريخ الإسلامي

وَأَعْلَمُوا رَحِيمَكُمُ اللَّهُ أَنْكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِإِلْحَقِّ قَلِيلٍ ،
وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ^(٣٢٥٤) ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ . أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ
عَلَى الْعِضْيَانِ ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْأِذْهَانِ ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ^(٣٢٥٥) ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ،
وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِنُهُمْ مُمَازِقٌ^(٣٢٥٦) . لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ .
وَلَا يَعُولُ غَنِيَّهُمْ فَقِيرُهُمْ .

٢٣٤ — وَمِنْ حِكَايَةِ الْأَمْرَاءِ وَالْمَلِكِ

روى ذعبل اليامي عن أحمد بن قتيبة ، عن عبد الله بن يزيد ، عن مالك بن دحية ، قال .

كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ^(٣٢٥٧) ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً^(٣٢٥٨)
 مِنْ سَبَخٍ^(٣٢٥٩) أَرْضٍ وَعَذْبِيهَا ، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِيهَا ، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ
 قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارِبُونَ ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ ، فَتَامُ الرُّوَاءِ^(٣٢٦٠)
 نَاقِصُ الْعَقْلِ ، وَمَادُّ الْقَامَةِ^(٣٢٦١) قَصِيرُ الْهِمَّةِ ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ
 الْمَنْظَرِ ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ^(٣٢٦٢) بَعِيدُ السَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ^(٣٢٦٣)
 مُنْكَرُ الْجَلِيْبَةِ^(٣٢٦٤) ، وَتَائِبُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ ، وَطَلِيْقُ اللِّسَانِ
 حَدِيدُ الْجَنَانِ .

مرکز تحقیق و ترویج علوم اسلامی

— ٢٣٥ —

قاله وهو بلي غسل رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، وتجهيزه :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ أَنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ
 غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ . خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِيًّا
 عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ
 بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنَا^(٣٢٦٥) عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْنِ^(٣٢٦٦) ،
 وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا^(٣٢٦٧) ، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا^(٣٢٦٨) ، وَقَلَّا لَكَ^(٣٢٦٩) !
 وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمَلِكُ رَدُّهُ ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! أَذْكَرْنَا

عِنْدَ رَبِّكَ ، وَأَجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ !

٢٣٦ - وَمِنْ حَبْلِ الْوَدْيِ

القص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وآله - ثم لحاقه به :

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَأَطَأُ
ذِكْرَهُ ، حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ . (٣٢٧٠)

قال السيد الشريف رضي الله عنه في كلام طويل :

قوله عليه السلام: «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ» ، من الكلام الذي رمى به إلى غايي الإيجاز والفصاحة ،
أراد أني كنت أعطى خبره - صلى الله عليه وآله - من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا
الموضع ، فكفى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة .

٢٣٧ - وَمِنْ حَبْلِ الْوَدْيِ

في المسارعة إلى العمل

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ (٣٢٧١) ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ (٣٢٧٢) ،
وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ (٣٢٧٣) ، وَالْمُدْبِرُ (٣٢٧٤) يُدْعَى ، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى ، قَبْلَ
أَنْ يَخْمَدَ الْعَمَلَ (٣٢٧٥) ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ ، وَيَنْقُضِيَ الْأَجَلَ ، وَيُسَدُّ
بَابُ التَّوْبَةِ ، وَتَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ (٣٢٧٦)

فَأَخَذَ أَمْرًا مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَأَخَذَ مِنْ حَيِّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَا نِ لِبَاقٍ ،

وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . أَمْرٌ خَافَ اللَّهُ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَىٰ أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ ^(٣٢٧٧)
إِلَىٰ عَمَلِهِ . أَمْرٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا ، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا ^(٣٢٧٨) ، فَأَمْسَكَهَا
بِلِجَامِهَا عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَىٰ طَاعَةِ اللَّهِ .

٢٢٨ — وَمِنْ كَلِمَاتِ الْأَوَّلِيَّةِ

في شأن الحكمين ودم أهل الشام

جُفَاءً ^(٣٢٧٩) طَغَامٌ ^(٣٢٨٠) ، وَعَبِيدٌ أَقْرَامٌ ^(٣٢٨١) ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ،
وَتَلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ ^(٣٢٨٢) ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفْقَهُ وَيُودَّبَ ، وَيَعْلَمَ
وَيُدْرَبَ ، وَيُوَلَّىٰ عَلَيْهِ ، وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ .

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ ، وَإِنَّكُمْ
اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ . وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ : «إِنَّهَا فِتْنَةٌ ، فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ» ^(٣٢٨٣) ،
وَشِيمُوا ^(٣٢٨٤) سِيُوفِكُمْ . فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِ ،
وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ . فَأَذْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ
بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَخَذُوا مَهْلَ الْأَيَّامِ ، وَحَوَّطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ .
أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ ، وَإِلَىٰ صِفَانِكُمْ تُرْمَىٰ ؟

٢٣٩ - وَمِنْ حَبْلِ الْوَدْيِ الْإِسْلَامُ

يذكر فيها آل محمد - صلى الله عليه وآله -

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ،
وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ
الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ . وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ، وَوَلَائِحُ^(٣٢٨٥)
الْإِغْتِصَامِ . بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ^(٣٢٨٦) ، وَأَنْزَاحَ الْبَاطِلِ^(٣٢٨٧)
عَنْ مَقَامِهِ ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنَابِهِ^(٣٢٨٨) . عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَعَايَةَ
وَرِعَايَةَ^(٣٢٨٩) ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرَوَايَةَ . فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ،
وَرِعَاتُهُ قَلِيلٌ .

٢٤٠ - وَمِنْ حَبْلِ الْوَدْيِ الْإِسْلَامُ

قاله لعبد الله بن العباس ؛ وقد جاءه برسالة من عثمان ، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى
أله ينيح ، ليقبل هتف^(٣٢٩٠) الناس بأسمه للخلافة ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل ،
نال عليه السلام :

يَا بْنَ عَبَّاسِ ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا
بِالْغَرْبِ^(٣٢٩١) : أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ
أَقْدُمَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ! وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى

نَحَيْتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا .

٢٤١ - وَمَنْ لَمْ يَلْمِ الْإِسْلَامَ

يُحْتَسِبُ بِهِ أَصْحَابَهُ عَلَى الْجِهَادِ

وَاللَّهُ مُسْتَادِيكُمْ^(٣٢٩٢) شُكْرُهُ وَمُورَثِكُمْ أَمْرُهُ ، وَمُمْهِلِكُمْ^(٣٢٩٣) فِي
مِضْمَارٍ^(٣٢٩٤) مَحْدُودٍ ، لِتَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ^(٣٢٩٥) ، فَشُدُّوا عُقْدَ الْمَازِرِ^(٣٢٩٦) ،
وَأَطَوْوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ^(٣٢٩٧) ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيْمَةٌ^(٣٢٩٨) . مَا
أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ ، وَأَمَحَى الظُّلْمَ^(٣٢٩٩) لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ !
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله مصابيح الدجى والعروة الوثقى ، وسلم
تسليماً كثيراً .

فهرس الألفاظ الغربية المشروحة
حسب تعاقب أرقامها في متن الخطب



مركز تحققت كميوتور علوم إسلامي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

(١٧٠٩) أُنوياء : جمع نُويّ - كُنَيْيَّ-:

وهو الضيف .

(١٧١٠) الدائب : المتداوم في العمل .

(١٧١١) الكادح : الساعي لنفسه بجهد

ومشقة . والمراد : من يقصر سعيه

على جمع حطام الدنيا .

(١٧١٢) أمكنت الفريسة : أي سهلت

وتيسرت .

(١٧١٣) الحثالة - بالضم - الرديء من كل

شيء . والمراد قزَم الناس وصغراء النفوس .

(١٧١٤) الرَبْلة : بالتحريك ، موضع على

قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي

ذَرَّ الغفاري رضي الله عنه ،

والذي أخرجه إليه عثمان بن عفان .

(١٧١٥) قرضت منها : قطعت منها جزءاً

واختصصت به نفسك .

(١٧١٦) أفطأركم : أعطفكم .

(١٧١٧) السَرار - كسحاب - ونكسر

أيضاً ، في الأصل : آخر ليلة من

الشهر . والمراد الظلمة .

(١٧١٨) النهمة - بفتح النون وسكون الهاء -

إفراط الشهوة والمبالغة في الحرص .

(١٧١٩) الحائف - من الحيف - أي الجتور

والظلم .

- (١٧٢٠) الدُّوَلُ : جمع دُوَلَة بالضم : هي المال ، لأنه يُتَدَاوَلُ أي ينقل من يد ليد . والمراد من يحيف في قسم الأموال فيفضل قوماً في العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل .
- (١٧٢١) المَقَاتِعُ : الحدود التي عينها الله لها .
- (١٧٢٢) الإِبْلَاءُ : الإحسان والانعام . والابتلاء : الامتحان .
- (١٧٢٣) بَعِيْثُهُ : مصطفاه ومبعوثه .
- (١٧٢٤) « الموت أسمع داعيه » : أي إن الداعي إلى الموت قد أسمع بصوته كل حي ، فلا حي إلا وهو يعلم أنه يموت .
- (١٧٢٥) « أعجل حاديه » : أي إن الحادي قد أعجل المدبرين عن تدييرهم ، وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم .
- (١٧٢٦) بَرَزَ الرجل على أقرانه : أي فاقهم . والمهمل : التقدم في الخير ، أي فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره .
- (١٧٢٧) اهْتَبَلَ الصيد : طلبه . والضمير في « هبلكها » للتقوى لا للدنيا . أي : اغنموا خير التقوى .
- (١٧٢٨) الوَفْرُ - بتسكين الفاء وفتحها - العَجَلَةُ ، وجمعه أوفاز ، أي كونوا منها على استعجال .
- (١٧٢٩) الظهور : يراد بها هنا ظهور المطايا
- (١٧٣٠) الرِّيَالُ : الفراق .
- (١٧٣١) مقاليدها : جمع مِقْلَادٍ ، وهو المفتاح .
- (١٧٣٢) قَدَحَتْ : اشتملت .
- (١٧٣٣) الغِيلُ : الحقد ، والاصطلاح عليه : الاتفاق على تمكينه في النفوس .
- (١٧٣٤) « نَبَتَ المرعى على دمنكم » : تأكيد وتوضيح لمعنى الحقد . والدَّمَنُ - بكسر ففتح - جمع دَمْنَةٍ بالكسر ، وهي الحقد القديم . ونَبَتَ المرعى عليه استتاره بظواهر النفاق . وأصل الدَّمَنُ : السرقة وما يكون من أرواث الماشية وأبوالها . وسُمِّيَتْ بها الأحقاد لأنها أشبه شيء بها .
- (١٧٣٥) استهام : أصله من هام على وجهه ، إذا خرج لا يدري أين يذهب .
- (١٧٣٦) الحَوْزَةُ : ما يحوزُه المالك ويتولى حفظه . وإعزاز حَوْزَةِ الدين : حمايتها من تغلب أعدائه .
- (١٧٣٧) كَانْفَةٌ : عاصمة يلجؤون إليها ، من « كنفه » إذا صانه وستره .
- (١٧٣٨) احْفَظْ : أمر من الحفز ، وهو الدفع والسوق الشديد .
- (١٧٣٩) أهل البلاء : أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجرأة في الإقدام . والبلاء : هو الإجابة في العمل وإحسانه .
- (١٧٤٠) الرِّدْءُ - بالكسر - الملجأ .
- (١٧٤١) المثابة : المرجع .

- (١٧٤٢) الأَبْر : هو من لا عَقِب له .
 (١٧٤٣) النَوَى : ما هنا بمعنى الدار .
 (١٧٤٤) الفَلْتَةُ : الأمر يقع عن غير روية ولا تدبّر .
 (١٧٤٥) الخِزَامَةُ - بالكسر - حنْطَةٌ من شعر تجعل في وتره أنف البعير ليشدّ فيها الزمام ويسهل قياده .
 (١٧٤٦) التَّنِصْفُ - بكسر النون - الإنصاف .
 (١٧٤٧) الطَّلِيَّةُ : بفتح الطاء وكسر اللام - ما يطالب به من الثأر .
 (١٧٤٨) المراد بالحمّاء هنا مطلق القريب والنسب ، وهو كناية عن الزير ، فإنه من قرابة النبي ابن عمته ، والحمّمة - بضم ففتح - أصلها الحية أو إبرة اللاسعة من الهوام .
 (١٧٤٩) أَضْدَلَّتْ المرأة قناعها : أرسلته على وجهها ، وأغدفت الليل : أرخى سدوله . يعني : أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة سائرة للحق .
 (١٧٥٠) زاح . يزيجُ زَيْحاً وزَيْحَاناً : بعدَ وذهب ، كاتزاح . والنصاب الأصل . أي : قد انقلع الباطل عن مغرّبه .
 (١٧٥١) الشَّعْبُ : بالفتح - تهيج الشرّ .
 (١٧٥٢) أفرطَ الحوضُ : ملاءه حتى فاض والمراد حوض المنية .
 (١٧٥٣) ما بَحُهُ : أي نازع مائه لأستقيهم .
 (١٧٥٤) عَبَّ : شرب بلا تنفّس .
 (١٧٥٥) الحَسِيُّ : بفتح الحاء وتكسر - سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .
 (١٧٥٦) العُودُ : بضم العين ، جمع عائنة : وهي النتاج من الطيباء والإبل ، أو كل أنثى . والمطافيل : جمع مُطْفِيل - بضم الميم وكسر الفاء - ذات العفل من الإنس والوحش .
 (١٧٥٧) الثَّالِبُ : الإفساد .
 (١٧٥٨) اسْتَكْبَتُهُمَا : من ثاب (بالتاء) إذا رجع ، أي استرجعتهما . وطلبت اليهما الرجوع لليعة .
 (١٧٥٩) أمام الوقاع : ككتاب - قيل الواقعة بالحرب .
 (١٧٦٠) حَمَطَتِ النعمة : جحدّما .
 (١٧٦١) التواجد : أقصى الأضراس أو الأنياب . ويُدوُّ التواجد : كناية عن شدة الاحتدام .
 (١٧٦٢) الأَخْلَافُ : جمع خِلْف بالكسر - وهو للناقة حلقة الضرع .
 (١٧٦٣) أفلأذ : جمع أفلاذ ، جمع فلذة : وهي القطعة من الذهب والفضة .
 (١٧٦٤) فحصى : بحث .
 (١٧٦٥) كُوفَانُ : الكوفة .
 (١٧٦٦) الضروس : الناقة البيئة الخلقُ تعضّ حالبها .
 (١٧٦٧) « ففَرَّتْ فاهِرَتُهُ » : افتتح فيه ، وأكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه .
 (١٧٦٨) ليشرفنكم : ليفرقنكم .
 (١٧٦٩) عوازب أحلامها : غايات عقولها .
 (١٧٧٠) يُسَنِّ : يسهل .

- (١٧٧١) تَنْتَضِي : تُسَلِّ .
- (١٧٧٢) المصنوع اليهم : الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام
- (١٧٧٣) يُجِيل : يتغير عن وجه الحق .
- (١٧٧٤) الغارم : مَنْ عليه الديون .
- (١٧٧٥) صَبَرَ نَفْسَهُ - بالتخفيف - حَبَسَهَا .
- (١٧٧٦) تَظَلَّكُمْ : تَعَلَوْ فَوْقَكُمْ .
- (١٧٧٧) الزُّلْفَةُ : القُرْبَةُ .
- (١٧٧٨) السِّنُونُ - جمع سَنَّة - بمعنى الجَدْب والقحط
- (١٧٧٩) المضايق الوَعْرَةُ - بالتسكين ولا يجوز التحريك - الصعبة .
- (١٧٨٠) أجاأته اليه : أجاأته .
- (١٧٨١) المقاحط : جمع مقحطة ، وهي السنة المَحْطَلَة .
- (١٧٨٢) تلاحمت : أتصلت .
- (١٧٨٣) الواجم : الذي قد اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .
- (١٧٨٤) الحَيَا : الحِصْب والمطر .
- (١٧٨٥) القِيَمَان : جمع قاع ، الأرض السهلة المظمنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام .
- (١٧٨٦) البُطْنَان : جمع بطن ، بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق .
- (١٧٨٧) تستورقي الأشجار : تخرج ورقها .
- (١٧٨٨) كشف الخلق : علم حالهم في جميع أطوارهم .
- (١٧٨٩) بَوَاء : مصدر باء فلان بفلان : أي قُتِلَ به ، والعقاب : القصاص .
- (١٧٩٠) الآجن : الماء المتغير اللون والطعم واستعاره الامام للذات الدنيا ، تشبيهاً بالماء الذي لا يسوغ شربه لتغير لونه وطعمه .
- (١٧٩١) بَسِيءٌ بِهِ - كفرح - أَلِفَةٌ واستأنس به .
- (١٧٩٢) جَلَائِقُهُ : ملكاته الراسخة في نفسه .
- (١٧٩٣) لا يَحْفَلُ - كيضرب - لا يبالي .
- (١٧٩٤) «ازدحموا على الحطام» : استعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ، لسرعة فنائها وفسادها .
- (١٧٩٥) تَنْتَضِلُ فِيهِ : تَرَامَى إِلَيْهِ .
- (١٧٩٦) يَخْلُقُ : يَبْلَى .
- (١٧٩٧) المهتج - كالمعد - الطريق الواضح
- (١٧٩٨) عوازم الأمور : ما تقادم منها ، وكانت عليه ناشئة الدين . من قولهم : « ناقة عوزم » - كجعفر - أي عجوز فيها بقية من شباب .
- (١٧٩٩) القِيم بِالْأَمْرِ : القائم به ، يريد الخليفة .
- (١٨٠٠) النظام : السِّلْك ينظم فيه الحرز .
- (١٨٠١) بحدافيره : أي بأصله ، والحدافير جمع حدفار ، وهو أعلى الشيء وناحيته .
- (١٨٠٢) شَخَصَتْ : خرجت .
- (١٨٠٣) « تجلى لهم سبحانه » : ظهر لهم من غير أن يرى بالبصر .
- (١٨٠٤) المثالات - بفتح فضم - العقوبات .
- (١٨٠٥) أنفق منه : أروج منه .
- (١٨٠٦) الزبر - بالفتح - الكتابة .

- (١٨٠٧) مثلوا : نكلوا وشتوا ، والاسم منه المثلة بضم الميم .
- (١٨٠٨) الفيرية : بكسر الفاء - الكذب .
- (١٨٠٩) الموعود : هنا الموت الذي لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة .
- (١٨٢٠) القارعة : الداهية المهلكة .
- (١٨١١) الباري : المعافي من المرض .
- (١٨١٢) السقم : المرض والعلّة .
- (١٨١٣) لا يمّتان : لا يمدّان .
- (١٨١٤) السبب : الحبل .
- (١٨١٥) الضبّ : بالفتح ويكسر : الحقد .
والعرب تضرب المثل بالضبّ في العقوق .
- (١٨١٦) المحتسبون : الذين يجاهرون حسبة لله .
- (١٨١٧) القدم : الضرب على الصدر والوجه عند النياحة .
- (١٨١٨) مساق النفس : هو ما تسوقها إليه أطوار الحياة حتى توافيه .
- (١٨١٩) أطرّد : أمر بالإخراج والطرّد .
- (١٨٢٠) « غلاكم ذمّ » : برثم من الذمّ .
- (١٨٢١) تشرّدوا - كتنصروا - أي تنفّروا وتميلوا عن الحق .
- (١٨٢٢) « إن تثبت الوطأة » : يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه .
- (١٨٢٣) المزلة : محلّ الزلّ .
- (١٨٢٤) دحّصت القدم : زلت وزلقت .
- (١٨٢٥) الأقباء : جمع آقباء - وهو الظلّ ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأماكن .
- (١٨٢٦) متلفقها : بفتح الفاء ، مجتمعتها أي ما اجتمع من الغيوم في الجو ، والتلفيق : الجمع .
- (١٨٢٧) عفا : اندرس وذهب .
- (١٨٢٨) مخطّتها : أثر ما خطت في الأرض .
- (١٨٢٩) « جنة خلاء » : خالية من الروح .
- (١٨٣٠) الخفوت : السكون .
- (١٨٣١) أطرافه : يداه ورأسه ورجلاه .
- (١٨٣٢) مرصد : اسم فاعل من « أرصد » منتظر .
- (١٨٣٣) نباشيره : أوائله .
- (١٨٣٤) إبان : بكسر فتشديد - وقت .
- (١٨٣٥) الدنو : القرب .
- (١٨٣٦) الرقيق : بكسر فسكون - حبل فيه عدة عرا ، كل عروة ربقة - بفتح الراء - تشدّ فيه اليهم .
- (١٨٣٧) « يتصدّع شعباً » : يفرق جمعاً .
- (١٨٣٨) « يشعب صدعاً » : يجمع متفرقاً .
- (١٨٣٩) القائف : الذي يعرف الآثار فيتبعها .
- (١٨٤٠) يشحذ : من شحذ السكين إذا حدّها .
- (١٨٤١) القيسن : الحداد ، والتصل : حديدة السيف والسكين ونحوها .
- (١٨٤٢) يغبّقون - مبني للمجهول - يسقون بالمساء . والصبوح : ما يشرب وقت الصباح .
- (١٨٤٣) الغيور - بكسر ففتح - أحداث الدهر ونوابه .

- (١٨٤٤) « اخلولتقَ الأجل » : من قولهم
« اخلولتق السحاب » إذا استوى
وصار خليقاً أن يمطر . والمراد أن
الأجل يشرف على الانقضاء .
- (١٨٤٥) « أشالت الناقة ذنبها » : رفعته ،
أي رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلحقوا
حروبهم على غيرهم ، أي يسعروها
عليهم .
- (١٨٤٦) « حملوا بصائرهم على أسياهم » :
من اللفظ أنواع التمثيل ، يريد
أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم
- (١٨٤٧) « الولايج - جمع وليجة - : وهي
البيطانة وخاصة الرجل من أهله
وعشيرته ، ويراد بها دخائل المكر
والخدعة .
- (١٨٤٨) « الغمرة : الشدة .
- (١٨٤٩) « ماروا : تحركوا واضطربوا .
- (١٨٥٠) « الدحجر - بفتح الدال - الطرد .
والمداحير والمزاجير بها يدحجر
وينزجر .
- (١٨٥١) « مخائل الشيطان : مكائده .
- (١٨٥٢) « على فترة » : خلوا من الشرائع
الإلمية لا يعرفون منها شيئاً .
- (١٨٥٣) « البواقق : جمع بافقة : وهي الداهية .
- (١٨٥٤) « القتام - كسحاب - : الغبار .
والعشوة - بالكسر وبضم وفتح -
ركوب الأمر على غير بيان .
- (١٨٥٥) « شباها : بكسر الشين - أي بداياتها في
عنوان وشدة كشباب الغلام وفتوته .
- (١٨٥٦) « السّلام - بكسر السين - الحجارة
الصّمّ ، واحدها سلّمة - بكسر
السين أيضاً - وآثارها في الأبدان
الرّضّ والحطّم .
- (١٨٥٧) « أراح اللحمُ فهو مُريح : أنشَنَ .
- (١٨٥٨) « يترايلون : يتفارقون .
- (١٨٥٩) « الرّجُوف : شديدة الرّجفان
والاضطراب .
- (١٨٦٠) « القاصمّة : الكاسرة . والرّحوف :
الشديدة الرّحف .
- (١٨٦١) « نُجومها : ظهورها . وهي من نجم
ينجم إذا ظهر .
- (١٨٦٢) « يتكادمون : بعضٌ بعضهم بعضاً .
- (١٨٦٣) « العانة : الجماعة من حُمُر الوحش .
- (١٨٦٤) « تغيّض - بالغين المعجمة - تنقص
وتنور .
- (١٨٦٥) « تدقّ : تفتتت .
- (١٨٦٦) « المسحّل - كبير - المبرّد أو
المُنحّت . والمسحّل أيضاً :
حنّقة تكون في طريف شكيمة
اللّجام مُدخلة في مثلها .
- (١٨٦٧) « الرّضّ : التهشيم .
- (١٨٦٨) « الكتلكل : الصدر .
- (١٨٦٩) « الوُحْدان : جمع واحد ، أي
المفردون .
- (١٨٧٠) « عيّط الدماء : الطريّ الخالص منها .
- (١٨٧١) « تثلّم متارّ الدين » : تكسره .
وأصله من « ثلم الإناء أو السيف
ونحوه » : كسر حرفه . ومنار

- (١٨٨٨) مَرَّابِعٌ : جمع مِرْبَاعٍ - بكسر الميم - : المكان ينبت نبتة في أول الربيع .
- (١٨٨٩) « أَحْمَى حِمَاهُ » : من أَحْمَى المكانَ : جعله حِمَىً لا يُقْرَبُ ، أي أعز الله الإسلام ومنعه من الأعداء .
- (١٨٩٠) المَغَاوِي : جمع مِغْوَاةٍ . وهي الشبهة يذهب معها الإنسان إلى ما يخالف الحق .
- (١٨٩١) مَهْدٌ - كَنَعٌ - بَسَطٌ .
- (١٨٩٢) بَعْرَةٌ : بَعِيْنُهُ وَيُلَطِّخُهُ .
- (١٨٩٣) يَسْتَنْجِحُ : يطلب نجاح حاجته .
- (١٨٩٤) مُسْتَكِينُونَ : خاضعون .
- (١٨٩٥) نَاطِرُ الْقَلْبِ : استعاره من ناظر العين : وهو النقطة السوداء منها . والمراد بصيرة القلب .
- (١٨٩٦) الْفَوْرُ : ما انخفض من الأرض .
- (١٨٩٧) النَّجْدُ : ما ارتفع من الأرض .
- (١٨٩٨) أَرَزَّ يَأْرِزُ : بكسر الراء في المضارع أي انقبض وثبت . وأرزت الحية : لاذت بجحرها ورجعت إليه .
- (١٨٩٩) الشِّعَارُ : ما يلي البدن من الثياب ، والمراد ببطانة النبي الكريم .
- (١٩٠٠) الكِرَامُ : جمع كريمة ، والمراد آيات في مدحهم كريمات .
- (١٩٠١) انْحَسَرَتْ : انقطعت .
- (١٩٠٢) العَشَا - مقصوراً - : سوء البصر وضعفه .
- الدين : أعلامه ، وهم علماءؤه ، وثلمها : قتل العلماء وهدم قواعد الدين .
- (١٨٧٢) الأَكْيَاسُ : جمع كَيْسٍ ، الخاذق العاقل .
- (١٨٧٣) الأَرَجَاسُ - جمع رِجْسٍ - : وهو القدر والنجس ، والمراد الأشرار .
- (١٨٧٤) مَطْلُوتٌ : من « طَلَّكَتْ دَمَهُ » هَدَّرَتْهُ .
- (١٨٧٥) « يَخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْإِيْمَانِ » : أي يخدعون الناس بحلف الإيمان .
- (١٨٧٦) الأَنْصَابُ : كل ما يُنْصَبُ لِيُقْصَدَ .
- (١٨٧٧) اللَّعِقُ : جمع لُعْقَةٍ - بصم اللام : وهي ما تأخذ في الملعقة .
- (١٨٧٨) « إِنْ كُمْ بِعَيْنِيهِ » : أي إنه يراكم .
- (١٨٧٩) لا تَسْلَمُهُ المِشَاعِرُ : أي لا تصل إليه الخواص .
- (١٨٨٠) النَّصَبُ - محرّكة - التعب .
- (١٨٨١) الأَدَاةُ : الآلة .
- (١٨٨٢) تَفْرِيقُ الآلَةِ : تفريق الأجناف وفتح بعضها عن بعض .
- (١٨٨٣) الْبَائِنُ : المنفصل عن خلقه .
- (١٨٨٤) « مَنْ وَصَلَهُ » : أي من كَيْفِهِ بكيفيات المُحَدِّثِينَ .
- (١٨٨٥) لَاحٌ : بدا .
- (١٨٨٦) الْغَيْسُ - بكسر ففتح - صُرُوفُ الحَوَادِثِ وَتَقْلِبَاتِهَا .
- (١٨٨٧) جِماعُ الشَّيْءِ : مجتمعه .

- (١٩٠٣) سُبُحات النور : درجاته وأطواره
- (١٩٠٤) الائتلاف : اللعان . والبَلَج - بالتحريك - الضوء ووضوحه .
- (١٩٠٥) أَسْدَقَبَ اللَّيْلُ : أظلم .
- (١٩٠٦) الدُّجْنَةُ : الظُّلْمَةُ ، وَغَسَقُ الدُّجْنَةِ : شدتها .
- (١٩٠٧) أَوْضاح : جمع وَضَحَ بالتحريك - وهو هنا بياض الصبح .
- (١٩٠٨) الضِّيَاب - كتاب - جمع ضَبَّ : الحيوان المعروف . والوِجَار - كتاب - الجُحْر .
- (١٩٠٩) مَأْكِيها : جمع مَأَى - وهو طرف العين مما يلي الأنف .
- (١٩١٠) تَبَلَّغَتْ : اكفّت أو اقتنيت
- (١٩١١) شَطَايا - جمع شَطِيَّة - كعظيمة - وهي الفلقة من الشيء ، أي كأنها مؤلفة من شقق الآذان .
- (١٩١٢) القَصْبَةُ : عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجنح . وقد يكون مجرداً عن الزَّغَب في بعض الحيوانات مما ليس بطائر ، كبعض أنواع القنفذ والفيران .
- (١٩١٣) أَعْلَاماً : رسوماً ظاهرة .
- (١٩١٤) « خَلا من غيره » : تقدّمه من سواه فحاذاه .
- (١٩١٥) المِرْجَل : القِدْر .
- (١٩١٦) القَيْن - بالفتح - الحداد .
- (١٩١٧) المَقْصَر - كقعد - : المجلس ، أي لا مستقر لهم دون القيامة .
- (١٩١٨) مَرْقَلين : مسرعين .
- (١٩١٩) شَخَصُوا : ذهبوا .
- (١٩٢٠) الأجداث : القبور .
- (١٩٢١) مصائر الغايات : جمع مصير ، ما يصير إليه الانسان من شقاء وسعادة .
- (١٩٢٢) نَقَعَ العَطش : أزاله .
- (١٩٢٣) يُسْتَمْتَبُ : يُطَلَبُ منه العُثْبِي حتى يرضى .
- (١٩٢٤) أَخْلَقَهُ : ألبسه ثوباً خَلَقاً : أي بالياً . وكثرة الرد : كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة .
- (١٩٢٥) وُلُوج السمع : دخول الآذان والمسامع .
- (١٩٢٦) حَيَزَتْ : حازها الله عني فلم أنلها .
- (١٩٢٧) تشابه أمور الدهر : أي مصائبه ، كأنّ كلاًّ منها يطلب التزول قبل الآخر ، فالسابق منها مهلك ، والمتأخر لاحق له في مثل أثره .
- (١٩٢٨) الأعلام هي الرايات ، كنى بها عن الجيوش ، وتظاهر : تعاونها .
- (١٩٢٩) الساعة : القيامة . وحَدُّوها : سَوَّقها وحشَّها لأهل الدنيا على المسير للوصول إليها .
- (١٩٣٠) زاجر الإبل : سائقها .
- (١٩٣١) الشَّوَل - بالفتح - جمع شائلة ، وهي من الإبل ما مضى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر .
- (١٩٣٢) لا يُحْرَزُ : لا يحفظ .

- (١٩٣٣) أُلْحَمَةٌ - بضم ففتح - في الأصل
إبرة الزنبور والعقرب ونحوها تلسع
بها ، والمراد هنا سطوة الخطايا على
النفس .
- (١٩٣٤) أيام الفناء : يريد أيام الدنيا .
- (١٩٣٥) المراد « بالظنن » المأمور به هاهنا
السير إلى السعادة بالأعمال الصالحة ،
وهذا ما حثنا الله عليه .
- (١٩٣٦) تَبِعْتُهُ : ما يتعلق به من حق الغير فيه .
- (١٩٣٧) الرَّصِيدُ : الرقيب . ويريد به هنا
رقيب الذمة وواعظ السر .
- (١٩٣٨) الرَّجَاجُ - كتاب - الباب العظيم
إذا كان مُحْكَمَ الْغَلْتَقِ .
- (١٩٣٩) « منزل وحده » : هو القبر .
- (١٩٤٠) المراد « بالصيحة » هنا الصيحة
الثانية ، لقوله تعالى : « إن كانت
إلا صيحة واحدة » .
- (١٩٤١) زاحت : بعدت وانكشفت .
- (١٩٤٢) الهَجْعَةُ : المرة من الهجوع ،
وهو النوم ليلاً . والمراد نوم
الغفلة في ظلمات الجهالة .
- (١٩٤٣) المُجْرَمُ : المُحْكَمُ ، من أبرم
الحبل إذا أحكم فتله . والمراد
الأحكام الإلهية التي أبرمت على
السنة الأنبياء .
- (١٩٤٤) بيت مَدَرٌ ولا وَبَرٌ : كناية عن
أهل الحاضرة والبادية .
- (١٩٤٥) تَرَحُّةٌ : حزن .
- (١٩٤٦) أَصْفَيْتَهُ الشَّيْءَ : أثرته به
واختصته .
- (١٩٤٧) الصَّبِيرُ - ككْتَفٍ - عَصَاةُ شَجَرٍ مَرٍّ .
- (١٩٤٨) المَقِيرُ - على وزن كَتِيفٍ - السم .
- (١٩٤٩) الدِّئَارُ - ككتاب - من اللباس :
أعلاه فوق الملابس . والسيف
يكون أشبه بالدئار إذا عمّت
إباحة الدم بأحكام الهوى .
- (١٩٥٠) الزَّوَامِلُ : جمع زاملة ، وهي ما
يحمل عليها الطعام من الإبل ونحوها .
- (١٩٥١) نَخِيمٌ - كفَرَجٍ - : أخرج النخامة
من صدره فألقاها . والنخامة
- بالضم - ما يدفعه الصدر أو
الدماغ من المواد المخاطية .
- (١٩٥٢) الجَلْدِيدَانُ : الليل والنهار .
- (١٩٥٣) رَبِّقٌ - جمع رَبِيقَةٌ - وهي الحبل
يُرَبِّقُ بِهِ .
- (١٩٥٤) حَلَقٌ : جمع حَلَقَةٌ .
- (١٩٥٥) السِّنَّةُ - بكسر السين - أوائل النوم .
- (١٩٥٦) ذَرَاتٌ : خَلَقَتْ .
- (١٩٥٧) المَوْرُ - بالفتح - الموج .
- (١٩٥٨) حَسِيرًا : مُتَعَبًا .
- (١٩٥٩) المَتَبْهُورُ : المغلوب ومنقطع نَفْسِهِ
من الأعياء .
- (١٩٦٠) الوَالِهَ - من الوَالِهَ - وهو ذهاب
الشعور .
- (١٩٦١) المَدْنُخُولُ : المغشوش غير
الخالص ، أو هو المعيب الناقص
لا يترتب عليه عمل .
- (١٩٦٢) الخَوْفُ المَحْقُوقُ : هو الثابت الذي
يبعث على البعد عن المَخَوْفِ
والهرب منه .

- (١٩٦٣) الخوف المعلوم : هو ما لم يثبت في النفس ولم يخالط القلب ، وإنما هو عارض في الخيال يزيله أدنى الشواغل . فهو كالأوهام لا قرار لها ، و « معلول » : من عكته يَعكته إذا شربه مرة بعد أخرى .
- (١٩٦٤) الضمير - ككتاب - ما لا يرجى من الوعود والديون .
- (١٩٦٥) الأسوة : القدوة .
- (١٩٦٦) الأكتاف : الجوانب . وزوى : قبض .
- (١٩٦٧) شفيف : رقيق ، يُستشف ما وراءه .
- (١٩٦٨) الصفاق : على وزن - كتاب - الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن .
- (١٩٦٩) تشدب اللحم : تفرقه .
- (١٩٧٠) السفائف - جمع سقيفة - وصف من « سف الحوص » إذا نسجه ، أي منسوجات الحوص .
- (١٩٧١) ظلاله - جمع ظل - بمعنى الكين والمأوى . ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كين له .
- (١٩٧٢) تأس : أي اقتند .
- (١٩٧٣) القضم : الأكل بأطراف الأسنان ، كأنه لم يتناول إلا على أطراف أسنانه ، ولم يملأ منها فمه .
- (١٩٧٤) أهضم : من الهضم : وهو خمص البطن ، أي خلوها وانطباقها من الجوع .
- (١٩٧٥) الكشع : ما بين الحاصرة إلى الضلع الخلفي .
- (١٩٧٦) أخصمهم : أخلامهم .
- (١٩٧٧) المحادة : المخالفة في عناد .
- (١٩٧٨) خصف النعل : خرزها .
- (١٩٧٩) الحمار العاري : ما ليس عليه بردعة ولا إكاف .
- (١٩٨٠) أرداف خلفه : أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه .
- (١٩٨١) الرباش : اللباس الفاخر .
- (١٩٨٢) أشخصها : أبعدها .
- (١٩٨٣) خاصته : اسم فاعل في معنى المصدر ، أي مع خصوصيته وتفضله عند ربه .
- (١٩٨٤) زويت عنه - بالبناء للمجهول - : قبضت وأبعدت ، ومثله بعد قليل : زوى الدنيا عنه : قبضها .
- (١٩٨٥) عظيم زلفتته : منزله العليا من القرب إلى الله .
- (١٩٨٦) العتم - بالتحريك - : العلامة ، أي أن بعثته دليل على قرب القيامة إذ لا نبي بعده .
- (١٩٨٧) خميصاً : أي خالي البطن ، كناية عن عدم التمتع بالدنيا .
- (١٩٨٨) العقيب - بفتح فكسر - : مؤخر القدم . ووطوء العقب مبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه ، نقتضوه خطوة خطوة حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه .

- (١٩٨٩) المِدْرَعة - بالكسر - : ثوب من صوف .
- (١٩٩٠) اغْرُبْ عني : اذهبْ وابعُد .
- (١٩٩١) السُّرَى : بضم ففتح . السير ليلاً وهذا المثل « عند الصباح يحمَد القوم السُّرى » معناه : إذا أصبح النائمون وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حميدوا سُراهم وندموا على نوم أنفسهم .
- (١٩٩٢) المنهاج البادي : أي الظاهر .
- (١٩٩٣) متهدّلة : متدنية ، دانية للاقتطاف .
- (١٩٩٤) طيِّبة : المدينة المنورة .
- (١٩٩٥) مُتَلَفِيَةٌ : من تلافاه : تداركه بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد ، فدعوة النبي تلافت أمور الناس قبل هلاكهم .
- (١٩٩٦) المفصولة : التي فصلها الله أي قضى بها على عباده .
- (١٩٩٧) الكِبْوَة : السقطة .
- (١٩٩٨) المآب : المرجع .
- (١٩٩٩) الإنابة : الرجوع .
- (٢٠٠٠) أسْبَغَ : أي أحاط بجميع وجوه الرغبة .
- (٢٠٠١) الشفيق : الخائف . والناصح : الخالص .
- (٢٠٠٢) الكادح : المُبَالِغ في سعيه .
- (٢٠٠٣) تزايلت : تفرقت . والأوصال : مجتمع العظام . وتفرقتها كناية عن تبدد القوم وفنائهم .
- (٢٠٠٤) المحاوورة : المخاطبة والمناجاة .
- (٢٠٠٥) الجَدَد - بالتحريك - : المستوي السلوك .
- (٢٠٠٦) القصد : القويم .
- (٢٠٠٧) الوَضِيْن : بطن يشد به الرجل على البعير كالحزام للسرّج ، فإذا قلت واضطرب اضطرب الرجل فكثير تحمل الحمل وقل ثباته في سيره .
- (٢٠٠٨) الإرسال : الإطلاق والإهمال .
- (٢٠٠٩) السَّدَد - محرّكاً - : الاستقامة .
- (٢٠١٠) الدِّمَامَة : الحماية والكفاية .
- والصَّهْرُ : الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج .
- (٢٠١١) التَّوَطُّ - بالفتح - : التعلّق والالتصاق .
- (٢٠١٢) الأثرَة : الاختصاص بالشيء دون مستحقه .
- (٢٠١٣) التَّهْب - بالفتح - : الغنيمة .
- (٢٠١٤) صَبِيح - صيغة المجهول من صاح - : أي صاحوا للغارة .
- (٢٠١٥) حَجْرَآله - جمع حَجْرَة : بفتح الحاء - : الناحية .
- (٢٠١٦) هَلُمَّ : اذكر .
- (٢٠١٧) الخَطْب : عظيم الأمر وعجيبه .
- (٢٠١٨) الأود : الاعوجاج .
- (٢٠١٩) الفَوَّار والفَوَّارة من ينبوع : الثقب الذي يفور الماء منه بشدة .
- (٢٠٢٠) حَدَّجُوا : خلطوا .
- (٢٠٢١) الشَّرْب بالكسر : النصيب من الماء . والوَبِيء : ما يوجب شره من الوَبَاء .

- (٢٠٢٢) محض الحق : خالصه .
- (٢٠٢٣) ساطع المهاد : جاعله سطحاً سهلاً وبساطه للعمل فيه. والمهاد الأرض.
- (٢٠٢٤) الوهاد - جمع وهدة - ما انخفض من الأرض . ومُسَيْلُهَا فاعل من أسال ، أي مجري السيل فيها .
- (٢٠٢٥) النجاد - جمع تجند - : ما ارتفع من الأرض .
- (٢٠٢٦) الإبانة : ما هنا التمييز والفصل ، والضمير في له يرجع إليه سبحانه أي تمييزاً لذاته تعالى عن شبهها أي مشابقتها .
- (٢٠٢٧) شخوص لحظة : امتداد بصر بلا حركة من جفن .
- (٢٠٢٨) ازدلاف الرَبْوَة : تقربها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات .
- (٢٠٢٩) الداجي : المظلم .
- (٢٠٣٠) الفسق : الليل . وساج : أي ساكن لا حركة فيه .
- (٢٠٣١) عبر عن نسخ نور القمر له ، بالتفويض تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس وهو من لطيف التشبيه ودقيقه .
- (٢٠٣٢) الأفول : المغيب . والكُرُور : الرجوع بالشروق .
- (٢٠٣٣) نَحَلَهُ القَوْل - كمنعه - نسبة إليه .
- (٢٠٣٤) صفات الأقدار : جمع قدر - يسكون الدال - : وهو حال الشيء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر .
- (٢٠٣٥) نهايات الأقطار : هي نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدم ذكرها .
- (٢٠٣٦) التآكل : التأصل .
- (٢٠٣٧) أقام حدة : أي ما به امتاز عن سائر الموجودات .
- (٢٠٣٨) السوي : مستوى الحلقة لا نقص فيه .
- (٢٠٣٩) المنشأ : المبتدع . والمرعي : المحفوظ المعنى بأمره .
- (٢٠٤٠) السلالة من الشيء : ما انسل منه .
- (٢٠٤١) الفرار المتكين : محل الجنين من الرحم .
- (٢٠٤٢) تمور : تتحرك .
- (٢٠٤٣) لا تحير : من قولهم : ما أحر جواباً ، أي لم يستطع ردّاً .
- (٢٠٤٤) استسفروني : جعلوني سفيراً .
- (٢٠٤٥) الوشيجة : اشتباك القرابة .
- (٢٠٤٦) ربطه فاربط : أي شدّه وحبسه .
- (٢٠٤٧) المَرَج : الخلط .
- (٢٠٤٨) السبيقة - ككبيسة - ما استاقه العدو من الدواب .
- (٢٠٤٩) نَعَقَت من نَعَقَ بغنمه - كنع - : صاح .
- (٢٠٥٠) ذراً : خلق .
- (٢٠٥١) الأخاديد - جمع أخذود - : الشق في الأرض .
- (٢٠٥٢) الخروقي - جمع خرّق - : الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . والفجاج - جمع فج - : الطريق الواسع .

- (٢٠٥٣) الأعلام : جمع علمم بالتحريك ، وهو الجبل .
- (٢٠٥٤) مرفرفة : من رفرف الطائر : بسط جناحيه .
- (٢٠٥٥) المتخارق - جمع مخرق - : الفلاة .
- (٢٠٥٦) الحيقاق - ككتاب - : جمع حقّ بالضم - : مجتمع المفصلين .
- (٢٠٥٧) احتجاب المفاصل : استارها باللحم والجلد .
- (٢٠٥٨) العبالة : الضخامة وامتلاء الجسد
- (٢٠٥٩) يسمو : يرتفع .
- (٢٠٦٠) خفوفاً : سرعة وخفة .
- (٢٠٦١) دفيف الطائر : مروره فويق الأرض .
- (٢٠٦٢) تسقها : رتبها .
- (٢٠٦٣) الأصابيع : جمع أصباع - بفتح الهززة - : جمع صبيغ بالكسر وهو اللون أو ما يصبغ به .
- (٢٠٦٤) القالب : مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره . والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ في قالب من اللون .
- (٢٠٦٥) طوق : أي ان جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه ، كأنه طوق صبيغ لِحليته .
- (٢٠٦٦) التنضيد : النظم والترتيب .
- (٢٠٦٧) أشرح قصبة : أي داخل بين آحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر .
- (٢٠٦٨) درج إليه : مشى إليه .
- (٢٠٦٩) سما به : أي ارتفع به ، أي رفعه .
- (٢٠٧٠) مطلا على رأسه : مشرفاً عليه كأنه يظلمه .
- (٢٠٧١) القليع - بكسر فسكون - : شرع السفينة .
- (٢٠٧٢) الداري : جالب العطر من دارين .
- (٢٠٧٣) عنجته : جذبه فرفعه ، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه فردده على رجليه . التوي : البحار .
- يختال : يعجب .
- (٢٠٧٤) يميس : يتبختر بزيفان ذنبه . وأصل الزيفان التبخر أيضاً ، ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يمينا وشمالا .
- (٢٠٧٥) يفضي : أي يذهب إلى أنثاه ويسفد كما تذهب الدبكة - جمع دبك .
- (٢٠٧٦) يور : يسفد . وملاقحه : أدوات اللقاح وأعضاؤه ، وهي آلات التناسل .
- (٢٠٧٧) أر الفحول : أي أرأ مثل أر الفحول .
- (٢٠٧٨) المغلطة : ذات الغلطة والشهوة والشيق .
- (٢٠٧٩) الضراب : لقاح الفحل لأنثاه .
- (٢٠٨٠) على معاينة : أي اذهب وعين صدق ما أقول .
- (٢٠٨١) تسفحها : أي ترسلها أوعية الدمع .
- (٢٠٨٢) ضفة الحفن - بفتح الضاد وتكسر ، استعارة من ضفتي النهر بمعنى جانبيه .

- (٢٠٨٣) **تَطْعَمُ** فَلَكَ - كَتَلِمَ - أَي تَلَوَهُ
كَأَنَّهُ تَرَشَّفَهُ .
- (٢٠٨٤) **لِقَاحِ** الفِجْلِ : ماء التنازل
يَلْقَحُ بِهِ الأُنثَى
- (٢٠٨٥) **المنبجس** : النابغ من العين .
- (٢٠٨٦) **مُطَاعِمَةُ** الغراب : تلقيحه لأنثاه .
وقالوا : ان مطاعمة الغراب
بانتقال جزء من الماء المستقر في
قنصة الذكر إلى الأنثى تتناوله
من منقاره .
- (٢٠٨٧) **القَصَب** - جمع قَصَبَة - هي عمود
الريش .
- (٢٠٨٧) **المداري** جمع **مدري** - بكسر
الميم - قال ابن الأثير **المدري**
والمدرة : مصنوع من حديد
أو خشب على شكل سن من أسنان
المشط وأطول منه يسرح به الشعر
المثلبد ويستعمله من لا مشط له .
- (٢٠٨٩) **الدَّارَات** : حالات القمر .
- (٢٠٩٠) **العقيان** : الذهب الخالص أو ما
ما ينمو منه في معدنه .
- (٢٠٩١) **فلد** - كعنب - جمع **فلذة** بمعنى
القطعة .
- (٢٠٩٢) **جنى** : أي مجنى جمع كل زهر
لأنه جمع كل لون ، ومنه قوله
تعالى (وجنى الجنتين دان) .
- (٢٠٩٣) **الموشى** : المنقوش المنم على
صيغة اسم الفاعل ؟
- (٢٠٩٤) **العصب** - بالفتح - : ضرب من
البرود منقوش .
- (٢٠٩٥) جعل **اللجج** - وهو الفضة - منطقة
لها . والمكثل : المزين بالجوهر .
فكما تمنطقت القصوص باللجين
كذلك زين اللجين بها .
- (٢٠٩٦) **المرح** - ككتف - : **المعجب**
والمختال الزاهي بحسنه .
- (٢٠٩٧) **السربال** : اللباس مطلقاً أو هو
الدرع خاصة .
- (٢٠٩٨) **الوشاح** : نظامان من لؤلؤ وجوهر
يخالف بينهما ويعطف أحدهما
على الآخر بعد عقد طرفه به حتى
يكونا كدائرتين إحداهما داخل
الأخرى كل جزء من الواحدة
يقابل جزءاً من قرينتها ثم تلبسه
المرأة على هيئة جمالة السيف .
- (٢٠٩٩) **زقا يزقو** : صباح .
- (٢١٠٠) **مُعُولاً** : من أعول ، رفع صوته
بالبكاء .
- (٢١٠١) **حُمش** - جمع **أحمش** - أي دقيق .
- (٢١٠٢) **الديك الحلامي** - بكسر الحاء - :
هو المتولد بين دجاجتين هندية
وفارسية .
- (٢١٠٣) **وقد نجمت** : أي نبتت .
- (٢١٠٤) **ظنوب ساقه** : حرف عظمه الأسفل .
- (٢١٠٥) **صيصية** : شوكة تكون في رجل
الديك .
- (٢١٠٦) **القنطرة** - بضم القاف والزاي - :
بينهما سكون - الخصلة من الشعر
تترك على رأس الصبي .

- (٢١٠٧) مَوْشَاةٌ : منقوشة .
- (٢١٠٨) مَغْرِزُهَا : الموضع الذي غُرِزَ فيه العنقُ متنبهاً إلى مكان البطن .
- (٢١٠٩) الوَسِيمَةُ : هي نبات يخضب به .
- (٢١١٠) الصَّقَالُ : الجلاء .
- (٢١١١) المِعْجَرُ - كنبير - : ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها ، وهو معنى التلضع هاهنا . والأسْحَمُ : الأسود .
- (٢١١٢) الأَفْحُونُ : البابونج .
- (٢١١٣) اليَقْقُ - محرَكاً - : شديد البياض .
- (٢١١٤) يَأْتَلِقُ : يلمع .
- (٢١١٥) قِسَطٌ : نصيب .
- (٢١١٦) عَلاهُ : أي فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلته .
- (٢١١٧) البصيص : اللعان .
- (٢١١٨) الرونق : الحسن .
- (٢١١٩) الأزاهير : جمع أزهار جمع زهر . فهي جمع الجمع . والمبثوثة المثورة .
- (٢١٢٠) لم تُرَبَّتْهَا ، فعل من التريبة .
- (٢١٢١) القَيْطُ : الحر .
- (٢١٢٢) يَنْحَسِرُ : هو من « حَسَرَهُ » أي كشفه ، أي وقد ينكشف من ريشه فيسقط .
- (٢١٢٣) تَتَرَمَى : أي شيئاً بعد شيء وبينهما فرة .
- (٢١٢٤) يَنْحَتَتْ : يسقط وينقشر .
- (٢١٢٥) عَسْجَدِيَّةٌ : ذهبية .
- (٢١٢٦) عمائق : جمع عميقة .
- (٢١٢٧) يهر العقول : قهرها فردتها .
- (٢١٢٨) جَلَاهُ - كحَلَاهُ - : كشفه .
- (٢١٢٩) أَدْمَجَ قَوَائِمَهَا : أودع أَرْجُلَهَا فيها .
- (٢١٣٠) الدَّرَّةُ : واحدة الدَّرَ : صغار النمل .
- (٢١٣١) الهَمَّجَةُ - محرَّكة - : واحدة الهَمَّجِ ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم .
- (٢١٣٢) وآى : وعد .
- (٢١٣٣) الحِمَامُ : الموت .
- (٢١٣٤) عَزَقَتْ لَفْسَكَ : كرهت وزهدت .
- (٢١٣٥) اصطفاق الأشجار : تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت .
- (٢١٣٦) الكُثْبَانُ - جمع كَثِيبٍ - وهو التل .
- (٢١٣٧) الأَفْنَانُ - جمع فَنَنٍ - بالتحريك : وهو العنصن .
- (٢١٣٨) غُلِّفَ بضمين - جمع غلاف - والأكام - جمع كيم بكسر الكاف وهو رعاء الطلع وغطاء التوار .
- (٢١٣٩) تُجَسِّقِي : تُفْطِنِي .
- (٢١٤٠) المُصْفَاةُ : المصفاة .
- (٢١٤١) المُؤَنِّقَةُ : المُعْجِبَةُ .
- (٢١٤٢) العِدَاقُ : للنخلة كالمعقود للعنب : مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون .
- (٢١٤٣) لِيَتَّسِدَ : لِيَقْتَدِ .
- (٢١٤٤) القَيْضُ : القشرة العليا لليابسة على البضة .

- (٢١٤٥) الأَدَاحِي - جمع أدحى - كلجتي وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه .
- (٢١٤٦) القَزَع - محركاً - : القطع المتفرقة من السحاب واحده قزعة بالتحريك .
- (٢١٤٧) الرُّكَام : السحاب المتراكم . والمستثار : موضع انبعاسهم نائرين . وميل الجنتين هو الذي سماه الله سَيْلَ العَرَمِ الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمرَ جنابهم وحوّل نعيمهم شقاء . والقارة - كالقَرَارة - ما اطمأن من الأرض .
- (٢١٤٨) الأَكَمَة - محركة - : غليظ من الأرض يرتفع عما حوالته . والسنن يريد به الجري . والطود الجبل العظيم والمقصود الجمع . والرص يراد به الارتصاص أي الانضمام والتلاصق ، أي لم يمنع جريته تلاصق الجبال . والحيداب - جمع حداب بالتحريك - : ما غلظ من الأرض في ارتفاع .
- (٢١٤٩) يُذَعِدُهُمْ - بالدال المعجمة مرتين - : يفرقهم . وبطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء .
- (٢١٥٠) لِيُضَعِّقَنَّ لَكُمْ التَّيَهُ : لتزادَنَّ لكم الحيرة أضعاف ما هي لكم الآن .
- (٢١٥١) الفَادِحُ - من فدحه الدين - : إذا أنقله .
- (٢١٥٢) صَدَفَ : أعرض . والسمت : الجهة . وثقصدوا : تستقيموا .
- (٢١٥٣) مدخول : معيب .
- (٢١٥٤) معاقب الحقوق : مواضعها من الذمم .
- (٢١٥٥) بادره : عاجله ، أي عاجلوا أمرَ العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا .
- (٢١٥٦) المُجَلِبُونَ : من أجلبَ عليه : أعانه .
- (٢١٥٧) على حدّ شوكتهم : شدتهم ، أي لم تنكسر سورتهم .
- (٢١٥٨) حلالكم : فيما بينكم .
- (٢١٥٩) يسومونكم : يكلفونكم .
- (٢١٦٠) مادة : أي عوناً ومدداً .
- (٢١٦١) مُسْمَحَةٌ : اسم مفعول من أسمع أي ميسرة .
- (٢١٦٢) ضَعْفَعَهُ : هدمه حتى الأرض .
- (٢١٦٣) المُنَّة - بالضم - : القدرة .
- (٢١٦٤) الوهن : الضعف .
- (٢١٦٥) الكسي : كناية عن القتل .
- (٢١٦٦) إلا هالك : أي إلا من كان في طبعه عوج جبلي ، فحتم الشقاء الأبدي .
- (٢١٦٧) المُبَشِّدَات : ما أحدث ولم يكن على عهد الرسول .
- (٢١٦٨) المُشَبَّهَات : البدع الملبسة ثوب الدين المشبهة به وليست منه هي المهلكة إلا أن يحفظ الله منها بالتوبة .
- (٢١٦٩) مُلَوَّمَةٌ - من لَوَّمَهُ - مبالغة في لومه ، أي غير ملوم عليها بالنفاق .

- (٢١٧٠) يَأْرِزُ : يرجع .
(٢١٧١) تَمَّالًاوًا : اتفقوا وتعاونوا .
(٢١٧٢) السَّخْطَةُ - بالفتح - الكراهة والبغض .
(٢١٧٣) فَيْسَالَةُ الرَّأْيِ - بالفتح - : ضَعْفُهُ .
(٢١٧٤) أَفَاءَهَا عَلَيْهِ : أرجعها إليه .
(٢١٧٥) النَّعْشُ : مصدر نعشه ، إذا رفعه .
(٢١٧٦) السَّقْفُ الْمَرْفُوعُ : السماء .
(٢١٧٧) الْمَكْفُوفُ اسم مفعول ، من كَفَّهْ إذا جمعه وضم بعضه إلى بعض .
(٢١٧٨) مَغِيضًا : من غاض الماءُ إذا نقص ، كأن هذا الجو يمنع الضياء والظلام وهو مغيضها كما يغيض الماء في البر .
(٢١٧٩) السَّبِيْطُ - بالكسر - : القبيلة .
(٢١٨٠) اعْتِمَادًا : أي معتمداً ، أو ملجأ يعتصم به .
(٢١٨١) الذَّامَرُ - ككتاب - : ما يلزم الرجل حفظه من أهله وعشيرته .
(٢١٨٢) الْغَالُو : من غار على امرأته أو قريبتها أن يمسهما أجنبي .
(٢١٨٣) الْحَقَائِقُ : هنا وصف لا اسم ، يريد النوازل الثابتة التي لا تدفع بل لا تقلع إلا بعازمات الهمم .
(٢١٨٤) الْحِفَافُ : الوفاء ورعاية الذمم .
(٢١٨٥) لَا تُؤَارِي : لا تحجب .
(٢١٨٦) هَرَبَ الْوَجْهَ : كناية عن الرد والمنع .
(٢١٨٧) قَرَعَتْهُ بِالْحِجَّةِ : من قرعه بالعصا ضربه بها .
- (٢١٨٨) هَبَّ : من هيب التيس أي صباحه أي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب .
(٢١٨٩) حَيَّسَ : فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وأم المؤمنين كانت محبوبمة لرسول الله لا يجوز لأحد أن يمسه بعده كأنها في حياته .
(٢١٩٠) حُزَّانٌ : جمع خازن .
(٢١٩١) الْقَتْلُ صَبْرًا : أن تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت .
(٢١٩٢) مَعْتَمِدِينَ : قاصدين .
(٢١٩٣) الْمُنَابِلَةُ : تهيج الفساد .
(٢١٩٤) اسْتَهْتَبَ : طلب منه الرضى بالحق .
(٢١٩٥) أَهْلُ الْقَبِيلَةِ : من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويصلي معنا إلى قبلة واحدة .
(٢١٩٦) الْغَيْرُ (بكسر ففتح) اسم للتغيير أو التغيير .
(٢١٩٧) الْخَنِينُ - بالخاء المعجمة - : ضرب من البكاء يردد به الصوت في الأنف .
(٢١٩٨) زُوِيَ : أي قبض .
(٢١٩٩) مُتَجَرِّدًا : كأنه سيف تجرد من غمده .
(٢٢٠٠) يَلْتَبِسُ : أي يشبهه .
(٢٢٠١) يُوَازِرُ : ينصر ويعين .
(٢٢٠٢) الْمُنَابِلَةُ : المراماة والمراد المعارضة والمدافعة .

- (٢٢٠٣) **سَهَّه** عن الأمر : كفه وزجره
عن إتيانه .
- (٢٢٠٤) **المعلرين فيه** : المعتلرين عنه فيما
نقم منه .
- (٢٢٠٥) **يَرْكُدُ** جانباً : يسكن في جانب
عن القائلين والناصرين .
- (٢٢٠٦) **النَّعَم** - محرّكة - : الأبل أو هي
الغنم .
- (٢٢٠٧) **أراح** بها : ذهب بها . وأصل
الإراحة الانطلاق في الريح فاستعمله
في مطلق الانطلاق .
- (٢٢٠٨) **السائم** : الراعي .
- (٢٢٠٩) **الوَّبي** : الردي يجلب الوباء .
- (٢٢١٠) **الوَّبي** : الويل يفسد الصحة ،
أصله من الدوا بالقصر أي المرض .
- (٢٢١١) **المُدِّي** - جمع مُدِّيَّة - : السكين ،
أي معلوفة للذبح .
- (٢٢١٢) **تَحَسَّبَ** يومها **دهرها** : أي لا تنظر
إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئاً
لما بعد يومها ، ومتى شبت ظنت
أنه لا شأن لها بعد هذا الشبح .
- (٢٢١٣) **مَوَّلِجُه** : من ولج يلج إذا دخل .
- (٢٢١٤) **مَفْضِيه** : أصله من أفضى إليه :
خلا به .
- (٢٢١٥) **أَعْدَرَ** اليكم **بالحليّة** : أي بالأعذار
الحليّة . والعذر هنا مجاز عن سبب
العقاب في المأخذة عند مخالفة
الأوامر الإلهية .
- (٢٢١٦) **نزع** عنه : انتهى وأقلع .
- (٢٢١٧) **أبعد** منزعاً : أي نزوعاً بمعنى الانتهاء
والكف عن المعاصي .
- (٢٢١٨) **ظَنُون** - كصَبُور - الضعيف والقليل
الحيلة .
- (٢٢١٩) **زَارِيًا** عليها : أي عائباً .
- (٢٢٢٠) **التَّقْوِيض** : نزع أعمدة الخيمة
وأطنابها ، والمراد أنهم ذهبوا
بمساكنهم وطووا مدة الحياة كما
يطوي المسافر منازل سفره أي
مراحله ومسافاته .
- (٢٢٢١) **فَاقَّة** : أي فقر وحاجة إلى هاد
سواه .
- (٢٢٢٢) **اللَّأْوَاء** : الشدة .
- (٢٢٢٣) **شفاة القرآن** : نطق آياته بانطباقها
على عمل العامل .
- (٢٢٢٤) **مَسْحَلٌ** به : مثلث الحاء : كاده
بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية
عن مباينة أحكامه لما أباه العيد من
أعماله .
- (٢٢٢٥) **استغشوا أهواءكم** ، أي : ظنوا
فيها الغش وارجعوا إلى القرآن .
- (٢٢٢٦) **العلم** : محرّكاً يريد به القرآن .
- (٢٢٢٧) **مخرج** إلى فلان من حقه : أداه ،
فكأنه كان حبيساً في مؤاخذته
فانطلق .
- (٢٢٢٨) **الوظائف** : ما قدر الله لنا من
الأعمال المخصصة بالأوقات
والأحوال كالصوم والصلوة
والزكاة .

- (٢٢٢٩) حَجِيجٌ : من حج - إذا أقنع بحجته
- (٢٢٣٠) نَوْرَدٌ : هو تفاعل كُنزَل . أي ورد شيئاً بعد شيء .
- (٢٢٣١) عِدَّةُ اللَّهِ - بكسر ففتح - وعده .
- (٢٢٣٢) تَهْزِيعُ الشَّيْءِ : تكسيره ، والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه ، والكريم إذا لوم فقد انلثم كرمه .
- (٢٢٣٣) تَصْرِيفُ الْأَخْلَاقِ : من صرفته إذا قلبته . نهي عن النفاق والتلون في الاخلاق .
- (٢٢٣٤) لِيُخْزَنَ - كيتصر - أي ليحفظ لسانه .
- (٢٢٣٥) الْجَمُوحُ : من جمع الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرده .
- (٢٢٣٦) لِسَانُ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ : لسان المؤمن تابع لاعتقاده، لا يقول إلا ما يعتقد .
- (٢٢٣٧) حَرَسَتْهُ الْحَرْبُ : جربته . أي جربتموها .
- (٢٢٣٨) الْإِتْيَانُ مِنَ الْأَمَامِ : كناية عن الظهور كأن التقصير عدو قوي يأتي مجاهرة لا يخدع ولا يفر .
- (٢٢٣٩) جَوَادٌ قَاصِدٌ : أي مستقيم أو قريب من الله والسعادة .
- (٢٢٤٠) الْهَسَاتُ : بفتح الهاء - جمع هنة محرقة : الشيء اليسير والعمل الحقيق . والمراد به صفات الذنوب .
- (٢٢٤١) الْمُدَى : جمع مَدْيَةٌ ، وهي السكين .
- (٢٢٤٢) السَّيَاطُ : جمع سَوَاطٍ .
- (٢٢٤٣) الْفُرْقَةُ - بضم الفاء - التفرق والشقاق .
- (٢٢٤٤) يُجْتَمِعَانِ : من جمع جمع البعير إذا برك ، ولزم الجمع أي الأرض . أي أن يقيما عند القرآن . والتبع - محرراً - التابع ، للواحد والجمع . وتآمرا : أي ضللاً .
- (٢٢٤٥) لَا يَعْزُبُ : لا يخفى .
- (٢٢٤٦) سَوَافِي الرِّيحِ : جمع سافية ، من «سَفَتِ الرِّيحُ التُّرَابَ وَالْوَرَقَ» أي حملته .
- (٢٢٤٧) الصَّفَا : مقصوراً - جمع صفاة :- الحجر الأملس الضخم . وديب النمل أي حركته عليه في غاية الخفاء لا يسمع لها حس .
- (٢٢٤٨) الدَّرَى : صغار النمل . ومقبيلها : محل استراحتها ومبيتها .
- (٢٢٤٩) طَرَفُ الْحَدَاقَةِ : تحريك جفنيها والحدقة هنا العين .
- (٢٢٥٠) عَدَلَ بِاللَّهِ : جعل له مثلاً وعديلاً .
- (٢٢٥١) تَكْوِينُهُ : خلقه للناس جميعاً .
- (٢٢٥٢) دَخَلْتَهُ - بالكسر والضم :- باطنه .
- (٢٢٥٣) الْمُجْتَبَى : المصطفى . والعيممة - بكسر العين - : المختار من المال .
- (٢٢٥٤) اعْتَامَ : أخذ المال . فالعُتَامُ : المختار لبيان حقائق توحيده وتنزيهه .
- (٢٢٥٥) الْعُقَائِلُ : الكرائم .
- (٢٢٥٦) الْكِرَامَاتُ : ما أكرم الله به نبيه من معجزات ومنازل في النفوس عالياً .

- (٢٢٥٧) أشرط الهدى : علاماته ودلائله .
- (٢٢٥٨) غريبب الشيء - كعفريت - أشده سواداً ، فغريبب العمى أشد الضلال ظلمة .
- (٢٢٥٩) المخلد : الراكن المائل .
- (٢٢٦٠) نفس - كفرح - : صن ، أي لا تضن الدنيا بمن يباري غيره في اقتنائها وعدّها من نفاثه ، ولا تحرص عليه بل تهلكه .
- (٢٢٦١) الغض : الناصر .
- (٢٢٦٢) اجترح الذنب : اكتسبه وارتكبه .
- (٢٢٦٣) الفثرة : كناية عن جهالة الغرور .
- (٢٢٦٤) الروية : التفكير .
- (٢٢٦٥) الهمة : الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل بحر نقصاً وأوجب تهماً لم يفرح لو
- (٢٢٦٦) الجارحة : العضو البدني .
- (٢٢٦٧) الجفاء : الغليظ والخشونة .
- (٢٢٦٨) تعنو : تذل .
- (٢٢٦٩) وجب القلب يجب وجيباً ووجباناً : خفق واضطرب .
- (٢٢٧٠) أمهلتهم : أخترتهم ، ويروى « أمهلتهم » بمعنى خلتهم وتركهم .
- (٢٢٧١) حخرتهم : ضعفتم وجبنتم .
- (٢٢٧٢) المشاقفة : المقاطعة والمصارمة .
- (٢٢٧٣) فكصتم : رجعت القهقري وأحجمتم .
- (٢٢٧٤) المعروف في التفرغ : لا أبا لكم ، ولا أبا لك . وهو دعاء يفقد الأب أو تعبير يجهله ، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء أو اللمّ لغيرهم .
- (٢٢٧٥) قال : أي كاره .
- (٢٢٧٦) غير كثير بكم : أي : إني أفارق الدنيا وأنا في قلة من الأعوان ، وإن كنتم حولي كثيرين .
- (٢٢٧٧) من شخذ السكين : كنع . أي حددها .
- (٢٢٧٨) الجفافة - جمع جاف - : أي غليظ .
- (٢٢٧٩) الطغام - بالفتح - : أرذال الناس .
- (٢٢٨٠) المعونة : يراد بها هنا ما يعطى للجند لإصلاح السلاح ، وعلف الدواب زائداً على العطاء المفروض ، والأرزاق المعينة لكل منهم .
- (٢٢٨١) التريكة - كسفيئة - بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تركها في مجثمها ، والمراد : أنتم خلف الإسلام وعودت السلف .
- (٢٢٨٢) دَارَسْتُكُمْ الكتاب : أي قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهماً .
- (٢٢٨٣) فالتحتمكم : مجردة فتح بمعنى قضى ، فهو بمعنى قاضيتكم أي حاكتكم . والحجاج : الحاجة أي قاضيتكم عند الحاجة حتى قضيت عليكم بالعجز عن الحصام .
- (٢٢٨٤) سَوَّغْتُكُمْ ما مجتتم : سوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجونه وتطرحونه . فسوغ الشيء : جعله سائفاً مقبولاً ، ومج الشيء من فيه : رمى به .
- (٢٢٨٥) أقرب بهم : ما أقربهم من الجهل .

- (٢٢٨٦) ابن النابغة : عمرو بن العاص .
- (٢٢٨٧) قَطَنُوا : أقاموا .
- (٢٢٨٨) ظَعَنُوا : رحلوا .
- (٢٢٨٩) أشرعت : سُدَّتْ وصُوِّبَتْ نحوهم .
- (٢٢٩٠) الهامات : الرؤوس .
- (٢٢٩١) استفلتهم : دعاهم للتفلسل : وهو الانهزام عن الجماعة .
- (٢٢٩٢) حَسَبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ : كافيهم من الشرِّ خُرُوجِهِمْ ، والباء زائدة .
- (٢٢٩٣) الارتكاس : الانقلاب والانتكاس .
- (٢٢٩٤) صدَّهم : إعراضهم .
- (٢٢٩٥) الجِمام : الجموح وهو أن يغلب الفرس راكبه . والمراد تعاصيهم وغلوهم وإفراطهم .
- (٢٢٩٦) التيه : الضلال .
- (٢٢٩٧) المدرعة : ثوب يعرف عند بعض العامة باللدراعية ، قميص ضيق الأكمام ، قال في القاموس : ولا يكون إلا من صوف .
- (٢٢٩٨) الشفينة - بكسر بعد فتح - : ما يمس الأرض من البعير بعد البروك ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض . وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود .
- (٢٢٩٩) النوامي : جمع نام ، بمعنى زائد .
- (٢٣٠٠) الطسول - بفتح الطاء وسكون الواو - الفضل .
- (٢٣٠١) حَنَعَ : ذل وخضع .
- (٢٣٠٢) يتعاوره : يتداوله ويتبادل عليه .
- (٢٣٠٣) موطنات : مثبتات في مداراتها على ثقل أجرامها .
- (٢٣٠٤) التلكو : التوقف والتباطؤ .
- (٢٣٠٥) ادغمام الظلمة : كثافتها وشدتها .
- (٢٣٠٦) السُّجْف - بضمين - جمع سِجَاف ككتاب : السر .
- (٢٣٠٧) الجلابيب - جمع جلباب - : ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحفة . ووجه الاستعارة فيها ظاهر .
- (٢٣٠٨) الحنادس : جمع حندس - بكسر الحاء - : الليل المظلم .
- (٢٣٠٩) شاع : تفرق .
- (٢٣١٠) الفسق : الظلمة ، والداجي : الشديد الظلام .
- (٢٣١١) الساجي : الساكن .
- (٢٣١٢) المتطأطات : المنخفضات .
- (٢٣١٣) اليفاع : التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض . والسُفَع - جمع سَفَعاء - السوداء تضرب إلى الحمرة ، والمراد منها الجبال ؛ عبر عنها بلونها فيما يظهر للنظر على بعد .
- (٢٣١٤) ما يَتَجَلَّجَلُ به الرعد : صوته ، والجَلَّجَلَة : صوت الرعد .
- (٢٣١٥) تلاشت : اضمحلت ، وأصله من لَشِيء بمعنى خَسَّ بعد رفعة . وما يضمحل عنه البرق هو الأشياء التي تُرى عند لمعانه .
- (٢٣١٦) العواصف : الرياح الشديدة ؛ وإضافتها للأتواء من إضافة الشيء لمصاحبه عادة . والأتواء - جمع

- (٢٣٣١) **جُنَّة الحِكْمَة** : ما يحفظها على صاحبها من الزهد والورع .
 وأصل الجُنَّة الوقاية . ومنه الدرع والمجن . وما يُنتقى به .
- (٢٣٣٢) **عَسِيب الدَّعْب** : أصله .
- (٢٣٣٣) **الجِرَان** . ككتاب . : مقدم عُتُق البعير من المذبح إلى المنحصر . والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه . وإلصاق جِرَانِه بالأرض كناية عن الضعف .
- (٢٣٣٤) **استَوَسَّقَتِ الإِبِل** : اجتمعت وانضم بعضها إلى بعض .
- (٢٣٣٥) **الرتق** . بكسر النون وفتحها وسكونها . : الكئيد .
- (٢٣٣٦) **عمار بن ياسر** : من السابقين الأولين .
- (٢٣٣٧) **أبو الهيثم مالك بن التيهان** : بتشديد الياء وكسرها : من أكابر الصحابة .
- (٢٣٣٨) **ذو الشهادتين** : خزيمه بن ثابت الأنصاري . قبل النبي شهادته بشهادة رجلين في قصة مشهورة .
- (٢٣٣٩) **أبردة برووسهم** : أي أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى التجارة البغاة للتشفي منهم رضي الله عنهم .
- (٢٣٤٠) **أَوْه** : - بفتح الواو وتشديد ها وكسر الراء : كلمة توجع .
- (٢٣٤١) **المنصبة** - كصطبة - : التعب .
- (٢٣٤٢) **هجم عليه** - كنصر - : دخل غفلة .
- (٢٣٤٣) **المعتبر مصدر ميمي** : الاعتبار والاتعاظ .
- نوء . : أحد منازل القمر . بعدها العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الأفق في كل ثلاث عشرة ليلة منزلة ويظهر عليه أخرى .
- (٢٣١٧) **السماء هنا** : المطر .
- (٢٣١٨) **الوهم هنا** : الفكرة والتوهم .
- (٢٣١٩) **« لا يشغله سائل »** : لإحاطة علمه وقدرته .
- (٢٣٢٠) **النائل** : العطاء .
- (٢٣٢١) **الآين** : المكان .
- (٢٣٢٢) **الأزواج** : هنا القُرَّاء والأمثال . أي لا يقال : ذو قرناء . ولا هو قرين لشيء . ويراد من هذا نفي الاثنينية والتعدد عنه جل شأنه .
- (٢٣٢٣) **« لا يُخَلِّقُ بعلاج »** : أي أنه لا يشبه المخلوقات في احتياج وجودها إلى معالجة ومزاولة . لأنه بداته واجب الوجود سبحانه .
- (٢٣٢٤) **اللّهوات** - جمع لهأة - : اللحمه المشرفة على الخلق في أقصى الفم .
- (٢٣٢٥) **المتكلف** : هو شديد التعرض لما لا يعنيه .
- (٢٣٢٦) **الحجرات** : جمع حجرة - بضم الحاء - : الغرفة .
- (٢٣٢٧) **المُرْجَحِين** - كالمقشعر - : المائل لثقله والمتحرك يمينا وشمالا .
- (٢٣٢٨) **متولتها** : أي حائرة أو متخوفة .
- (٢٣٢٩) **الرياش** : اللباس الفاخر .
- (٢٣٣٠) **الطعمة** - بالضم - : المأكلة . أي ما يوكل . والمراد الرزق المقسوم .

- (٢٣٤٤) التصرف : هنا التبدل .
- (٢٣٤٥) المصاح جمع مصححة - بكسر الصاد وفتحها - بمعنى الصحة والعافية .
- (٢٣٤٦) استَحَمَدَ : أي طلب من خلقه أن يحمده .
- (٢٣٤٧) ارتَمَنَ عَلَيْهِمُ أَنفُسَهُمْ : حبس نفوسهم وجعلها رهناً على الوفاء بميثاقهم .
- (٢٣٤٨) يقال : « فلان بعين فلان » إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء .
- (٢٣٤٩) يَرْتَهِنُهُمُ بِالْأَجْلِ : أي يَغْشَاهُمُ بالمنية .
- (٢٣٥٠) يريد بالرجعة هنا ما يسأله الانسان المذنب من العودة إلى الدنيا ليعمل صالحاً كما قال الله : « رَبِّ ارْجِعْنِي إِلَىٰ أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ » .
- (٢٣٥١) مالك : هو الموكل بالرحيم .
- (٢٣٥٢) اليَقَن - بالتحريك - : الشيق المسن .
- (٢٣٥٣) لهزرة : أي خالطه . والقثير : الشيب .
- (٢٣٥٤) نَشِبَتْ - كفرحت - : عَلِقَتْ . والجوامع - جمع جامعة - الغُل لأنها تجمع اليدين إلى العنق .
- (٢٣٥٥) غَلِقَ الرَّهْنُ - كفرح - : استحققت صاحب الحق . وذلك إذا لم يكن فكاكه في الوقت المشروط .
- (٢٣٥٦) يَبْلُوكُمْ : يختبركم .
- (٢٣٥٧) الحسيس : الصوت الخفي .
- (٢٣٥٨) لَغِبَ : كسمع ومنع وكرم - لغباً ولغوباً : أعيب أشد الإعياء . والنصب : التعب أيضاً .
- (٢٣٥٩) قَبَحَكَ اللهُ : كسرك ، كما يقال : قبحت الجوزة : كسرتها .
- (٢٣٦٠) الثَّرْمُ : ساقط الثنية من الأسنان .
- (٢٣٦١) الضئيل : النحيف المهزول : كناية عن الضعف .
- (٢٣٦٢) نَعَرَ : أي صاح .
- (٢٣٦٣) نَجَمَتْ : ظهرت وبرزت . والتشبيه بقرن الماعز في الظهور على غير شرف ولا شجاعة ولا قدم ، بل على عفة .
- (٢٣٦٤) واحد لا بعدد : أي لا يتكون من أجزاء .
- (٢٣٦٥) الأمد : الغاية .
- (٢٣٦٦) المُشَاعِرَة : انفعال إحدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها .
- (٢٣٦٧) المرآئي - جمع مرآة بالفتح - وهي المنظر ، أي تشهد له مناظر الأشياء لا بحضوره فيها شاخصاً للأبصار .
- (٢٣٦٨) الفلتج : الظنر . وظهره : علو كلمة الدين .
- (٢٣٦٩) صادعاً : جاهراً .
- (٢٣٧٠) الأمراس : جمع مَرَس بالتحريك وهو جمع مَرَسَة - بالتحريك - : وهو الحبل .
- (٢٣٧١) البشتر : جمع بشرة . وهي ظاهر الجلد الإنساني .
- (٢٣٧٢) الصدر - محرّكاً - الرجوع بعد الورود .

- (٢٣٧٣) **يُوفِقِيهَا** : بكسر الواو ، أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها .
- (٢٣٧٤) **الصفا** : الحجر الأملس لا شقوق فيه . والحامس : الحامد .
- (٢٣٧٥) **الشراسيف** : مَقَاطُ الأضلاع : وهي أطرافها التي تشرف على البطن .
- (٢٣٧٦) **القلال** - جمع قُلَّةٍ بالضم - وهي رأس الجبل .
- (٢٣٧٧) **لم يلجؤوا** : لم يستندوا .
- (٢٣٧٨) **أوعاه** : كَوَعَاه - بمعنى حفظه .
- (٢٣٧٩) **قَمَرَاوَيْن** : أي مضيئين ، كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر .
- (٢٣٨٠) **المنجمل** - كبير - آلة من حديد معروفة يُقْتَضَبُ بها الزرع - قالوا : أراد بهما هنا ، رجلي الحرارة لا عوجاجهما وخشونتهما .
- (٢٣٨١) **ذَبَّتْهَا** : دفعها .
- (٢٣٨٢) **نَزَوَاتِهَا** : وثباتها . نَزَا عليه : وثب .
- (٢٣٨٣) **« الندى »** : هنا مقابل اليبس بالتحريك .
- (٢٣٨٤) **الهَطْل** - بالفتح - : تنابع المطر والدمع .
- (٢٣٨٥) **الدَّيْم** - كاضيم - جمع دَيْمَة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق .
- (٢٣٨٦) **تعديد القيسم** : إحصاء ما قُدِّرَ منها لكل بقعة .
- (٢٣٨٧) **جُدُوب الأرض** : يَبَسُّها لاحتجاب المطر عنها .
- (٢٣٨٨) **صَمَدَةٌ** : قصده .
- (٢٣٨٩) **« كل معروف بنفسه مصنوع »** : أي كل معروف الذات بالكُنه مصنوع . لأن معرفة الكُنه إنما تكون بمعرفة أجزاء الحقيقة فمعروف الكنه مركب . والمركب مفتقر في الوجود لغيره . فهو مصنوع .
- (٢٣٩٠) **تَمَرَفِدُهُ** : أي تعينه .
- (٢٣٩١) **المشعر** - كقعد - : محل الشعور أي الاحساس ، فهو الحاسة . وتَشْعِيرُهَا : إعدادها للانفعال المخصوص الذي يعرض لها من المواد ، وهو ما يسمى بالاحساس ، فالمشعر ، من حيث هو مشعر ، منفعل دائماً . ولو كان لله مشعر لكان منفعلاً ، والمنفعل لا يكون فاعلاً .
- (٢٣٩٢) **الصدرد** - محرّكاً - : البرد ، أصلها فارسية .
- (٢٣٩٣) **مُتَدَانِيَاتِهَا** : متقارباتها كالأجزئين من عنصر واحد في جسمين مختلفي المزاج .
- (٢٣٩٤) **كل مخلوق يقال فيه « قد وجد »** ووجد منذ كذا ، وهذا مانع للقدم والأزلية ، وكل مخلوق يقال فيه « لولا » خالفه ما وجد ، فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره .
- (٢٣٩٥) **لَتَشْفَاوَتَتْ ذَاتَهُ** : أي لاختلفت باختلاف الأعراض عليها ولتجزأت حقيقته ، فان الحركة والسكون من خواص الجسم وهو منقسم .

- (٢٣٩٦) سلطان الامتناع : هو سلطان العزة الأزلية .
- (٢٣٩٧) الأَقُول : من « أفلَ النجم » إذا غاب .
- (٢٣٩٨) المراد « بالمولود » المتولد عن غيره ، سواء أكان بطريق التناسل المعروف أم بطريق النشوئ كتولد النبات عن العناصر . ومن ولد له كان متولداً بإحدى الطريقتين .
- (٢٣٩٩) لا يوصف بشيء من الأجزاء : أي لا يقال : ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا .
- (٢٤٠٠) نُقِلَه : أي ترفعه .
- (٢٤٠١) نُهَوِيَه : أي تحطه وتسقطه .
- (٢٤٠٢) وَالَج : أي داخل .
- (٢٤٠٣) اللّهُوَات - بفتح الهاء - : جمع لهُاة : اللحمة في سقف أقصى القم .
- (٢٤٠٤) لا يتحفظ : أي لا يتكلف الحفظ « ولا يؤوذهُ حفظُهُما وهو العليّ العظيم » .
- (٢٤٠٥) الأَوَد : الاعوجاج .
- (٢٤٠٦) التَهَامُت : التساقط قطعة قطعة .
- (٢٤٠٧) الانفراج : الانشقاق .
- (٢٤٠٨) الأوتاد : جمع وتيد ، ويراد به هنا الحبل .
- (٢٤٠٩) الأَسَدَاد : جمع سَدَ والمراد بها الجبال أيضاً .
- (٢٤١٠) عَحَدَ : أي شق .
- (٢٤١١) يَهِين - من الوَهْن - بمعنى الضعف .
- (٢٤١٢) مُرَاحِهَا - بضم الميم - : اسم مفعول من أراح الإبل ، رَدَّهَا إلى المُرَاح - بالضم كالسناخ - أي المأوى .
- (٢٤١٣) السَّامُ : الراعي يريد ما كان في مأواه وما كان في مرعاه .
- (٢٤١٤) الأَسناخ : الأصول . والمراد منها الأنواع ، أي الأصناف الداخلة في أنواعها .
- (٢٤١٥) المتبَلِّدَة : أي الغبية .
- (٢٤١٦) الأَكْيَاس : جمع كَيْس - بالتشديد ، العاقل الخاذق .
- (٢٤١٧) الحَاسِيء : الذليل .
- (٢٤١٨) الحَسِير : الكال المعني .
- (٢٤١٩) لَمْ يَتَكَّأ دَهْ : لم يشق عليه .
- (٢٤٢٠) لَمْ يَتَوُدَّه : لم يشقله .
- (٢٤٢١) بَرَأه : مرادف لخلقته .
- (٢٤٢٢) النَّد - بكسر النون - : المثل .
- (٢٤٢٣) المَكَاثِرَة : المغالبة بالكثرة . يقال : كاتره فكثره أي غلبه .
- (٢٤٢٤) المُثَاوِر : الموائب المهاجم .
- (٢٤٢٥) الإِحْرَاج : التضييق .
- (٢٤٢٦) القَتَب - محرّكاً - : الإكاف .
- (٢٤٢٧) العَارِب : ما بين العنق والسنام .
- (٢٤٢٨) الأَزِمَة - كأئمة - جمع زِمَام . والمراد بظهورها ظهور المزمومات بها .
- (٢٤٢٩) « لا تصدِّعوا » : بتخفيف إحدى التائين : لا تفرقوا .
- (٢٤٣٠) قَوْر النار : ارتفاع لتهبها .
- (٢٤٣١) أميطوا عن سَنَنِهَا : أي تنحوا عن طريقها وميلوا عن وجهة سيرها .

- (٢٤٣٢) قصد السبيل : الطريق المستقيمة .
- (٢٤٣٣) البلاء : الإحسان . وأصله للخير والشر . ولكنه هنا بمعنى الخير .
- (٢٤٣٤) أعورتم له : أي أظهرتم له عوراتكم وعيوبكم .
- (٢٤٣٥) أخذته : أي أن يأخذكم بالعقاب
- (٢٤٣٦) أغفله : سها عنه وتركه .
- (٢٤٣٧) أوطن المكان : اتخذها وطناً .
- (٢٤٣٨) أوحشه : هجره ، حتى لا أنيس منه به .
- (٢٤٣٩) عواري - جمع عارية - : والكلام كناية عن كونه زعماً بغير فهم
- (٢٤٤٠) « على حدها الأول » : أي لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام ورضي الإسلام ديناً
- (٢٤٤١) استسر الأمر : كتمه .
- (٢٤٤٢) الإمة - بكسر الهمزة - : الحالة .
- (٢٤٤٣) أحلام : عقول .
- (٢٤٤٤) شغرت برجله : رفعها . ثم الحملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها .
- من قولهم : بلدة شاغرة برجلها أي معرضة للغارة لا تمتنع عنها .
- (٢٤٤٥) تطأ في خطامها : أي تتعثر فيه . كناية عن إرسالها وطيشها وعدم قائد لها .
- (٢٤٤٦) المتعقل : كمسجد - : الملجأ .
- (٢٤٤٧) ذروة كل شيء : أعلاه .
- (٢٤٤٨) مبادرة الموت : سبقه بالأعمال الصالحة .
- (٢٤٤٩) الغمرات : الشدائد .
- (٢٤٥٠) مهتد - كنع - : معناه هنا عميل .
- (٢٤٥١) الأرماس : القبور - جمع رمس - : وأصله اسم للتراب .
- (٢٤٥٢) الإنبلاس : حزن في خذلان ويأس .
- (٢٤٥٣) المطلق : بضم فتشديد مع فتح : المنزلة التي منها يشرف الإنسان على أمور الآخرة ، وهي منزلة البرزخ . وأصل المطلق : موضع الاطلاع من ارتفاع إلى انحدار .
- (٢٤٥٤) اختلاف الأضلاع : دخول بعضها في موضع الآخر من شدة الضغط .
- (٢٤٥٥) استكاثك الأسماع : صممها من التراب أو الأصوات الهائلة .
- (٢٤٥٦) الضريع : اللحد .
- (٢٤٥٧) الردم : السد . والصفيح : الحجر العريض . والمراد ما يسد به القبر .
- (٢٤٥٨) سنن : طريق معروف . والمراد : أن الدنيا تفعل بكم فعلها بمن سبقكم .
- (٢٤٥٩) القرن - محركاً - ما يقرب به البعيران .
- (٢٤٦٠) الأشرط : العلامات .
- (٢٤٦١) أرفقت : قربت .
- (٢٤٦٢) الأفرط : جمع فرط : يسكون الراء . وهو العلكم المستقيم يهتدى به أي بدلائلها .
- (٢٤٦٣) الكلاكيل : الصدور . كناية عن الأثقال .
- (٢٤٦٤) انصرفت : تقطعت .
- (٢٤٦٥) الرث : الباقي .

- (٢٤٦٦) الغَثُّ : المهزول .
- (٢٤٦٧) الكَتَبَ - محرَكًا - : أكل بلا شبع .
- (٢٤٦٨) اللَّجَبُ : الصباح أو الاضطراب
- (٢٤٦٩) التغيظ : الهيجان .
- (٢٤٧٠) الزَّفِيرُ : صوت توقد النار .
- (٢٤٧١) ذَكَتِ النَّارُ : اشتد لهبها .
- (٢٤٧٢) « عَمَّ قَرَارُهَا » : أي لا يهتدى فيه لظلمته . ولأنه عميق جداً .
- (٢٤٧٣) « التوحش » : عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون اليها .
- (٢٤٧٤) لزوم الأرض : كناية عن السكون . ينصحهم به عند عدم توفر أسباب المغالبة ، وبينهاهم عن التعجل بحمل السلاح .
- (٢٤٧٥) إصناتُ السيف : سلكه
- (٢٤٧٦) الفاشي : المنتشر الذائع .
- (٢٤٧٧) الجَدَّ - بالفتح - : العظمة .
- (٢٤٧٨) تَوَّامٌ : جمع تَوَّامٍ - كجعفر - وهو المولود مع غيره في بطن . وهو محاز عن الكثير أو المتواصل والآلاء : النعم .
- (٢٤٧٩) الحُكْمُ : هنا بمعنى « الحكمة » .
- (٢٤٨٠) ضَرَبَ فِي الْمَاءِ : سبح . وضرب في الأرض : سار بسرعة وأبعد . والغَمْرَةُ : الماء الكثير والشدة وما يغمر العقل من الجهل . والمراد هنا شدة الفتن وبلاياها .
- (٢٤٨١) الأَزِمَةُ : جمع زِمَامٍ . ما تقاد به الدابة .
- (٢٤٨٢) الحَيِّنُ : بفتح الحاء - : الهلاك .
- (٢٤٨٣) الرِّينُ - بفتح الراء - : التغطية والحجاب . وهو هنا حجاب الضلال .
- (٢٤٨٤) مُسْتَوْدَعُ التَّقْوَى : هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله .
- (٢٤٨٥) أَسَدَى : منح وأعطى وأرسل معروفه .
- (٢٤٨٦) الإِهْطَاعُ : الإسراع . أَمْطَعَ البعيرُ : مدَّ عنقه وصوب رأسه .
- (٢٤٨٧) « أَلِظْتُوا بِجَدِّكُمْ » : أي أَلِحُوا والإِلْطَاطُ : الإلحاح في الأمر والجِدَّ بكسر الجيم : الاجتهاد .
- (٢٤٨٨) رَحَضَ - كمنع - : غسل . والحِمَامُ - ككتاب - : الموت .
- (٢٤٨٩) تَصَوَّنُوا : تحفظوا .
- (٢٤٩٠) النَّزَاهُ - جمع نَزَاهٍ - : العفيف النفس .
- (٢٤٩١) الْوَلَاهُ - جمع وَآلِهِ - : الحزين على شيء حتى يناله ، أي المشتاق .
- (٢٤٩٢) شَامَ الْبَرْقَ : نظر إليه أين يمطر .
- (٢٤٩٣) الْبَارِقُ : السحاب .
- (٢٤٩٤) الْأَعْلَاقُ - جمع عُلُقٍ - : بكسر العين بمعنى النفس .
- (٢٤٩٥) خَابَ : خادع
- (٢٤٩٦) المحروبة : المنهوبة .
- (٢٤٩٧) المتصدية : المرأة تتعرض للرجال تميلهم إليها . ومن الدواب ما تمشي معرضة خائبة .
- (٢٤٩٨) العَسُونُ - بفتح فضم - : مبالغة من عن إذا ظهر . ومن الدواب المتقدمة في السير .

- (٢٤٩٩) الجاحمة : الصعبة على راكبيها .
والحرّون : التي إذا طلب بها السير
وقفت .
- (٢٥٠٠) المائنة : الكاذبة . والخبثون :
مبالغة في الخائنة .
- (٢٥٠١) الكنود . من كندت . كنصر :
كفر النعمة . وجحد الحق : أنكره
وهو به عالم .
- (٢٥٠٢) العنود : شديدة العناد . والصدود :
كثرة الصد والهجر .
- (٢٥٠٣) الحيوود : مبالغة في الحيد : بمعنى
الميل . والميود . من ماد . إذا
اضطرب .
- (٢٥٠٤) الحرب . بالتحريك . : سلب
أمال ، والعطب : الملاك
- (٢٥٠٥) « على ساق وسياق » : أي
قائمون على ساق استعداداً لما
ينتظرون من آجالهم . والسياق
مصدر ساق فلاناً إذا أصاب ساقه ،
أي لا يلبثون أن يضربوا على سوقهم
فينكبوا للموت على وجوههم .
- (٢٥٠٦) اللعاق للماضين . والفرّاق عن
الباقيين .
- (٢٥٠٧) تحير المذاهب : حيرة الناس فيها .
- (٢٥٠٨) « المهارب » جمع مهرب .
مكان الهروب ، والمراد بقوله
« أعجزت مهاربها » أنها ليست
كما يرونها مهارب بل هي مهالك .
فقد أعجزتهم عن الهروب .
- (٢٥٠٩) المحاول . جمع محالة . بمعنى
الحذق وجودة النظر ، أي لم
يُفدّهم ذلك خلاصاً .
- (٢٥١٠) معقور : مجروح .
- (٢٥١١) المتجزور : المسلوخ أخذ عنه
جلده .
- (٢٥١٢) الشلو . بالكسر . : هنا البدن كله .
- (٢٥١٣) المسفوح : المسفوك .
- (٢٥١٤) المرتفق بخديه ، واضع خديته
على مرفقيه ومرفقيه على ركبتيه
منصوبتين وهو جالس على أليتيه .
- (٢٥١٥) الزاري على رأيه : المُقبِّح له
اللائم لنفسه عليه .
- (٢٥١٦) الغيلة : الشر الذي أضمرته الدنيا
في خداعها .
- (٢٥١٧) « لات حين مناص » : أي ليس
الوقت وقت التملص والفرار .
- (٢٥١٨) البال : القلب والحاظر . والمراد
ذهبت الدنيا على ما تهواه لا على
ما يريد أهلها .
- (٢٥١٩) منظرين : مؤخّرين ، من أنظره
إذا أخّره وأمهله .
- (٢٥٢٠) القاصعة : من قصع فلان فلاناً :
أي حقّره ، لأنه عليه السلام حقّر
فيها حال المتكبرين .
- (٢٥٢١) العصبية : الاعتزاز بالعصبة وهي
قوم الرجل الذين يدافعون عنه ،
واستعمال قوتهم في الباطل والفساد
فهي هنا عصبية الجهل .

- (٢٥٢٢) الحِمَى : ما حَمَيْتَهُ عن وصول الغير اليه والتصرف فيه .
- (٢٥٢٣) اصطفاهما : اختارهما .
- (٢٥٢٤) الرِوَاء - بضم ففتح - : حُسْنُ المنظر
- (٢٥٢٥) العَرَف - بالفتح - : الرائحة .
- (٢٥٢٦) أَحْبَطَ عَمَلَهُ : أضاع عمله .
- (٢٥٢٧) المَوَادَّة - بالفتح - : اللين والرخصة .
- (٢٥٢٨) يُعَدِّبُكُمْ بِدَائِهِ : أي يصيبكم بشيء من دائه بالمخالطة كما يعدي الأجر ب السليم ، والضمير لإبليس .
- (٢٥٢٩) يَسْتَفْزِكُمْ : يستنهضكم لما يريد .
- (٢٥٣٠) أَجَلَبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ : أي رُكِبَانَهُ . وَرَجَلِهِ : أي مُشَاتِهِ ، والمراد أعوان السوء .
- (٢٥٣١) فَوَّقَ السَّهْمَ : جعل له فُرْقًا ، والفُوق موضع الوتر من السهم .
- (٢٥٣٢) أَغْرَقَ النَّازِعُ : إذا استوفى مدَّ قوسه .
- (٢٥٣٣) النَّزْعُ فِي القَوْسِ : مدَّها .
- (٢٥٣٤) الجَاهِجَةُ من « جَمَعَ الفرس » ، وأراد بها هنا الطائفة التي لم تطعه .
- (٢٥٣٥) الطَّامِعِيَّةُ : الطمع .
- (٢٥٣٦) « نَجَمَتِ مِنَ السَّرِّ إِلَى الخَفِيِّ » : أي بعد أن كانت وسوسة في الصدور ، وهمساً في القول ، ظهرت إلى المناهزة بالنداء ورفع الأيدي بالسلاح .
- (٢٥٣٧) دَلَّغَتِ الكَتِيبةُ فِي الحربِ : تقدمت .
- (٢٥٣٨) أَقْحَمُوكُمْ : أدخلوكم بغتة .
- (٢٥٣٩) الوَاجِعَاتُ - جمع وَاجِعَةٍ - : بالتحريك كهف يستر فيه المارة من مطر ونحوه .
- (٢٥٤٠) أَوْطَأَهُ : أركبه .
- (٢٥٤١) إِشْعَانُ الجِرَاحَةِ : المبالغة فيها ، أي أركبوكم الجراحات البالغة ، كناية عن إشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا .
- (٢٥٤٢) الخِزَامُ - جمع خِزَامَةٌ ككتابة - : وهي حَلْقَةٌ توضع في وتره أنف البعير فيشد فيها الزمام .
- (٢٥٤٣) أَوْزَى : أي أشدَّ قَدْحًا للنار .
- (٢٥٤٤) مُنَاصِبِينَ : مجاهرين لهم بالعداوة .
- (٢٥٤٥) مُتَّالِيِينَ : مجتمعين .
- (٢٥٤٦) جَدَّكُمْ : غضبكم وحدثكم .
- (٢٥٤٧) جَدَّكُمْ - بفتح الجيم - : أي قطعكم ، يريد قطع الوصلة بينكم وبينه .
- (٢٥٤٨) البَتَّانُ : الأصابع .
- (٢٥٤٩) حَتَمَةٌ الشَّيْءِ : معظمه وأشدَّ موضع فيه . وأكثر ما يستعمل في حومة القتال والبحر والرمل .
- (٢٥٥٠) النَّعْخُوةُ : التكبر والتعاضم .
- (٢٥٥١) النَّزْعَةُ : المرة من النَّزْعِ بمعنى الافساد .
- (٢٥٥٢) النَّفْثَةُ : النفخة .
- (٢٥٥٣) المَسْلَحَةُ : الثغر يدافع العدو عنده والقوم ذوو السلاح .
- (٢٥٥٤) أَمَعَنَّمُ : بالغمم
- (٢٥٥٥) المصارحة : التظاهر .

- (٢٥٥٦) المَلْفِاحُ - جمع مُلْفَحٍ كَكُورَمَ :
الفحول التي تلقح الإناث وتستولد الأولاد .
- (٢٥٥٧) الشَّنَانُ : البغض .
- (٢٥٥٨) أَعْنَقُوا : من أَعْنَقَتِ الثريا :
غابت . أي غابوا واختفوا .
- (٢٥٥٩) الحِنَادِيسُ - جمع حِنْدِيسٍ بكسر
الحاء - : الظلام الشديد .
- (٢٥٦٠) المَهَاوِي - جمع مَهْوَاةٌ - : الهوة
التي يتردى فيها الصيد .
- (٢٥٦١) الذُّلُّ - جمع ذُلٌّ - من الذُلِّ
- بالضم - ضد الصعوبة . والسياف
هنا السوق .
- (٢٥٦٢) سُلْسٌ - بضمين - جمع سَلِيسٍ :
ككتيف : وهو الشيء السهل .
- (٢٥٦٣) الهَجِينَةُ : الفعلة القبيحة المستهجنة .
- (٢٥٦٤) الأَلَاءُ : النعم .
- (٢٥٦٥) اعْتزَاءُ الجاهلية : تفاخرهم
بأنسابهم ، كل منهم يعتزى أي
ينتسب إلى أبيه وما فوقه من أجداده .
- (٢٥٦٦) الأَدْعِيَاءُ - جمع دَعِيٍّ - : وهو
من ينتسب إلى غير أبيه . والمراد
منهم الأخيساء المنتسبون إلى
الأشراف ، والأشرار المنتسبون إلى
الأخيار .
- (٢٥٦٧) « شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ » :
أي خلطوا صافي إخلاصكم بكدر
نفاقهم ، وبسلامة أخلاقكم مرض
أخلاقهم .
- (٢٥٦٨) آسَاسٌ بالمد - جمع آسَاسٌ - دِعامَةٌ
الشيء .
- (٢٥٦٩) الأَحْلَاسُ - جمع حِلْسٍ بالكسر :
كساء رقيق يكون على ظهر البعير
ملازماً له ، فقيل لكل ملازم لشيء :
هو حِلْسُهُ . والعقوق : العضيان .
- (٢٥٧٠) النَّبِيلُ - بالفتح - : السهام .
- (٢٥٧١) المَثَلَاتُ - بفتح فضم - : العقوبات .
- (٢٥٧٢) مَثَاوِي - جمع مَثْوَى - : بمعنى
المنزل . ومنازل الخلود : مواضعها
من الأرض بعد الموت .
- (٢٥٧٣) مَصَارِعُ الجُنُوبِ : مطارحها على
التراب .
- (٢٥٧٤) لَوَاقِحُ الكبر : محدثاته في النفوس .
- (٢٥٧٥) المَخْمَصَةُ : الجوع .
- (٢٥٧٦) المَجْهَدَةُ : المشقة .
- (٢٥٧٧) مَحْضُ اللبِنِ : تحريكه ليخرج زُبْدَهُ .
والمكاره تستخلص إيمان الصادقين
وتظهر مزايدهم العقلية والنفسية .
- (٢٥٧٨) الذَّهَبَانُ - بكسر الذال - : جمع
ذهب .
- (٢٥٧٩) العَقِيَّانُ : نوع من الذهب ينمو
في معدنه .
- (٢٥٨٠) سَقَطُ البلاء : أي الامتحان
الذي به يتميز الحبيث من الطيب .
- (٢٥٨١) خِصَاصَةٌ : فقر وحاجة .
- (٢٥٨٢) النِّتَائِقُ - جمع نَتِيقَةٌ - : البقاع
المرتفعة . ومكة مرتفعة بالنسبة
لما انحط عنها من البلدان .

- (٢٥٨٣) المَدَر : قطع الطين اليابس . وأقل الأرض مَدَرًا لا يَبْت إلا قليلاً .
- (٢٥٨٤) دَمَثَة : لَيِّنَة يصعب السير فيها . والأستنبات منها .
- (٢٥٨٥) وَشَلَة - كَفْرحة - : قليلة الماء .
- (٢٥٨٦) لا يُزَكُو : لا ينمو . والحُفّ عبارة عن الجمال . والحافر عبارة عن الخيل وما شاكلها . والظِلْف عبارة عن البقر والغنم ، تعبير عن الحيوان بما رُكِب عليه قوائمه .
- (٢٥٨٧) تَمَى عَطْفَه اليه : مال وتوجه اليه .
- (٢٥٨٨) مُنْتَجَعُ الأَسْفار : محل الفائدة منها .
- (٢٥٨٩) مُلْتَقَى : مصدر ميمي من ألقى أي نهاية حصر حالهم عن ظهور إبّلهم .
- (٢٥٩٠) تَهَيَّوِي : تسرع سيراً اليه . والمراد بالثمار هنا الأرواح .
- (٢٥٩١) المَفَاوِز - جمع مَفَازَة - : القلاة لا ماء بها .
- (٢٥٩٢) السَحِيقَة : البعيدة .
- (٢٥٩٣) المَهَاوِي - كالمهَوَات - : مُنْخَفَضَات الأراضى .
- (٢٥٩٤) الفِجَاج : الطرق الواسعة بين الجبال .
- (٢٥٩٥) مَنَّاكِبِهِم : رؤوس أكتافهم .
- (٢٥٩٦) الرَّمَل : ضرب من السير فوق المشي ودون الجري .
- (٢٥٩٧) الأَشْعَث : المنتشر . الشعر مع تلبّد فيه .
- (٢٥٩٨) الأَغْبَر : من علا جدّته الغُبَارُ .
- (٢٥٩٩) السَّرَابِيل : الثياب .
- (٢٦٠٠) إعْفَاءُ الشعور : تركها بلا حلق ولا قص .
- (٢٦٠١) القَرَار : المطمئن من الأرض .
- (٢٦٠٢) جَمّ الأشجار : كثيرها .
- (٢٦٠٣) البُنَى - جمع بُنْيَة بضم الباء وكسرهما - : ما ابنته . وملتفّ البُنَى : كثير العمران .
- (٢٦٠٤) البُرّة : الحِنْطَة ، والسمرء : أجودها .
- (٢٦٠٥) الأَرْيَاف : الأراضى الحِصْبَة .
- (٢٦٠٦) العِرَاص - جمع عَرَصَة - : الساحة ليس بها بناء .
- (٢٦٠٧) المُغْدَقَة : من « أَعْدَقَ المَطْرُ » كثر ماؤه .
- (٢٦٠٨) الإِسَاس - بكسر الهمزة جمع أَسّ - مثلثها ، أو أساس .
- (٢٦٠٩) مُعْتَلَج : مصدر ميمي من الاعتلاج : الالتطام . اعتلجت الأمواج : التطمت ، أي زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس .
- (٢٦١٠) فَتُحًا - بضمّتين - : أي مفتوحة واسعة .
- (٢٦١١) تُسَاوِرُ القلوب : تُؤَاثِبُهَا وتُفَاتِلُهَا .
- (٢٦١٢) أكَدَى الحافر : إذا عجزَ عن التأثير في الأرض .
- (٢٦١٣) أَشَوَّت الضربة : أخطأت المَقْتَل .
- (٢٦١٤) الطَمْر - بالكسر - : الثوب الخَلِيقُ أو الكساء البالي من غير الصوف .

- (٢٦١٥) الأَطْرَافُ : الأيدي والأرجل .
- (٢٦١٦) عِثَاقُ الوجوه : كرامها ، وهو جمع عَثِيق ، من « عَثَقَ » إذا رَقَّتْ بِشَرَّتِهِ .
- (٢٦١٧) المُتُونُ : الظهور .
- (٢٦١٨) القَمْعُ : القهر .
- (٢٦١٩) النَوَاجِمُ : من « نَجَمَ » إذا طَلَعَ وظهر .
- (٢٦٢٠) القَدْعُ : الكفّ والمنع .
- (٢٦٢١) تَلِيطٌ وَتَلُوطٌ : أي تَلَصَقَ .
- (٢٦٢٢) المُتَشَرِّفُ - على صيغة اسم المفعول : المُوسِّعُ له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات .
- (٢٦٢٣) « آثار مواقع النعم » : ما ينشأ عن النِّعَمِ - من التعلالي والتكبير .
- (٢٦٢٤) اليَعَاسِيبُ - جمع يَعْسُوبُ - : وهو أمير النحل ، ويستعمل مجازاً في رئيس القوم كما هنا .
- (٢٦٢٥) الأخلاق الرغيبية : المرضية المرغوبة .
- (٢٦٢٦) الأحلام : العقول .
- (٢٦٢٧) الجِوَارُ - بالكسر - المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم .
- (٢٦٢٨) الذمام : العهد .
- (٢٦٢٩) المَشَلَاتُ : العقوبات .
- (٢٦٣٠) تَفَاوُتٌ : اختلاف وتباين .
- (٢٦٣١) مُدَّتْ : انبسطت .
- (٢٦٣٢) الفَقْرَةُ - بالكسر والفتح - كالفقارة بالفتح - : ما انتظم من عَظْمِ الصُّدْبِ من الكاهل إلى عَجَبِ الذَّنْبِ .
- (٢٦٣٣) أَوْهَنَ : أي أضعف .
- (٢٦٣٤) المُنَّةُ - بضم الميم - : القوة .
- (٢٦٣٥) التمهحيص : الابتلاء والاختبار .
- (٢٦٣٦) المُرَّارُ - بضم ففتح - : شجر شديد المرارة تنقلص منه شفاه الإبل إذا أكلته . والمراد هنا عُصَارَتُهُ .
- (٢٦٣٧) الأملاء - جمع مَلَأَ - : بمعنى الجماعة والقوم . والأيدي المترادفة المتعاونة .
- (٢٦٣٨) أرباباً : سادات .
- (٢٦٣٩) غَضَارَةُ النعمة : سَعَتُهَا . وقصص الأخبار حكايتها وروايتها .
- (٢٦٤٠) الاعتدال : هنا التناسب .
- (٢٦٤١) الاشتباه : هنا التشابه .
- (٢٦٤٢) يَحْتَازُونَهُمْ : يقبضونهم عن الأراضي الخصبية .
- (٢٦٤٣) المَهَافِي : المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب .
- (٢٦٤٤) التكد - بالتحريك - : أي الشدة والعسر .
- (٢٦٤٥) الدبّر - بالتحريك - : القرحة في ظهر الدابة .
- (٢٦٤٦) الوَبْرُ : شعر الجمال . والمراد أنهم رعاة .
- (٢٦٤٧) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأووا إليه ويعتصموا بمناصرة دعوته .
- (٢٦٤٨) بلاء أزل : على الاضافة . والأزل - بالفتح - : الشدة .

- (٢٦٤٩) مَوَوُودَةٌ : من « وأد بنته »
- كوعد - : أي دفنها وهي حية .
- (٢٦٥٠) « شَنّ الغارة » : صبّها من كل وجه .
- (٢٦٥١) « التفتت الملة بهم » : يقال
التفت الحبل بالخطب إذا جمعه ،
فملة محمد (ص) جمعهم بعد
تفرقهم .
- (٢٦٥٢) العوائد : ما يعود على الناس من
الخيرات والنعم .
- (٢٦٥٣) فكهيين : راضين ، طيبة نفوسهم
- (٢٦٥٤) تربعت : أقامت .
- (٢٦٥٥) القنّاة : الرمح . وغمزها : جسّتها
باليد لينظر هل هي محتاجة للتقويم
والتعديل فيفعل بها ذلك
- (٢٦٥٦) الصفاة : الحجر الصلد . وقرعها :
صدّمها لتكسر .
- (٢٦٥٧) فلتّمّم : خرّقم .
- (٢٦٥٨) الموالاة : المحبة .
- (٢٦٥٩) التكتّ : نقض العهد .
- (٢٦٦٠) القاسطون : الجائرون عن الحق .
- (٢٦٦١) المارقة : الذين مرقوا من الدين
أي خرجوا منه .
- (٢٦٦٢) دَوّعهم : أضعفهم وأذلّم .
- (٢٦٦٣) الرذّمة - بالفتح - : النُقرة في
الجبل قد يجتمع فيها الماء . وشيطان
الرذّمة : ذو الشديّة ، من رؤساء
الحوارج وُجد مقتولاً في ردهة .
- (٢٦٦٤) الصعقة : الغشيّة تصيب الإنسان
من الهول .
- (٢٦٦٥) وَجَبَنَة القلب : اضطرابه وخفقانه .
- (٢٦٦٦) رَجّة الصدر : اهتزازه وارتعاده .
- (٢٦٦٧) لأدِيلَنّ منهم : لأعقنتهم ، ثم
أجعل الدولة لغيرهم .
- (٢٦٦٨) يَتَشَدَّر : يتفرّق .
- (٢٦٦٩) الكلاكُلُ : الصدور ، عبّر بها
عن الأكابر .
- (٢٦٧٠) النَوَاجِمُ من القرون : الظاهرة
الرفيعة ، يريد بها أشرف القبائل .
- (٢٦٧١) عَرَفَهُ - بالفتح - : رآه الذكيّة .
- (٢٦٧٢) الحَطَلَة : واحدة الحَطَل ،
كالفرحة واحدة الفرح . والحَطَل
الخطأ ينشأ عن عدم الروية .
- (٢٦٧٣) الفصّيل : ولد الناقة .
- (٢٦٧٤) عَلَمًا : أي فضلاً ظاهراً .
- (٢٦٧٥) حراء - بكسر الحاء - : جبل على
القرب من مكة .
- (٢٦٧٦) تَهَيُّون : ترجعون .
- (٢٦٧٧) القَلِيب - كأمير - : البئر . والمراد
منه قَلِيب بَدْر .
- (٢٦٧٨) القَصْف : الصوت الشديد .
- (٢٦٧٩) عَمَّار - جمع عامر - : أي
يَعْمُرُونه بالسهر للفكر والعبادة .
- (٢٦٨٠) يَغْلُون : يخونون .
- (٢٦٨١) « ملبسهم الاقتصاد » : يلبسون
الثياب بين بين لا هي بالشمينة جداً
ولا الرخيصة جداً .
- (٢٦٨٢) « غَضُّوا أبصارهم » : خفضوها
وغمضوها .

- (٢٦٨٣) « نَزَلَتْ أَنفُسُهُمْ مِنْهُمْ بِالْبَلَاءِ » : أي أنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله ، كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون ولا يتهنون ، وإذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله وحذر النعمة ، كأنهم في بلاء لا يبطرون ولا يتجبرون .
- (٢٦٨٤) أَرْبَحْتَ التَّجَارَةَ : أفادت ربحاً .
- (٢٦٨٥) التَّرْقِيلُ : التبيين والإيضاح .
- (٢٦٨٦) اسْتَارَ السَّاكِنَ : هيئجه . وقارىء القرآن يستثير به الفكر المالحى للجهل .
- (٢٦٨٧) زَفِيرُ النَّارِ : صوت توقدها .
- (٢٦٨٨) شَهِيْقُ النَّارِ : الشديد من زفيرها . كأنه تردد البكاء .
- (٢٦٨٩) « حَانُونٌ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ » : من « حَنَيْتَ الْعُودَ » : عطفتته ، يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم في الصلاة .
- (٢٦٩٠) مُفْتَرِشُونَ بِحَبَاهِمِمْ : باسطون لها على الأرض .
- (٢٦٩١) فَكَالِكَ الرَّقَابِ : خلاصها .
- (٢٦٩٢) الْقِدَاحُ - جمع قِدَاحٍ بالكسر - : وهو السهم قبل أن يُرَاشَ . وبرآه : نحتته ، أي رقت الحواف أجسامهم كما تُرَقِّقُ السهامُ بالنحت .
- (٢٦٩٣) خُوطِاطٌ فِي عَقْلِهِ : مازجةٌ خلكلٌ فيه ، والأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله .
- (٢٦٩٤) مُشْفِقُونَ : خائفون من التقصير .
- (٢٦٩٥) زُكِّيَ أَحَدُهُمْ : مدحه أحد الناس .
- (٢٦٩٦) قَصِدًا : أي اقتصاداً .
- (٢٦٩٧) التَّجَمُّلُ : التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر .
- (٢٦٩٨) التَّحَرُّجُ : عدّ الشيء حرجاً أي إثماً ، أي تباعداً عن طمع .
- (٢٦٩٩) اسْتَصْعَبَتِ : لم تطاوعه .
- (٢٧٠٠) مَنزُورًا : قليلاً .
- (٢٧٠١) حَرِيْرًا : خصيباً .
- (٢٧٠٢) الفُحْشُ : القبيح من القول .
- (٢٧٠٣) فِي الزَّلَازِلِ : الشدائد المرعبة .
- (٢٧٠٤) الوَقُورُ : الذي لا يضطرب .
- (٢٧٠٥) « لَا يَنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ » : لا يدعو باللقب الذي يكره ويشمتر منه .
- (٢٧٠٦) صَمِيْقٌ : غشي عليه .
- (٢٧٠٧) ذَادَ عَنْهُ : حَمَى عَنْهُ وَطَرَدَ .
- (٢٧٠٨) الفَمْرَةُ : الشدة . وأصلها ما ازدحم وكثر من الماء .
- (٢٧٠٩) الفَصَّةُ : الشجا في الخلق .
- (٢٧١٠) تَلَوْنَ : تَقَلَّبَ لَهُ الْأَدْنُونَ أَي أي الأقربون فلم يثبتوا معه .
- (٢٧١١) تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ : اجتمع عليه الأبعدون .
- (٢٧١٢) الأَعْيَنَةُ : جمع عَيْنَانِ ، وهو جبل اللجام .
- (٢٧١٣) أَسْحَقٌ : ألقى .
- (٢٧١٤) الزَّالْتُونَ : من زلّ أي أخطأ . والزَلْتُونَ : من « أزلته » إذا أوقعه في الخطأ .

- (٢٧١٥) يفتنون : يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهباً واحداً .
- (٢٧١٦) يعمدونكم : يقدحونكم
- (٢٧١٧) العماد : ما يُقام عليه البناء .
- (٢٧١٨) المرصاد : محل الارتقاب .
- (٢٧١٩) يرصدونكم : يقعدون لكم بكل طريق ويعدون المكائد لكم .
- (٢٧٢٠) دوية : مريضة ، من الدوى - بالقصر - وهو المرض .
- (٢٧٢١) الصيفاح - جمع صفة - : والمراد منها صيفاح وجوههم ، وقاوتها : صفاؤها من علامات العداوة وقلوبهم ملتهبة بنارها .
- (٢٧٢٢) « يمشون الخفاء » : يمشون مشي السر .
- (٢٧٢٣) يدبون : أي يمشون على هيئة ديب الضراء : أي كما يسري المرض في الجسم .
- (٢٧٢٤) اللباء العباء - بالفتح - : الذي أعيا الأطباء ولا يمكن منه الشفاء .
- (٢٧٢٥) حسدة : جمع حاسد ، أي يحسدون على السعة .
- (٢٧٢٦) الصريع : المطروح على الأرض .
- (٢٧٢٧) الشجو : الحزن ، أي يكون تصنعاً متى أرادوا .
- (٢٧٢٨) يتقارضون : كل واحد منهم يثني على الآخر لثني الآخر عليه ، كأن كلاً منهم يسلف الآخر ديناً ليؤديه إليه .
- (٢٧٢٩) ألغوا : بالغوا في السؤال وألغوا .
- (٢٧٣٠) عللوا : لاموا .
- (٢٧٣١) ينفقون : يروجون . وأصله الثلاثي « نَفَقَ يَنْفُقُ » من النفاق - بالفتح - : ضد الكساد .
- (٢٧٣٢) الأعلاق - جمع علق - : الشيء النفيس ، والمراد ما يزينونه من خدائهم .
- (٢٧٣٣) « يقولون فيشبهون » : أي ، يشبهون الحق بالباطل .
- (٢٧٣٤) يضلّون المضائق : يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون .
- (٢٧٣٥) اللمة - بضم ففتح - : الجماعة من الثلاثة إلى العشرة والمراد هنا مطلق الجماعة .
- (٢٧٣٦) الحمة بالتخفيف : الإبرة تلسع بها العقرب ونحوها .
- (٢٧٣٧) المقل - بضم ففتح - : جمع مقلة ، وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد .
- (٢٧٣٨) هماتهم النفوس : همومها في طلب العلم .
- (٢٧٣٩) طامسة : من طمس بفتحات ، أي انمحي واندرس .
- (٢٧٤٠) صدع : أي جهر ، وأصلها شق بناء الباطل بصدمة الحق .
- (٢٧٤١) القصد : الاعتدال في كل شيء .
- (٢٧٤٢) استنحوه : أسأله الفتح على أعدائكم .
- (٢٧٤٣) استنجعوه : أسأله النجاح في أعمالكم .

- (٢٧٤٤) استمنحوه : التمسوا منه العطاء .
- (٢٧٤٥) تَلَمَّ السيفَ : كسر جانبه : مجاز عن عدم انتقاص خزائنه بالعطاء .
- (٢٧٤٦) الحياء - ككتاب - : العطية لا مكافأة . واستنفده : جعله نافذ المال لا شيء عنده . واستقصاه : أتى على آخر ما عنده .
- (٢٧٤٧) لا يَلُويهِ : لا يُعيله .
- (٢٧٤٨) تُولِيهِهُ : تَذْهله .
- (٢٧٤٩) يُجِنِّه : يستره .
- (٢٧٥٠) دانَ : جازى وحاسب ولم يحاسبه أحد .
- (٢٧٥١) ذَرَأَ : خَلَقَ .
- (٢٧٥٢) الاحتيال : التفكير في العيل وطلب التمكن من إبرازه ولا يكون إلا من العجز .
- (٢٧٥٣) الكلال : الملل من التعب .
- (٢٧٥٤) الزمام : المقود .
- (٢٧٥٥) قَوَامَ - بالفتح - : أي عيش يحيا به الأبرار .
- (٢٧٥٦) الأكتنان - جمع كِنَ بالكسر - : ما يستكن به .
- (٢٧٥٧) الدَعْمَةُ : خَفْضُ العيش وَسَعْتُهُ .
- (٢٧٥٨) المعائل : الحصون .
- (٢٧٥٩) الحرز : الحفظ .
- (٢٧٦٠) الصُرُومَ - جمع صِرْمَةٍ بالكسر - : وهي قطعة من الإبل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين إلى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين .
- (٢٧٦١) العشار - جمع عَشْرَاءَ بضم ففتح كَنَفَسَاءَ - وهي الناقة ، مضى لحملها عشرة أشهر . وتعطيل جماعات الإبل : إهمالها من الرَّعْمِي . والمراد أن يوم القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه .
- (٢٧٦٢) الثَّمَمَ - جمع أَثْمَمَ - : أي رفيع .
- (٢٧٦٣) الشامخ : المتسامي في الارتفاع .
- (٢٧٦٤) الصَّمَمَ - جمع أَصَمَ - : وهو الصُّلْبُ المُصَمَّتُ ، أي الذي لا تجويف فيه .
- (٢٧٦٥) الراسخ : الثابت .
- (٢٧٦٦) الصلند : الصُّلْبُ الأملس .
- (٢٧٦٧) السراب : ما يخيله ضوء الشمس كالماء خصوصاً في الأراضي السبخة وليس بماء .
- (٢٧٦٨) الرقراق - كجعفر - : المضطرب .
- (٢٧٦٩) معهدا : المحل الذي كان يعهد وجودها فيه .
- (٢٧٧٠) القاع : ما اطمأن من الأرض .
- (٢٧٧١) السَّمَلَقُ - كجعفر - : الصَّقْصَفُ المستوي ، أي تُنَسَفُ تلك الجبال وبصير مكانها قاعاً صنفصفاً : أي مستوياً
- (٢٧٧٢) الشُّخُوصُ : الذهب والانتقال إلى بعيد .
- (٢٧٧٣) بائن : مبتعد منفصل .
- (٢٧٧٤) تمديد : تضطرب اضطراب السفينة
- (٢٧٧٥) تقصفها : تكسرها الرياح الشديدة .

- (٢٧٧٦) الوَبِيقُ - بكسر الباء - : الهالك ،
أي منهم من هلك عند تكسر
السفينة، ومنهم من بقيت فيه الحياة
فنجوا .
- (٢٧٧٧) تَحْفِيزُهُ : أي تدفعه .
- (٢٧٧٨) اللَّدْنُ - بالفتح - : اللين .
- (٢٧٧٩) المُنْقَلَبُ - بفتح اللام - : مكان
الانقلاب من الضلال إلى الهدى
في هذه الحياة .
- (٢٧٨٠) أَرَهَقَهُ الشَّيْءُ : أعجله فلم يتمكن
من فعله .
- (٢٧٨١) الفَوْتُ : ذهاب الفرصة بحلول
الأجل .
- (٢٧٨٢) المُسْتَحْفَظُونَ - بفتح الفاء - اسم
مفعول ، أي الذين أودعهم النبي
(ص) أمانة سره وطالبهم بحفظها .
- (٢٧٨٣) المَوَاسَاةُ بِالشَّيْءِ : الإشراف فيه ،
فقد أشرك النبي في نفسه .
- (٢٧٨٤) تَنَكُّصٌ : تراجع .
- (٢٧٨٥) النَّجْدَةُ - بالفتح - : الشجاعة .
- (٢٧٨٦) الأَفْنِيَّةُ - جمع فِنَاء بكسر الفاء - :
ما اتسع أمام الدار .
- (٢٧٨٧) الهَيْئَمَةُ : الصوت الخفي .
- (٢٧٨٨) البصيرة : ضياء العقل .
- (٢٧٨٩) المَزَلَّةُ : مكان الزلزل الموجب
للسقوط في الهلكة .
- (٢٧٩٠) النِّبْنَانُ - جمع نُون - : وهو
الحوت .
- (٢٧٩١) النَّجِيبُ : المختار المصطفى .
- (٢٧٩٢) مَرْمَى المَنْزَعِ : ما يدفع إليه
الخوف ، وهو الملجأ : أي وإليه
ملاجيء بحوفكم .
- (٢٧٩٣) الجُحَاشُ : ما يضطرب في القلب
عند الفزع ، أو التهيب ، أو توقع
المكروه .
- (٢٧٩٤) الشِّعَارُ : ما يلي البدن من الثياب .
- (٢٧٩٥) الدُّنَارُ : ما فوق الشعار .
- (٢٧٩٦) المَنْهَلُ : ما تَرِدُهُ الشَّارِبَةُ من
الماء للشرب .
- (٢٧٩٧) الدَّرَكُ - بالتحريك - : اللحاق .
- (٢٧٩٨) الطَّلِبَةُ - بفتح الطاء وكسر اللام - :
المطلوب .
- (٢٧٩٩) الجُنَّةُ - بالضم - : الوِاقِيَةُ .
- (٢٨٠٠) الأَوَارُ - بالضم - : حرارة النار ولهبها .
- (٢٨٠١) عَزَبَتْ - بالزاي - : غابت وبعدت .
- (٢٨٠٢) الإِنْصَابُ - بكسر الهمزة - : مصدر
بمعنى الإيتاب .
- (٢٨٠٣) تَحَدَّبَ عَلَيْهِ : عطف .
- (٢٨٠٤) نَضَبَ المَاءُ نُضُوباً : غار وذهب
في الأرض . ونضوب النعمة :
قلتها أو زوالها . وَوَبَلَّتِ السَّمَاءُ :
أمطرت مطراً شديداً .
- (٢٨٠٥) أَرَذَتْ - بتشديد الذال - إرذاذاً :
مطرت مطراً ضعيفاً في سكون
كأنه الغبار المتطاير .
- (٢٨٠٦) « أَصْفَاهُ خَيْرَةٌ خَلَقَهُ » :
آثر به أفضل الخلق عنده ، وهو
خاتم النبيين .

- (٢٨٠٧) مُحَادِيهِ - جمع مُحَادٍ - :
الشديد المخالفة .
- (٢٨٠٨) الركن : العز والمنعة .
- (٢٨٠٩) تَشِقُّ الحَوْضُ - كَفْرَحُ - : امتلاً .
وأثاقه : ملاءه .
- (٢٨١٠) المَوَاتِحُ - جمع ماتح - : نازع الماء
من الحوض .
- (٢٨١١) العَفَاءُ - كَسْحَابُ - : الدُّرُوسُ
والاضمحلال .
- (٢٨١٢) اِلْحَدَّ : القطع .
- (٢٨١٣) الضَّنْكَ : الضيق .
- (٢٨١٤) الوُعُوءَةُ : رخاوة في السهل تغوص
بها الأقدام عند السير فيعسر
المشي فيه .
- (٢٨١٥) الوَضْحُ - مَحْرَكَةٌ - : بياض الصبح .
- (٢٨١٦) العَصَلُ - بفتح الصاد - : الاعوجاج
يصعب تقويمه .
- (٢٨١٧) وَعَثَ الطريق : تعسر المشي فيه .
- (٢٨١٨) الفَجَّ : الطريق الواسع بين جبلين .
- (٢٨١٩) أساخ : أثبت . وأصل ساخ غاص
في لين وخاض فيه .
- (٢٨٢٠) الأَسْنَاخُ : الأصول . وغزرت :
كثرت .
- (٢٨٢١) شَبَّتِ النار : ارتفعت من الايقاد .
- (٢٨٢٢) المَنَارُ : ما ارتفع لتوضع عليه نار
يهتدي إليها .
- (٢٨٢٣) السُّفَّارُ - بضم فتشديد - : ذوو
السفر ، أي يهتدي إليه المسافرون
في طريق الحق .
- (٢٨٢٤) الأعلام : ما يوضع على أوليات
الطرق وأوساطها ليدل عليها .
- (٢٨٢٥) مُشْرِفُ المنار : مرتفعه .
- (٢٨٢٦) مُعْوِدُ المَنَارِ : من أعوَدَ - بالذال
كأعاد - بمعنى ألبأ . والمَنَارُ :
مصدر ميمي من ثار الغبار إذا هاج ،
أي لو طلب أحد إثارة هذا الدين
لألجأه إلى مشقة لقوته ومئاته .
- (٢٨٢٧) الاِطْلَاعُ : الاثبات ؛ اطلع فلان
علينا : أي أتانا .
- (٢٨٢٨) حُسُونَةُ المِيهَادِ : كثابة عن شدة
آلام الدنيا .
- (٢٨٢٩) أَرْفٌ - كَفْرَحُ - : أي قرب ،
والمراد من القيادة انقيادها للزوال .
- (٢٨٣٠) الأَشْرَاطُ - جمع شَرَطَ كسبب - :
أي علامات انقضاؤها .
- (٢٨٣١) التَصْرَمُ : التقطع .
- (٢٨٣٢) الانْقِصَامُ : الانقطاع . وإذا
انقصت الحَلَقَةُ انقطعت الرابطة .
- (٢٨٣٣) انتشار الأسباب : تبددها حتى لا
تُضَيَّبُ .
- (٢٨٣٤) عَفَاءُ الاعلام : اندراسها .
- (٢٨٣٥) حَبَّتِ النار : انطقات .
- (٢٨٣٦) المِنْهَاجُ : الطريق الواسع .
- (٢٨٣٧) النَهْجُ هنا السلوك . ويُضِلُّ رباعي :
أي لا يكون من سلوكه إضلال .
- (٢٨٣٨) بُحْبُوحَةُ المَكَانِ : وسطه .
- (٢٨٣٩) الرِيَاضُ - جمع روضة - : وهي
مستنقع الماء في رمل أو عشب .

- (٢٨٤٠) الغُدْران - جمع غُدَيْر - : وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .
- (٢٨٤١) الأثافي - جمع أثفِيبة - : الحجر يوضع عليه القدر ، أي عليه قام الاسلام .
- (٢٨٤٢) غِيْطان الحق - جمع غاط أو غوط وهو المطنن من الأرض .
- (٢٨٤٣) لا يُنْزِلُه : لا يفنى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون .
- (٢٨٤٤) لا يُنْضِبُها - كَيْكْرِمَها - : أي ينقصها . والماتحون - جمع ماتح - : نازع الماء من الحوض .
- (٢٨٤٥) المناهل : مواضع الشرب من النهر .
- (٢٨٤٦) لا يَغِيْضُها : « من غاض الماء نقصه .
- (٢٨٤٧) آكام - جمع أكمة - : وهو انوضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله . وهو دون الجبل في غلظ لا يبلغ أن يكون حجراً .
- (٢٨٤٨) يجوز عنها : يقطعها ويتجاوزها .
- (٢٨٤٩) المحتاج - جمع محتجة - : وهي الحادة من الطريق .
- (٢٨٥٠) الفلج - بالفتح - : الظفر والفوز .
- (٢٨٥١) الجُنْبة - بالضم - : ما به ينشئ الضرر .
- (٢٨٥٢) استلأم : أي لبس الأئمة وهي الدرع أو جميع أدوات الحرب ، أي ان من جعل القرآن لأمة حربه للدفاع الشبه كان القرآن وقاية له .
- (٢٨٥٣) قهى : حكم وفصل .
- (٢٨٥٤) حتّ الورق عن الشجرة : قشره .
- (٢٨٥٥) الربيق - بكسر الراء - : جبل فيه عدة عرى كل منها ريقفة .
- (٢٨٥٦) الحُمّة - بالفتح - : كل عين ينبع منها الماء الحار ويستشفى بها من العلل .
- (٢٨٥٧) الدرّان : الوسخ .
- (٢٨٥٨) نصيباً - بفتح فكسر - : أي تعبياً .
- (٢٨٥٩) متغبون الأجر : منقوصه .
- (٢٨٦٠) المدحوة : المبسوطة .
- (٢٨٦١) مقرفون : أي مكتسبون .
- (٢٨٦٢) الخببر - بضم الخاء - : العليم .
- (٢٨٦٣) العيان - بكسر العين - : المعاينة والمشاهدة .
- (٢٨٦٤) لا أُسْتَفْهَمُ - مبني للمجهول - : أي لا أُسْتَضْعَفُ بالقوة الشديدة . والمعنى : لا يستضعفني شديد القوة . والغمز - محركة - : الرجل الضعيف .
- (٢٨٦٥) السُخْط : الغضب ، ضد الرضى .
- (٢٨٦٦) غارت : صوتت كخوار الثور .
- (٢٨٦٧) السكة المَحْمَاة : حديدة المِحْرَاث إذا أَحْمِيَتْ في النار فهي أسرع غوراً في الأرض .
- (٢٨٦٨) الخواترة : السهلة اللينة .
- (٢٨٦٩) يريد « بالتأسي » : الاعتبار بالمثال المتقدم .
- (٢٨٧٠) الفادح : المُثْقِل .
- (٢٨٧١) التعزي : التصبر .
- (٢٨٧٢) مَلْحُوْدَة القبر : الجهة المشقوقة منه .

- (٢٨٧٣) وَمُسْتَهْدٌ : أي ينقضي بالسهاد وهو السهر .
- (٢٨٧٤) هَضَمَهَا : ظلمها .
- (٢٨٧٥) إِحْفَاءُ السُّؤَالِ : الاستقصاء فيه .
- (٢٨٧٦) الْقَالِي : المبغض .
- (٢٨٧٧) السَّمُّ : من السامة : وهي الضجر .
- (٢٨٧٨) مَجَازٌ : أي ممر إلى الآخرة .
- (٢٨٧٩) الْعُرْجَةُ : بالضم - اسم من التعرّيج - بمعنى حبس المطية على المنزل .
- (٢٨٨٠) الْكَوُودُ : الصعبة المرتقى .
- (٢٨٨١) مَلَا حِظَّ الْمَنِيَّةِ : منعت نظرهما .
- (٢٨٨٢) دَائِيَةٌ : قزبية .
- (٢٨٨٣) نَشِيتٌ : علفت بكلم .
- (٢٨٨٤) اسْتَظْهَرُوا : استعينوا .
- (٢٨٨٥) نَقَمْتُمَا : أي غضبتما .
- (٢٨٨٦) أَرْجَأْتُمَا : أي أخرتما مما يرضيكما كثيراً لم تنظرا إليه .
- (٢٨٨٧) الْإِرْبِيَّةُ - بكسر الهمزة - : الغرض والطلبة
- (٢٨٨٨) الْأَسْوَةُ : ما هنا التسوية بين المسلمين في قسمة الأموال . وكان ذلك قد أغضب القوم على ما روي .
- (٢٨٨٩) الْعُنْبِيُّ : الرجوع عن الإساءة .
- (٢٨٩٠) الْإِرْعَاءُ : التزوع عن الغي والرجوع عن وجه الخطأ .
- (٢٨٩١) لَهَيْجَ بِهِ : أولع به .
- (٢٨٩٢) اَمْلِكُوا عَنِّي : أي خذوه بالشدة وأمسكوا به . والهمزة وصلية .
- فالمادة من الملك .
- (٢٨٩٣) يَهْدِي : يهدمني .
- (٢٨٩٤) نَفَسَ بِهِ - كَفَرَحَ - : أي ضن به .
- (٢٨٩٥) نَهَكَتَهُ الْحَمَى : أضعفته وأضنته .
- (٢٨٩٦) أَطْلَعَ الْحَقَّ مَطْلَعَهُ : أظهره حيث يجب أن يظهر .
- (٢٨٩٧) عُدِّي - تصغير عدو .
- (٢٨٩٨) يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ : أي يقيسوا أنفسهم .
- (٢٨٩٩) يَتَّبِعُ : يهيج به الألم فيهلكه .
- (٢٩٠٠) يَتَأَنَّمُ : يخاف الإثم .
- (٢٩٠١) يَتَحَرَّجُ : يخشى الوقوع في الحرج وهو الحرم .
- (٢٩٠٢) لَقِيفٌ : تناول وأخذ عنه .
- (٢٩٠٣) وَهَمٌ : غلط وأخطأ .
- (٢٩٠٤) لَمْ يَهَيْمَ : لم يخطيء ولم يظن خلاف الواقع .
- (٢٩٠٥) جَنَّبَ عَنْهُ : أي تجنب .
- (٢٩٠٦) الْمُتَشَابَهُ مِنَ الْكَلَامِ : هو ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم . ومُحْكَمُ الْكَلَامِ : صريحه الذي لم يُنْسَخْ .
- (٢٩٠٧) زَخَرَ الْبَحْرَ - كَمَعَ - : زُخُوراً ، وَتَزَخَرَ : طمى وامتلاً .
- (٢٩٠٨) الْمُتَقَاصِفُ : المتراحم كأن أمواجه في تراحمها يقصف بعضها بعضاً أي يكسر .
- (٢٩٠٩) الْيَبَسُ - بالتحريك - : اليابس .
- (٢٩١٠) فَطَرَ : خلق .
- (٢٩١١) الْأَطْبَاقُ : طبقات مختلفة في تركيبها

- ظاهرة الامتياز ولا شامخة الارتفاع
عن السهول ، حتى إذا ارتجت
الأرض بما أحدثت يد القدرة
الالهية في بطونها نهدت الجبال عن
السهول فانفصلت كل الأنفصال .
- (٢٩٢٦) أساخ قواعدها : أي جعلها غائصة .
(٢٩٢٧) مواضع الأنصاب - جمع نَصْب - :
وهو ما جعل علماً يُشهد فيُقصد .
(٢٩٢٨) قُلَّة الجبل : أعلاه . وأشهبها :
جعلها شاهقة : أي بعيدة الارتفاع .
(٢٩٢٩) أطال أنشازها : أي متونها المرتفعة
في جوانب الأرض .
(٢٩٣٠) أرزها - بالتشديد - ثبتها .
(٢٩٣١) تميد - أي تضطرب وتزلزل .
(٢٩٣٢) تسيخ - كَسُوخ - : أي تفوص
في الهواء فتتخسف .
(٢٩٣٣) لا يجري : المراد هنا أنه لا يسيل
في الهواء .
(٢٩٣٤) تُكْرِكِرُهُ : تذهب به وتعود .
(٢٩٣٥) الذَوَارِف : جمع ذَارِفَة . من
ذرف الدمع إذا سال .
(٢٩٣٦) شَبَه - بالتحريك - : أي مشابهة .
(٢٩٣٧) رَهْقَه - كفرح - : غَشِيَه .
(٢٩٣٨) الرَتَق : سد الفتق .
(٢٩٣٩) المفاثق : مواضع الفتق وهي ما
كان بين الناس من فساد وفي
مصالحهم من اختلال .
(٢٩٤٠) سَاوَرَ به المُهَالِب : أي واثب بالنبي
(ص) كل من يغالب الحق .
- (٢٩١٢) كانت الأطباق رتقاً يتصل بعضها
ببعض . ففتقها سبغاً وهي السموات
وقف كل منها حيث مكنه الله على
حسب ما أودع فيه من السر
الحافظ له .
- (٢٩١٣) استمسكت بأمره : أي بأمر الله
التكويني .
- (٢٩١٤) قامت على حدة : أي حد الأمر
الإلهي .
- (٢٩١٥) المراد من الأخضر ، الحامل للأرض
وهو البحر .
- (٢٩١٦) المشعشعير - بكسر الجيم - : معظم
لبحر وأكثر مواضعه ماء .
- (٢٩١٧) القمقام - بفتح القاف وتضم - :
البحر أيضاً .
- (٢٩١٨) جبَل : خلق .
- (٢٩١٩) الجلاميد : الصخور الصلبة .
- (٢٩٢٠) النُشُوز - جمع نُشِرْ بسكون
الشين وفتحها وفتح النون - : ما
ارتفع من الأرض .
- (٢٩٢١) المتون - جمع متن - : ما صلب
منها وارتفع .
- (٢٩٢٢) الأطواد : عطف على المتون وهي
عظام الناتئات .
- (٢٩٢٣) مراسيها : ما « رست » أي رسخت فيه .
- (٢٩٢٤) قرارمها : ما استقرت فيه .
- (٢٩٢٥) قوله « أنهت جبالها » الخ . كأن
النشوز والمتون والأطواد كانت
في بداية أمرها على ضخامتها غير

- (٢٩٤١) الحزونة : غلظ في الأرض .
- (٢٩٤٢) نَسَخَ الخلق : نقلهم بالتناسل عن أصولهم . فجعلهم بعد الوحدة في الأصول فِرَقاً .
- (٢٩٤٣) العاهر : من يأتي غير حيله كالفاجر .
- (٢٩٤٤) ضرب في الشيء : صار له نصيب منه .
- (٢٩٤٥) العِصَم - بكسر ففتح - : جمع عِصْمَة وهي ما يعتصم به . وعِصَم الطاعات : الإخلاص لله وحده .
- (٢٩٤٦) الكفاء - بالكسر - : الكافي أو الكفاية .
- (٢٩٤٧) المستحفظين : بصيغة اسم المفعول : الذين أودعوا العلم ليحفظوه .
- (٢٩٤٨) الولاية : الموالة والمصافاة .
- (٢٩٤٩) الرؤية فعيلة - بمعنى فاعلة - : أي يروي شراها من ظمأ التباعد والنفرة .
- (٢٩٥٠) رية - بكسر الراء وتشديد الياء - الواحدة من الري : زوال العطش .
- (٢٩٥١) الريبة : الشك في العقائد .
- (٢٩٥٢) عقد خلقهم : أي وصل خلقهم الجسماني وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات . وأحكم صلتهما بها حتى كأنهما معقودان بها .
- (٢٩٥٣) « كنفاض البذر يُنتقى » : أي كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كنفاض البذر . فان البذر يعنى بتنقيته ليخلص النبات من الزوان .
- ويكون النوع صافياً لا يخالطه غيره ، وبعد التنقية يؤخذ منه ويلقى في الأرض ، فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها .
- (٢٩٥٤) التهذيب هنا : التنقية .
- (٢٩٥٥) التمحيص : الاختبار .
- (٢٩٥٦) الكرامة : هنا النصيحة أي اقبلوا نصيحة لا ابتغي عليها أجراً إلا قبولها .
- (٢٩٥٧) القارعة : داعية الموت أو القيامة تأتي بغتة .
- (٢٩٥٨) المتحوّل - بفتح الواو مشددة - : ما يتحوّل إليه .
- (٢٩٥٩) معارف المنقول : المواضع التي يعرف الانتقال إليها .
- (٢٩٦٠) الحوبة - بفتح الحاء - : الإثم ، وإماتها : تنحيتها .
- (٢٩٦١) الدابر : بقية الرجل من ولده ونسله . وأصل الدابر : الظهر ، وكفى بقطعه عن الدواعي التي من شأنها قطع القوة وإبادة النسل .
- (٢٩٦٢) الالتباس : الاختلاط .
- (٢٩٦٣) التابع : ركوب الأمر على خلاف الناس . أزد به هنا الإسراع إلى الشر والنجاسة .
- (٢٩٦٤) تتكافأ : تتساوى .
- (٢٩٦٥) أذلال الطريق : جمع ذل - بكسر الذال - : مجراه ووسطه . و « جرت أمور الله أذلالها ، وعلى أذلالها » أي وجوهها .

- (٢٩٦٦) السُنَن : جمع سُنَّة .
 (٢٩٦٧) أجحف بالرعيَّة : ظلمهم .
 (٢٩٦٨) الإدغال في الأمر : إدخال ما يفسده فيه .
 (٢٩٦٩) مَحَاجُّ السُّنَن : جمع مَحَاجَّة ، وهي جادة الطريق وأوسطها .
 (٢٩٧٠) لا يستوحش لعظيم : أي لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب ، لتعودها على تعطيل الحقوق .
 (٢٩٧١) « بِفَوْقِ أَنْ يُعَانِ ... الخ » : أي : بأعلى من أن يحتاج إلى الإعانة ، أي : بغنى عن المساعدة .
 (٢٩٧٢) اقْتَحَمْتَهُ : احتقرته وازدرته .
 (٢٩٧٣) أصل « السخف » رقة العقل وغيره ، أي ضعفه .
 (٢٩٧٤) البلاء : هنا إجهاد النفس في إحسان العمل .
 (٢٩٧٥) التَّقِيَّة : الخوف ، والمراد لازمه ، وهو العقاب .
 (٢٩٧٦) البادرة : الغضب .
 (٢٩٧٧) المُهَيَّأَةُ : المُدَّارَةُ .
 (٢٩٧٨) أَمَلْتُكَ بِهِ مَنِي : أي أشد ملكاً مني .
 (٢٩٧٩) أَسْتَعْدِيكَ : أَسْتَعِينُكَ لِتَنْتَقِمَ لِي .
 (٢٩٨٠) « إِكْفَاءُ الْإِنَاءِ » : قلبه ، مجاز عن تضييع الحق .
 (٢٩٨١) الرَّاهِدُ : المُعِينُ .
 (٢٩٨٢) الذَّابُّ : المدافع .
 (٢٩٨٣) ضننت : أي بخلت .
 (٢٩٨٤) القلدي : ما يقع في العين ، وأغضيت
- على القلدي : غضضت الطرف عنه .
 (٢٩٨٥) الشجا : ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه ، يريد به غصة الحزن .
 (٢٩٨٦) الشِّفَار : جمع شَنْرَة : حد السيف ونحوه . ووَحَزَ الشِّفَار : طعنها الخفيف .
 (٢٩٨٧) العَضُّ عَلَى السِّوْفِ : كناية عن الصبر في الحرب وترك الاستسلام .
 (٢٩٨٨) الوِثْرُ : الثَّارُ .
 (٢٩٨٩) أَلْعَوْا : أي رفعوا أعناقهم ومدّوها لتناول أمر ، وهو مناوأة أمير المؤمنين على الخلافة .
 (٢٩٩٠) وَقِصَّوْا : أي كُسِرَتْ أعناقهم ، دون الوصول إليه .
 (٢٩٩١) إحياء العقل : بالعلم والفكر والنفوذ في الأسرار الإلهية .
 (٢٩٩٢) إماتة النفس : بكفها عن شهواتها .
 (٢٩٩٣) الجليل : العظيم . ودق : أي صخر حتى خفي أو كاد . والمراد نحول بدنه الكثيف .
 (٢٩٩٤) لَطْفَ غَلِيظِهِ : تلطفت أخلاقه وصفت نفسه .
 (٢٩٩٥) تَدَافَعَتُهُ الْأَبْوَابُ : أي ما زال ينتقل من مقام إلى آخر من مقامات الكمال .
 (٢٩٩٦) ألهاه عن الشيء : صرفه عنه باللهو أي صرفكم عن الله اللهو والتكاثر بمكاثرة بعضكم لبعض وتعديد كل منكم مزابا أسلافه .

- (٢٩٩٧) المَرَامُ : الطلب بمعنى المطلوب .
- (٢٩٩٨) الزُّورُ - بالفتح - : الزائرون .
- (٢٩٩٩) ما أغفلهُ : أي ما أشدَّ غفلته !
- (٣٠٠٠) اسْتَخْلَوْهُمُ : وجدوهم خالين .
- (٣٠٠١) المُدَكَّرُ : مصدر ميمي مسن الإدكار بمعنى الاعتبار .
- (٣٠٠٢) تَنَاوَشُوهُمْ : تناولوهم .
- (٣٠٠٣) نَحَوَتْ : سقط بناؤها ونحلت من أرواحها .
- (٣٠٠٤) أَحَجَّيَ : أقرب للحجى أي العقل .
- (٣٠٠٥) العَشْوَةُ : ضعف البصر .
- (٣٠٠٦) الخَاوِيَةُ : المنهدمة .
- (٣٠٠٧) الرُّبُوعُ : المساكن .
- (٣٠٠٨) الضَّلَالُ - كعُشَّاقٍ - جمع ضال .
- (٣٠٠٩) هَامٌ - جمع هامة - : أعلى الرأس .
- (٣٠١٠) تَسْتَنْبِتُونَ أَي : تزرعون النبات في أجسادهم .
- (٣٠١١) لَرَعُونَ : تأكلون وتتلذذون بما لفظوه ، أي طرحوه وتركوه .
- (٣٠١٢) بَوَاكٍ - جمع باكية .
- (٣٠١٣) نَوَالِحٌ - جمع نائحة .
- (٣٠١٤) سَلَفُ الْغَايَةِ : السابق إليها ، وغايتهم حد ما ينتهون إليه ، وهو الموت .
- (٣٠١٥) الفُرَّاطُ - جمع فارط ، وهو كالفرط بالتحريك - : متقدم القوم إلى الماء ليهيئ لهم موضع الشرب .
- (٣٠١٦) المَشَاهِيلُ : مواضع ما تشرب الشاربة من النهر مثلاً .
- (٣٠١٧) مَقَامُومٌ : جمع مقام .
- (٣٠١٨) الحَلِيَّاتُ - جمع حلبة بالفتح - : وهي الدفعة من الخيل في الرهان .
- (٣٠١٩) السُّوقُ - بضم ففتح - جمع سُوقَةٌ بالضم - : بمعنى الرعية .
- (٣٠٢٠) البرزخ : القبر .
- (٣٠٢١) الفَجَّاتُ : جمع فجوة ، وهي الفرجة ، والمراد منها هنا شق القبر .
- (٣٠٢٢) يَنْمُونُ : من النماء ، وهو الزيادة في الغذاء .
- (٣٠٢٣) الضِّمَارُ : ككتاب : المال لا يرجى رجوعه .
- (٣٠٢٤) لَا يَحْفَلُونَ - بكسر الفاء : لا يبالون .
- (٣٠٢٥) الرُّوَاجِفُ - جمع راجفة - : الزلزلة توجب الاضطراب .
- (٣٠٢٦) يَأَذِّنُونَ : يستمعون . والمصدر منه الأذُن بالتحريك .
- (٣٠٢٧) التَّقَوِّصُ : من « قصف الرعد » اشتدت هدهداته .
- (٣٠٢٨) آلِفًا - جمع أليف - : أي مؤتلف مع غيره .
- (٣٠٢٩) صَمٌّ يَصَمُّ - بالفتح فيهما - : خرس عن الكلام . وخرس الديار : ألا يصعد الصوت من سكانها .
- (٣٠٣٠) ارنجال الصفة : وصف الحال بلا تأمل .
- (٣٠٣١) صرعى : جمع صريع : أي هالك .

- (٣٠٣٢) السُّبَات - بالضم - : أي النوم .
- (٣٠٣٣) بَلَسِيَّتًا : رثت وفنيت .
- (٣٠٣٤) العُرَا - جمع عُرُوَّة - : وهي مقْبِضُ الدلو والكوز مثلاً .
- (٣٠٣٥) الجديدان : الليل والنهار .
- (٣٠٣٦) يريد بالفايتين هنا : الجنة والنار .
- (٣٠٣٧) المَبَاة : مكان النبوء والاستقرار ، والمراد منها ما يرجعون إليه في الآخرة .
- (٣٠٣٨) عَيَّوَا : عجزوا .
- (٣٠٣٩) العَبْر : جمع عِبْرَة ، وهي ما يعتبر به ، ويتخذ موعظة .
- (٣٠٤٠) كَلَّح : كنع - كلُّوجاً - : تكثرت في عبوس .
- (٣٠٤١) النواضر : الحسنة البواسم .
- (٣٠٤٢) خَوَّت : تهدمت بنيتها .
- (٣٠٤٣) الأهدام - جمع هِدْم بكسر الهاء - : الثوب البالي أو المرقع .
- (٣٠٤٤) تَكَاءَدَهُ الأَمْرُ : أي شقَّ عليه .
- (٣٠٤٥) تَهَكَّمَت : المراد هنا تهدمت .
- (٣٠٤٦) الرُّبُوع : أماكن الإقامة .
- (٣٠٤٧) الصُّمُوت : جمع صامت ، والمراد بها القبور .
- (٣٠٤٨) ارتسخ : مبالغة في رسخ ، ورسخ الغدير : نشأ ماؤه ، أي أخذ في التقصان ونصب .
- (٣٠٤٩) أهوام : الديدان .
- (٣٠٥٠) استككت الأذن : صمت .
- (٣٠٥١) خصفت عين فلان : فقئت
- (٣٠٥٢) ذلاقة الألسن : حدتها في النطق .
- (٣٠٥٣) عاث : أفسد .
- (٣٠٥٤) البيلي : التحلل والفناء .
- (٣٠٥٥) سمَّج الصورة تسميجاً : قبَّحها .
- (٣٠٥٦) أشجان القلوب : همومها .
- (٣٠٥٧) أقذاء العيون : ما يسقط فيها فيولمها .
- (٣٠٥٨) الغمَّرة : الشدة .
- (٣٠٥٩) الأنيق : رائق الحسن .
- (٣٠٦٠) الغدِّي : اسم بمعنى المفعول أي مغمَّدى بالنعيم .
- (٣٠٦١) الريبب : بمعنى المرابي ، ربه يربه أي رباه .
- (٣٠٦٢) يتعلل : يتشاغل .
- (٣٠٦٣) السلوة : انصراف النفس عن الألم بتخييل اللذة .
- (٣٠٦٤) ضناً : أي بخلاً .
- (٣٠٦٥) غمَّضارة العيش : طيبه .
- (٣٠٦٦) شحاحة : بخلاً وضناً .
- (٣٠٦٧) عيش غفول : وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هنيئاً بوجبه .
- (٣٠٦٨) الحسك : نبات تعلق قشرته بصوف الغم ، ورقه كورق الرجل أو أدق ، وعند ورقه شوك ملرز صلب ذو ثلاث شعَب ، وهو تمثيل لمس الآلام .
- (٣٠٦٩) الحُتُوف : المهلكات . وأصل الحُتْف : الموت .
- (٣٠٧٠) كَثَّبَ - بالتحريك - : أي قَرَّبَ

- (٣٠٧١) مخالطه الحزن : مازج خواطره .
- (٣٠٧٢) البَثَّ : الحزن .
- (٣٠٧٣) السَّجِييَّ : المناجي .
- (٣٠٧٤) الفَتَرَات : جمع فَتْرَة . وهي المدة من الزمن . ويريد بفترات العلل أوائل السقم والمرض وانحطاط القوة .
- (٣٠٧٥) القَارَّ - بتشديد الراء ، على وزن اسم الفاعل - : هنا البارد .
- (٣٠٧٦) اعتدل بممازج : أي طلب تعديل مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع .
- (٣٠٧٧) مُعْتَل المريض : من يسليه عن مرضه بترجية الشفاء .
- (٣٠٨٨) تَعَايَا أَهْلَهُ : اشتركوا في العجز عن وصف دائه .
- (٣٠٧٩) هُوَ لِمَا بِهِ : أي هو مملوك لعلته فهو هالك .
- (٣٠٨٠) الْمُمْتَنِّي : مخيل الأمنية .
- (٣٠٨١) الإِيَاب : الرجوع .
- (٣٠٨٢) أَسَى : جمع أسوة .
- (٣٠٨٣) نَوَافِدُ الْفِطْنَةِ : ما كان من أفكار نافذة أي مصيبة للحقيقة .
- (٣٠٨٤) عَمِيَّ : عجز لضعف القوة المحركة للسانه .
- (٣٠٨٥) الْعُمَرَات : الشدائد . ويريد بها هنا سكرات الموت .
- (٣٠٨٦) تَعْتَدِلُ عَلَى عَقُولِهِمْ : أي تستقيم عليها بالقبول والإدراك .
- (٣٠٨٧) الذِّكْرُ : استحضار الصفات الإلهية .
- (٢٠٨٨) جِيَاءٌ : - بالكسر - من جِئَ السيف يَجْلُوهُ إذا صقله وأزال منه صدأه .
- (٣٠٨٩) الْوَقْرَةَ : ثِقَلٌ فِي السَّمْعِ .
- (٣٠٩٠) الْعَشْوَةَ : ضَعْفُ الْبَصَرِ .
- (٣٠٩١) الْفَتْرَةَ بَيْنَ الْعَمَلَيْنِ : زَمَانٌ بَيْنَهُمَا يَخْلُو مِنْهُمَا، وَالْمُرَادُ : أَزْمَنَةُ الْخُلُوعِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مُطْلَقًا .
- (٣٠٩٢) نَاجَاهُمْ : أَي خَاطَبَهُمْ بِالْإِلْهَامِ .
- (٣٠٩٣) اسْتَصْبَحَ : أَضَاءَ مُصْبِحًا .
- (٣٠٩٤) الْأَدْلَةُ : الَّذِينَ يَدُلُّونَ الْمَسَافِرِينَ عَلَى الطَّرِيقِ .
- (٣٠٩٥) الْفَلَتَاتُ : الْمَفَازَاتُ وَالْقِفَارُ
- (٣٠٩٦) أَخَذَ الْقَهْدَ : رَكِبَ الْإِعْتِدَالَ فِي سُلُوكِهِ .
- (٣٠٩٧) هَتَفَ بِهِ - كضرب - : صاح ودعا . وهتفت الحمامة : صاتت .
- (٣٠٩٨) الْقِسْطُ : الْعَدْلُ .
- (٣٠٩٩) يَأْتَمِرُونَ بِهِ : يَمْتَثِلُونَ الْأَمْرَ .
- (٣١٠٠) الْعِدَاتُ - جَمْعُ عِدَّةٍ بِكسْرٍ فَفَتْحٌ مَخْفَفٌ - : الْوَعُودُ .
- (٣١٠١) مَقَاوِمٌ - جَمْعُ مَقَامٍ - : مَقَامَاتُهُمْ فِي خُطَابِ الْوَعظِ .
- (٣١٠٢) الدَّوَاوِينُ - جَمْعُ دِيْوَانٍ - : وَهُوَ مَجْتَمَعُ الصَّحَفِ . وَالدَّفْرُ : مَا يَكْتُبُ فِيهِ أَسْمَاءُ الْجَيْشِ وَأَهْلِ الْأَعْطِيَاتِ .
- (٣١٠٣) الْأَوْزَارُ جَمْعُ وِزْرٍ : الْحِمْلُ وَيُرَادُ بِهَا هُنَا الذُّنُوبُ .

- (٣١١٤) نَشَجَ البَاكِي : يَنْشِج - كضرب
يضرب - نشيجاً : غصّ بالبكاء
في حلقه .
- (٣١٠٥) التَّحِيْب : أشد البكاء . وتجاوبوا
به : أجاب بعضهم بعضاً يتناحبون .
- (٣١٠٦) عَجَّ : يَعْجج - كضرب ومل - :
صاح ورفع صوته : فهم يصيحون
في مواقف الندم والاعتراف بالخطأ .
- (٣١٠٧) تَنَسَّمَ النِّسِيمَ : تشتممه . والرواح
- بالفتح - : النسيم ، أي يتوقعون
التجاوز بدعائهم له
- (٣١٠٨) الأَسَى : الحزن .
- (٣١٠٩) المَنَادِح - جمع مندوحة - : وهي
كالندوحة - بالضم والفتح - والمنشوح :
- بفتح الدال - المتسع من الأرض .
- (٣١١٠) دَحَّضَتِ الحِجَّةُ : - كنعج - :
بَطَلَّتْ .
- (٣١١١) أْبْرَحَ جهالة بنفسه أي أعجبه نفسه
بجهالتها .
- (٣١١٢) بَلَّ مَرَضُهُ : يبيل - كقل بقل - :
بُلُولاً : حسنت حاله بعد هزال .
- (٣١١٣) ضَحَا فَحَوًّا : برز في الشمس .
- (٣١١٤) يُمِضُ جَسَدَهُ : يبالح في نهكه .
- (٣١١٥) بَيَّاتَ نِقْمَةً : أي أن تبيت بنقمة
من الله ورزية تذهب بنعيمك وقد
وقعت بمعاصيه .
- (٣١١٦) الكَرَى : - بالفتح والقصر - : النوم .
- (٣١١٧) تَمَثَّلَ : تصور .
- (٣١١٨) تَوَلَّيْتُكَ : إعراضك .
- (٣١١٩) يتغمذك : أي يغمرك ويسترك .
- (٣١٢٠) طَرَفَ عَيْنَهُ - كضرب - : أطبق
جفنتيها ، والمراد من المَطْرَفِ
اللحظة يتحرك فيها الجفن .
- (٣١٢١) كَاشَفَتَكَ العِظَاتِ : بالنصب
على نزع الخافض : أظهرت لك
العظام أي المواظ .
- (٣١٢٢) آذَنَتَكَ : أعلمتك على عدل .
- (٣١٢٣) « رب ناصح لها عندك مُتَّهَمٌ » :
رب حادث من حوادثها يلقي إليك
النصيحة بالعبرة فتتهمه وهو مخلص .
- (٣١٢٤) تَعَرَّفَتَهَا : طلبت معرفتها وعاقبة
الركون إليها .
- (٣١٢٥) الشَّحِيحُ بَلَكَ : البخيل بك على
الشقاء والمهلكة .
- (٣١٢٦) وَطَنَهُ - بالتشديد - : اتخذه وطناً .
- (٣١٢٧) الرَّاجِفَةُ : النفخة الأولى حين تهب
ريح الفناء فتسفف الأرض نسفاً .
- (٣١٢٨) حَقَّتِ القِيَامَةُ : وقعت وثبتت
بعظائنها .
- (٣١٢٩) المُنْتَسِكُ - بفتح الميم والسين - :
العبادة أو مكانها .
- (٣١٣٠) لَمْ يُجْزَ - من الجزاء - : مبني للمجهول
ونائب فاعله « خَرَّقَ بَصْرًا » و« هَمَسَ »
قدم ، أي لا تجازي لمحة البصر
تنفذ في الهواء ولا همسة القدم في
الأرض إلا بحق ، وذلك بعدل الله .
- (٣١٣١) تَحَرَّ : من التحري - أي اطلب
ما هو أحرى وأليق .

- (٣١٣٢) نيسر : تأهب .
- (٣١٣٣) شامّ البرق : لمح .
- (٣١٣٤) رَحَلَ المطية : وضع عليها رحلها للسفر .
- (٣١٣٥) كأنه يريد من «الحَسَك» الشوك والسعدان : نبت ترعاه الإبل له شوك تشبه به حلمة الثدي .
- (٣١٣٦) المُسَهَّد - من سهده - : إذا أسهره والمصفد : المقيّد .
- (٣١٣٧) قَفُوها : رجوعها .
- (٣١٣٨) الثرى : التراب .
- (٣١٣٩) أَمَلَقَ : افتقر أشدّ الفقر .
- (٣١٤٠) استماحي : استعطاني .
- (٣١٤١) البُرّ : القمح .
- (٣١٤٢) شَعَثَ - جمع أشعث وهو يرتجف وهو يرمي الشعر المتليد بالوسخ .
- (٣١٤٣) الغُبْر - بضم الغين - : جمع أغبر متغير اللون شاحبه .
- (٣١٤٤) العِظْم - كزبرج - : سواد يصبغ به قيل هو النيلج أي انيلة .
- (٣١٤٥) القِيَاد : ما يُقَادُ به كالزمام .
- (٣١٤٦) الدَتْف - بالتحريك - : المرض .
- (٣١٤٧) الميسم - بكسر الميم وفتح السين - : المَكْوَاة .
- (٣١٤٨) تُكِل - كفرح - : أصاب تُكِلًا بالضم، وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد . والثواكل : النساء .
- (٣١٤٩) لَطَى : اسم جهنم .
- (٣١٥٠) الملقوفة : نوع من الحلواء أهداها الأشعث بن قيس إلى عليّ .
- (٣١٥١) شَنِئْتَهَا أي : كرهتها
- (٣١٥٢) الصلة : العطية .
- (٣١٥٣) هَبَلْتَنكَ - بكسر الباء - : ثكلتك ، والهَبُول - بفتح الهاء - : المرأة لا يعيش لها ولد .
- (٣١٥٤) أَمُخْتَبِطٌ في رأسك : أمختل نظام إدراكك ؟
- (٣١٥٥) ذو جِنَّة : من أصابه مس من الشيطان .
- (٣١٥٦) تهجر : أي تهذي بما لا معنى له في مرض ليس بصرع .
- (٣١٥٧) جُلِب الشعيرة - بضم الجيم - : قشرتها . وأصل الجلب غطاء الرجل فتجوز في إطلاقه على غطاء الحبة .
- (٣١٥٨) قَضِمَت الدابةُ الشعيرَ - من باب عليم - : كمرته بأطراف أسنانها .
- (٣١٥٩) سُبَات العقل : نومه . والزكّل : السقوط في الخطأ .
- (٣١٦٠) صيانة الوجه : حفظه من التعرض للسؤال .
- (٣١٦١) اليسار : الغنى .
- (٣١٦٢) بذل الجاه : إسقاط المنزلة من القلوب .
- (٣١٦٣) الإقتار : الفقر .
- (٣١٦٤) التزّال - بالضم وتشديد الزاي - جمع نازل .
- (٣١٦٥) متصرفة : متنقلة متحولة .
- (٣١٦٦) مُسْتَهْدَفَةٌ - بكسر الدال - منتصبه مهياة للرمي .

- (٣١٦٧) الحِمَام - بالكسر - : الموت .
- (٣١٦٨) بعد الآثار : طول بقائها بعد ذَوِيها .
- (٣١٦٩) رَاكِدَةٌ : ساكنة . وركود الريح : كناية عن انقطاع العمل وبطلان الحركة .
- (٣١٧٠) آثارهم عافية : أي مندرسة .
- (٣١٧١) النمارق - جمع نَمْرُوقَة - : تطلق على الوِسَادَة الصغيرة وعلى الطنفسة أي البساط ولعله المراد هنا .
- (٣١٧٢) المهتدة : المفروشة .
- (٣١٧٣) لَطَأَ بِالْأَرْضِ - كمنع وفرح - : لصق .
- (٣١٧٤) الْمُتَحَدَّة - من أُلْحِدَ القبر - : جعل له لحداً أي شقاً في وسطه أو جانبه .
- (٣١٧٥) فِنَاء الدار - بالكسر - : ساحتها وما اتسع أمامها .
- (٣١٧٦) الكَتَكْتَل : هو صدر البعير .
- (٣١٧٧) البلي - بكسر الباء - : أي الفناء .
- (٣١٧٨) الجنادل : الحجارة .
- (٣١٧٩) الثرى : التراب .
- (٣١٨٠) « ارتهنكم ذلك المضجع » : أي لقرب آجالكم كأنكم قد صرتم إلى مصيرهم وحبستم في ذلك المضجع كما يحبس الرهن في يد المرتهن .
- (٣١٨١) تنهى به الأمر : وصل إلى غايته . والمراد انتهاء مدة البرزخ .
- (٣١٨٢) بُعِثَت القبور : قُلِبَ ثراها وأخرج موتاهم .
- (٣١٨٣) تَبَلَّوْهُ : تخبره فتقف على خيره وشره .
- (٣١٨٤) آنس : أشد أنساً .
- (٣١٨٥) المنهوف : المضطر يستغيث ويتحسر .
- (٣١٨٦) فتهيه - كفرح - : عي فلم يستطع البيان .
- (٣١٨٧) الطلِيبَة - بكسر الطاء - : المطلوب .
- (٣١٨٨) المرآشد : مواضع الرشد .
- (٣١٨٩) النُكْر - بالضم - : المنكّر .
- (٣١٩٠) البِدَاع - بالكسر - : الأمر يكون أولاً . أي الغريب غير المعهود .
- (٣١٩١) لله بلاء فلان : أي لله ما فعل من الخير .
- (٣١٩٢) قَوْمَ الأود : عدل الاعوجاج .
- (٣١٩٣) العَمَمَة - بالتحريك - : العلة .
- (٣١٩٤) خَلَفَ الفتنه : تركها خلفاً . لا هو أدركها ولا هي أدركته .
- (٣١٩٥) متشعبة : متباينة مختلفة .
- (٣١٩٦) التَدَاك : الازدحام كأن كل واحد يدك الآخر أي يدقه .
- (٣١٩٧) الهيم : أي العِطَاش جمع هيماء كعَبِيَاء وعين .
- (٣١٩٨) هَدَج : مشى مشية الضعيف في ارتعاش .
- (٣١٩٩) حسرت : كشفت عن وجهها .
- (٣٢٠٠) الكعاب - كسحاب - : الحارية حين يبدو ثديها للنهود وهي الكاعبة .
- (٣٢٠١) المَلَكَة - بالتحريك - : كل ذنب موبق يملك الشيطان فاعله ويستحوذ عليه .
- (٣٢٠٢) الهَلَكَة - بالتحريك - : الهلاك .

- (٣٢٠٣) بادروا : أي اسبقوا .
- (٣٢٠٤) عمراً ناكساً : أي يقلبكم من الحياة إلى الموت .
- (٣٢٠٥) الحابس : المانع من العمل .
- (٣٢٠٦) الخالس : الخاطف .
- (٣٢٠٧) طياتكم : جمع ضيئة - بالكسر - : منزل السفر . والمراد ان السفر يباعد رحيل القوم .
- (٣٢٠٨) القرون - بالكسر - : الكفو في الشجاعة .
- (٣٢٠٩) الوائر : الجاني .
- (٣٢١٠) أعلقتكم الحبال : أوقعتكم فيها فاقنصتكم ، وهي جمع حبال : المصيدة من الحبال .
- (٣٢١١) تكفتكم : أحاطتكم .
- (٣٢١٢) غوائله : دواهبه ومصائبه .
- (٣٢١٣) قصده : رماه بسهم فأصاب مقتله .
- (٣٢١٤) المعابيل - جمع معبلة ككنيسة بكسر الميم - : وهي النصل الطويل العريض .
- (٣٢١٥) العدو - بالفتح - : العدو وان .
- (٣٢١٦) التبوؤ - بالفتح - : أن يخطيء في الضربة فلا يصيب .
- (٣٢١٧) يوشك : يقرب .
- (٣٢١٨) تغشاكم : تحيط بكم .
- (٣٢١٩) الدواجي - جمع داجية - : أي مظلمة .
- (٣٢٢٠) الظلل - جمع الظلة - أي السحابة .
- (٣٢٢١) الاحتدام : الاشتداد .
- (٣٢٢٢) الحناديس : جمع حنديس - بكسر الحاء والذال - : الظلمة الشديدة .
- (٣٢٢٣) الغمرات : الشدائد .
- (٣٢٢٤) إرهاقه - بالراء - أي : إعجاله ، من أرهقه إذ أعجله .
- (٣٢٢٥) الدجوة : الإظلام .
- (٣٢٢٦) أطباقه : جمع طبق ، ويراد به تكاثف الظلمات طبقاً فوق طبق .
- (٣٢٢٧) الحشوبة : غلظ الطعام وخشونته .
- (٣٢٢٨) النجوي : القوم يتناجون .
- (٣٢٢٩) السدي : الجماعة يجتمعون للمشاورة .
- (٣٢٣٠) عفتي الآثار : محاسنها .
- (٣٢٣١) التراث : الميراث .
- (٣٢٣٢) الحميم : الصديق .
- (٣٢٣٣) الدرّة - بالكسر - : اللبن .
- (٣٢٣٤) الغرة - بالكسر - : الغفلة .
- (٣٢٣٥) أخلقوا جدتها : جعلوا جديدها قديماً خلاقاً .
- (٣٢٣٦) الأجداث : القبور .
- (٣٢٣٧) يحفدون : يبألون .
- (٣٢٣٨) ملبيسة نروع : ما ألبست إلا نزع لباسها عن ألبسته .
- (٣٢٣٩) يركد : يسكن .
- (٣٢٤٠) بادر المحذور : سبقه فلم يصبه .
- (٣٢٤١) تقلب أبدانهم : أي تقلب ، أي أن أبدانهم وهي في الدنيا تتقلب بين أظهر أهل الآخرة ، وهو بين ظهرانيهم أي بينهم حاضراً ظاهراً .

- (٣٢٤٢) صدع : جهر ، وأصل الصدع الشق .
- (٣٢٤٣) لم الصدع : لحم المنشق فأعاده إلى القيام بعد الإشراف على الأهدام .
- (٣٢٤٤) الفتق : نقض خياطة الثوب فين فصل بعض أجزائه عن بعض ، والرتق : خياطتها ليعود ثوباً .
- (٣٢٤٥) الواغرة : الداخلة .
- (٣٢٤٦) القادحة في القلوب : كأنها تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمقدحة .
- (٣٢٤٧) الفيء : الأصح فيه كما قال الشافعي وغيره أنه مختص بما أخذ من مال الكفار بغير قتال .
- (٣٢٤٨) الجلب : المال المجلوب . وجلب أسياهم : ما جلبته أسياهم وساقته إليهم .
- (٣٢٤٩) شركة - كعلمه - : شاركة .
- (٣٢٥٠) الجناة - بفتح الجيم - : ما يجتى من الشجر : أي يقطف .
- (٣٢٥١) بضعة : قطعة .
- (٣٢٥٢) تنشبت العروق : علققت وثبتت . والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية .
- (٣٢٥٣) تهدلت : أي تدلت علينا فأظلمنا .
- (٣٢٥٤) كلّ لسانه : نبأ عن الغرض .
- (٣٢٥٥) عارم : شرس . سبيء الخلق .
- (٣٢٥٦) مآذيق : يمزج وده بالغش .
- (٣٢٥٧) طينهم : جمع طينة ، يريد عناصر تركيبهم .
- (٣٢٥٨) الفلقة - بكسر الفاء - : القطعة من الشيء .
- (٣٢٥٩) سبغ الأرض : مالها .
- (٣٢٦٠) الرواء - بالضم والمد - : حسن المنظر .
- (٣٢٦١) مادّ القامة : طولها .
- (٣٢٦٢) القعور - يريد به قعر البدن - : أي أنه قصير الجسم لكنه داهي الفؤاد .
- (٣٢٦٣) الضريبة : الطبيعة .
- (٣٢٦٤) الحلية : ما يتصنعه الإنسان على خلاف طبعه .
- (٣٢٦٥) لأنفذنا : أي لأفينا .
- (٣٢٦٦) الشؤون : منابع الدمع من الرأس .
- (٣٢٦٧) « لكان الداء ماطلاً » : بماطلاً بالشفاء .
- (٣٢٦٨) الكمد : الحزن ، ومحالفة : ملازمته .
- (٣٢٦٩) قلاً : فعل ماض متصل بألف التثنية ، أي ماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك .
- (٣٢٧٠) العرج - بالتحريك - : موضع بين مكة والمدينة .
- (٣٢٧١) نفيس البقاء - بالتحريك - : أي سعة البقاء .
- (٣٢٧٢) صحف الأعمال منشورة : أي لكتابة الصالحات والسيئات .
- (٣٢٧٣) بسط التوبة : قبولها .
- (٣٢٧٤) المدبير : أي المعرض عن الطاعة يدعى إليها .

- (٣٢٧٥) خمود العمل : انقطاعه بحلول الموت .
- (٣٢٧٦) صعود الملائكة لعرض أعمال العبد إذا انتهى أجله ليس بعده توبة
- (٣٢٧٧) منظور: أي مهمل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيحفو عن تقصيره ويُسبِّه على عمله .
- (٣٢٧٨) زَمَّهَا : قادها بقيادها .
- (٣٢٧٩) الجُفَاءُ - بضم الجيم - : جمع جاف أي غليظ فظ .
- (٣٢٨٠) الطَغَامُ - كسحاب - : أوغاد الناس والعييد، كناية عن ردئي الأخلاق .
- (٣٢٨١) الأقرام : - جمع قرم بالتحريك - أرذال الناس جمعوا من كل أوب أي ناحية .
- (٣٢٨٢) الشَّوْبُ : الخلط ، كناية عن كونهم أخلاطاً ليسوا من صراحة النسب في شيء .
- (٣٢٨٣) قطعوا أوتاركم : أي قطعوا أوتار القسي .
- (٣٢٨٤) شِيمُوا سيوفكم : أغمدوها ولا تقاتلوا . وقواصي الإسلام : أطرافه . ورمي الصَّفَاة - بفتح الصاد - كناية عن طمع العدو فيما باليد . وأصل الصفاة الحجر الصلد .
- (٣٢٨٥) ولائج : جمع وليجة ، وهي ما يدخل فيه السائر اعتصاماً من مطر أو برد أو توقياً من مفترس .
- (٣٢٨٦) فِصَابُ الحَقِّ : أصله ، والأصل في معنى النصاب مقبض السكين ، فكأن الحق نصل يفصل عن مقبضه ويعود إليه .
- (٣٢٨٧) انزاح : زال .
- (٣٢٨٨) انقطاع لسان الباطل عن منبته : - بكسر الباء : أي عن أصله ، مجاز عن بطلان حجته وانخذه عند هجوم جيش الحق عليه .
- (٣٢٨٩) عِجْلُ الوَعَايَةِ : حفظ في فهم والرعاية : ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين .
- (٣٢٩٠) الهَتْفُ : مصدر هتف يهتف إذا نادى .
- (٣٢٩١) نَضَحَ الجِملُ الماءَ : حملة من بر أو نهر ليسقي به الزرع فهو ناضح . الفَرْبُ - بفتح فسكون - : الدلو العظيمة ، والكلام تمثيل للتسخير .
- (٣٢٩٢) مُسْتَأْدِيكُمْ : طالب منكم أداء شكره .
- (٣٢٩٣) مُنْهَلِكُمْ : معطيكم مهلة .
- (٣٢٩٤) أصل المضمار المكان تضر فيه الخيل أي تحضر للسباق . وهو هنا كناية عن مدة العمر .
- (٣٢٩٥) لتتنازعا سببته : أي تتنافسا في سببه . والسبب - بالتحريك - الخطر يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة .

(٣٢٩٦) العُقْد : جمع عُقْدَة . والمآزر .

جمع مِيْزَر . وشدَّ عُقْدَ المآزر :

كناية عن الجهد والتشمير .

(٣٢٩٧) اطووا فُضُولَ الخواصر : أي ما

فضل من مآزركم يلتف على

أقدامكم فاطووه حتى تَسْخِفُوا في

العمل ولا يعوقكم شيء عمن

الإسراع في عملكم .

(٣٢٩٨) لا يجتمع عزيمة ووليمة : أي لا

يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى

الذائد .

(٣٢٩٩) الظُّلْم : جمع ظُلْمَة ، منى

دخلت تحت تذكار الهمة التي

كانت في النهار .

مركز تحقيق علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

رموز الكتاب

لد : للبلد الامين .	ع : لعل الشرائع .	ب : لتقرب الاستاد .
لى : لامالي الصدوق .	عا : لدعائم الاعلام .	بشا : لبشارة المصطفى .
م : لتفسير الامام العسكري (ع) .	عد : للعتائد .	تم : لفلاح السائل .
ما : لامالي الطوسي .	عدة : للعدة .	ثو : لثواب الاعمال .
محصى : للتمحيص .	عم : لاعلام الوري .	ج : للاحتجاج .
مد : للعمدة .	عين : للعيون والمحاسن .	جا : لمجالس المفيد .
مص : لمصباح الشريعة .	عمر : للفرود الدرر .	جش : لفهرست النجاشي .
مصبا : للمصباحين .	عظ : لقبية الشيخ .	جع : لجامع الاخبار .
مع : لمعاني الاخبار .	عو : لنوالمى اللثالي .	جم : لجمال الاسبوع .
مكا : لمكارم الاخلاق .	ف : لتحف العقول .	جنة : للجنة .
مل : لكامل الزيارة .	فتح : لفتح الابواب .	ح : لفرحة الفري .
منها : للمنهاج .	فر : لتفسير فترات بن ابراهيم .	ختص : لكتاب الاختصاص .
مهرج : لمهج الدعوات .	فس : لتفسير علي بن ابراهيم .	خص : لمنتخب البصائر .
ن : لميون اخبار الرضا (ع) .	فض : لكتاب الروضة .	د : للمدد .
نبه : لتنبيه الخاطر .	ق : للكتاب العتيق الفروي .	سر : للسرائر .
نجم : لكتاب النجوم .	قب : لمناقب ابن شهر آشوب .	سن : للمحاسن .
نص : للكفاية .	قبس : لقبس المصباح .	شا : للإرشاد .
نهرج : لنهج البلاغة .	قضا : لتضاء الحقوق .	شف : لكشف اليقين .
نى : لقبية النسماني .	قل : لاقبال الاعمال .	شى : لتفسير العياشي .
هد : للهداية .	قية : للدروع .	ص : لتعصم الانبياء .
يب : للتهذيب .	ك : لاكمال الدين .	صا : للاستثمار .
يج : للخرائج .	كا : للكافي .	صبا : لمصباح الزائر .
يد : للتوحيد .	كش : لرجال الكشي .	صح : لمحيفة الرضا (ع) .
ير : لبصائر الدرجات .	كشف : لكشف الغمة .	ضا : لفقہ الرضا (ع) .
يف : للطرائف .	كف : لمصباح الكفعمي .	ضوء : لضوء الشهاب .
يل : للفضائل .	كفر : لكفر جامع الفوائد و	ضه : لروضة الواغظين .
ين : لكتابي الحسين بن سعيد	تاويل الايات الظاهرة	ط : للمراط المستقيم .
او لكتابه والتوادر .	مأ .	طا : لامان الاخطار .
يه : لمن لا يحضره الفقيه .	ل : للخمال .	طب : لطب الائمة .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفهرس التفصلي لمواد الكتاب
على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد



مركز تحقيقات كميوتور علوم رسدي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس العناوین (٧)

خطب أمير المؤمنين عليه السلام (٩ - ٤٨٩)

- ١١-١٢٩- ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازن
١٢ بيان الخطبة
- ١٣-١٣٠- ومن كلام له عليه السلام لأبي ذرّرحمه الله لما أخرج إلى الرينة.
بيان الخطبة مشتملاً على كلام طويل من ابن أبي الحديد في شرح كيفية
نفي أبي ذرّ وإخراجه إلى الرينة. وفيه يوضح لقائه مع عقيل والحسن
عليه السلام والحسين عليه السلام وعمّار رحمه الله. وأيضاً يبيّن فيه تفصيل
مذاكرة عليّ عليه السلام مع عثمان واعتراضه عليه. وبعد بيان هذه
المطالب يرجع إلى البواعث التي أدت إلى نفيه إلى الشام أولاً ونفيه ثانياً
من المدينة إلى الرينة. وتأتي في خلال هذا المطلب مباحثاته مع معاوية و
عثمان.
٢٥-١٣
٢٤-٢١ كلام الواقدي في هذا المطلب
٢٥-٢٤ قول ابن عبد البر في المسألة أيضاً
- ٢٦-٢٥-١٣١- ومن كلام له عليه السلام: وفيه يبيّن سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحقّ
٢٨-٢٦ بيان الكلام
٢٨ البيان الآخر في الكلام
- ٣٠-٢٩-١٣٢- ومن خطبة له عليه السلام: يعظ فيها ويزهّد في الدنيا

- ١٤٠- ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس
٤٣-٤٢
- ١٤١- ومن كلام له عليه السلام في النهي عن سماع الغيبة وفي الفرق بين الحق
الباطل
٤٤-٤٣
- ١٤٢- ومن كلام له عليه السلام: المعروف في غير أهله
٤٤
- ١٤٣- ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء: وفيه تشبيه العباد إلى وجوب استغاثة
رحمة الله إذا حبس عنهم رحمة المطر
٤٦-٤٤
- توضيح الخطبة
٤٨-٤٦
- ١٤٤- ومن خطبة له عليه السلام
٤٨
بيان جزء من الخطبة
٤٨
بيان جزء آخر من الخطبة
٥٠
كلام ابن الأثير في الخطبة
٥٠
مركز تحقيقات كميتر علوم راسدي
- ١٤٥- ومن خطبة له عليه السلام
٥١
- ١٤٦- ومن كلام له عليه السلام
٥٢-٥١
بيان الكلام
٥٣-٥٢
- ١٤٧- ومن خطبة له عليه السلام
٥٦-٥٣
بيان جزء من الخطبة
٥٤
بيان الأجزاء الأخرى من الخطبة
٥٧-٥٦
- ١٤٨- ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة
إيضاح الكلام
٥٨-٥٧
٥٩-٥٨
- ١٤٩- ومن كلام له عليه السلام قبل موته
٦٠-٥٩

- ١٥٠- من خطبة له عليه السلام؛ يوصي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال
- ٦٠-٦٢ بيان في شرح جزء من الخطبة
- ٦١ بيان آخر في شرح مصطلحات الخطبة وألفاظها
- ٦٢-٦٣ بيان كتابين منه عليه السلام إلى معاوية، لعنة الله عليه، وعقيل
- ٦٣-٦٤
- ١٥١- ومن خطبة له عليه السلام؛ يحذر من الفتن
- ٦٤-٦٥ بيان في شرح جزء من الخطبة
- ٦٥ توضيح في شرح معاني ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها
- ٦٧-٧٠ قول ابن الأثير في شرح بعض ألفاظ الخطبة
- ٦٧ قول ابن ميثم في الخطبة
- ٦٨-٦٩ أيضاً قول ابن الأثير فيها
- ٧٠
- ١٥٢- ومن خطبة له عليه السلام في صفات الله جل جلاله، وصفات أئمة الدين
- ٧١ بيان خطبتين منه عليه السلام في هذا الارتباط
- ٧١-٧٢ بحث مفصل حول مباحث الألفية والأخرية والتفاهة والتأخر
- ٧٢-٧١ بيان الخطبة وبحث مفصل حول معنى الألفية والتأخر
- ٧٣ توضيح جزء آخر من الخطبة
- ٧٤-٧٥ البيان الآخر في شرح الجزء الثاني من الخطبة
- ٧٥-٧٧ نظر العلامة المجلسي في شرح وتبيين مراد الخطبة
- ٧٧
- ١٥٣- ومن خطبة له عليه السلام
- ٧٧-٧٩
- ١٥٤- ومن خطبة له عليه السلام؛ يذكر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام
- ٧٩-٨١ كلام ابن أبي الحديد في شرح جزء من الخطبة
- ٨٠ بيان الخطبة
- ٨١ أيضاً كلام ابن أبي الحديد في شرح بعض فقرات الخطبة
- ٨٢ البيان الآخر في شرح الجزء الآخر من الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد والجوهري فيه
- ٨٢

- ٨٣ شرح بعض ألفاظ الخطبة و مصطلحاتها
الوجوه المختلفة المحتملة في دفع توهم التنافي بين «واعلم أن لكل ظاهر
باطناً» والخبر المروي
- ٨٤-٨٣
- ١٥٥- ومن خطبة له عليه السلام؛ يذكر فيها بديع خلقة الخفاش
بيان الخطبة مفصلاً؛ تشرح فيه معاني الألفاظ والمصطلحات المستعملة فيها
- ٨٦-٨٤
- ٩٠-٨٦ قول الدميري في معنى الخفاش
كلام البطليوسي في معنى الخفاش
قول بعض المفسرين في معنى الخفاش
كلام في خلق عيسى عليه السلام الطير
- ٩٠
- ٩٠
- ٩٠
- ٩١
- ١٥٦- ومن كلام له عليه السلام؛ خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص
الملاحم
- ٩٢-٩١
- ٩٤-٩٢ تبين الكلام بشرح الألفاظ والمصطلحات فيها
بقية الكلام (حال أهل القبور في القيامة)
- ٩٥-٩٤
- بيان الحديث النبوي والآية القرآنية في حقيقة وجود المعاد الروحاني
والجسماني
- ٩٥
- ٩٥ بحث مفصل حول إثبات المعاد الجسماني والأقوال المختلفة فيه
قول الرازي في كتاب نهاية العقول في المعاد الجسماني
المعاد الجسماني ثابت بالاتفاق وللعلماء فيه قولان
قول العلامة رحمه الله في كتاب شرح الياقوت حول المعاد الجسماني
قول العلامة الدواني في شرحه على العقائد العضدية في هذا المطلب
- ٩٦
- ٩٦
- ٩٧ إشكال في ثبوت استحالة إعادة الملزوم
جواب الاشكال المذكور
- ٩٧
- ٩٨ بحث في أن المعاد الجسماني يجب الاعتقاده ويكفر منكره
قول القائلين بالمعاد الروحاني والجسماني معاً
فذلك في تفرق الجسم واتصاله
- ٩٨
- ٩٩
- ٩٩ بحث في أن القول بالحشر الجسماني يبين لا إشكال فيه

- ١٠٠ قول شارح المقاصد في المسألة
- ١٠٠ قول الإمام الرازي أيضاً فيها
- ١٠٠ كلام الإمام الغزالي ومبالغته في تحقيق المعاد الروحاني
- ١٠١ قول العلامة المجلسي رحمه الله في نهاية الكلام
- ١٠٢-١٠١ بقية متن الكلام (الفتنة)
- ١٠٣-١٠٢ بيان هذا الجزء من الخطبة
- ١٠٥-١٠٣ قول ابن ميثم وابن أبي الحديد في توضيح هذا الجزء ونقل مباحثه
- ١٠٥ علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله في المسائل المختلفة
- البيان الآخر في توضيح الجزء المذكور
- ١٠٧-١٠٥ ١٥٧- ومن خطبة له عليه السلام؛ يبحث الناس على التقوى
- ١٠٧ بيان الخطبة
- ١٠٧ ١٥٨- ومن خطبة له عليه السلام؛ يثبت فيها على فضل الرسول الأعظم وفضل القرآن
- ١٠٨ ثم حال دولة بني أمية.
- ١٠٨ بيان الخطبة
- ١٠٩ البيان الثاني في شرح جزء من الخطبة ونظر العلامة المجلسي فيه
- ١٠٩ ١٥٩- ومن خطبة له عليه السلام؛ يبين فيها حسن معاملته لرعيته
- ١١٠-١٠٩ بيان الخطبة
- ١١٢-١١٠ ١٦٠- ومن خطبة له عليه السلام
- ١١٢ بيان جزء من الخطبة [رسول الله]
- ١١٢ بقية متن الخطبة [موسى]
- ١١٣ بيان الجزء المذكور
- ١١٣ بقية متن الخطبة [داوود- عيسى]
- ١١٤-١١٣ بيان الجزء المذكور
- ١١٦-١١٤ بقية متن الخطبة [الرسول الأعظم]
- ١١٦ بيان الجزء المذكور [الجزء الآخر من الخطبة]

- ١١٦ البيان الآخر في شرح الجزء الأخير
كلام ابن أبي الحديد في شرح الخطبة وروايته الأخبار المتعددة في هذا
الباب
١١٧-١١٦
- ١٦١- ومن خطبة له عليه السلام في صفة النبي وأهل بيته وأتباع دينه، وفيها يعظ
بالتقوى
١١٨
بيان الجزء الأول [: الرسول وأهله وأتباع دينه] من الخطبة
١١٩-١١٨
بقية متن الخطبة [النصح بالتقوى]
١١٩
- ١٦٢- ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم
قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال...
١٢١-١٢٠
توضيح الكلام مشتملاً على المطالب التالية:
١٢١
توضيح روايتي الصدوق والسيد رضي الله عنهما.
١٢١
قول الفيروزآبادي وابن الأثير في توضيحها وشرح الألفاظ
والمصطلحات في الكلام
١٢٤-١٢١
- ١٦٣- ومن خطبة له عليه السلام
توضيح الخطبة مشتملاً على شرح الألفاظ والمصطلحات ونظر العلامة
المجلسي فيها
١٢٥-١٢٤
بقية متن الخطبة
١٢٧-١٢٥
توضيح هذا الجزء من الخطبة وشرح الألفاظ والمصطلحات فيها
١٢٧
١٢٨-١٢٧
- ١٦٤- ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان و
سألوه مخاطبته لهم واستعتابه لهم، فدخل عليه فقال...
١٣٠-١٢٨
توضيح الكلام
١٣٠
- ١٦٥- ومن خطبة له عليه السلام؛ يذكر فيها عجيب حلقة الطاووس
توضيح الخطبة مشتملاً على المطالب التالية:
١٣٤-١٣٠
توضيح حول كلمة «طاووس» وأصلها
١٣٤
بيان مفصل في شرح اللغات والمصطلحات المستعملة في الخطبة
١٣٦-١٣٤

- ١٣٦ قول ابن الأثير في شرح كلمات الخطبة
 ١٣٨-١٣٧ قول بعض الشارحين في كيفية اللقاح في الطاووس
 ١٤٣-١٣٨ أيضاً شرح اللغات والمصطلحات في الخطبة
 ١٤٤-١٤٣ بقية متن الخطبة [منها في صفة الجنة]
 ١٤٤ تفسير بعض ما في هذه الخطبة من الغريب [من السيد الشريف الرضي رحمه الله]
 ١٤٤ بيان الجزء الأخير من الخطبة

- ١٤٦-١٤٥ -١٦٦- ومن خطبة له عليه السلام
 ١٤٧-١٤٦ توضيح الخطبة مشتملاً على قول الكيدري و ابن ميثم فيها

- ١٤٨ -١٦٧- ومن خطبة له عليه السلام في أوائل خلافته
 ١٤٩ بيان الخطبة
 ١٤٩ البيان الآخر في شرح الخطبة



مركز تحقيقات كليات علوم رفسودي

- ١٥٠ -١٦٨- ومن كلام له عليه السلام بعد ما بويغ بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة:
 لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟ فقال...
 ١٥١-١٥٠ توضيح الكلام مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيه
 ١٥٢ -١٦٩- ومن خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة
 ١٥٣-١٥٢ بيان الخطبة

- ١٥٤-١٥٣ -١٧٠- ومن كلام له عليه السلام في وجوب اتباع الحق عند قيام الحجة. كالم به بعض
 العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لما قرب عليه السلام منها ليعلم لهم منه حقيقة
 حاله مع أصحاب الجمل لنزول الشبهة من نفوسهم، فبين له عليه السلام من أمره معهم
 ما علم به أنه على الحق، ثم قال له: بايع، فقال: إني رسول قوم، ولا أحدث حدثاً
 حتى أرجع إليهم. فقال عليه السلام...
 ١٥٤ بيان الكلام

- ١٥٥-١٥٤ -١٧١- ومن كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصقين

- ١٥٦-١٥٥ بيان الكلام
- ١٥٧-١٥٦ البيان الآخر في شرح الكلام
- ١٥٨-١٥٧ ١٧٢- ومن خطبة له عليه السلام
- ١٥٩-١٥٨ بيان الكلام مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيها
- ١٥٩ بقية متن الخطبة [منها في ذكر أصحاب الجمل]
- ١٦١-١٥٩ بيان الجزء المذكور مشتملاً على كلام الفيروزآبادي وابن ميثم ونظر العلامة المجلسي رحمه الله فيها وعلّة إشكالات وأجوبتها
- ١٦٣- ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله، صلى الله عليه وآله، ومن هو جدير بأن يكون للخلافة وفي هو ان الدنيا
- ١٦٣-١٦١ توضيح الخطبة
- ١٦٣ قول ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام «لئن كانت الإمامة...» و استدلاله على أن قوله عليه السلام تصريح بصحة مذهب أصحابه [أهل السنة] وبطلان قول الإمامية. ويشكل عليه العلامة المجلسي رحمه الله من وجهين.
- ١٦٤-١٦٣ أيضاً شرح اللغات والمصطلحات في الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد وابن ميثم فيها
- ١٦٥-١٦٤ ١٧٤- ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيدالله. وقد قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير إلى البصرة لقتاله
- ١٦٦ بيان الكلام مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد والجوهري والفيروزآبادي
- ١٦٧-١٦٦ ١٧٥- ومن خطبة له عليه السلام في الموعظة وبيان قرباه من رسول الله
- ١٦٨-١٦٧ بيان الخطبة
- ١٦٩-١٦٨ البيان الآخر في شرح الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيها
- ١٧٠-١٦٩ ١٧٦- ومن خطبة له عليه السلام؛ وفيها يعظ ويبين فضل القرآن وينهى عن البدعة
- ١٧٥-١٧١

- ١٧٦-١٧٥ بيان الخطبة
- ١٧٦ الجزء الآخر من الخطبة [لزوم الطاعة]
- ١٧٦ بيان الجزء الأخير
- ١٧٧-١٧٦ ١٧٧- ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكيم
توضيح الكلام مشتملاً على كلام ابن الأثير والفيروزآبادي فيه
- ١٧٧ ١٧٨- ومن خطبة له عليه السلام في الشهادة والتقوى. وقيل: إنه خطبها بعد
مقتل عثمان في أول خلافته
- ١٧٨ بيان الجزء الأول من الخطبة
- ١٧٩-١٧٨ بقیة من الخطبة [الجزء الأخير]
- ١٧٩ توضیح الجزء الأخير
- ١٨٠-١٧٩ بيان الجزء المذكور
- ١٧٩- ومن كلام له عليه السلام؛ وقد سأله ذعبل اليماني فقال: هل رأيت ربك يا
أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد مالا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال...
- ١٨٠ ١٨٠- ومن خطبة له عليه السلام في ذم العاصين من أصحابه
- ١٨٣-١٨٢ توضیح الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد وابن ميثم فيها
بيان الأمور التي أدت إلى تعجبه عليه السلام في قوله «لله أنتم!»
- ١٨٣ أيضاً شرح اللغات والمصطلحات في الخطبة
- ١٨٤-١٨٣ ١٨١- ومن كلام له عليه السلام؛ وقد أرسل رجلاً من أصحابه، يعلم له علم أحوال
قوم من جند الكوفة، قدهموا باللحاق بالخواارج، وكانوا على خوف منه عليه السلام، فلما
عاد إليه الرجل قال له: «أُمِئْتُوا فَفَقَطُّوْا أَمْ جَبِنُوا فَفَقَطُّوْا؟» فقال الرجل: بل
فَطَعْتُوا يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام...
- ١٨١ بيان الكلام
- ١٨٥ ١٨٢- ومن خطبة له عليه السلام؛ روي عن نوف البكالي قال: خطبنا بهذه الخطبة
أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة وهو قائم على حجارة، نصبها له جمدة بن هبيرة

- المخزومي، و عليه مذرعة من صوف و حائل سيفه ليف و في رجليه نعلان من ليف، و كأن جبينه ثينة بعير. فقال عليه السلام...
- ١٨٧-١٨٥
- ١٨٨-١٨٧ بيان الخطبة: تشرح فيه معاني اللغات والمصطلحات في الخطبة
- ١٩٠-١٨٩ توضيح آخر في بيان و شرح اللغات والمصطلحات في الخطبة
- ١٩٠ بقية متن الخطبة [عود إلى الحمد]
- ١٩١-١٩٠ بيان الجزء المذكور منها مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيها
- ١٩٢ البيان الآخر في شرح الجزء الأخير من الخطبة
- ١٩٣-١٩٢ بقية متن الخطبة [الوصية بالتقوى]
- ١٩٤-١٩٣ بيان الجزء المذكور منها مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيها
- ١٩٥-١٩٤ بقية متن الخطبة
- بيان الجزء المذكور [الجزء الأخير من الخطبة] مشتملاً على نظرات ابن الأثير
- ١٩٨-١٩٥ وابن أبي الحديد والجوهري فيها
- ١٨٣- ومن خطبة له عليه السلام في قدرة الله وفي فضل القرآن وفي الوصية بالتقوى
- ٢٠١-١٩٨ بيان الخطبة
- ٢٠١ بقية متن الخطبة
- ٢٠٢-٢٠١
- ١٨٤- ومن كلام له عليه السلام؛ قاله للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بجمعت يسمعه: «لا حكم إلا لله»، و كان من الخوارج
- ٢٠٣-٢٠٢ بيان الكلام
- ٢٠٣
- ١٨٥- ومن خطبة له عليه السلام؛ يمد الله فيها ويشي على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان
- ٢٠٤-٢٠٣ بيان مختصر في شرح بضعة كلمات الخطبة
- ٢٠٤ بقية متن الخطبة
- ٢٠٧-٢٠٤ بيان مختصر في شرح بعض اللغات والمصطلحات المستعملة في الخطبة
- ٢٠٨-٢٠٧ بيان مفصل في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها في جزء [خلقة الجرادة] منها
- ٢١٤-٢٠٨ بيان مفصل آخر في شرح جزء من الخطبة [الجزء الأول: حمد الله تعالى]
- ٢٢٢-٢١٤

- ٢١٤ بحث حول الجملات «الدالّ على قدمه بحدوث خلقه» و «مستشهد
بحدوث الأشياء على أزليته»
- ٢١٤ نقل حديث مفصل من عليّ عليه السلام
- ٢١٥-٢١٤ بحث مفصل حول موضوع «الحدوث والقدم»
- ٢١٧-٢١٥ متن خطبة عليّ عليه السلام في مسجد الكوفة
- ٢٢٢-٢١٧ بيان مفصل في شرح الألفاظ والمصطلحات المستعملة في الخطبة المذكورة
من عليّ عليه السلام
- ١٨٦- ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول
العلم مالاتجمعه خطبة
- ٢٢٧-٢٢٢ بيان الخطبة
- ٢٢٧
- ٢٢٩-٢٢٧ بحث مفصل حول موضوع كروية الأرض تحت عنوان [فائدة ٥]
- ٢٣١-٢٢٩ بحث في ذكر طبقات الأرض
- ٢٣١ قول الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المقالات في بيان المراد من العالم
- ٢٣١ نظر العلامة المجلسي رحمه الله في توضيح قول الشيخ المفيد
- ٢٣١ أيضاً قول الشيخ المفيد رحمه الله في بيان المراد من الفلك
- ٢٣١ نظر العلامة فيه أيضاً
- ٢٣٢ سؤالات من السيد المرتضى رحمه الله وجواب السيد عليها
- ٢٣٢ قول العلامة حول الموضوعات السابقة
- ٢٣٦-٢٣٢ توضيح مفصل حول ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها
- بحث دقيق و أقوال مستدلّة تحت عنوان [تتميم ٥] حول موضوع فناء جميع
الموجودات عند انقضاء العالم.
- ٢٣٦
- اختلاف القائلون بصحة الفناء و حقيقة حشر الأجساد في أن ذلك بالايجاد
بعد الفناء أو بالجمع بعد تفرق الأجزاء
- ٢٣٧
- ٢٣٩-٢٣٧ بيان وجوه احتجاج القائلون بالايجاد بعد الفناء [خمسة وجوه]
- ٢٤٠-٢٣٩ بيان وجوه احتجاج القائلون بالجمع بعد تفرق الأجزاء
- بيان النصوص الدالّة على كون النشور بالإحياء بعد الموت والجمع بعد
التفريق
- ٢٤١-٢٤٠
- ٢٤٢-٢٤١ جواب الاشكالات السابقة و بيان الوجه الصحيح

- ٢٤٣-٢٤٢ ١٨٧- ومن خطبة له عليه السلام؛ وهي في ذكر الملاحم
- ٢٤٤-٢٤٣ توضيح الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد
- ٢٤٦-٢٤٥ ١٨٨- ومن خطبة له عليه السلام في الوصية بأمر
- ٢٤٧-٢٤٦ ١٨٩- ومن كلام له عليه السلام في الإيمان ووجوب الهجرة
- ٢٤٧ بيان الكلام
- ٢٤٧ قول ابن عبد البر في الاستيعاب في شرح الكلام
- ٢٤٧ قول ابن ميثم في الكلام
- ٢٤٨ قول الجوهري وابن الأثير في توضيح الكلام
- ٢٤٨ قول ابن ميثم في شرح عبارة «تطأ في خطامها»
- ٢٤٨ البيان الآخر في شرح الكلام
- ٢٤٨ كلام ابن أبي الحديد في بيان مراده عليه السلام من الإيمان
- ٢٤٩ كلام ابن أبي الحديد في بيان أنواع الإيمان
- ٢٥١-٢٥٠ شرح عبارة «والهجرة قائمة...» وبيان أنواع الهجرة
- ٢٥١ قول ابن أبي الحديد في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الهجرة
- ٢٥٢-٢٥١ توضيح قوله عليه السلام «ما كان لله في أهل الأرض حاجة»
- ٢٥٢ توضيحات أخرى حول الهجرة
- ٢٥٣-٢٥٢ كلام الراوندي رحمه الله في الهجرة
- ٢٥٣ كلام ابن ميثم فيها أيضاً
- ٢٥٥-٢٥٣ نظر العلامة المجلسي في شرح الكلام وتوضيحاته فيه
- ٢٥٦-٢٥٥ ١٩٠- ومن خطبة له عليه السلام؛ بحمد الله ويشني على نيته ويمعظ بالتقوى
- ٢٥٦ بيان مختصر في شرح الخطبة
- ٢٥٦ بقية متن الخطبة [العظة بالتقوى]
- ٢٥٧-٢٥٦ بيان الجزء المذكور
- ٢٥٧ بحث مفصل حول موضوع عذاب البرزخ وثوابه تحت عنوان [متذيل ٥]
- ٢٥٧ قول نصير الملة والدين رحمه الله في التجريد
- ٢٥٧ قول العلامة الحلبي في شرحه

- ٢٥٧ قول الشيخ المفيد رحمه الله في أجوبة المسائل السروية
- ٢٥٨ قول الشيخ المفيد رحمه الله في معنى قول الله تعالى: «ولا تحسبن...»
- ٢٥٩ قول المعتزلة في هذا المطلب و جوابه
- سئل الشيخ المفيد رحمه الله في المسائل العكبرية عن قول الله تعالى:
- ٢٥٩ «ولا تحسبن...» و جوابه
- ٢٦٠ قول شارح المقاصد في حقيقة سؤال منكر ونكير في القبر و..
- ٢٦١ بحث في عذاب القبر و اختلاف الناس فيه
- قول الإمام الغزالي في الإحياء بأن لنا ثلاث مقامات في التصديق بأمثال
- الاعتقادات السابقة و بيان المقامات الثلاث
- ٢٦٢-٢٦١ إشكال و جواب
- ٢٦٢ إنكار الجبائي و ابنه والبلخي تسمية الملكين منكراً و نكيراً
- ٢٦٣-٢٦٢ توضيحات أخرى و ذكر أحاديث مختلفة في هذا الباب
- ٢٦٤-٢٦٣ قول الفخر الرازي في نهاية العقول حول اعتقاد المسلمين بحدوث الأرواح
- وردها إلى الأبدان لا في هذا العالم، و..
- ٢٦٤ قول صاحب المحجة البيضاء في مذهب آل العباء في اختلاف أهل السنة
- في أن الأنبياء عليهم السلام هل يسألون في القبر أم لا؟ و كذا في
- الأطفال؟...
- ٢٦٥-٢٦٤ قول الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد حول اعتقادنا في المسألة في القبر
- ٢٦٥ نظر العلامة المجلسي رحمه الله مشيراً إلى قول الشيخ المفيد رحمه الله
- ٢٦٦ فصل في أن الملكان ينزلان على حي و لا يسألان إلا من يفهم المسألة و
- يعرف معناها
- ٢٦٧-٢٦٦ فصل في أن الله تعالى و كل ملائكة المسألة و ملائكة العذاب و النعيم
- بالخلق تعبداً لهم بذلك
- ٢٦٨-٢٦٧ بحث في طريق مساءلة الملكين الأموات بعد خروجهم من الدنيا
- ٢٦٨ نظر العلامة المجلسي رحمه الله حول الموضوعات السابقة
- ٢٦٩ بقية متن الخطبة
- ٢٧٠-٢٦٩ بيان الجزء المذكور
- ٢٧٠ بقية متن الخطبة

- ١٩١- ومن خطبة لسه عليه السلام؛ بحمد الله ويشني على نبيه ويوصي بالزهد
والتقوى
- ٢٧١
- ٢٧١ بيان الخطبة
- ٢٧٣-٢٧٢ بقية متن الخطبة
- ١٩٢- ومن خطبة له عليه السلام [تسمى القاصعة]: وهي تتضمن ذم إبليس
لعنه الله، على استكباره وتركه السجود لأدم عليه السلام، وأنه أول من أظهر العصبية و
تبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.
- ٢٧٥-٢٧٣
- ٢٧٦-٢٧٥ بيان الخطبة
- ٢٨٥-٢٧٦ بقية متن الخطبة
- بيان الخطبة: في هذا البيان يشرح بعض الألفاظ وتذكر قصة موسى
عليه السلام وكل ما وقع له قبيل فرعون و... ويشتمل على المطالب التالية:
خروج هارون ومحيى موسى عليه السلام وملاقاتها على شط
النيل
- ٢٨٥
- ٢٨٦ سير موسى عليه السلام بأهله نحو مصر
- ٢٨٧ ذهابها إلى فرعون وإعلام أنها رسولا رب العالمين
- ٢٨٩-٢٨٨ مباحثة موسى عليه السلام مع فرعون حول اعتقادهما
- ٢٨٩ تهديد فرعون لموسى عليه السلام
- جاء موسى عليه السلام ببينة قبيل فرعون وهي تبديل عصاه
بشعبان
- ٢٨٩
- ٢٩٠ معجزات أخرى من موسى عليه السلام وخوف فرعون منه
قصة تعقيب طلب فرعون لموسى وهارون عليها السلام ونكابتهم
بالمصا وإيمان العجوز بها
- ٢٩١
- بيان آخر في شرح الخطبة وبيان قصة موسى - عليه السلام. وهو يشتمل
على المطالب التالية:
- ٢٩١
- جمع فرعون السحرة ومقابلتهم مع موسى عليه السلام برواية ابن
عباس
- ٢٩٣-٢٩٢
- ٢٩٥-٢٩٤ كيفية وقوع معجزات موسى عليه السلام وحيرة السحرة
- ٢٩٦ قطع فرعون أيدي السحرة وأرجلهم من خلاف بعد اليأس عنهم

- البيان الثالث في شرح الخطبة: ٢٩٦
- بيان القصة برواية الثعلبي ٢٩٦
- عزم فرعون على بناء صرح يقوى به سلطانه ٢٩٦
- أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة... ٢٩٧
- قصة القبط مع قوم بني اسرائيل ٢٩٧
- بيان مفصل في كيفية غرق فرعون وجنوده وعبور بني اسرائيل من البحر ٢٩٨-٣٠١
- إشكال من السيد المرتضى رحمه الله في أن أمر موسى السحرة بإلقاء الحبال والعصي لا يحسن؛ وجواب الاشكال ٣٠١
- نظر العلامة المجلسي وجوابه في هذا الارتباط ٣٠١
- إشكال من السيد وجوابه أيضاً ٣٠١-٣٠٢
- نظر العلامة المجلسي في جواب الاشكال المذكور ٣٠٢
- الوجوه المختلفة في قوله تعالى: «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ» ٣٠٢-٣٠٣
- بقية متن الخطبة ٣٠٣-٣١٠
- توضيحات حول المسائل المطروحة في نهاية الخطبة ٣١٠
- ١- كيفية ولادة الرسول صلى الله عليه وآله ومعيشته وسلوكه وآدابه. و أيضاً شرح بعض مواضع الخطبة ومصطلحاتها ٣١٠-٣١٨
- ٢- كيفية عبادة النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة قول العلامة قدس الله روحه في شرحه على مختصر ابن الحاجب وذكر الاشكالات والأجوبة المختلفة في هذا الباب ٣١٩-٣٣١
- قول السيد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الذريعة في هذا المطلب ٣٢٠
- قول أن النبي صلى الله عليه وآله ما كان متعبداً بشرية نبي تقدم ٣٢١
- قول أن تعبدته صلى الله عليه وآله بشرية من تقدمه لا بد فيه من معرفة أمرين ٣٢٢
- قول المحقق أبو القاسم الحلبي في أصوله بأن شريعة من قبلنا هل هي حجة في شرعنا؟ ٣٢٣
- دلائل المنكرين للحجة وهو الحق ٣٢٤
- دليل الآخرون في حجتها ٣٢٤-٣٢٥
- ٣٢٥

- ٣٢٦-٣٢٥ ردّ على دلائلهم
- ٣٢٦ قول العلامة المجلسي رحمه الله في هذا المطلب وهو القول الصائب
- ٣٣٠-٣٢٧ دلائل العلامة على اثبات قوله
- ٣٣١-٣٣٠ بيان الوجوه التي يمكن تصورها إن كان يعمل بشريعة غيره
- ٣٣٢-٣٣١ بيان آخر في شرح الجزء الأخير من الخطبة
- ٣٣٤-٣٣٢ قول الطبري في الخطبة و كلام ابن أبي الحديد فيها
- ٣٣٤ أيضاً بيان آخر في شرح الخطبة مشتملاً على كلام ابن أبي الحديد فيه
- ٣٣٥ بيان قصير في شرح الجزء الأخير من الخطبة
- بيان كامل في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها مشتملاً على أقوال اللغويين فيها
- ٣٤٢-٣٣٥ نظر العلامة المجلسي في الخطبة
- ٣٤٣
- ٣٤٧-٣٤٣ ١٩٣- ومن خطبة له عليه السلام؛ يصف فيها المتقين
- بيان طويل في شرح الألفاظ والمصطلحات التي وردت في الخطبة. يشتمل على بيان تفصيلي لكل من الصفات التي ذكر عليه السلام للمتقين. أيضاً يأتي العلامة المجلسي رحمه الله ببيان تفصيلي من ابن ميثم رحمه الله توضّح فيه هذه الصفات وتعدّ فيه فضائل أخرى كثيرة للمتقين يبلغ عددها الثانية والعشرين. أيضاً توضّح قوله عليه السلام في علامات المتقين. يشتمل هذه القسمة من البيان على ذكر الثانية والخمسين من العلامات وتبين كلّ واحد منها على التفصيل.
- ٣٧١-٣٤٧
- ٣٧٢-٣٧١ ١٩٤- ومن خطبة له عليه السلام؛ يصف فيها المنافقين
- ٣٧٢ بيان الخطبة
- ٣٧٥-٣٧٣ ١٩٥- ومن خطبة له عليه السلام؛ بحمد الله ويثني على نبيه ويعظ
- ٣٧٥ بيان الخطبة
- ٣٧٦-٣٧٥ ١٩٦- ومن خطبة له عليه السلام
- ٣٧٦ بيان الخطبة
- ٣٧٧-٣٧٦ ١٩٧- ومن كلام له عليه السلام؛ ينبه فيه على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه

- ٣٧٧-٣٧٨ بيان الكلام مشتملاً على قول ابن أبي الحديد والجوهري فيه
توضيح وبيان آخر في الكلام
٣٧٨
- ١٩٨- ومن خطبة له عليه السلام؛ ينبه على إحاطة علم الله بالجزئيات، ثم يبحث
على التقوى ويبين فضل الاسلام والقرآن
٣٧٩-٣٨١ بيان الخطبة: يشرح فيه ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها بالتفصيل
٣٨١-٣٨٤ بقية متن الخطبة [الرسول الأعظم]
٣٨٤ بيان هذا الجزء
٣٨٥ بقية متن الخطبة [القرآن الكريم]
٣٨٥-٣٨٦
- ١٩٩- ومن كلام له عليه السلام؛ كان يوصي به أصحابه
توضيح الكلام
٣٨٧-٣٨٧ بقية متن الكلام
٣٨٧
- ٢٠٠- ومن كلام له عليه السلام في معاوية
بيان الكلام
٣٨٩-٣٨٩
- ٢٠١- ومن كلام له عليه السلام؛ يعظ بسلوك الطريق الواضح
بيان الكلام
٣٨٩-٣٩٠
٣٩٠
- ٢٠٢- ومن كلام له عليه السلام: روي عنه أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة
عليها السلام، كالتالي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره
٣٩١
- ٢٠٣- ومن كلام له عليه السلام في التزهيد من الدنيا والترغيب في الآخرة
٣٩٢
- ٢٠٤- ومن كلام له عليه السلام؛ كان كثيراً ما ينادي به أصحابه
٣٩٢-٣٩٣
- ٢٠٥- ومن كلام له عليه السلام؛ كلف به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد
عتبا عليه من ترك مشورتها والاستعانة في الأمور بها
٣٩٣-٣٩٤

- ٣٩٥-٣٩٤ توضيح الكلام مشتملاً على قول ابن الأثير وابن ميثم فيه
- ٣٩٥ ٢٠٦- ومن كلام له عليه السلام، وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصقين
- ٣٩٥ بيان الكلام
- ٣٩٦ ٢٠٧- ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صقين وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع إلى الحرب
- ٣٩٦ بيان الكلام
- ٣٩٧-٣٩٦ ٢٠٨- ومن كلام له عليه السلام، قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة
- ٣٩٧ بيان الكلام
- ٣٩٨-٣٩٧ ٢٠٩- ومن كلام له عليه السلام بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه - يهوده، فلما رأى سعة داره قال: ...
- ٣٩٨ بيان الكلام
- ٤٠١-٣٩٩ ٢١٠- ومن كلام له عليه السلام؛ وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعماني أيدي الناس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام...
- ٤٠٤-٤٠١ نفس الكلام برواية الصدوق رحمه الله في خصاله
- ٤٠٤ ذكر سلسلة الرواة ورواية نفس الحديث في كتب أخرى نحو تحف العقول وغيبة النعماني والاحتجاج
- ٤٠٦-٤٠٤ توضيح الكلام
- ٤٠٨-٤٠٧ ٢١١- ومن خطبة له عليه السلام في عجيب صنعة الكون
- ٤١٢-٤٠٨ بيان مفصل في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها مشتملاً على أقوال الكيدري و ابن أبي الحديد والجوهري
- ٤١٢ ٢١٢- ومن خطبة له عليه السلام: كان يستهزئ بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه

- ٤١٢ بيان الخطبة
- ٤١٣ - ٢١٣ - ومن خطبة له عليه السلام في تمجيد الله وتعظيمه
- ٤١٣ بيان الخطبة
- ٤١٤ - ٢١٤ - ومن خطبة له عليه السلام؛ يصف جوهر الرسول، ويصف العلماء ويعظ بالتقوى
- ٤١٤ - ٤١٥ بيان مفصل في شرح ألفاظ الخطبة ومصطلحاتها وتوضيح مراده عليه السلام منها مشتملاً على أقوال ابن أبي الحديد وابن ميثم والأصمعي أيضاً بيان آخر
- ٤٢٠ - ٤٢٠ - تذييب مطول في ذكر خصائص الرسول صلى الله عليه وآله. وقد جمع العلامة رحمه الله هذه الخصائص في كتاب التذكرة. والبحث المذكور يدور حول هذا الموضوع ويوضح تلك الخصائص مفصلاً. ويذكر بعض هذه الخصائص فيما يلي:
- ٤٢٠ - ٤٤٢ ذكر الواجبات عليه دون غيره
- ٤٢٠ قول الشافعي فيه
- ٤٢١ وجوب قيام الليل على النبي صلى الله عليه وآله
- ٤٢١ قول الشهيد الثاني في هذا الموضوع
- ٤٢١ وجوب قضاء دين من مات ممسراً عليه
- ٤٢٢ مشاوره أولي النبي
- ٤٢٢ إنكار المنكر إزاراً وإظهاره
- ٤٢٢ كان عليه تخيير نسائه بين مفارقتها ومصاحبته
- ٤٢٢ بحث في نساء النبي صلى الله عليه وآله وكيفية اختيارهن
- ٤٢٣ - ٤٢٥ كلام الشهيد الثاني والشيخ علي رحمهما الله في هذا المطلب
- ٤٢٥ ذكر المحرمات عليه في غير النكاح
- ٤٢٥ - ٤٢٨ ١. الزكاة المفروضة
٢. الصدقة المنذوبة
٣. أكل النوم والبصل والكراث. والأقرب عدم التحريم
٤. أكل الشيء متكثراً. والأقرب الكراهة

٥. حرمة الخط والشعر عليه
٦. إذا لبس لأمة الحرب يحرم عليه نزعها حتى يلقى العدو و
يقاتل
٧. إذا ابتدأ بتطوع حرم عليه تركه
٨. مد العينين
٩. يحرم عليه خائنة الأعين
١٠. هل كان يحرم عليه أن يصلي على من عليه دين أم لا؟ فيه
اختلاف
١١. نفس الخصوصية السابقة مع وجود الضامن
١٢. لم يكن له أن يمين يستكثر

٤٢٧-٤٢٨

ذكر المحرمات عليه خاصة في النكاح

١. إمساك من تكره نكاحه

قول الشافعية في هذا المطلب

٢. نكاح الكفار

بحث مفصل في التخفيفات وهي قسامان: ما يتعلق بنكاح النكاح وما
يتعلق بالنكاح. ويذكر فيما يلي بعض التخفيفات في غير النكاح:

٤٢٩-٤٣٢

١. الوصال في الصوم و كلام الشهيد الثاني والعلامة المجلسي في
٢. اصطفاء ما يختاره من الغنمة قبل القسمة
٣. خمس النية والغنمة
٤. أبيع له دخول مكة بغير إحرام خلافاً لأئمة
٥. أبيحت له ولأئمة كرامة له الفئانم وكانت حراماً على من
قبله من الأنبياء
٦. أبيع له أن يحمي لنفسه الأرض لرعي ماشيته
٧. أبيع له أن يأخذ الطعام والشراب من المالك وإن اضطر إليها
٨. كان لا ينتقص وضوءه بالنوم
٩. كان يجوز له أن يدخل المسجد جنباً، وأنكره بعض الشافعية
١٠. كان يجوز له أن يقتل من آمنه وهو غلط
١١. كان يجوز له لعن من شاء من غير سبب يقتضيه

٤٣٦ - ٤٣٢

ذكر التخفيفات التي يتعلّق بالنكاح :

١. الزيادة على أربعة نسوة
 ٢. العقد بلفظ الهبة
 ٣. كان إذا رغب صلى الله عليه وآله في نكاح امرأة فإن كانت خلية فعليها الاجابة ويحرم على غيره خطبتها
 ٤. انعقاد نكاحه بغير وليّ وشهود
 ٥. انعقاد نكاحه في الاحرام. وللشافعية قول فيه
 ٦. بحث في أنه هل كان يجب عليه القسم بين زوجاته؟
- كلام الشهيد الثاني رحمه الله في هذا الموضوع مفصلاً ومستدلاً على الآيات القرآنية والأحاديث
٧. إنه كان يجوز للنبي صلى الله عليه وآله تزويج المرأة ممن شاء بغير إذن وليها وتزويجها من نفسه وتولى الطرفين من غير إذن وليها

٤٣٨ - ٤٣٦

ذكر الفضائل والكرامات في النكاح

١. تحريم زوجاته على غيره و كلام الشهيد الثاني قدس سره في توضيحه و رواية الكليني ونقل قصة فيه
٢. إن أزواجه أمهات المؤمنين مطلقاً
٣. تفضيل زوجاته على غيرهنّ
٤. لا يحلّ لغيرهنّ من الرجال أن يسأهنّ شيئاً إلاّ من وراء حجاب

٤٤٢ - ٤٣٨

ذكر الفضائل والكرامات في غير النكاح

١. ختم النبيين
٢. إن له خير الأمم
٣. نسخ جميع الشرائع بشريعته
٤. جعل شريعته مؤيدة
٥. جعل كتابه معجزاً بخلاف سائر الأنبياء
٦. حفظ كتابه عن التبديل والتغيير
٧. نصره بالرعب على مسيرة شهر

٨. جعلت له الأرض مسجداً و تراها طهوراً.
٩. أحلت له الغنائم دون غيره من الأنبياء.
١٠. يشفع في أهل الكباثر.
١١. بعث إلى الناس عامة.
١٢. سيد ولد آدم يوم القيامة.
١٣. أول من تنشق عنه الأرض.
١٤. أول شافع مشفع.
١٥. أول من يقرع باب الجنة.
١٦. أكثر الأنبياء تبعاً.
١٧. أمته معصومة لا تجتمع على الضلالة. ونظر العلامة المجلسي فيه
١٨. صفوف أمته كصفوف الملائكة.
١٩. تنام عينه ولا ينام قلبه.
٢٠. كان يرى من ورائه كما يرى من قدامه.
٢١. كان تطوعه بالصلاة قاعداً كتطوعه قائماً و ابن لم يكن عذر.
٢٢. مخاطبة المصلي بقوله «السلام عليك ورحمة الله وبركاته».
٢٣. يحرم على غيره رفع صوته على صوت النبي.
٢٤. يحرم على غيره نداءه من وراء الحجرات.
٢٥. نادى الله تعالى الأنبياء و حكى عنهم بأسمائهم ولم يذكر اسمه في القرآن إلا في أربعة مواضع.
٢٦. كان يستشفى به.
٢٧. كان يتبرك ببوله و دمه.
٢٨. من زنى بحضرتة أو استهان به كفر.
٢٩. يجب على المصلي إذا دعاه يديه ولا تبطل صلاته.
٣٠. كان أولاد بناته ينسبون إليه وأولاد بنات غيره لا ينسبون إليه

مسألة في هذا الموضوع

نظر العلامة المجلسي حول البحث المذكور بتمامه

- ٢١٥- ومن دعاء له عليه السلام، كان يدعو به كثيراً
٤٤٣-٤٤٢
- ٢١٦- ومن خطبة له عليه السلام؛ خطبها بصفين
٤٤٦-٤٤٣
- تبيين الخطبة
٤٤٧-٤٤٦
- ذكر نفس الخطبة برواية الكافي مع الهوامش المفيدة الكثيرة
٤٤٩-٤٤٧
- ذكر مباحث علي عليه السلام مع رجل من عسكره لا يدري من هو. في
هذه المباحث يذكر علي عليه السلام ثلاث خطبات طويلة في فضله
عليه السلام وفضل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.
٤٥٥-٤٥٠
- بيان مفصل في شرح ألفاظ الخطبات ومصطلحاتها وبيان مراده
عليه السلام منها، مشتملاً على نظرات اللغويين وشرح النهج المعروفين و
أيضاً نظرات العلامة المجلسي رحمه الله فيها
٤٦٦-٤٥٥
- ٢١٧- ومن كلام له عليه السلام في التظلم والتشكي من قريش
٤٦٦
- ٢١٨- ومن كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام
٤٦٧
- ٢١٩- ومن كلام له عليه السلام لما أمر بطلحة بن عبد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن
أسيد وهما قتيلان يوم الجمل
٤٦٧
- ٢٢٠- ومن كلام له عليه السلام في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه
٤٦٨-٤٦٧
- ٢٢١- ومن كلام له عليه السلام؛ قال بعد تلاوته: «أهاكم التكاثر...»
٤٧٢-٤٦٨
- ٢٢٢- ومن كلام له عليه السلام، قال بعد تلاوته: «يُسَبِّحُ له فيها بالغدو...»
٤٧٤-٤٧٢
- ٢٢٣- ومن كلام له عليه السلام، قال عند تلاوته: «يا أيها الانسان
ما غرَّك...»
٤٧٦-٤٧٤
- ٢٢٤- ومن كلام له عليه السلام؛ يتبرأ من الظلم
٤٧٨-٤٧٧

- ٢٢٥- ومن دعاء له عليه السلام؛ يلتجئ إلى الله أن يغنيه
٤٧٨
- ٢٢٦- ومن خطبة له عليه السلام في التنفير من الدنيا
٤٧٩-٤٨٠
- ٢٢٧- ومن دعاء له عليه السلام؛ يلجأ فيه إلى الله ليهديه إلى الرشاد
٤٨٠-٤٨١
- ٢٢٨- ومن كلام له عليه السلام؛ يريد به بعض أصحابه
٤٨١
- ٢٢٩- ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة
٤٨١-٤٨٢
- ٢٣٠- ومن خطبة له عليه السلام في مقاصد أخرى
٤٨٢-٤٨٤
- ٢٣١- ومن خطبة له عليه السلام، خطبها بذي قار وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها
الواقدي في كتاب «الجملة».
٤٨٤
- ٢٣٢- ومن كلام له عليه السلام؛ كلم به عبدالله بن زمعة وهو من شيعة وذلك أنه
قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً فقال عليه السلام...
٤٨٤-٤٨٥
- ٢٣٣- ومن كلام له عليه السلام بعد أن أقدم أحدهم على الكلام فحصر، وهو
في فضل أهل البيت، ووصف فساد الزمان
٤٨٥
- ٢٣٤- ومن كلام له عليه السلام، روى ذعلب اليمامي عن أحمد بن قتيبة، عن
عبدالله بن يزيد، عن مالك بن دحية، قال: كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر
عنده اختلاف الناس فقال: ...
٤٨٥-٤٨٦
- ٢٣٥- ومن كلام له عليه السلام، قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه و
آله وتجهيزه
٤٨٦-٤٨٧
- ٢٣٦- ومن كلام له عليه السلام، اقتصر فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي
صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به
٤٨٧

٤٨٧-٤٨٨

٢٣٧- ومن خطبة له عليه السلام في المسارعة إلى العمل

٤٨٨

٢٣٨- ومن كلام له عليه السلام في شأن الحكيم وذم أهل الشام

٤٨٩

٢٣٩- ومن خطبة له عليه السلام: يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله

٢٤٠- ومن كلام له عليه السلام: قال لعبدالله بن العباس؛ وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع، ليقبل هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل، فقال عليه السلام...

٤٨٩-٤٩٠

٤٩٠

٢٤١- ومن كلام له عليه السلام؛ يحث به أصحابه على الجهاد



٤٩١-٥٤٥

فهرس الألفاظ القريبة المشروحة حسب تقايب أرقامها في من الخطب
رموز الكتاب

٥٤٧

٥٤٩-٥٧٦

الفهرس التفصيلي لمواد الكتاب على ترتيب صفحاتها في هذا المجلد